

الحمد لله

في تفسير القرآن الكريم

السئل على عجائب بفتح الميم وأغرب الأرباب

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طهطاوي جوهري  
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
متع الله المسلمين بحياته آمين

الحمد لله

طبع بمطبعة

مصطفى السباعي الحلبي وأولاده بمصر

وتفوق الطبع محفوظ

وباشطه محمد أمين عمران

محرم سنة ١٣٤٨ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة القصص وهي مكية

( إلامن قوله - وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين - الى قوله - إنك لانهدى من أحيت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين - فذنية ، وآية - وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب إلا رجة من ربك فلانك كونت ظهيرا للكافرين - فبالجفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل )

ولأقدم قبل تفسير السورة مقدمات ثلاثا قد كنت كتبتها في كتابي ﴿ النظام والاسلام ﴾ وفي كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وقد كانت تدرج في جريدة المؤيد وغيرها قبل وضعها في الكتاب ، تلك المقدمات ذات علاقة بالقصص القرآنية المذكورة في هذه السورة وغيرها

﴿ المقدمة الأولى . نموذج في فهم كيفية قصص القرآن ﴾  
( الترية والآداب في قصص القرآن )

طال الأمر على أمتنا فأهملت ما في غصون كتابها من أساس الترية والحكمة وكيف تمتقي الرجال الأكفاء في مهام الأعمال ، ياليت شعري ما الذي أصابها حتى غضت النظر عن القصص التي قصها وأهملت أمرها وظن أهلها انها أمور تاريخية لانفيدها إلا المؤرخين ، القصص في كل أمة عليها مدار ارتقاءها سواء أكانت وضعية أم حقيقية على أسنة الحيوان أو الانسان أو الجباد ، على هذا تبحث الأمم قديمها وحديثها وناهيك بكتاب كليله ودمته وما والاه من القصص الناسجة على منواله في الاسلام ككتاب فاكهة الخلفاء ومقامات الحريري وان حاد بعضها عن سواء الصراط والجادة وطغى نخلط الجد بالهزل ككتاب (ألف ليلة وليلة) الذي استخلص زبدته الغربيون ، كل يعلم ما صنعت الروايات في عقول الغربيين من التأثير وأخذهم منها بالأحسن من الكلام والأجمل من الأفعال وكيف يسمعون ويعقلون ، جاء القرآن بقصص الأنبياء وهي لاجرم أعلى منالا وأشرف



مزنية كيف لا وقد جمعت حسن الأسلوب واختيار المقامات المناسبة لما سيقت اليه والقصة الحسنة بالسكمل  
 المخلصين من الأنبياء ومن والاهم وتحققها في أنفسها لوقوع مواردها وأن حب التشبه بطبيعة مرتكزة في الانسان  
 لاسيما لمن يقتدى بهم ، فهذه خمس مزايا اختصت بها هذه القصص ونقصت في سواها ككتاب كايلا ودمنة  
 منتقى كتب الهند وترجمة الفرس والاسلام جاء على السنة الحيوانات وقد نقصه تحقيق موارده والروايات المنتشرة  
 في الغرب أكثرها ايها لوقوع مواردها اختلط فيها صادق الحكم بكاذب الوقائع اصطفاها القوم لأنفسهم لما  
 تضمنته من النصائح في بواطنها مع زخرف ظاهرها وقصصها المكاذب . أليس من العيب الفاضح أن نقرأ  
 قصص القرآن فلانكاد نفهم إلا حكايات ذهبت مع الزمان وصرت كأمس الدابر ومالنا ولها إذن ؟ تالله ان هذا هو  
 البوار ، وما نحن إلا كما حكى في هذه الأيام عن قلاح بويرى فقير بنى منزله الحقير من حاء مسنون مرصع بقطع  
 من الماس الجليل المقدّر بمئات الالوف من الجنيهاً جهلها الرجل وعرفها سائح أوروبى فكان ذلك من أهم  
 الاكتشاف في تلك الأقطار . كم من فتى يسمع هذه القصص فيقول في نفسه تارة وعلى الملا أخرى ياليت شعري  
 كيف توافق التاريخ وهل الاكتشافات التاريخية والمباحث العصرية والعلوم المكتشفة في الاهرام والبراني والهياوغير يف  
 تؤيده ويظل يبحث عن ذلك حتى يقف باهتا مندهشا وقد يعثر على قول فلان الفرنسى والانجليزى مما يؤيد  
 هذه المباحث فيطربها فرحا ويظن أن هذا مستند للدين وفاته أنه ان وافقه كتاب فقد يخالفه كتب إذ لا  
 ثبات للمؤرخين فيما يصفون عن دهر الدهارير . لعمر العلم لم يكن هذا إلا للجهل بالمقصود من قصصها وانها عبرة  
 لمن اعتبر وتذكرة لمن تفكر وتبصرة لمن ازدجر ، أما الرجوع الى التاريخ ومقارنته بما قصه المؤرخون في  
 كتبهم وماسطره الأقدمون على مبانيهم وما يقوله القاصون في خرافاتهم فذلك سبيل حائد عن الجادة يضل فيه  
 الماهرون ، يرشدك لذلك ما تسمعه من نبأ فتية الكهف وكيف يقول - سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون  
 خمسة سادسهم كلبهم رجبا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعثتهم ما يعلمهم إلا قليل -  
 فانظر كيف أسند العلم لله ولم يعول على قول المؤرخين المختلفين ثم لم يبين الحقيقة لئلا يكون ذريعة للطعن  
 في التنزيل فان قال خمسة قالوا ستة وان قال أربعة قالوا سبعة فكتب المؤرخين كثيرة الاختلاف في القصص  
 وما المقصود منها وليكون عبرة . وبالأجل فليس القصد من هذه القصص إلا منافعتها والعبر المبصرة للسامعين  
 - لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب - ولسنا ممن يتبجح بالقول بلايان فلا نعتد إلا على البرهان ،  
 تأمل يا صاح هذا القصص تجده لا يذكر إلا ما يناسب الارشاد والنصح ويعرض عن كثير من الوقائع إذ لا لزوم  
 لها ولا معول عليها فلا ترى قصة إلا وفيها توحيد وعلم ومكارم أخلاق وحجج عقلية وتبصرة وتذكرة ومحاورات  
 جلية تلذ العقلاء ، ولأقتصر من تلك القصص على ما حكاه عن النبي يوسف الصديق عليه السلام وكيف جاوز  
 فيها كل مالا علاقة له بالأخلاق من مدنية المصريين وأحوالهم الى الخلاصة والثمره الخ اه

### ﴿ المقدمة الثانية ﴾

لأذكرك نمونجا آخر لذلك وهى محادثة جرت بينى وبين فتى فى حديقة الجيزة إذ قال اننى اعتقدت أن  
 القرآن أعظم مشرق للعلوم ولكن أناسا يقولون

(١) إن الدين لا علاقة له بالسكون وهؤلاء علماء أوروبا نراهم عزلوا الدين عن العلوم فأفلحوا وهم  
 صادقون فاخبرنى رعاك الله أين أنت من قصة سليمان وما حكاه الله فى القرآن ولقد سئلت أسئلة فلم أقدر على  
 الاجابة عليها فما أناذا أعرضها الآن

(٢) كيف سمع سليمان النملة وهى تسكلم - حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا  
 مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - وتفسير الآية ظاهر بأقل التفات

(٣) وكيف يقول الرب - وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق وأوتينا من كل شئ -

وكلمه الهدهد فقال - أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنياً يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء - الآية

(٤) وكيف يقول - قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه أقوى أمين - وكيف يقول - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك (٥) وما تلك الأبنية العظيمة المسماة بالمحاريب التي كانوا يعملونها له - يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل - الآية

(٦) وما تلك القصاع الكبيرة المعبر عنها بالجفان ، وما تلك القدور الراسيات العظيمات (٧) وكيف تسيل المعادن من الأرض المرموز لها بقوله - وأسلنا له عين القطر - أي أسلنا له النحاس كالعين ينبع

(٨) وما هي دابة الأرض التي أكلت عصاه في قوله - مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين - (٩) وكيف سخرت له الريح حتى قال - واسلميان الريح غدوها شهر ورواحها شهر - شهر أول النهار وشهر آخره

(١٠) ماهذه المحاوره التي بين بلقيس وقومها واستشارتهم في الامور العامة والسياسة عند وصول كتاب سليمان اليها - قالت يا أيها الملؤا أفتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون \* قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد - وهذا السؤال الأخير ليس فيه اشكال وانما سألتم فيه تكميلا للقيام واننى أعتقد أن هذه لاعلاقة لها بالعلوم لبعدها عن الافهام ولا ينبغي أن يفهمها إلا العامة ، أما أمثالنا الذين اقتبسوا العلوم واجتالوا الحقائق فالأجدر بهم أن يكفوا عن هذا وسكت . فقلت أيها الفتى إن اسكل أمة وجهة توليها وتناسب حالها والأم التي ذكرت لم يكن في دياتها علوم وانما هي مواعظ وقوم دينهم شأنه هذا جديرون بعزله عن العلوم فبحن على هذا نقرت لهم بالعلم والحكمة وانما كان هذا شأنهم لأن عيسى عليه السلام جاء بالروحانيات خالصة وابتعد عما عداها ولم يلتفت قط في خطابه الى غير ذلك وموسى قبله أخذ بالجسمانيات وأما القرآن فجمع بين الأمرين وتكلم على الجسمانيات والروحانيات وأشار الى العلوم اجالا فاذا قلدناهم في ذلك ساءت العقبي لأن المسلمين أمة عودها دينها أن يتكلم عن جميع شؤونها اجالا حتى انه يعلمهم الموارث والأحكام ويفصل بينهم بالحق فاذا جاؤا الى العلوم وعزلوه عنها ارتبكوا في شؤونهم ولم يجتمعوا على رأى واحد فالقرآن جامع بينهم . وأما مسألة نبي الله سليمان عليه السلام فاني أرى انك تستعظم ذكر الخلة وكلامها والهدهد وخطابه والأرضه وأكلها العصا مع نبي الله سليمان ويلوح لى أنك لم تعلم ما المراد من ذكر هذه الحيوانات ، ولتقدم لك مقدمتين قبل الخوض في الجواب عن أسئلتك العشر . فقال نعم هات . فقلت تعلم أيها الفتى أن الأمم أجمعوا على استحسان ذكر الحكيم والعلوم والمواعظ على أسنة الحيوانات والانسان ، ألم تر الى كتاب ﴿ كايلا ودمنة ﴾ نخبة كتب الهند وترجمة الفرس والعرب وهكذا نسجت كتب كثيرة على منواله في الاسلام وقد علمت هذا المقام في قصة سيدنا يوسف عليه السلام فلا تأطيل بالاعادة

إن الحيوانات على ﴿ قسمين ﴾ حكيمة تعمل الأعمال المحيية كالنمل في بناء المساكن والادخار والأرضه في الهندسة والاتقان والنحل وغيرها ، فهذه حيوانات صغرت أجسامها وعظمت حكمتهما ﴿ والقسم الثاني ﴾ حيوانات خلقت للعمل كالثور والجاموس فلا قدرة لها على أعمال النمل ولا النحل ولا دود القز فهي حيوانات عاملة لاعالة فأعطيت الضعيفة العلم والقوية العمل ، قسمة عادلة ، وقد جعل الله الحيوانات الحكيمة معاملة للانسان - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون

مثل هذا الغراب فأورى سوءة أخى -

إذا فهمت هاتين المقدمتين فاعلم أن قصص القرآن جاءت بوجه عام حكاية عن الأنبياء وهم أشرف ما يهله  
الانسان وهذه أول مزية واضحة الظاهر حقيقية وهي مرتبة ثانية ودالة على التوحيد والأخلاق ، وهي مرتبة  
ثالثة خالصة مما لاعلاقة له بذلك وهي مرتبة رابعة ، وهذا نبي الله سليمان عليه السلام لم يذكر معه إلا النمل  
والهدهد والأرضة وهي دابة الأرض ، فظاهر هذه الألفاظ أمور سهلة بسيطة وكام الهدهد وسمع النمل وأسكت  
الأرضة عصاه ، فأما الجاهل فتى سمع هذه اكتفى بها وقال كفى بهذه مجيزة ويقف عند هذا الحد ويظن  
أن هذا غاية ما فى القرآن وهذا فى الحقيقة لم يصل لدرجة تلميذ فى المدارس فانه يقرأ الحكاية ويقول ما مغزاها  
وما المقصود منها ، ولما علم أهل أوروبا أن التاريخ جعل للعظة والاعتبار وجهوا اليه عنايتهم وأخذ كل عالم  
يهذب تاريخ قومه علماء منهم أن المدار على ثمراته لاسرد حكاياته . ثم ان علماء الاسلام ما وضعوا علوم البلاغة  
إلا لخدمة القرآن ، ومن أجل تلك العلوم فنّ البيان وفيه الاستعارة التمثيلية التى تشمل جميع الروايات والخيالات  
وماجاء على ألسنة الحيوان والنبات ومنه مقامات الحريرى واعترضوا عليه بأن هذا خيال يلتبس بالحقيقة ومن  
هذا القبيل جميع الروايات المنتشرة فى زماننا هذا ، فأما مثل ﴿ كائلة ودمنة ﴾ الذى جاء على ألسنة الحيوانات  
فقد قبله جميع علماء الغرب والشرق لظهور أن القصد منه الحكم والموعظ وهذا هو الاستعارة التمثيلية بالطريقة  
العملية وهناك نوع يسمى الكناية وهي لفظ أطاق وأريد به لازم معناه مع ارادة المعنى الأصلى فيكون المعنى  
الأصلى صحيحا واللازم هو المقصود بالذات وعلى هذا جاء قصص القرآن فيكون حكايات ظاهرها صحيح ومقصدها  
ما وراء ذلك المعنى ، فالعالمى يقف عند مجرد الحكاية ، فاذا سمع مسألة الهدهد مع سليمان والنمل وحد الله وأخلص  
له وعبدته وأخذ يسبح بكثرة وأصيلا ، أما العالم فاذا سمع هذا قال ليس القصد من هذه القصة مجرد الخطاب فان  
النمل ومسألته والهدهد وخبره والأرضة وأكلها أمور تشير الى ما هو أدق من ذلك وأرقى وكون نبي الله سليمان  
عليه السلام علم منطق الطير صحيح فى نفسه ولكن الطير ليس عنده من العلم إلا مقادير محددة تناسب  
ما كاه ومشر به . إذن هذه الامور تستلزم بطريق الكناية معانى أرقى من هذه مرادة ومقصودة ، واذا كان  
كل كلام عربى وأعجمى له مغزى فكيف يحرم من هذا كلام الله ولأجله دون فنّ البلاغة ، إن هذا هو  
الحسران المبين ، ومن ادعى أن المقصود حكاية بسيطة فهو أحقر من أن يكون تلميذا بل هو حيوان فالأولى أن  
يسكت وليعتزل العلماء وليجلس مع العائمة فليس له فى العلم من نصيب . فقال الفتى ما مثال الكناية من كلام  
العرب ؟ فقلت أنواع المجاز والكنايات عليها مدار تفاضل البلغاء والشعراء والخطباء ، وكل كلام لم يكن فيه تلك  
الملح فجيده عاطل من حلى البلاغة ، ولأذكرك مثالا واحدا لتقيس عليه ما سواه ﴿ دخل صخر أخواله فساء  
عليها يوما واستشارها فى أن تزوج دريد بن الصمة أحد مشاهير العرب فقالت فى أبيات لها

معاذ الله يرضعنى حبركى \* قصير الشبر من جنم بن بكر

فالجاهل اذا سمع مثل هذا يقول أين المناسبة بين السؤال والجواب فهو يقول لها تزوجى دريدا وهي  
تقول أعوذ بالله أن أرضع طفلا قصيرا شبره قصير ، أما العالم فانه يعرف اللازم والملزوم ويدرك سرا فهمه  
العربى فى البادية بدون تعلم بل بالفطرة والمنحة الإلهية وهوانها ان تزوجت فلا بد من الاقتراب والاقتراب  
يتبعه الحبل فالوضع فالرضاع لطفل يشبه أباه غالبا وأبوه قصير فيكون قصيرا والأعضاء على حسب الجسم ومنها  
الشبر فيكون قصيرا فاذا لم ترضع الطفل الموصوف بما ذكر لزمها أن لا تزوج أباه المرتب على زواجه ما بعده  
فهذه لوازم وملزومات ذكرها علم البيان ومقدمات خطابية يذكرها المنطقيون عرفها هؤلاء الأقوام بفطرتهم  
واذا كان هذا كلام اعرابية فى البادية وقد تضمن هذه الحكم وذكرت أمرا صحيحا وهو الامتناع من الارضاع  
ولكن أرادت ما هو أرقى من ذلك عند الفطن وهو عدم التزوج بدريد بن الصمة وهو المقصود بالجواب وقد

عد هذا من أجل طبقات البلاغة فإياك ياسيدي بالقرآن الذي هو سيد الكلام فكيف لا يكون فيه كُنَايَات أم كيف لا يكون فيه رموز وحكم وعجائب وغرائب ، ولو نظرت في كلام العرب بامعان لرأيت فيه كثيرا من ذلك جدا فإياك بكلام الله جل جلاله . الله أكبر كل كلام تظاهر بساطته عند الجاهل يعظم أمره عند العالم الماهر المدقق ، ومما شغل الكلام السهل الممتنع إلا كمثل النور يبدو للجاهل فيظنه معروفا عنده لشدة وضوحه ، فإذا نظر العالم فيه وبحث عنه وقف على كنهه ، وهادم العلماء قديما وحديثا يبحثون عن كنهه ولا يزالون مختلفين إلى يوم الدين ، العلماء (ثلاثة) عالم لغته وهو يفسر القرآن تفسيراً بسيطاً كل لفظة بما يراد منها وهذا في طبقة العامة لم يترع عنهم والعامة يمثل هذا مولعون وهو وهم ناجون بصدقهم وتصديقهم وهم مؤمنون وعالم البلاغة وهو أرقى من سابقه مولع بفهم المقصود من الكلام فيتصرف فيه بالمجاز تارة والسكناية أخرى والاستعارة بأنواعها والتمثيل وضروبه وهذا متوسط في العلم وفوقه عالم درس جميع العلوم وعرف الكون وأصبحت له ملكة بما يحل ويتركب في المعلومات وهذا هو العالم حقا وهو الحكيم الذي يأخذ بأتمته إلى العلا وهو الذي أشار له الله في قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - فتأمل كيف مدح العلماء بعد ذكر حكم الله في الكون وتنوع أشكاله ومزايأ أصفائه وعجائبه وإلى هذه الطبقات الإشارة بقوله - يرفع الله الذين آمنوا منكم - إشارة إلى الطبقة الأولى - والذين أوتوا العلم درجات - إشارة إلى الطبقتين بعدها وهم درجات بعضها فوق بعض كما قال ابن عباس « بين العالم والجاهل سبع مائة درجة كل درجة كما بين السماء والأرض إشارة إلى تفاوتهم في الفهم كما هو مشاهد محسوس في كل فن من الفنون ، فإذا لم يمكنك أن تكون من الحكماء فاجتهد أن تكون من علماء البلاغة وهم أوساط الأمم الذين الذين يناط بهم التحرير والانشاء ومن سمع آية من القرآن فإن كان من الفريق الأول وهم علماء اللغة والعامة فليس لهم إلا ألفاظ بسيطة ترجع لعلم اللغة فإن ترقوا قليلا للبلاغة فياجبذا ، ولقد أصبحت الأمم جمعاء تنحو هذا النحو في تعليم صغار تلامذة المدارس وهذه أمور سهلة ليست خارجة عن السنين المعهود ، فمن ظن أن القرآن لا يفهم فالأجل به أن يصمت ويعتزل العلماء . عجبا أن يكون لكل حكاية في العالم مغزى يراد منها ويسلب هذه المكرونة أبلغ الكلام ، أين البلاغة إذن ؟ فقال الفتى كفى هذا وأرجو أن أسمع ما ترمرز إليه هذه القصة فأجلته إلى الغد ، رجعنا إلى الحديقة ، فقلت يا بني إن هذه القصص تشير إلى مدينة كانت عند نبي الله سليمان فإن مدار المدينة الآن على

(١) سرعة نقل الأخبار بالبريد والكهرباء والتلغراف بلاسلك

(٢) وسرعة النقل وسهولته بالسكك الحديدية والآلات البخارية والمراكب الهوائية (البالون) الذي

سيخلف السكك الحديدية الأرضية بواسطة تبخير الغازات التي هي أخف من الهواء

(٣) وانشاء المباني العظيمة

(٤) وفق النقش والتصوير وصنع التماثيل العظيمة

(٥) واستخدام المعادن على اختلاف أنواعها

(٦) والتدبير والاحكام والهندسة

(٧) والسياسة بالتشاور وجعل الأمر بيد الأمة وأن لا يستبد الحاكم بالرأى

(٨) والاعتماد على النفس

(٩) والتحلي بالعلوم والمعارف

(١٠) والافتداء بالصنعة الإلهية

فهل المدنية غير ما ذكرت لك الآن ؟ فقال الفتى هذه أمور عامة داخل تحتها فروع كثيرة . قلت الهدهد  
 اشارة الى أن النبي سليمان عليه السلام أعطى سهولة نقل الأخبار بأي طريقة من طرق النقل والهدهد رمز  
 لذلك وقد أعطى حكمة ورثها عن آباءه وأيدها الوحي بها فنقل الأخبار بسرعة ليس خاصا بالهدهد بل به وبغيره  
 ولعلّ عنده ما هو أرق مما عندنا على سبيل الكناية . وتسخير الريح له اشارة الى أن وسائل النقل متوفرة عنده  
 عليه السلام حتى وصل الى استخدام الريح الذي يبحث عنه الاوروبيون الآن بالطيارات المعروفة وان كان  
 للنبي معجزة لا يصل لها البشر ولغيره بالعمل وهو أقل وأضعف . ويقال ان النقل في مستقبل الأمر يكون بها  
 لتخلوا الأرض للزراعة والمنافع الأخرى ويشارك الانسان الطير في الطيران وهذا كان سرا لا يعلمه إلا ذلك  
 النبي معجزة له ، ذكره الله في القرآن ليجتهد الناس في العلوم لعلمهم يصلون الى بعضه ، أما الوصول الى غايته  
 فلن يصل أحد اليه ، وأشار الى المباني العظيمة بقوله - يعملون له ما يشاء من محاريب - . وأما فن النقش  
 والتصوير ففي قوله - وتمائيل - وأما استخدام المعادن فهي قوله - وأسلمنا له عين القطر - وهو النحاس  
 فقط وهو رمز الى المعادن على اختلاف أنواعها من اطلاق اللفظ وارادة لازمة أو الجزء وارادة السكل إذ المدنية  
 الهائلة العظيمة تستلزم الترقى في استخراج المعادن ، وأما التدبير والاحكام في الصناعات واتقانها فاليه اشارة  
 بفهم كلام النحلة وسماها ولذلك يقول - وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير - فأطلق  
 وأريد به لازم معناه وهي الحكم والمعارف والعلوم والنظامات التي أودعت في الطير والحيوان وليس القصد مجرد  
 تلك الحكاية من الطير والدواب الدالات على أشياء لا تخرج عما يليق بحياة ذلك الحيوان من مأكل ومشرب  
 لا تعنى نبيا من الأنبياء إلا للعجاز والتحدى والا فهو أرق وأوسع علما ، فنبى الله سليمان أوتي الحكمة والعلم  
 أشار له بقوله بعد ذلك - وأوتينا من كل شيء - ثم أخذ يسرد حكايات النمل والهدهد ليدل على الحكمة التي  
 أعطاها حتى لم يذكر في قصته إلا الحيوانات الحكيمة ولم يذكر الجمل ولا البقر في قصته إذ هو عليه السلام نبى  
 وحكيم ورث بعض العلم عن آباءه الذين ألقيت اليهم النبوة والحكمة ، أما سيدنا ونبينا محمد ﷺ فلم يكن علمه  
 ميراثا وإنما جاء كله بطريق الوحي فهو أسمى لأمة أمتية جاء في جزيرة العرب لهم خاصة وللناس عامة فأمرهم  
 بالتوحيد والنظر في الكون والأخذ بأحسنه ومما قصه عليهم هذه القصة النبوية وقال تعالى له - فبهدهم  
 اقتده - فأمره بأن يقتدى بهم ومنهم نبى الله سليمان وقد أوتي الحكمة والعلم فوجب إذن على أتباعه أن  
 ينظروا في قصته ويطلبوا العلم الذي يرقى مدنيته من الأمم حولهم فان بعض العلوم التي عند نبى الله سليمان  
 ورثها عن آباءه وتلقاها عنه حكماء اليونان فالرومان ، وقد كان فيثاغورس تلميذا لنبي الله سليمان عليه الصلاة  
 والسلام كما قيل وقد انتشر علمه في اليونان والهند كما في كتاب ( الملل والنحل ) ومنهم الى الرومان فالعرب  
 فأهل أوروبا فكان أدوارا شتى وطرقا مختلفة فقصة سليمان اشارة لمدنية قديمة معلوم عهدها مجهولة آثارها  
 إذ سندهم متصل بقدماء المصريين وكان بيت بني اسرائيل مجتمع الحكمة من الأمم الغابرة ودام ملكهم  
 قرونا متطاولة ولذلك لما خرجوا من مصر أمرهم موسى بذبح البقرة لأن أذهانهم قريبة عهد بالجلجلى المسمى  
 ابيس وعبادة المصريين له ولهذا الحادثة سميت بها أكبر سورة في القرآن فقل سورة البقرة وكان بنو اسرائيل  
 إذ ذاك غلاظا شدادا لا يفقهون الحكم فأمرهم بذبح البقرة التي على هيئة عجل ( ابيس ) معبود المصريين ولما  
 كثر فيهم الأنبياء وتمادى الزمان رقت أذهانهم وجاء فيهم نبى الله سليمان عليه السلام وأوتي الملك والحكمة  
 وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وذكر حديث النمل وغيره ، فتأمل رعاك الله تجدد الأمم المتأخرة الآن  
 تبحث عن هذه الحيوانات وتتأملها حتى في أصغر كتاب للتلامذة ، فيزان الأمة نظرها في الكون ، فكما  
 دقت أنظارهم وعرفوا بواطن الأشياء ترقوا في المدنية والعكس بالعكس وهذا هو المقصود بذكر هذه الحيوانات  
 في قصة ذلك النبي ، ومن العجيب أن السورة التي ذكر فيها النمل وسميت باسمه كانت قصيرة بخلاف البقرة

وانتى لا ازال أيها الفتى أنعجب من تخصيص ذكر هذه الحيوانات في قصة سليمان ولم يقل نفاطب البقرة والحيل والحكمة ما علمت فقال الفتى كفى في هذا السؤال . فقلت وأما التشاور في الأمر فهو ظاهر من محاوره بلقيس لقومها واستشارتهم في الأمر وآدابها وآدابهم وهذا ظاهر لا يحتاج الى إيضاح . وأما الاعتماد على النفس فهو ما ذكره من مسألة العفريت من الجن وأدعاء الجن أنهم يعلمون الغيب فقال تعالى - قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك - فهذا هداية للإنسان انه متى حاز النهاية في العلوم لم يكن مثله أحد من المخلوقات إذ هو خليفة في الأرض وهو أقوى من الجن ، فهذه أول داع لنوى العقول أن يتقدموا في العلوم والمعارف وقال - ماد لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين - فهذه كلها تريك أن الاتسكال على الاخبار بالغيب محض وجهل بل الاهتمام بالامور المعهودة والتأمل في أعمال الخليفة يهدي الإنسان الى الطريق الأقوم فان كثيرا من الناس يخبرون بالغيب ولكنهم فيهم الصادق والكاذب فلا يعول عليهم ماعدا المعصومين من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين والعفريت والجن في هذه الآية يناسب ما انتشر في أوروبا الآن من ظهور عالم الأرواح وتكليمهم إياهم مما هو شائع مستفيض والجن والعفريت هم من قبل أولئك المستحضرين في أوروبا وهم يخبرون بالغيب والقرآن يفيد أن الإنسان لا يلتفت الى كل خبر منهم بل يعرض كل قول على عقله واستنتاجه كما وضع من هذه الآية ، ونتيجة ذلك أن الاعتماد على النفس والعقل في كل شئ علو للهمة في العلوم والمعارف وأن الإنسان في علمه فوق الجن مكانة كما في مسألة دلالة دابة الأرض على موت سليمان وجهل الجن به والإنسان أسمى قوة كما في نقل عرش بلقيس بأسرع من لمح البصر . فقال الشاب وكيف انتقل سريعا وبين الشام واليمن شهره . فقلت ذلك اشارة الى أن فوق هذه المدينة الحاضرة مدنية أخرى أسمى منها وأرقى وان كان ذلك معجزة للنبي سليمان عليه الصلاة والسلام ولكن يطلب الأخذ بالأسباب السبل ما يسهل وسائل النقل والاسراع فيها . أما الاجتهاد في العلوم والمعارف فهو مفهوم من قوله - قال الذى عنده علم من الكتاب - وأما الاهتمام بالكون والصنعة الإلهية فيفهم من السورة بتمامها وتأمل في العمل وانظر . فقال الشاب مارأيت أنعجب من هذا البيان ثم قال الفتى أخبرني عن بأجوج وأجوج وكيف ذكرهم الله في القرآن وما لنا بهم من علم وفي أى زمن خروجهم ؟ فقلت أيها الفتى قد سألت هذا السؤال أحد أدياء الهنود من زمن غير بعيد وأجبناه في ﴿ مجلة الهلال ﴾ وهى في نظام العالم والأمم وقد تقدم في سورة الكهف

### ﴿ المقدمة الثالثة ﴾

( أحوال الدول في قصص فرعون وموسى عليه السلام )

الإنسان في حياته ينتهج سبيلا سلكه من قبله واختطه له جاهل أوعالم فاما مكبا على وجهه أو سويا على صراط مستقيم . كل ابن أثنى يتخذ طريقا سبه الأبوان أو الأقربون أو الاخوان والأصحاب والعشيرة والقبيلة والمربي مع ملاحظة الأمزجة وهؤلاء يهدونه أحد النجدين إما الخير أو الشر ، وبمقال آخر ان هؤلاء مثل ضربت له وسبل سنت طرقا للسعادة أو الشقاء ، والتاريخ مثل واضح يمثل به الإنسان سيره في نفسه وأهله ومدينته متى عقل وعمل وحوادث الاصحاب والاخوان تاريخ تشاهده العينان وتسمعه الأذنان ولا جرم انه يسد عوز الحكيم اذا عقل في سيرته الشخصية والمنزلية ، أما سيرة المدن وتقلبها فرجعها الى مرآة أوسع وأعظم ألا وهى تواريخ الأمم الغابرة فهى المنظار المعظم تدرس بها الأخلاق في شكل بهيج جميل . لعمرك ليس كل تاريخ يعنى « وما كل مصقول الحديد يعانى » فقد يستمن ذوالورم وينفخ في غير ضرر ، يسرد المؤرخ حكايات الأولين قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل ولن تجد العبر إلا في آثار وأحوال تستأنس بها النفس وتطمئن لها العقول وتذكر له الحوادث برواق بهج ونواتجها ظاهرة واضحة خيرا أو شرا فيخرج القارئ من بساينها



مقتطفاً من رياضها أزهاراً وجالبا من أشجارها ثماراً ، ولقد ذكر العلماء أن درس التاريخ ان عدل عن هذه الوجهة كان شغلاً بلا فائدة وضياع وقت وحياة . نذكر ذلك ليكون عبرة للعالمين لاسيما المصريين وقد كان فرعون يقول - أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون - ذلك تذكرة للكتاب والقارئ لأننا نعلم انه لم يكن ليجعل حكاية يسلى بها القارئ نفسه كما يشعر به قارئ رواية أو يقتل به الزمن كلا . كيف وهو سبحانه وتعالى يقول - لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب - والعبرة مشتقة من عبور البحر فينقل قارئ التاريخ حال غيره الى نفسه ويعبر به على سفن الألفاظ الى الحقائق ويقول تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ويقول جل وعز - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - ويقول سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام « ماتحت الشمس من جديد » ويقول علماء العصر « التاريخ يعيد نفسه » غفل الناس عن ذلك الاعتبار جهالة بالقصد وخبلا عن الفحوى ورضاء بالقشور وابتعادا عن أسرار البلاغة . جاء الخطاب بلسان العرب وهم يعلمون ضرب الأمثال والمواعظ والسلك مثل مورد ومضرب وقد علموا موارد ومضاربها ومغازيها ومراميها وأحوال العرب عامة تنطق بها ، فن أجهل ممن جد على الألفاظ دون معناها والمعاني دون مغزاها ولذلك قل أبغى البلاء عليه الصلاة والسلام « شيتنى هود وأخواتها » وترى كثيرا من الأدباء اذا أرمع هداية انسان ذكر له قصصا تشبه حاله فبرده عن غيه فتكون أشد تأثيرا من وقع الحسام وتشير في القلب جية واقدا ما أوخيفة واحجما فزال المرء ورفع الغطاء ، إن الخبر في مغزاه كالسهم في مرماه فلنبدا بعد هذا بما وعدنا ونذكر تلالشى الأمم في قصص فرعون وموسى عليه السلام

أشرنا فيما تقدم الى أن تاريخ مصر أسس بالمصريين وأنفع للعالمين ونحن لانعلم من تاريخ دولهم إلا انهم كانوا في ليل الجهل الدامس حتى بعث لهم نبي الله ادريس المسمى بهرمس ويسمى المثلث لأنه كان طيبيا ومهندسا وإلهيا ، وورد انه أول من خط القلم فاقبىس المصريون الحكمة المظمورة الآن في النواويس تحت الأحجار والصخور وكانوا موحدين وتناهوا في ذلك التوحيد وبنوا الهياكل العظيمة آثارا للجلالة ونظروا فيما حسن ولطف دلالة على جلاله ثم نسوا المعبود وعبدوا الأثر وتراخى الزمن وبقى التوحيد سرا مدموما عند جملة الدين وحرموا العاقبة منه فأرسل النبي موسى عليه الصلاة والسلام فبرهن للخاصة والعامة بالعصا واليد فنجع في الخاصة وهم القليل وآمن بنوا اسرائيل وبقى المصريون في عمائيتهم وجهلهم مع فرعونهم - فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين - فأغرق فرعون وجنوده وأما بقية الشعب فاجتاحتهم جاححة الحبشان بعد الأسرة العشرين ودمرتهم صاعقة الاشوريين وأحاطت بهم سرادقات الفارسيين فجاء قبيز فلغمرك ماسدد عليهم فأصابهم وأقصد القلب الابقوس من شعائر دينهم . عبدوا بعض الحيوانات ومنها الهرة فوضعها قبيز بين الجيشين فتحرج المصري عن قتلها فأصابها وأصابه قبيز فملك وقتل وسبى وغزا وأرسل الجيوش وقتل العجل المعبود وأغضب المصريين وكان ما كان من هلكته

مضت دولة الفرس فورثهم اسكندر المقدوني وبعده البطالسة فالرومان الذين استباحوا ماحرمه الظالمون فقتلوا الأبرياء واتهكوا الحرمات وغالت الأمة غولهم وجاء عمرهم هيمنا عليهم بجناح الرحمة وأسدل ستارا من العدل وحرسه بجند من الايمان وبنى عليه هيكل من العلم وزينه بزخرف من الكياسة ووشاه بنقوش الحكم وسيطر عمر بن الخطاب عليه فجاء نورا على نور وسجاء بثوب من الرغبة وقنعه بسوط من الرهبة فوسمه بما وسم امام الصحابة رضى الله عنهم في قضية ابنه وابن القبطى إذ ضرب الثانى الأول بمحض من الصحابة في المدينة حتى قال القبطى قد شفيت نفسى ، كل هذا وحال المصريين تنادى

وانك عادل يا عمرو فينا \* ولكن جئت في الزمن الأخير

فأكثرهم أيبدا يفتاحين الظالمين وحققت عليهم كلمة العذاب مصداقا لما روى عن ادريس عليه السلام

﴿ يا مصر ، يا مصر ستركن دينك القويم القديم وتستبدلينه بالصور والتماثيل فستذهب رجالك وأمالك وتبقى أخبارك في أحبارك ﴾ والكتاب أوضح هذا فقال في فرعون - فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين \* وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون \* وأتبعناهم في هذه الدنية لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين \* ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم بهتدون -

العبرة في هذا أن الأمم لها باب ترتقي فيه وآخر فيه تضعف قوتها واذن لابد لها من اصلاح فاما أن تعظ الأمة بالمرشدين الناصحين والافلامناص لها من السير على نهج فرعون وقومه بهلاك الجند كما أغرقوا ثم الاستعباد المتعاقب وتتابع الأمم المصمية المهينة الفاتكة وأن الأمة اذا ظلت عاكفة على عجول جهالتها فهي دابة كل راكب خادمة كل سيد ، طفلة كل مرب ، زوجة كل بعل ، وكما لم ينفع المصريين أن انجحت عنهم دول الأجاش والاشوريين والفرس واليونان والرومان بل كلما راح ظالم غدا عليهم جبار ، فهكذا يا قوم فليكن حالنا اليوم فادمننا جهلاء فتحن سنكون أبد الدهر طعمة الآكلين فريسة القانصين ولوساد اليابان والصين أو الفرنسيين والألمان فليس لنا في ذلك مصلحة خاصة فرجة الله انما ينزلها للأحسنين عملا - ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون - إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين - إن المصريين القدماء لو اعتبروا واتبعوا دعوة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ماسحقهم الأمم الجائرة بل تراهم تفرقوا شيعا فذاق بعضهم بأس بعض ، فانظر كيف كان عاقبة الجامدين

أما أهل مصر الحاضرون فماغشهم ماغشى أهل فرعون فان أكثر سكانها من بيوتات العرب وقبائلهم نزحوا اليها ، وهم وان نسوا أنسابهم ففهم بقية صالحة من صفات النجدة والشرف تظهر بكثرة في عرب البادية المصرية وتقل في الفلاحين وتضعف في أهل الامصار والمدن الكبار إلا في أناس أرجعها لهم التعليم إن صح فلاحكم عليهم كما حكم على الأمة التي قبلهم ولاأرى أن يسام الحاضرون بالغابرين

هذه أمة عربية فتحت منذ قرون وتتابعت في هذه الديار زمرا زمرا من الأمويين والعباسيين والفاطميين الى نحو القرن السادس الهجري وأن ما في البعض من سمات الذلة يرجي زواله بعد حين ، كيف وقد غلبت صفات الفاتحين من العرب على من دخل دينهم وعاشهم وصاهرهم ، فاذا قيل مصر بقيت في الذل وآلاف سنة فذلك لا يكون حكما علينا ، كيف وقد كان من العرب أنفسهم الفاطميون الذين انقضوا من نحو سبع قرون وعليه فان أمتنا قابلة لاسراع الرقي في أقرب الأزمنة متى تعلموا ، وسنذكر بعد هذا كيف تولد الأمة وهي جنين ، وكيف تشب وهي طفلة لعوب

### ﴿ انشاء الأمم ﴾

سبق القول انا سنسبسط شرح أحوال الأمم آن تدرجها وهي أجنسة في البطون في مدارج الحياة ونشأتها وأن ذلك سنة لا محيص عنها . للأمم أعمار وابتداء وانتهاء كطلوع الشمس وزوالها وغروبها وكإنسان طفل فشاب فشيوخ فميت ، وكالسنة ربيع فصيف خريف فشتاء فموت كسير القمر توليد فتربيع فبدر فتربيع ثان فسرار وكالنبات ينبت فيستوى على سوقه فيعجب الزراع فنراه مصفرا فيكون حطاما وكل بائد بما ذكرنا يخلفه نظيره وشبيهه إما بالخركات في الأفلاك أو بالولادة في العناصر . الزوجان من الانسان مهما حاولا أن يتناسيا النسل فلانماص منه للجمهور شاؤا أم أبوا ، فهكذا الأمم تراها مقهورة مسخرة على كفالة سواها مما تحت سيطرتها . ولكم حاولت الأمم القاهرة أن تبقى فريدة في الوجود وتدمج سواها في جسمها فلانلبث أن تتمزق كل ممزق بأيدي الأمم الضعيفة فيسود الضعفاء ويحكم القههور - ونريد أن نمق على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون - وناهيك بما وقع للمصريين من السودان وهم عبدانهم والكنعانيين وهم الضعفاء المقههورون وما كان من تتمزق الرومان بأيدي

الفاطسين من الأمم الوحشية إذ شنوا الغارة على دولة الرومان الغربية ومنزقوها كل منزق وذات جزاء ما كسبت يداها من الظلم وحق عليها القول ، هكذا ترى العرب غلبوا الفرس على أمرهم في أعصر النبوة وهم كانوا تحتهم بالاسم والغلبة والقهر - وتلك الأيام نداوها بين الناس -

هذا وليس رقي الأمم بلاموجب فالرقي أسباب وللتدلى أسباب ولقد فصلنا القول في أسباب السقوط فلنشرح الآن أسباب الرقي من قصة فرعون وموسى عليه الصلاة والسلام إذ هما أقرب لنا مكانا ومولدا ومهاجرا وقدمنا انها ذكرت في الكتاب الحكيم لتذكير العالمين عموما والمصريين خصوصا ليتعظوا ويقبسوا الحاضر بالماضي والشاهد بالغائب ويعتبروا بالأمم السالفة - وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم - وقد استخلصنا أسباب الرقي اذا هي عشرون عشرة منها بكسب الانسان وعشرة من الله ، ومتى قام الناس بما عليهم منحهم الله ماعنده من الهبات والمنح العشرة الأول أن تمنح الامة رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأخلصوا في أعمالهم لأنهم وجدوا بما لهم وجاههم وعملوا الأعمال لذاتها لارياء ولا سمعة بحيث يكون ذلك كأنه خاصة فيهم هبة لهم وهذا كما ساعد موسى عليه الصلاة والسلام بنى شعيب عليه السلام في سقى الغنم إذ - قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير - فرفع الحجر عن البئر - فسقى لهما ثم تولى الى الظل - وكان ما كان من زواجه باحدى البنيتين ورعيه الغنم (١٠) سنين ، وكما أقام الخضر الجدار لليثيمين بانطاكية وقد أبى القوم أن يضيفوها وما كان ذلك إلا عملا أريد به فضل العمل لذاته لا أجر ولا شكور

(١) حسن السياسة مع الأمم الفاتحة المغيرة وافهامها حاجات الأمة المغلوبة بما في الامكان واجتذابها اليها بما جل من العلم والمعرفة كما وقع لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام إذ خوطب - اذهب أنت وأخوك بآتي ولاتنبا في ذكرى \* اذهب الى فرعون انه طغى \* فقول له قولا لنا لعله يتذكر أو يخشى - الى أن قال - فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى - فجمع بين الارشاد واللين في القول أو الشفاعة في قومه وهذا واجب شرعا على كل من أوتي حكمة في القول وجاها وعاما وقدرة أن يتذرع بها الى الأمم المسيطرة على أمته ليربهم وجه الصواب والخطأ ويسعى في علو شأن أمته ، لهذا نزل القرآن لاتغنيا أوعاربا فحسب أوتار يخيا ، ومن أعطاه الله حكمة اوجاها فانتهى من أهله مكانا قصيا عاكفا على شهواته فبشره بالمذلة والهوان وليعيش معيشة الحيوان مخالف حكمة عامة الأديان

(٢) القوة العامة واقناع الخاصة بما يلائمهم والعامة بالمحسوسات حتى تتحدد الطبقات على مبدأ واحد ، يشير الى الأول قوله تعالى في موسى - قال فن ربك يا موسى \* قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقوله - الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا \* وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى - فهذه براهين تغفلها القلوب الواعية والأنفس الراقية وهي تشير الى ما يعقله العقلاء ويتباهى به الحكماء ثم تلقفت عصاه إفك السحرة وأخرج يده فاذا هي بيضاء وهذه محسوسة لدى العامة معقولة أيضا لدى السحرة

(٣) الأنفة والغيرة والبأس والحمية وحماية الذمار وخوف العار بازالة المنكرات جهارا واستئصالها ليلا ونهارا عند القدرة كما قتل موسى القبطي الظالم للاسرائيلى - فوكزه موسى فقتلى عليه - وان ندم بعد ذلك وهكذا ان أذاق الخضر الغلام كأس الحمام لما كان مرسوما على صحائف نفسه فراسة بنور النبوة والعلم انه سيضل به الوالدان ، فهذه اشارات وملاح يراد منها انتهاج خطة الصلاح والاصلاح ، فهذه أشجار هذا زهرها وأثمار هذا طعمها وفاكهة هذا حلوها

(٤) سياسة اللين عند الاستكانة والضعف واستجلاب الخيل ودفع المكروه بالتي هي أحسن كما احتال

الخضر على نجاة السفينة من الظالم بخرقها - وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا - وهكذا أم موسى وضعته في التابوت لنجاة قال تعالى - فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين -

(٥) الثبات على المبدأ والصبر أمد العمر ، ألم تركيف خرج قوم موسى من البحر سالمين ونجوا من الفرق - وجاوزنا بني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون - الخ هذا في العلم وفي المحاربة قالوا له - اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون \* قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي - وبهذا اتعظ نبينا عليه الصلاة والسلام فقال والله لأقاتلنهم ولو وحدي وليس قصدنا من هذا إلا الثبات على المبادئ الشريفة واتباع خطة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فتى صح لديك البرهان فككن على مبدئك ولا تبال بعادل أو ماقم

(٦) اشعار النفوس بالشهامة وعلو النفس وأن لهم اتصالا بمبدع العالم ولهم شرف وفضيلة ولذلك كرر ذكر فضائل بني اسرائيل في القرآن بهذه العبارة - وإني فضلتكم على العالمين - تذكرة لهم في زمانهم وتذكرة لمن يقرأ هذا الدين الجديد فويل لأمة تقرأه وهي ترى الصلة بينها وبين مبدعها منقطعة فتذلل وتخزي ، كيف وهذه الأمة عموما وجهور المصريين أبناء العرب أرباب التاج وملوك الأرض مدنوا العالم ، من الأمويون والعباسيون والفاطميون ، وما الطولونيون والاختشيدون إلا موالى آبائنا وما الممالك البرية والبحرية الذين دّوخا هذه البلاد إلا من موالى أسلافنا ، ولقد أدركت القوم في القرى إبان نعومة أظفارهم ويفخرون بقرى الضيف وضرب السيف وينشدون الأشعار الجاسية ، وما عهد اكتساح التار بمائتي ألف من المصريين أيام المظفر من نحو سبع قرون يبعيد . ولعمري لأن تمتلئ النفوس شهامة والعقول جاسة والقلوب اقداما خير من أن تراها ذليلة منكسة الأعلام مرتاعة الأفتدة مرتعدة الفرائص حائرة ذاهلة وتضمحل كخيوط من شعاع الشمس أو دقائق الهواء أو ذرات الهباء خائرات القوى

(٧) تربية الناشئة على مبادئ جديدة تصلح للرقى والتر بص بمن شبوا وشابوا على الذلة والمسكنة حتى ينقضوا ويموتوا كما وقع لبني اسرائيل لما جنبوا عن الحرب بقوا في أرض التيه أربعين سنة حتى نشأ رجال تمكنوا من دخول مدينة الجبارة - قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين - (٨) الفرار بالأهل والعشيرة والأمة من حال تردبهم الى هاوية العذاب الى حال أخرى كالخروج من أرض الى أرض وأن ذلك يسهل متى أراد الانسان وهو أبو الحب ، ألم ترى موسى عليه السلام كيف صرّ بني اسرائيل من أرض فرعون الى أرض كنعان

(١٠٩) ازدواج الدين والشدة وقد كان للاولى هارون وللثانية موسى عليهما الصلاة والسلام هذه العشرة متى ظهرت في أفراد من الأمة منحهم الله هبات وافرة وهي عشرة سنذكرها في مقال آت إن شاء الله تعالى

قلنا فيما سبق ان الأمم تحيا رجال يجمعون عشر خصال « اخلاص العمل لأمتهم والحنو والشفقة وتذليل العقبات بين أمتهم ومن غلبوا على أمرهم ، وما من أمة من أمة الشرق إلا ولها علاقة مع دولة غربية فعليهم أن يخلصوا لبلادهم في العمل رغبة في حسن الأثر والأحدثة الجلية وتخليد الذكر ان كانوا أوساطا في العلم أو الثواب الجليل والشوق الى مبدع السكون وتقليده في صنع الجيل بلا طلب أجر ان كانوا حكماء واقناع الخاصة والعامة بالمعارف المناسبة لهم وتعميمها وتهذيبها بجميع أنواع الوسائل الموقية للأهم ودفع الأذى عنهم وحماية الذمار ودفع العار متى أمكن ولو أذاقهم الفاتحون كأس الحمام وجرعوه سم الموت الزؤام ، فلا أمة تفعل ما فعلت الفراعة في بني اسرائيل ومع هذا لم يترك موسى عليه السلام فرصة قتل نفس منهم والتلطف عند الحاجة

والثبات على المبدأ مهما عارضه الأقربون والأعدون وأشعار النفوس بمكاتها وشرورها فلا ينبغي أن تصنى الأمة إلى من يصغرها في عينها . ولقد قال ابن خلدون رحمه الله « إن هؤلاء الذين يسكنون الخيام في البادية هم أبناء ملوك الأعصر الغابرة وهم يجهلون أصلهم وتاريخهم وأنا أقول أننا قبائل نزلنا إلى هذه البلاد وأقاليم السودان واستوطنناها وتغلبنّا عليها من آماد وأجيال قريبة العهد لا تقتضى بأن يضرب علينا الذل والمسكة ولا يقال في مصر « هي لمن غلب » فأنما كان هذا المثل مضروبا لأمة خلت - تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولستم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون - وتربية النشء على المبادئ القويمة والعزة ومنهج الشدة باللين والفرار بالعسيرة عند الحاجة مكانا أو صفات أو أخلاقا أو ملكا إلخ »

هذا ملخص ما ذكرناه أمس ونقول هذه العشرة تتبعها العشرة الأخرى التي قلنا إنها هبات من الله وهي تساقها بالترتيب ولا تعقب فضلا من الله الحكيم لعباده الرحيم بهم واحسانا

(١) الإلهام وذلك يكشف الغطاء عن القول فتظهر لهم وجوه المنافع ومساوي المضار فإن النفوس إذا جاوزت هذه العقبات أو بعضها حصلت لها جامعة روحية ودخول إلى الحكمة فأدركوا حالهم وما لهم واليه الإشارة بقوله تعالى - وأوحينا إلى أم موسى - وهذا وإن كان بلا كسب فيه إشارة إلى ما نحن فيه

(٢) اجابة الدعاء والنصر - قال قد أجبت دعوتكما فاستقما -

(٣) شدة الازر وتقوية الأفتدة بالاخوان والأنصار - قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتم ومن اتبعكما الغالبون -

(٤) و (٥) النصر والنجاة من الضر - ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين -

(٦) الهداية إلى الطريقة المثلى - وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم -

(٧) حسن السمعة والذكر والصيت - وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون \* إنا كذلك نجزي المحسنين -

(٨) القرني من الله تعالى - وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجيا -

(٩) التمكّن من الخلافة في الأرض - وزيد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين \* ونمكّن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون -

(١٠) انقلاب الأعداء أصدقاء محبين - ألم تر إلى حديث رجل من آل فرعون - وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله - فكان نتيجة صبر موسى عليه السلام على الدعوة أن قام رجل من أعدائه يطالب قومه بالاهتداء بهديه ولعمرك إن في هذا لبلاغا للأمم المهضومة الحقوق ان من أعطى فصاحة أوجاهها وحكمة وعلمها وجب عليه وجوبا عينيا أن يقوم فيناضل عن أمته بماله وأواجهه أو قلعه فإن الله عز وجل وعد بالنصر ولو بعد حين حتى بلغ الأمر أن صار العدو حبيبا والخاذل ناصرا والمعادى مواليا وهذا يترتب به كل من اتبع منهج الكمال والاعتدال ورفق أمته وهداها ورفع منارها ووسع نظامها - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - ولما جاهد بنو إسرائيل بالقوة والعلم والجاه والمال منحهم الله ملكا عظيما دام ألفا وخمسمائة سنة مع قلة عددهم وأخذت مصر في التلاشي إذ ذاك ودّوختهم الأمم المغيرة الفاتحة من فرس وروم وسودان وكنعانيين وأشوريين وبطالسة - وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون - انتهت المقدمات

## ﴿ تفسیر السورة ﴾

( هی أربعة أقسام )

﴿ القسم الأول ﴾ فی قصص موسى علیه السلام من أول السورة الى قوله - لننذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون -

﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله - ولولا أن تصيبهم مصيبة - الى قوله - فعسى أن يكون من المفلحين -

﴿ القسم الثالث ﴾ من قوله - وربك يخلق ما يشاء ويختار - الى قوله - وضل عنهم ما كانوا يفترون -

﴿ القسم الرابع ﴾ من قوله - إن قارون كان من قوم موسى - الى آخر السورة

## ( القسم الأول )

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم \* تلك آيات الكتاب المبين \* نزلوا عليك من تبارك موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون \* إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستخفي نساءهم إنه كان من المفسدين \* ويريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين \* ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون \* وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقه في اليم ولا تحافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين \* فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين \* وقالت أمراة فرعون قرت عيني لي ولك لا تقتلوهُ عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولده وهم لا يشعرون \* وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين \* وقالت لأختها قصيه فبصرت به عن جيب وهم لا يشعرون \* وحررنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون \* فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون \* ولما بلغ أشده وأستوى اتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين \* ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى ففضى عليه قال هذا من عمل



الشَّيْطَانُ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
 الرَّحِيمُ \* قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ \* فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً  
 يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ \* فَلَمَّا  
 أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ  
 إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ \* وَجَاءَ رَجُلٌ  
 مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْمِي قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ  
 النَّاصِحِينَ \* فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَلَمَّا تَوَجَّهَ  
 تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ \* وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً  
 مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى  
 يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ \* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ  
 إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ \* جَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ  
 مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* قَالَتْ  
 إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ \* قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْحَلَكَ  
 إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَامِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ هُنَاكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
 أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ يَدْنِي وَيَذْنِكُ أَيْمًا الْأَجَلَيْنِ  
 فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ \* فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ  
 آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ  
 جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ \* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ  
 الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ  
 كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ \* أَسْلَكَ يَدَكَ  
 فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَبِضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانٍ مِنْ  
 رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ  
 أَنْ يَقْتُلُونِ \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ

يُكَذِّبُونَ \* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا  
 أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْعَالِيُونَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ  
 مُقْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ \* وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ  
 عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ \* وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ  
 لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطَّائِنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَه  
 مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَأَسْتَكْبَرَهُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا  
 أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ \* فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ  
 \* وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ \* وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا  
 لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا  
 الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ  
 قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ \* وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ  
 الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ \* وَمَا  
 كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ  
 قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \*

( التفسير اللفظي )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(طسم) تقدم في أول سورة آل عمران (تلك آيات الكتاب المبين) إن هذه السورة آيات القرآن المبين  
 يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد . ويقال أبنته فأبان لازم ومتعد والمعنى مبين خيره وبركته أومين للحلال  
 والحرام والوعد والوعيد والاخلاص والتوحيد (تتلا عليكم) نقرأ عليك أى يقرؤه جبريل بأمرنا ومفعول  
 تتلا قوله (من نبأ موسى وفرعون) أى تتلا عليك بعض خبرهما (بالحق) حال كوننا محقين (لقوم يؤمنون)  
 لأنهم هم المنتفعون به ، وههنا ذكر (فصلين) فصلا يدل على علو فرعون في الأرض وظلمه وفصلا يدل  
 على أن المظلومين نصرهم الله ليفهم المسلمون أنهم ان كانوا مظلومين والناس تؤذيهم كما كانوا في مكة فان الله  
 ينصرهم كما حصل بعد ذلك وهكذا اليوم هم أذلاء بظلم الأمم لهم وهو الآن يريد نصرهم لأنهم مستضعفون  
 وأيضا يريد الله أن يفهم المسلمين أنهم ان ملكوا الأرض لا يطفون والادالت دولتهم كما حصل سابقا لهم ولأنهم  
 بعدهم . إنهم أسرفوا في الشهوات وهم في الأندلس فأذلم الأسبان فأخرجوهم أجمعين والأسبان طاردوا  
 المسلمين في أصقاع أفريقيا ولكن الله يريد أن يمن على الذين استضعفوا في أرض أفريقيا من المغاربة  
 المسلمين ويجعلهم أمة ويجعلهم الوارثين ، ولقد ابتدأ ذلك بقتال أهل الريف ورئيسهم عبد الكريم جنود

الأسبان ، وقد قتلوا منهم ما بين أربعة آلاف وعشرة آلاف في الحقول والقفار حتى ان مكاتب أفريقيا وصف ذلك وصفا مريها فقال انه عد في عشرين دقيقة (٣٥٠) قتيلا وأن القتل في طول الحقول والقفار وعرضها لا تجد من يدفنها ولا مقابر لها إلا بطون الغربان والجوارح الخائنة والكلاب العاوية وهذا من أسرار هذه الآية - ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض - ولكن بعد هذا اني عبد الكريم ولم يتم الاستقلال اه  
وهالك ذكر الفصلين ﴿ الفصل الأول ﴾

قال تعالى (إن فرعون علا في الأرض) وهذا تبيان لبعض نبأ موسى وفرعون والمراد بالأرض أرض مصر (وجعل أهلها شيعة) فوقاً وقد استعمل كل صنف في عمل وجعلهم حزبا أغرى بعضهم ببعض كيلا يتفقوا عليه كما هي سياسة الأمة الانجليزية وعنوانها فرق تسد (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل وأبدل من - يستضعف - قوله (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين) ذلك لأن كاهنا أخبره أن مولودا يولد من بني اسرائيل يذهب مأكك على يده لذلك اجترأ على القتل ، فلخص هذا الفصل

(١) أنه علا في الأرض

(٢) واستضعف حزبا من أخزاب مصر

(٣) وقتل الأبناء

(٤) واستحي النساء

(٥) وأنه مفسد

﴿ والفصل الثاني ﴾ ذكر فيه سبحانه أنه قابل الخمسة الأولى بخمسة وهي

(١) من أي يتفضل - على الذين استضعفوا في الأرض - بانقاذهم من بأس فرعون

(٢) قتل - ونجعلهم أئمة - مقدمين في أمر الدارين

(٣) - ونجعلهم الوارثين - لأرض الشام

(٤) - ونمكن لهم في الأرض - أرض الشام فنسلطهم عليها

(٥) - ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم - من بني اسرائيل - ما كانوا يحذرون - من ذهاب

ملكهم وهلاكهم بالاغراق

هذان الفصلان عظمت وضعف يعتب أحدهما الآخر كما يعقب الليل النهار قال تعالى - وتلك الأيام نداؤها بين الناس - ولقد حصل هذا في كل زمان ومكان ، أفلاترى كيف أحاطت أوروبا بالأمة التركية فقضت على ملكها ثم قام طائفة منهم بالاناضول فأزالوا الظلم وأرجعوا الملك وتم نظيره في بلاد الفرس وبلاد الأفغان ، ولقد كانت الدولة الروسية قائمة بالقيصرة فاستبدوا بنحو مائة وعشرة ملايين من الناس وكانت البلاد بأيدي أفراد من العظماء والثروة كلها في أيديهم فقتل القيصر وبدد وشرذ جميع الاغنياء وانقسمت تلك الثروة في تلك الأصقاع وصارت الأمة بلشفية ، فهذا هو ما قاله الله هنا - ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين - فهذا هو الحاصل الآن ، أصبح المساكين الصعاليك في يدهم مقاليد الحكم في تلك البلاد ويودون أن يعمموا في سائر الاقطار وهم لذلك ساعون

( رأى سقراط في السياسة )

(١) يرى سقراط في السياسة أن الحكم يكون بأيدي قوم يصطفون من الشعب يتعلمون تعالما أرقى من

سائر الناس مع التعاليم العسكرية

(٢) فإذا انقضى هؤلاء تولى الحكم قواد الجيوش وهم أقل ممن قبلهم رتبة

(٣) فإذا تبادى الزمان قام بالأمر أبناءهم الذين لا هم حكماء ولا قواد ولكن ميزتهم انما هو المال

فكل عملهم لأجل المال

(٤) ويعقب هؤلاء أن الأمة تقوم فتقسم ما لهم وتزيل ملكهم ويصير الحكم فوضى لا رابط ولا رادع  
(٥) ثم يتولى فرد يقهرهم ويسخرهم ويذهب

فالحكومات عنده ﴿خمس درجات﴾ أرقاها حكومة الحكماء والفلاسفة وأدنى منها الحكومة العسكرية  
ويليها حكومة ذوى المال والشهوات والترف ، ثم حكومة المجموع الذى هو أشبه بالفوضى ثم حكومة الفرد ،  
فالحكومة الرابعة لامناص منها اذا استبد الأغنياء وأرباب الشهوات بالأمر فأخذوا المال وحدهم وسخروا  
الأمة لمطالبهم ، وهذا هو الذى حصل فى بلاد روسيا إذ قام الشعب فأزال القيصرية وأرباب الأموال وهذا  
من قوله تعالى - ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوراثين - اللهم  
إن الشرق الآن ضعيف فليقم فيه قائمون يرجعون إليه مجده ويزيل الظالمين من أرضه  
وهنا أذكر لك ﴿حادثتين \* الحادثة الأولى﴾ وقعت أيام الفراعنة فقد جاء فى بعض المجلات فى بلادنا  
وهى مجلة « كل شئ » مانصه

( البولشفية فى مصر قبل ٤٠٠٠ سنة )

كلما تفاقمت الشرور وتعاضت الناس أمرها شعروا كأن نهاية العالم قد اقتربت وهذا ما شعر به المسلمون عند  
قدوم التتار عليهم وما شعر به الأقباط عند ما اضطهدهم (دقلديانوس) وهذا أيضا ما شعر به النبلاء فى فرنسا سنة  
١٧٨٩ وفى روسيا سنة ١٩١٧ عند نشوب الثورة ولعل فى هذا الشعور رجة للضطهدين لأنه يعزىهم عن  
فقدانهم مجدهم ويوهمهم أن العالم كله سينهب بعدهم بقليل

وقد حدث سنة ٢٣٠٠ قبل الميلاد ثورة بولشفية فى مصر تغلبت فيها الكثرة من العامة على القلة من  
الخاصة وطردتهم من الأرض والمسكن واحتلت مكانهم وكان ذلك فى الأسرة العاشرة ، والغريب فى هذه  
الثورات القديم منها والحديث أن يسبقها على الدوام ثورة فكرية تسمى الأذهان للاثقالات القادمة ، فأدباء  
فرنسا فى أواخر القرن الثامن عشر طبعوا الثورة طبخا فى أذهانهم قبل وقوعها ، وأدباء روسيا هم الذين  
أحدثوا الشيوعية فى كتبهم قبل أن يقتل الثائرون القيصرة وأسرته ، وكذلك الحال فى مصر فى الأسرة التاسعة  
كانت مشهورة بكثرة المفكرين حتى اذا جاءت الأسرة العاشرة كانت العقائد قد تزعزعت وزالت من النفوس  
تلك الكرامة التى كانت للحكام والأخلاق ، وكانت الأسرة العاشرة تحكم الوجه البحرى وجزأ من الوجه القبلى  
وكان فى طيبة أمام الاقصر أسرة فرعونية أخرى تحكم جزأ صغيرا من الصعيد ، وفى هذه الأسرة العاشرة انهزم  
سلطان فرعون وأخذ كبار القواد والاعيان يؤلفون الجيوش يقاثل بعضهم بعضا حتى ساءت ادارة البلاد وكثر  
الصوص وعم القحط فقام العمال جفاً وهجموا على الأغنياء فقتلواهم واستولوا هم على الأرض والمنازل  
ونحن نعرف خبر هذه الثورة من كاتب مصرى يدعى (ابفور) رأى بعينه هذه الثورة وكان أميناً  
لفرعون بواليه وكان فرعون قد فرّ من أعدائه الى مكان خارج مصر فأرسل اليه (ابفور) خطابا يستحثه  
على الرجوع لىكي يعيد النظام الى نصابه ومما قاله فى خطابه هذا ﴿إن الناس قد ثاروا على التاج وقامت منهم  
طائفة قليلة العدد لانظام لها تريد التخلص من الملوكة ، وقد ذهب النظام القديم وهدم البلاط فى لحظة وطرد  
العمال الملك وأصبحت خزانة الدولة ملكا لىكل انسان﴾

وبعد ذلك يصف أحوال الناس فى تلك الفوضى فيقول ﴿إن من لم يكن يملك شيئاً قد أصبح الآن غنيا  
فأثرى فقراء البلاد وبات الأغنياء لا يملكون شيئاً ، ومن كان قبلاً خادماً قد صار الآن مخدوماً وكف الخدم  
عن تأدية المهام التى يكلفهم بها أسيادهم وصاروا لا يخشون مخالفة أوامرهم وانطلق لسان الخدامات حتى صرن

لا يطقن كلمة من سيداتهم وهؤلاء الخادومات يزين نحورهن بالذهب والجواهر ومع أن البلاد لا تزال غنية فإن ربات البيوت يقلن « ليتنا نجد شيئاً نأكله » وذلك لأن الفقراء قد امتسكوا البلاد ثم يقول « إن من كانوا يلبسون الملابس الفاخرة قد صاروا الآن يلبسون الاهدام البالية ، ومن لم يكن يجد الخبز قد صار له بيدر وامتلات خزائنه بأموال الناس ، ومن لم تكن ترى وجهها إلا في الماء قد صارت تقتنى المرأة ، فالأغنياء في حزن ومن كانوا في فقر يفرحون الآن ، ومن كان له أب عظيم صار لا يعرف الآن أو يميز من لم يكن له أب مثله لأن عائلات النبلاء طردت من بيوتها إلى الشوارع ، وقد جاع الأمراء والأميرات وصارت أجسامهن في حال محزنة للخرق والاسمال التي يلبسونها »

ثم يقول (ابفور) أيضاً « لقد حدثت حوادث مدممة خملت أطفال النبلاء وضربوا بالحائط ، وفتحت المحاكم وبعثت فيها من الكتب وداس عليها الناس في الأماكن العامة وسرقت مصالح الحكومة وذبح الموظفون وأخذت أوراقهم وكل شيء صار في خراب وجميع البلاد تقول هلموا نذل الولاة والحكام وذوى السلطان بيننا ومع أن الناس يتنادون بالحق بأفواههم فإن ما يفعلونه هو الباطل » ثم يصف بعد ذلك ثمرات الثورة يقول « إن وجوه الناس شاحبة لأن المجرمين مطلقون ولم يبق أحد من ذوى السلطان فإذا قصد الفلاح إلى حقله حمل معه سلاحه ويقول الخدم هلموا نسرق شيئاً ، والأب يقاتل ابنه ويعد أخاه عدواً له ، وقد قست قلوب الناس والدم يسفك في كل مكان والموت يحصد الناس وليس بالبلاد صنائع يعملون الآن ، وكف الناس عن حوث الأرض وصارت المواشي ترعى هاملة سائبة ليس لها راع ، والناس يأكلون العشب ويشربون عليه الماء وتؤخذ الأعمدة والبوابات والسيارات للحرق والصناديق المصنوعة من الأبنوس تحطم » انتهى

#### الحادثة الثانية

إن الأمة الإنجليزية التي تحكم بلادنا قد انتصر العمال فيها ولكن هذا الانتصار مبنى على العقل وعلى الحكمة لاعلى الظلم والفتك كما فعل الروس والمصريون القدماء وهذا ماجاء بحريدة الاهرام يوم ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٩ عند طبع تفسير هذه الآية

(في بريطانيا العظمى)

« انتخبت (مس بوند فيلد) وزيرة العمال وهي أول امرأة في تاريخ الانجليز ذكية الفؤاد كف تشترك مع الرجل في تخطيط سياسة الامبراطورية ومصير بلادها ، فهي تفتخر كذلك بأنها كانت عاملة في دكان كما يفتخر رئيسها المستر (ماكدونالد) بأنه لما وصل الى لندن لأول مرة في حياته كان لا يملك أكثر من شلنين ونصف وكان يستبدل الشاي بالماء الساخن في شربه ولا تزيد مصاريف يومه عن ثمانية بنسات ، هذا هو المستر (ماكدونالد) مدير الامبراطورية اليوم ، وهذه مس (بوند فيلد) يوضع اليوم في يدها أهم مشكلة تعانها الامبراطورية منذ ربع قرن ، ولم تكن (مس بوند فيلد) شديدة التأثر والانفعال بل كانت أشد من زملائها الوزراء من الرجال حينما ذهب أعضاء الوزارة الجديدة إلى قصر وندسور لمقابلة جلالة ملك الانجليز فقد كانت تسير بين الجمهور بجنان ثابت وعزيمة قوية إذ ابتسمت وهزت رأسها حينما سئلت عما اذا كان المركز ثقيلها وقات لا ياعزى لست كذلك بعد مجهود أربعين عاماً ، إلى مفتخرة بأن أكون أول امرأة تصل إلى كرسي الحكم وأشعر بسعادة لأن الفرصة قد هيأتني للعمل في مسألة كانت ولا تزال موضع اهتمامي ، والواقع فان (مس بوند فيلد) كانت في مجموع العموم المنحل كثيرة الاهتمام بمسألة العمال وعائلاتهم فقد قدمت في دوره الماضي مشروعاً لحماية أطفال العمال باعانة الحكومة لهم وشراء الأحذية اللازمة لهؤلاء الاطفال وهذا المشروع معروف بمشروع أحذية الأطفال » اه

﴿ اللطائف الإلهية والتدبير لانقاذ بني اسرائيل من الدّل ﴾

ولما أتم الله هذين الفصلين شرع يبين للناس لطائفه وتدبيره في ابراز ما أراد له لتستيقظ الأمة الاسلامية

إذا ضعفت ولتعلم أن الله ما أنزل القرآن إلا لاسعادهم ، علم الله أن أمة الاسلام سيحل بها ما حل بالأمم قبلها من عزّ وذل وقد أخذت حظها من الرفعة ثم سقطت الى الخيض فأُنزل هذه القصة ليعلم أناسا اسعاد الأمة فينبغي ألا يأسوا وليعلموا أن الله الذي نجى بني اسرائيل هو نفسه حيّ ينجي المسلمين متى صحت العزائم والقلوب لاتزال قابلة للالهام والله لا يخلف وعده فلنذكر لك الآن الحوادث المتتابعة التي انتهت بانقاذهم ثم تتبعها بما يناسبها من حوادث العصر الحاضر ثم نذكر المسلمين أن الله معهم - وان الله لمع المحسنين - وتلك الحوادث (١٣)

### ﴿ الحادثة الأولى ﴾

قال تعالى (وأوحينا الى أم موسى) بالهام أو رؤيا (أن أرضعيه) أي بأن أرضعيه ما أمكنك اخفاؤه (فإذا خفت عليه) بأن يعلموا به (فألقيه في اليم) في البحر وأراد به النيل (ولاتخافي) عليه من الفرق (ولاتحزني) على فراقه (إنا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين) \* يروى انها لما ضربها الطاق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل فعالجتها فلما ولد موسى أحبته حبا جما فأرضعته أمه ثلاثة أشهر ولما أحست بالارصاد والعيون وضعته في تابوت وألقته في اليم ، هذه هي الحادثة الأولى

﴿ والحادثة الثانية ﴾ التقاط آل فرعون له ﴿ والثالثة ﴾ رضاع أمه له ﴿ والرابعة ﴾ نبوغه في العلم ﴿ والخامسة ﴾ قتله القبطي ﴿ والسادسة ﴾ و ﴿ السابعة ﴾ و ﴿ الثامنة ﴾ فراره الى مدين ، وسقيه للبنتين ، وزواجه بابنة شبيب عليه السلام ﴿ والتاسعة ﴾ نزول الوحى عليه ﴿ والعاشرة ﴾ ظهور المعجزة ﴿ والحادية عشرة ﴾ كفر فرعون ﴿ والثانية عشرة ﴾ هلاك فرعون وجنوده أئمة الضلال ﴿ والثالثة عشرة ﴾ خطاب النبي ﷺ بذلك لاستيقاظ أمته

### ﴿ الحادثة الثانية ﴾

قال تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) اللام للتعليل بحسب الأصل وجعلت هنا للعاقبة لأن آل فرعون لم يريدوا أن يكون عدواً وحزناً بل هذه هي العاقبة (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) مذبذبين يقتلون أبناء بنى اسرائيل ويستحيون نساءهم فلا بدع اذا رى موسى بين ظهرانيهم وصار عدواً فاقتص منهم لأن هذا هو العدل (وقالت امرأه فرعون) لفرعون حين أخرجه من التابوت (قرّة عين لي ولك) لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباء (لاتقتلوه) خطاب بلفظ الجمع للتعظيم (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمين ودلائل النفع \* يقال انه كان لفرعون بنت ولم يكن له ولد غيرها وكان بها برص وقد وصف لها الأطباء ريق مخلوق يشبه الانسان يخرج من البحر في ساعة كذا حين تشرق الشمس ، فلما كان ذلك اليوم جلس فرعون على شفير النيل ومعه آسية امرأته وابنة فرعون معهما ظهر التابوت فلم يقدر على فتحه إلا آسية لأنها هي التي رأت النور مشرقاً منه فظهر منه صبي صغير وجهه منير وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمص منه لبناً فأحبه فرعون وآسية فأما ابنته فأنها عمدت الى ما يسيل من أشداده فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها ، ولما قال له القوم اقتله قالت آسية لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكانت لاتلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال لها أما أنا فلاحاجة لي فيه \* قال رسول الله ﷺ « لو قال يومئذ قرّة عين لي كما هو لك لهذا الله كما هداه الله » فقيل لآسية سميه فقالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لأن « مو » هو الماء و « سا » هو الشجر . هذا قول بعض المفسرين وأقول لكن قال أساتذة علم قداماء المصريين الذين يقرؤون الخط الهيروغليفي ان « مو » هو الماء كما قال هؤلاء أما « سا » فعناه ابن أى ابن الماء ، فهذا قوله تعالى - فالتقطه آل فرعون - الى قوله - عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً - أى نبتناه فانه أهل له (وهم لا يشعرون) حال من الملتقطين



## ﴿ الحادثة الثالثة ﴾

( خوف أم موسى عليه وفزعها وارجاعه لها وارضاعها إياه )  
قال تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) صفراً من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون وهذا كقوله تعالى - وأفئدتهم هواء - أى خلاء لاعتقول بها (ان كادت لتبدي به) أى لتصريح بأنه ابنها من شدة وجلها وتقول « وا ابنه » (لئلا أن ربطنا على قلبها) بالصبر والتثبت (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله إياها فلما ربط الله على قلبها وصدقت وعده الله أخذت في الأسباب لحفظ ابنها (وقالت لأخته) لمريم أخت موسى (قصيه) اتبعى أثره وتبعى خبره (فبصرت به عن جنب) عن بعد \* وقرى - عن جانب - وهو بمعناه (وهم لا يشعرون) انها تنقص أثره وانها أخته (وحرّمتنا عليه المراضع) أى حرّمتنا عليه أن يرتضع من المراضعات جمع مرضع (من قبل) من قبل قصها (فقال هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) لأجلكم (وهم له ناصحون) لا يقصرون في ارضاعه وتربيته فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكي وهو بعاله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من أنت منه فقد أبى كل ندى إلا نديك فقالت إني امرأة طيبة الريح وطيبة اللبن لا أوقى بصبي إلا قبلني فدفعه اليها وأجرى عليها فرجعت الى بيتها من يومها وهذا هو قوله (فرددناه الى أمه كي تقر عينها) بولدها (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) علم مشاهدته (ولكن أكرمهم لا يعلمون) أن مواعده حق فيرتابون فيه وقوله - ولتعلم أن وعد الله حق - فيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون . انتهت الحادثة الثالثة

## ﴿ الحادثة الرابعة نبوغه في العلم ﴾

قال تعالى (ولما بلغ أشده) مبلغه الذي لا يكا. يزيد عليه نشؤه يقال انه في نحو ثلاث وثلاثين سنة (واستوى) أى بلغ أربعين سنة ويقال انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكماً وعلماً) عقلاً وفهماً في الدين فعلم وحكم موسى قبل أن يبعث نبياً (وكذلك نجزي المحسنين) أى مثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه نجزي المحسنين على احسانهم

## ﴿ الحادثة الخامسة . قتله القبطى ﴾

قال تعالى (ودخل المدينة) ودخل مصر آتياً من عين شمس (على حين غفلة من أهلها) في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعون فيه يقال انه وقت القياولة (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) أحدهما من شايبه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفه وهم القبط (فاستغاثه الذي من شيعته) وهو الاسرائيلي (على الذي من عدوه) أى القبطى فسأله أن يعينه بالاعانة ولذلك عدى بهلى (فوكزه موسى) ففصر القبطى موسى بجمع كفه (فقضى عليه) أى فقتله وأصله فأنتهى حياته (قال هذا من عمل الشيطان) لأنه لم يؤمر بقتل الكفار ولأنه كان مؤمناً فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح في عصمته قبل الخطأ (انه عدو مفضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب إني ظلمت نفسي) بقتله (فاغفرلى) ذنبى (فغفر له) باستغفاره (إنه هو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظالماً واستغفر منه لأن المقرين يستعظمون كل ما فرط منهم ولو خطأ (قال رب بما أنعمت علىّ) أى أقسم بانعامك علىّ بالمغفرة وغيرها لأتوبن (فلن أكرن ظهراً للمجرمين) فلن أكون هيناً لمن أدت معاونته الى جرم \* قال ابن عباس انه لما لم يستثن ابتلى به مرة أخرى (فأصبح في المدينة خائفاً يترقب) يترصد الاستقادة (فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه) يستغيثه مشتق من الصراخ (قال له موسى إنك لغوى مبين) مبين الغواية لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) لموسى والاسرائيلي ، ومعلوم أن القبط أعداء بني اسرائيل (قال)

الاسرائيلي (يا موسى أتريد أن تقتل نفساً بالأس) ولم يكن أحديهم من قوم فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفضى عليه الاسرائيلي فسمعه القبطي فأثى فرعون فأخبره وأما قال الاسرائيلي ذلك لأنه ظن أن موسى يقتل القبطي عمد اليه هو لما سمع من قوله - إنك لغوي ممين - فقال ما تقدم وتعامله (إن تريد) أي ما تريد (إلا لما هم أن تكون جباراً في الأرض) تطاول على الناس ولا تنتظر العواقب (وما تريد أن تكون من المصلحين) ولما فشا أن موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال له سمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) يسرع في مشيه حتى سبق إلى موسى فأخبره وأنذره بما سمع (قال يا موسى إن الملائكة يأمرون بك) يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك (فأخرج) من المدينة (إني لك من الناصحين) أي في الأمر بالخروج (فخرج منها) موسى (خائفاً) على نفسه من آل فرعون (بترقب) ينتظر لحوق طالب فيأخذه ثم لجأ إلى الله تعالى لعله أنه لا ملجأ إلا إليه (قال رب نجني من القوم الظالمين) خلصني منهم واحفظني من لحوقهم

الحادثة السادسة ، والحادثة السابعة ، والحادثة الثامنة ﴿

( أنه ورد ماء مدين وسقى لابنتي شعيب وتزوج باحداهما )

قال تعالى (ولما توجه تلقاء مدين) نحوها والتوجه الاقبال على الشيء ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تسكن في سلطان فرعون ولم يكن له علم بالطريق إلا حسن الظن بربه وأما توجه نحوها لأنه وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأن أهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين ابن ابراهيم ولما خرج لم يكن معه زاد ولا ظهر ولا طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض ومواصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه وبين مصر ومدين كما قيل ثمانية أيام \* قال ابن عباس وهو أول ابتلاء الله لموسى (قال) موسى (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) قصد الطريق إلى مدين فهده الله إليها (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) على الماء (أمة) جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) سوى الجماعة (امراًتين تذودان) تمنعان أغنامهما من الماء لئلا تختلط بأغنامهم تحبسان غنهما عن الماء من ضعفهما حتى يفرغ القوم (قال ما خطبكما) ما شأنكما تذودان غنمكما (قالنا لانسق حتى يصدر الرعاء) يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال فإذا صدروا سقيننا نحن مواشيها من فضل ما بقي في الحوض (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر أن يسقى مواشيه فلذلك احتجنا نحن إلى سقى الغنم اضطراباً لذلك قيل أبوهما شعيب وأبن أخى شعيب بعد ما مات شعيب أو رجل من آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ، فلما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده وسقى الغنم بالدلو كما سقى الرعاء وذلك قوله تعالى (فسقى لهما) مواشيها رجلة ورأفة (ثم تولى إلى الظل) (فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير) قليل أو كثير والمراد به الطعام (فقير) محتاج \* قال ابن عباس سأل الله فلقه خبز يقيم بها صلبه ، فلما رجعتا إلى أبيهما قالتا وجدنا رجلاً صالحاً رجلاً فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه إلى (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) مستحيية متخفئة واسمها صفورا وهي التي تزوجها موسى (قالت إن أبي يدعوك ليجزيك) ليصحبك (أجر ما سقيت لنا) جزاء سقيك لنا فأجابها تبركاً بروية الشيخ ولم يظهر معرفته لاطمعا في الأجر ، فلما قدم له الطعام امتنع عنه وقال « إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدين » فقال الشيخ هذا عادتنا مع كل من ينزل بنا (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) كما دعا موسى ربه إذ قال - رب نجني من القوم الظالمين - أي فرعون وقومه (قالت إحداهما) التي استدعته (يا أبت استأجره) لربي الغنم (إن خير من استأجرت القوي الأمين) فقال الشيخ وما علمك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الجروانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه

(قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرتي) أي إني أريد أن أزوجه صفوراء التي طلبت على أن تكون أجيرا لي (ثماني حجج) أي ثمان سنين (فإن أتممت عشرا فمن عندك) أي فإن أتممت عشرين سنين فذلك فضل منك وليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) أي ألزمك تمام العشر في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (قال ذلك يني وبينك) أي ما شرطت علىّ فلك وما شرطت من تزوج أحدهما فلي والأمر بيننا على ذلك (أيما الأجلين قضيت) أي أيّ الأجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلاعدوان علىّ) أي لا ظلم علىّ بأن أطالب بأكثر منه (والله على ما نقول وكيل) شهيد بيني وبينك \* قال ابن عباس « قضى أكثر الأجلين لأن رسول الله إذا قال فعل » ويقال إن شعيبا بكى ثم عمى فردّ الله بصره وكرر ذلك ثلاث مرات بعيني ويرد الله بصره عليه فقال الله له ما هذا البكاء أشوقا إلى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يارب شوقا إلى لقائك فأوحى الله إليه هنيئا لك لقائي يا شعيب لذلك أخدمتك كليمي موسى \* ويقال إن العصا كانت عند شعيب ورثها عن الأنبياء فسلمها إلى موسى

﴿ الحادثة التاسعة ، والعاشر ، والحادية عشرة ، والثانية عشرة ﴾

( ارسل موسى وظهور المعجزات على يديه وكفر فرعون وجنوده وهلاكهم وانهم أئمة الضلال )  
قال تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله) قاصدا مصر بامرأته بعد أن استأذن من شعيب (آنس) أبصر (من جانب الطور نارا) من الجهة التي تلي الطور (قال لأهله امكثوا إني آنست نارا على آتيكم منها بخبر) بخبر الطريق (أوجدوة) عود غليظ سواء أكانت في رأسه نار أم لم تكن ولذلك بينه بقوله (من النار لعلمكم تصطلون) تستدفئون (فلما أتاه نودي من شاطئ الوادي الأيمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لأن الله تعالى كلم موسى هناك وبهته نبيا (من الشجرة) أي من ناحية الشجرة وكانت من العليق ومن الشجرة بدل اشتغال من شاطئ (أن ياموسى) أي ياموسى (إني أنا الله رب العالمين) وقد خلق الله في نفس موسى علما ضروريا بأن المتكلم هو الله تعالى وأن ذلك الكلام كلام الله تعالى (وأن ألق عصاك) فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت (فلما رآها تهتز كأنها جان) أي حية صغيرة في سرعة حركتها (ولم يدبر) هاربا منها (ولم يعقب) ولم يرجع فنودي عند ذلك (ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين) من المخوف فانه لا يخاف لدى المرسلون (اسلك يدك في جيبك) أدخلها (تخرج بيضاء من غير سوء) عيب وبرص ، والمعنى انه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس ، ولما اختفى موسى الخوف تارة من العصا وتارة من الدهشة بشعاع يده أمره الله أن يتجلد ويظهر الثبات والجرأة بقوله (واضمم إليك جناحك من الرعب) من أجل الرعب أي الخوف مأخوذ من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما إليه ، ويجوز أن يراد وضمم يدك إلى صدرك يذهب ما بك من فرق حتى قال ابن عباس رضى الله عنهما « كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه » ولا غضاضة في ارادة المعنيين معا أي انه يتجلد بقلبه ويضع يده على صدره ليكون تأكيد الزوال الرعب (فذلك) أي العصا واليد (برهانان) حجتان (من ربك إلى فرعون وملئ) إنهم كانوا قوما فاسقين) فكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم (قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) بها (وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردأ) معينا (يصدقني) بتلخيص الحق وتقرير الحقية وتزييف الشبهات (إني أخاف أن يكذبون) ولساني لا يطاوعني عند الحاجة (قال سنشد عضدك بأخيك) سنقوم بك به وكان هرون بمصر (ونجعل لك سلطانا) حجة وبرهانا (فلا يصلون اليك) يقتل ولا سوء نسلط لك (بآياتنا) فهو متعلق بقوله سلطانا أو فلا يصلون اليك بسبب آياتنا (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) لفرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا

سحر مفترى) أى سحر عمله أنت ثم تفترية على الله وليس مجزة (وماسمعنا بهذا) الذى تدعوننا اليه (فى آياتنا الأولى) \* وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحمودة (إنه لا يفلح الظالمون) أى ربي أعلم منكم بشال من أهله للفلاح حيث جعله نبيا ووعده حسن العقبي يريد بذلك نفسه وهو لا يرسل الكاذبين بل يتخذهم ولا ينفى السحريين والمراد بالدار هي الدنيا والعاقبة المحمودة أن يتختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران (وقال فرعون يأيتها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى) إن قدماء المصريين كانوا يجعلون الأئمة (ثلاث طبقات) عليا وهم الكهنة وسفلى وهم الجيش وسفلى وهم بقية الطبقات وفرعون مصر من صف يشرف على الكهنة وكانت لهم قوانين يتبها الملوك والرعية وكان الملوك مطاعا سواء أكان عادلا أم جائرا ولكن إذا مات يتحاكمونه فإن كان عادلا دخل المقبرة التى له والا فلا وكان الملوك على كل حال مقدسين منزهيين متصلين بالآباء والآلهة ، هذا كان اعتقادهم وليس يعتقد فرعون إنه هو الرب وحده وإنما كانت الألوهية هنا كالبوذية فى قوله تعالى - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله - وفسرها عليه السلام بأنهم يشرعون لهم الشرائع كما تقدم ، فهذا يقول فرعون تارة - أنا ربكم الأعلى - وتارة - ما علمت لكم من إله غيرى - ولقد كان الكهنة يحترمون على الشعب أن يعرف الحقائق وعلى تهادى الزمان قدسوا الأشخاص الإنسانية وبعض أنواع الحيوان والفراغة كانوا أكبر المقدسين عندهم فيكونون أكبر الآلهة لأنهم متصلون بالآلهة الذين فوقهم ، ولا تظن أن هذا بعيد غاية الأمر أن كثيرا من الناس غافلون . إن أمة اليابان لها ملك يزعمون أن أجداده منذ أربعة آلاف سنة جاؤا من نسل امرأة من السماء أى من الآلهة فهو عندهم كأنه نصف إله ، وعلى ذلك تجد أن القائد اليابانى الذى غلب دولة الروس فى الحرب بينهما ويسمى « توجي » لما مات الملك تقرب إلى الله بالانتحار هو وزوجته المحجوزة وإنما انتحرا ليدفنا مع الملك وذلك على حسب القاعدة الدينية من قتل نفسه عند موت الملك كان الله راضيا عنهم أن هذا القائد يعرف جميع العلوم العصرية ، ولا تظن أن المسلمين والنصارى وسائر الأمم خلو من هذه الفكرة فإن كثيرا من مشايخ الطرق يفهمون تلاميذهم أنهم ينفعونهم ويضررونهم ، وهذه الفكرة عامة فى كل طبقة جاهلة من أى نحلة وأى دين على وجه الأرض ، وترى كثيرا من أتباع الشيوخ أحياء أو أمواتا متى سمعوا لهم أسرا الزمواه كأنه منزل من الله بل بعض الصوفية فى عصرنا وفى غيره يقدسونهم تلاميذهم ويأوون وجوههم عن كل ما يقال فى الدين ، فإذا أعطوهم وردا انكبوا عليه وإن كانوا جهلاء بهذه الدنيا وبنظام الكون ، ومنهم من يحرم عليهم النظر فى العلوم والمعارف ، ومنهم من يقول لهم إن الفقهاء قوم لا يعرفون إلا القشور ويقولون دعوا علم الفقه واتبعوا الذكر وحده وهكذا تنوعت الطرق وتنوعت الاعتقادات ففترق أهل الاسلام وأخذهم الفرنجة ، كل هذا لأن كل ذى طريقة أو فكرة يفهم أتباعه أنه لانبجاة إلا بما عرفوه منه ويتركون بقية الدين ، وكل ذلك كقوله تعالى - ما علمت لكم من إله غيرى - فلافرق بين أتباع فرعون فى الجهالة وبين أتباع أى دين إذا جدوا على قول شيخهم وانما ديننا هو ما أوفحناه فى هذا التفسير بحيث يكون المؤمن عارفا بربه ناظرا فى الطبيعة من حيوان ونبات وإنسان وفلك فإن لم يعلم ذلك فليلم به وليأمر المتعلمون بالجهال بالنظر على قدر الامكان ، ولعلك تقول إذن جميع الأمم وجميع أهل الطرق بل جميع المسلمين كافرون ، أقول لك - كلا - المسلمون جميعا ناجون لا أفرق بين جماعة وجماعة هذا اعتقادى الذى ألقى الله عليه ولكن الكلام فى النقص ، ففرق بين من ينجو وهو ناقص وبين من ينجو وهو كامل ، والتعاليم الاسلامية اليوم فى غاية النقص والجهالة ، فإذا لم يتعاضد جميع الشيوخ على تعليم الشعب النظر فى هذا الوجود فلا فلاح لهم فى الدنيا وهم فى الآخرة ناقصون حقا ، إن من لم يفتح أبصار المسلمين من السنيين والشيعة والزيديين وغيرهم إلى ما نقوله فى هذا التفسير وقد اطاع عليه فإن الله سبحانه يعاقبه لأنه علم وكنتم ، إن الله يعاقب المسلمين اليوم

جميعا في الدنيا على جهلهم ويعاقب الرؤساء اذا لم يفتحوا عيون تلاميذهم الى ما أبدع الله في السموات والأرض ليفتح المسلمون المدارس في الأرض وليعلموهم العلوم تعليما اجباريا لينظروا صنعة ربهم . وحرام ثم حرام على كل شيخ أن يأمر تلاميذه بالجهالة وحسبنا الله ونعم الوكيل . اذا عرفت هذا فقد عرفت قول فرعون هنا - ما علمت لكم من إله غيري - . فله السلطة الدنيوية والقوة الروحية في نظر الشعب الجاهل والآلة كلهم متى أشار بإشارة أنفذوها في الشعب . هذا هو الاعتقاد الذي كان سائدا وترى نظيره في الأرض

### ﴿ حكاية ﴾

قد تقدم في هذا التفسير لاسيا في آخر (النساء) أن حكايات جرت لي مع الفلاحين وفيها أن المرحوم عمي الشيخ محمد شلي سأل القائم بحديثه المسمى (أبا حوده) أن يحلف بالله على العنب خلف ولما قال له احلف على أني مسلم قال لا إني أخاف منه ، فانظر كيف جعل الشيخ أبا مسلم الذي له ضريح يزوره الناس في بلادنا بالشرقية قدرا أن يؤذيه فأما الله فانه رحيم ، وأي ألوهية أكثر من ذلك ، أفلا يكون فرعون عند المصريين قديما كالشيخ أبي مسلم عند أبي حوده ، وإذا قال ﷺ « إن تشرع الشرائع وتحليل الحلال وتحريم الحرام أوجب أن يسمى الأجير والرهان أربابا » فكيف اذا انضم الى ذلك عقائد التصرف في أنفس الأحياء بالنفع والضر ، أفلا يحق لفرعون إذن أن يقول - أنا ربكم الأعلى - وأن يقول - ما علمت لكم من إله غيري - يقول المؤلف وأنا أجد الله على هذه المعاني في هذا المقام لأن هذا يوافق العلم المنتشر عن قدماء المصريين وسيزيد هذا العلم وضوحا وانتشارا بين المسلمين فتى عرفوه وقرأوا هذا التفسير وجدوه مطابقا لقرؤه في الرسائل وعلى الأشجار وفي الأوراق البردية وفي القبور والبرابي والاهرام ، ولما كان هذا شأن فرعون وأنه سبط تسلطا ماديا وروحيا على الناس أخذ يتم تعاليمه فطلب من وزيره أن يطبخ له الطين فيجعل اللبن آجرا أي طينا محرقا ويبنى له منارة عالية جدا ليرصد منها أوضاع الكواكب ويحسب حركاتها وينظر هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل حال الأمم وهذا قوله تعالى (فأوقد لي يا هاملان على الطين) أي اتخذ لي الآجر واطبخه (فاجعل لي صرحا) منارة (لعل أطلع الى إله موسى) أي الى فعله هل في الأفلاك الدائرات وحركات الأجرام التي خلقها دليل على انه اختار موسى للنبوة أهل هناك إله غير من نعرفهم من آلهة المصريين (والى لأظنه من الكاذبين) في زعمه أنه نبي عن إله العالم الذي يغير من نعرفهم في أرض مصر ونحن نفعل كل شيء وتتصرف بامدادهم (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) بالنشور (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) كما تقدم في التفسير (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك أن يكونوا مثلهم (وجعلناهم أئمة) قدوة للضلال بالجل على الاضلال (يدعون الى النار) الى موجباتها من الكفر والمعاصي (ويوم القيامة لا ينصرون) لا يدفع العذاب عنهم (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) طردا من الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المطرودين أو ممن قبحت وجوههم

### ﴿ الحادثة الثالثة عشرة ﴾

قال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) أقوام نوح وهود وصالح ولوط (بصائر للناس) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما ان البصر نور العين الذي يبصر به الأجسام أي آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف الحقائق (وهدى) من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) لمن آمن (لعلهم يتذكرون) بما فيه من المواعظ أي ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر (وما كنت) يا محمد (بجانب) الجبل (الغربي) وهو المكان الواقع في شق الغرب منه وهو الذي وقع فيه ميقات موسى (إذ قضينا الى موسى الأمر) أي كلمناه وقرّبناه نجييا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين للوحي اليه حتى تقف بالمشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته (ولكننا

أنشأنا قرونا) بعد موسى (فطاول عليهم العمر) أي طالت أعمارهم وفترت النبوة ففسوا عهد الله واندرست العلوم ووقع التحريف والتخريف في كثير منها فأرسلناك مجددا لتلك الأخبار مبينا ما وقع فيه التحريف فلذلك أعطيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى ، يقول الله أنت يا محمد ما كنت مشاهدا ما حصل لموسى من الوحي وطالت الفترة فكان ذلك سببا لارسالك فالاستدراك بين به سبب الوحي الذي يفهم من السياق ، ومثل ما قيل هنا يقال في قوله (وما كنت ثاويا) مقبلا (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتالوا عليهم آياتنا) تقرأها عليهم تعلمنا منهم أي لم تقرأ الآيات التي فيها قصة شعيب (ولكننا كننا مرسلين) أي ولكننا أرسلناك واختراك بها وعلمناكها بعد ماضت قرون اندرست فيها العلوم فأرسلناك لتبين للناس ما اندرس منها وتذكر الحقائق وتدحض المحرف منها (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) موسى لما أخذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك بعد ما اندرست العلوم وحرفت القصص (رحمة) للرحمة (من ربك لتتذوقوا ما أنأهم من نذير من قبلك) في زمان الفترة بينك وبين عيسى (عليهم يتذكرون) يتعظون بما سمعوا من هذا القصص . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة

هأنت ذا اطلعت على الحوادث التي عددناها (١٣) التي منها اثنتا عشرة حادثة حصلت لتمام أمر موسى ونجاة بني اسرائيل وهلاك أعدائهم ، ابتدأت هذه الحوادث بفكرة خطرت لام موسى أن ترضعه وألهمت أو رأت في المنام أنه محفوظ لها وسيرجع ، لم تكذب هذا الإلهام ولم تيأس من رحمة الله ، فكلم في أمة الاسلام من رجل ومن امرأة ومن شاب ومن شيخ ومن عالم ومن جاهل تخطر لهم خواطر تخنمهم على خروجهم من مأزق الذلة والهوان ومن اقتناص برائن أورور باهم ، تخطر لهم هذه الخواطر فلا يعيرونها التفاتا ، يقولون الأمر انقضى والاسلام انتهى والدنيا أدبرت والآخرة أقبلت والعالم سيزول والأرض ستذهب

هذه هي الأراجيف والأكاذيب والوساوس التي تقوم في عقول المسلم الجاهل ، لماذا ؟ لأنه لم يعرف القرآن لماذا ؟ لأنه لم يعرف هذه القصة إلا كما يعرف الطفل جمال الزهرة وجمال الورق وجمال الشجر ولكن أباه يعلم أن الزهرة ذابلة والورق انما خلق للمساعدة على تغذية الشجرة والأغصان والقضبان والجذوع انما هي وسائل للثمرات والثمار هي المقصودة ، أكثر المسلمين هكذا يقرؤون هذه الآيات ويمرّون عليها كما يمر الطفل بالزهر والورق في الحقول والبساتين ولا يفكر في الثمر ، أما أبوه فان قلبه معلق بالثمر ، يظن المسلم أن المقصد من هذه القصة أن يفرح بزهراتها فيقول ما أعجب هذه القصة ، انظر أيها الأخ الى موسى كيف وضع في التابوت وكيف حفظه الله ، وكيف تعلق بالشجرة في البحر ، وكيف اتفق أن فرعون وزوجه وبنته كانوا يشاهدونه وقت طلوع الشمس ، وكيف شفي الله بنت فرعون بريقه ، وكيف ظهر نوره فأجبه فرعون وآسية ، فيا عجباً لذلك ، وكيف رجع الى أمه ثانيا فأرضعته ، وكيف أيد الله أخته فدلته على أمه ، وكيف كتم الخبر وربط الله على قلب أم موسى ، وكيف جاء رجل من شيعة موسى يقول له اخرج نصيحة له ، وكيف قدر أن يرفع الحجر الذي لا يرفعه إلا عشرة وما أشبه ذلك . فهذه العجائب يقف عندها أكثر الناس وهم في ذلك أشبه بالاطفال يفرحون بالزهرات أما العقلاء فانهم يقولون يا قوم لانقفوا موقف الاطفال ، فكما ان الزهرات مقدمات للثمرات هكذا هذه العجائب مقدمات لما هو أهم منها ، إن جمال تلك القصص مسوق لما به السعادة وما به السعادة اما حفظ الأخلاق للأفراد واما حفظ الأمم للجماعات . هذا هو المقصود . فاذا قرأ القارئ ان موسى كان عفيفا حين رأى بنت شعيب وانه كان أميناً عليها حتى أمرها أن تمشي خلفه وأن هذه العفة وهذه الأمانة رفعته في عين شعيب وابنته تشوق القارئ الذكي أن يكون كوسى أمانة وعفة وكذلك يقلده في العطف على كل ضعيف ويقول إن هذه الأخلاق انتهت بالنبوة ، فهكذا كل الأخلاق الفاضلة تنتهي بجلال المرء وبالفتوح الذي يفتحه الله عليه



## ﴿ نظرة المسلمين في هذا الزمان ﴾

واذا نظر المسلمون هذه القصة في هذا الزمان علموا انها مسوقة لاسعادهم واعزازهم واخراجهم من المآزق والهلاك . إن المسلمين اليوم في ذل وجهل ما بعده جهل ولكن عقول المسلمين أشبه بأرض خصبة تحتاج الى البذر وانزال الماء فيخرج نبات حسن منها ، هكذا اذا عرف المسلمون مقاصد أمثال هذه الآيات خرجوا مما هم فيه من الذلة . علم الله أن المسلمين سينامون وسيمر عليهم مامرّ على الأمم قبلهم وسيدوقون السوء فأنزل لهم هذه القصة ، يقول أى عبادى إن نجاة بنى اسرائيل كان مبدؤها فكرة خطرت لأُم موسى وإلهاما ألهمته لها فلم تنبذ الإلهام وتبع ذلك أمور وأمر أخذت هذه الصالحة تفكر ؟ ففيم فكرت ، فكرت في نجاة ابنها ونجاة فرد من مجموع نافعة للجموع فأرسلت ابنتها تدلهم على من يكفله وكتمت السر وظهرت لفرعون كأنها ليست أمّه وهكذا ، كل ذلك بعد الفكرة الأولى لم تيأس من رحمة الله

أيها المسلمون أتدرون لم وقعتم في الذل ، إنكم يئستم من رحمتي في الدنيا ولم تيأسوا منها في الآخرة وهذا خطأ محض ، أنا رحيم في الدنيا ورحيم في الآخرة ، إن يأسكم في الدنيا من نصري لكم أفعدكم عن التفكير في الخروج من الذل وأنا لا أعطى إلا من فكر ، كم من رجل منكم خطر له أن ينفع أمته ، كم من شاب ، كم من امرأة ، كثير جدا منكم يفكرون كل يوم في الخروج من الذل ولكن اذا جاء لهم الفكر طردوه كأنه من كلام الأبالسة ، كأنه من كلام الشياطين ، أى عبادى إن الفكر الصالح موجود يمرّ بخواطركم ، أنا لم أمنعه ، أنا لم أقصّ عليكم هذا القصص لأقول لكم إن الإلهام خاص بمن مضى أو بأم موسى . كلا . إن إلهام الخبير موجود مستفيض كما يستفيض ضياء الشمس على أرضكم وقد يحجبه ليل أو سحب ولكنه لا يزال موجودا ولكن خطباؤكم والجهال من شيوخكم قالوا لكم إن الزمان قد قرب والدنيا ستخرب فصددتموهم مع أنى لم أطلع أحدا على غيبى فكيف تحرمون من السعادة ، كلام هؤلاء الشيوخ هو السحب المانعة لضوء شمس العلم التى ألقياها على قلوبكم ، هو الليل البهيم الذى تنام فيه الناس وتقفل أبصارها لذلك حرمت من النصر وحرمت من السعادة . أى عبادى إن حرمانكم من الرقى هذا هو سببه والافان خطرات السعادة محيطة بكم . فاياكم أن تسمعوا لكلام هؤلاء الشيوخ المشبطين فاذا خطر لكم خاطر النصر وأن تقوموا باسعاد هذه الأمة أو باسعاد أنفسكم أو بحفظ بلادكم أو بطرد العدو منها . فلتعلموا أن هذا الخطاير بذريجب أن يسقى بماء الفكر والسعى والجد والسكتمان وحفظ السر كما فعلت أم موسى فان فكرتها نت وترعرعت وكان من نتائجها أن موسى قوى وكبر وتعلم وابتلى بقتل القبطى وهذا الابتلاء كان سبب نعمة لانقمة لأنه به خرج الى أرض مدين وقابل شعيبا وتزوج ابنته ورجع فأوحى اليه فرجع الى فرعون فأخرج بنى اسرائيل . يقول الله لا تدعوا أيها المسلمون خواطر الاصلاح فليس انعامى محجوبا عن عبادى . أنا اليكم ناظر ومن خطر له خاطر الاصلاح فليعلم أنى معه لاسيا الاصلاح العام فانى مع المحسنين ودعاء من يدعو الى اصلاح الجميع مقبول نافع وكلما كان المرء ساعيا فى مصلحة العموم كنت معه مؤيدا وحافزا وناصرا . كم من المسلمين من أضاعوا حياتهم سدى يقرؤون هذه الآيات فلا يزدون على التعجب ولا يزدون على أن فرعون ادعى الالهية ويؤمنونه وليس لهم وراء ذلك مطلب بل المتعلم الذى قرأ علوم قدماء المصريين المنتشرة حين يقرأ هذه الآية يقول ﴿ كيف يقول فرعون - ما علمت لكم من إله غيرى - مع انهم كانوا يعبدون آلهة مثل (سيزوستريس) و (ايزيس) وما أشبه ذلك وبظن أن القرآن غاب عنه ما قرأه هو فى أوراق البردى أو تلقنه ممن قرأه ويقول مالى ولهذا القصص وهو غافل عما ذكرناه من معنى الالهية والربوبية فيما تقدم بأوضح مقال وذاهل عما سيق له الحديث الذى نحن بصدد حديث رقى الأمم وخروجها من الذل والاستعباد . هكذا فليخرج المسلمون اليوم أوغدا وهذا أمر محقق لا شك فيه عندي وسيقرأ هذا المسلمون بعدنا ويرون أنهم هم نالوا ما ذكرناه . وستشيع أمثال هذه الآراء فى الاسلام

وسيكونون - خيرة أمة أخرجت للناس - وكيف لا يصيرون كذلك وقد تقدم في (سورة النمل) أن الله يقول - وقل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها - أليس هذا وعدا لنا بأننا سنعرف العلوم وعجائب الأرض والسموات وهل وعد الله يخلف؟ أليس نبينا محمد ﷺ له المقام المحمود ويعطى لواء الحمد؟ أليس الحمد دائما يكون على نعم؟ أليس أهم النعم هو العلم، أليس جد الأولين والآخرين له على العلم الذي ترقى به أمته، فإذا كان مقامه محمودا وهو رافع لواء الحمد فنتيجة ذلك كله أن تكون أمته أعلم الأمم، وإذا كان شافعا لأمته فإن الشفاعة على مقتضى الهداية والهداية إلا بعلم فالعلم سيعم الأمة الإسلامية وسيخرجون من النذل وسيفكرون في إخراج أنفسهم من الهوان والجهل كما فعلت أم موسى إذ انبعث الإلهام بأن ابنها سيرجع لها بالعمل وتسلسلت حوادث كانت نذيتها خروج أمتها من المذلة. وهنا لطائف

### ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

اعلم أن الناس يحبون من أمرهم موسى ويتعجبون من أمر موسى وكيف نجا وكيف خرج بنو إسرائيل وهم في كل وقت يشاهدون أمثال هذا ولا يتعجبون. أليس الإنسان يأكل الفاكهة مع أن حصولها بين يديه عجب كأم موسى وموسى وخروج بني إسرائيل. أليست الفاكهة من البستان فهل كان الحداد الذي يصنع المحراث يقصد الشجرة التي منها فاكهته وهل كانت البهايم التي خرج منها ما به تسمد الأرض تقصد أن تنال أنت الفاكهة. وهل كان الذي يستخرج الليف من النخل لصنع حبال البهايم التي تحرث الأرض يقصد فاكهته. انظر حوادث كثيرة من بخار وسحاب ومطر وحديد وخشب تجمعت من أقطار شتى ونتيجتها وصول الفاكهة إليك. إن المفكرين يحبون من الطبيعة وغرائبها كما تهجأ أنت من قصص موسى وأمه وخروج بني إسرائيل ولكن لما كان هذا القصص غائبا حلا في السمع، أما عجائب الطبيعة فإن اللطائف الموجهة من الله إليها أعجب وأعجب والافأين دوران الشمس في فلكها ودوران الأرض حول نفسها ودورانها حول الشمس بحساب بديع. أليس ذلك من أسباب هذه الفاكهة. ولأن حساب الشمس والأرض اختل ما أمكن ظهور هذه الفاكهة لأنها تحتاج إلى حرارة بمقدار فتى اختلت الشمس في سيرها اختلت الحرارة في نزولها على الأرض فذهبت المنافع ولكن هذه العجائب يجهلها أكثر الناس - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

لعلك تقول من لي بأن اعتقد ما اعتقدته أم موسى، ومن لي بذلك، ومن أنا أن ذلك في زمان مضى وانقضى. فأين البرهان على ذلك في هذا الزمان؟ أقول على رسلك، أليست الحرب العظمى قلبت الكرة الأرضية. أليس سببها أن عالما يسمى (ماركس) وهو ألماني أخرج كتب للناس قائلا يجب إزالة هذه النظميات الأرضية ومن هذه الفكرة تعلم الروسيون وبها وحدها انقلبت البولة فصارت بلشفية. ألم تكن دولة الفرس مقسمة بين الانجليز والروس. أليست الحرب العظمى جعلتها حرة مطلقة من كل قيد. انظر أين فكرة ماركس الألمانية وخلص الفرس. أليس ذلك من قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء - وأي لطف أعجب من هذا. نلطف في خلق الأفكار وبها بين الناس حتى عمت الكرة الأرضية وانتهت باستقلال الروس وتبع ذلك بلاد الفرس. أليس هذا كسألة أم موسى قصدت انتقاد ولدها فأخذ بنو إسرائيل وكدوران الشمس بحساب بلاخطأ في سيرها فكانت الحرارة منتظمة على قدر انضاج الفاكهة ولولا ذلك لئس الفلاح ولم يزرع. أليس ذلك كما فعل الله في ماء النيل. أنزله في الأرض كل عام فيصعد ما بين (٤١) مليارا من الأمطار المربعة وبين (١٠٠) مليار. ونتيجة ذلك ظهور المزارع. ولا ينزل ذلك الماء إلا بالبخار ولا بالحرارة ولا حارة منتظمة إلا بانتظام سير الشمس فأين سير الشمس وأين الفاكهة. هناك سلسلة منتظمة انتهت بالفاكهة. وهناك سلسلة منتظمة انتهت باستقلال الفرس. وهناك سلسلة منتظمة انتهت بخروج بني إسرائيل ومبدؤها إلهام أم موسى

وهناك سلسلة منتظمة بها استقلت دولة الأفغان لما قام الأفغان حاربوا الانجليز أيام الحرب العظمى واستقلت البلاد الى الآن . وهناك سلسلة منتظمة ستحصل بعد قراءة هذا الكتاب فينظر المسلمون ويقرؤن قوله تعالى هنا - وما كنت ثاويا في أهل مدين - الى قوله - ولكن رحمة من ربك لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون - فهذا الذي قرّره هو الرحمة وهذا هو التذكير ، يتذكر المسلمون هذا القصص فيستخرجون منه خلاصة وعبرة هي أن يفكروا في الخلاص ويستمروا فينجحوا ، يفكر المسلمون فيقولون نحن - خير أمة أخرجت للناس - فكيف كانت هممنا منحة انرجع الى القرآن وليعرف الناس أنه بأمرنا أن نعشق جبال الله في العوالم العالوية والسفلية وهذا الجبال لاحد له والعمر كله مدة دراسة والارتقاء لاحد له وهذه القصة وأمثالها انما هي كشجرة فلنأخذ ثمرها ولا نكتفي بظلالها والثمرات إما أخلاق كعفة موسى وإما إيمان بالله خيفة الهلاك كما هلك قوم فرعون ، يقول المسلم أنا مسلم فكيف أهلك ؟ نقول له ولكنك ذليل بعيد عن العلم ، فانظر كما نظرت أم موسى وخلص أمتك من الذلة والهوان ، قل لها كوني منتظمة ، كوني مفكرة ، تعلمي ، اسعي للرق والنجاح ، اجتهدى ، انشرى العلوم ، إن العلوم بها محبة الله ، إن الانسان لاخير في حياته بدون النظر في هذا الجبال . إن العقول اذا وقفت تقهقرت واذا تقهقرت انحطت واذا انزلت هلكت وبئس المصير

سيقول المسلمون بعد هذا التفسير وانتشاره ان شاء الله مالنا قد امتزنا في جميع الكرة الأرضية بالجهالة ، في بلاد الشرق والغرب أصبحنا عالة على الأمم ، لماذا نرى المسلم في بلاد سيام كما يقول رجالها لا يرتقي عن الفلاحة إلا قليلا فأما غيره فانه يمسك بعنان السعادة ويسافر للعالم ويحظى بالخير والعز ، مالنا نرى المسلم الصيني شاذا بعيدا عن العلم والوثني هو القائم بالعلم والحكمة وبشؤون الدولة ، مالنا نرى المسلم أينما حللنا أو ارتحلنا واقفا في مكانه . ومتى قال من بعدنا هذا القول تجلت لهم الحقائق وأظهروا مكنون العلم وأيقظوا الأمة ونشروا فيها ما كتبناه في القرآن وما يكتب غيرنا وانقلب الأمر فأصبح المسلم أقوى من غديره في العلوم والمعارف لما يرى من عجائب القرآن التي شرحناها وشرحها المتقدمون والمتأخرون

هذا بعض ما يقصد من هذا القصص ومن قول الله تعالى - ولكن رحمة من ربك - الى قوله - لعلهم يتذكرون - هذا هو القصد من انزال هذا القصص فالقصد الرحمة والتذكر أى ان الله يرحمنا بالتذكير فيما أنزل على رسول الله ﷺ وذلك هو المذكور في الحادثة الثالثة عشرة ليرينا أن القرآن لهذا أنزل فليس يقصد أن نفرح ببني اسرائيل بل نفرح بما نتذكر وبالرحمة التي نأخذها من التذكير فلاخير في شجر لاثمر له . ولاخير في علم لا نفع له . ولاخير في أمة لا همة لها . ولاخير في قراءة دين لا يعقله قارئوه . ولاخير ولاراحة إلا لمن يتذكرون ويعقلون والمجد لله رب العالمين

### ﴿ البلاغة والعلوم ﴾

ينظر قوم الى القرآن من جهة البلاغة ويظنون انهم اذا عرفوا الجناس في قوله - الى إله موسى - وعرفوا ما سأقصه عليك وهو قول الأصمعي حكاية عن فتاة غربية قالت إن في قوله تعالى - وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين - قالت الفتاة إن فيها أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين . فالخبران أوحينا وخفت . والأمران ألقيه وأرضعيه . والنهيان لا تخافي ولا تحزني . والبشارتان - إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين -

أقول . ينظر قوم الى القرآن من هذه الوجهة فيطربون لعجائب التركيب والبلاغة ولهم الحق في ذلك ولكن هل لهذا أنزل القرآن . إن البلاغة علم يرجع الى تركيب الألفاظ ونسق الكلام فهل هذا كاف ؟ كلام كالا . إن المقام ليس مقام استدلال على أن القرآن مجهز فليس هذا نهاية العلم . إن نهاية العلم أن يدرس

ويستخرج منه ما يجب علينا دراسته في هذه الحياة

﴿ قصص موسى أيضا ومناسبة قوله تعالى - ولكن رحمة من ربك لتنذر قومًا ما أتاهم

من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾

لقد عرفت آنفا مقاصد البلاغة وانها لقوم مبتدئين في العلم وانها مفتاح الفهم ، أما الفهم فانه وراء ذلك فالبلاغة مفتاح خزائن العلم والعلم في نفس الخزان و الفرق بين مفاتيح الخزائن وبين المخزون ، هل أنبتك بشئ من المخزون في هذه السورة ؟ أنت تعلم أن قصص موسى قد كرر في القرآن وتكراره يصعب على كثير من الناس ادراك سببه . فأما عالم البلاغة اذا كان حاذ البصيرة فانه يقول الاطناب في مقام والايجاز في مقام مراعاة المقامات وهذا لا بأس به وهو حق ولكن أين الفائدة الحقيقية ؟ فعالم البلاغة لا قدرة له على الاجابة ولكن انظر مخزون العلم ومكنون الحكمة ، انظروا تعجب ، ذكرت قصة فرعون وموسى في (طه) وفي (الشعراء) وفي هذه السورة . لقد اطلعت على (طه) فانظروا لست ترى أنه فيها شرح مسألة العصا ومسألة عجلى السامرى وأطنب فيهما ليرينا أن المدار على العلوم العقلية فأما خوارق العادات فانها تنفع مؤقتا فالإيمان بها كأنه ظل لانبات له وذلك لأن الصور المادية ظلال الحقائق فيكون الإيمان بها ظلالا لانبات له . وملخص ذلك انه يراد أن تكون الأمة الاسلامية أمة علم وحكمة لا أمة خوارق عادات للصالحين ولالاطالحين وقد تقدم هذا

ولقد ذكر في تلك السورة عجائب الأرض والسماء ليتم القصد من هذه الموازنة . هذا في (سورة طه) وليكون ذلك تبصرة وتذكرا للمسلمين . أما في (سورة الشعراء) فقد أطل القبول في السحرة وشرح المقام شرحا وافيا فأوجب ذلك النظر في السحر وحده وشرحه كما فعلنا هناك وذكرنا سحرهم على قدر ما يسعه المقام أما في هذه السورة فان القصة أنت لغرض آخر كأنها شرح لقوله ﷺ في الصحيح ﴿ بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ ﴾

إن الأمة الاسلامية في أول أمرها كانت قليلة العدد وكانوا مضطهدين من الكفار وهاجر بعضهم الى الحبشة ثم هاجروا جميعا الى المدينة ثم أعزهم الله فبدأوا غريبا لم يكن له نظير في سرعة الرقى والانتشار والمنعة بعد الخوف والقلّة والضعف ، ثم ماذا ؟ انهم انتشروا في الأرض وترجوا علوم الأمم فتحقق بذلك كونه - رحمة للعالمين - لأن أمتهم حفظت العلم وسلمته الى أمة الغرب والشرق . والبرهان على عموم رحمة للشرق والغرب الألفاظ الآتية في العلوم فانها تنطق بلسان فصيح أن محمدا ﷺ رحمة للعالمين في جميع الكرة الأرضية لأنه لولا أمتهم ما حفظت هذه العلوم

﴿ الألفاظ العربية في العلوم العصرية ﴾

( علم الفلك )

السمت والنظير

﴿ الكيمياء والطب ﴾

الانبيق . الالكحول . القلى . البورق . الشراب . الجلاب . الاكسير . اللعوق . السا . الكافور

﴿ الموسيقى ﴾

العود . الطبل . الطنبور

﴿ فن الملاحة ﴾

أمير البحر . الترسانة . الحبل . الجلفاظ . الرصيف . الموسم . الفلك

﴿ فن التجارة ﴾

التصريف . الديوان . المخزن . البازار . القيروان . الترجان

هكذا أخذ الاوروبيون عن المسلمين الأرقام الهندية وأصول الجبر والهندسة والنقوش و بناء الحصون والقلاع والسفن الحربية والحجزة والمناور وكثيرا من الفوائد الصناعية والزراعية التي هدت أوروبا الى الحال الحاضرة من العمران والتقدم ، وانما نقلت لك هذا لتفهم هنا قوله تعالى - ولكن رجة من ربك - وتفهم أيضا - وما أرسلناك إلا رجة للعالمين - هذا هو معنى هذه الرجة ، فانظر كلمات العلوم العربية التي لاتزال تنطق بلسان فصيح بهذه الآبة وقوله تعالى - وانه لذكر لك ولقومك - هذا ما حصل في الزمان الماضي ولكن هذه السورة جاء فيها ذكر قصص فرعون بطريق آخر كما قدّمنا لم يقصد فيها شرح السحر والموازنة بين عصا موسى وعجل السامري بل أريد أن تجعل القصة بابا للحرية ولخروج الأذلاء من ذلهم فذكر الحوادث الثلاثة عشرة التي بها خرج بنو اسرائيل . يقول للمسلمين اذا وقعت في الذل فلتخرجوا منه كما خرج بنو اسرائيل وسيكون شأنكم غريبا بعد ذلك كما كان غريبا في أول أمركم ، فاذا تفهقتم أيها المسلمون ولا مناص من تفهقكم - وتلك الأيام نداؤها بين الناس - لافرق بين الأمم والديانات في الأرض كلها فالت الباب مفتوح لخروجكم من ذلكم وانظروا قصص بني اسرائيل فلتخرجوا كما خرجوا وارجعوا المجد الذي فقدتموه ولتكونوا رجة للعالمين كما كنتم سابقا ، واذا كنتم في مجدهم الأول حفظتم العلوم وسلمتموها للامم فاذا رجعت هذه المرة فافرقوا العلوم وعلّموا الأمم كيف يكون العدل وعمارة الأرض لأنكم كنتم رجة أولا مناسبة ذلك الزمان فلتكونوا رجة على حسب الزمان المستقبل ولهذا كله يشير قوله تعالى - ولكن رجة من ربك - بعد ذكر انتصار بني اسرائيل فيكون الاسلام غريبا في سيره اليوم بأن ينتشر أهله بسرعة غريبة لانظيرها كما انتشر في المرة الأولى انتشارا لانظيره ، وكما حفظ المسلمون العلوم أولا ونفعوا الأمم فليوثوها من أهلها ثانيا وليرقوا النوع الانساني . هذا ما فهمته من قوله تعالى - ولكن رجة من ربك - وفي التعبير بمعنى التربية اشارة الى ما ذكرناه - ولله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء -

﴿ جوهرة في قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - الى قوله - إنه كان من المفسدين - ﴾

اللهم إنك أنت المنعم المتفضل الملهم ، أنت الرحيم ، رحمت الجنين في رحم أمه ، ورحمت الحشرات في الفلوات والأنعام في المراتع ، لم تدرعنا من العوالم إلا شملته برحمتك . اللهم اننا في هذه الأرض قد غمرتنا رحمتك وشملتنا أنوارك ظاهرا وباطنا كما قلت في سورة الروم - وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة - ولكننا محبوسون في حواسنا مغمورون في دنوبنا وعواطفنا ومطالبنا فصرنا عن فهم النعمة وحولنا عقولنا الى أمور غير عظيمة نحو يلا مزييا بانسانيتنا وبشرف أصلنا في العالم العلوي فكأننا بهذا الصنف معذبون ونحن غير عالمين

أنت رحن رحيم للأفراد وللأمم ، وهذه أممتنا الاسلامية المترامية الأطراف قد بذرت بذور العلم والرقى في الأمم شرقا وغربا ثم دالت دولتها ونامت آمادها وآمادها ، وهاهي ذه تريد الرقى كره أخرى وهذا كتابك بين يدي الآن أكتب هذه الكلمات في تفسيره ، وقد قدرت في علمك القديم أن يكون هذا التفسير في زمان نطلع فيه على عمل سياسات الأمم الاسلامية القديمة والحديثة وعلى سياسة الأمم المحيطة بنا . فهانحن الآن ننظر فنرى آباءنا العرب ومن اهتموا بهديهم من الأمم بدين الاسلام قد سلطتهم على أرضك وخولت لهم بمالكك وأودعتهم ودائعك فقاموا بالأمانة ماشاء الله أن يقوموا ثم خلع الأبناء عن أنفسهم فضائل الآباء وتركوا مواهبهم وناموا وكسلاوا وطاروا ولم يقوموا برعاية عبادك كما وصيتهم في كتابك فأخذت منهم أرضك وأعطيتها لغيرهم وقرأنا تاريخهم وعرفنا مدى رقيهم ومدى ضعفهم وتبين ذلك فيما تقدم في (سورة النمل) عند آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - وما بعد ذلك من أن ييوتهم خاوية بما ظلموا . إذن هذا التفسير اليوم قد جاءت فيه ملاحظات على الأمم الاسلامية السابقة وأن ماتم لهم كله مصداق للقرآن الكريم

ياسبحان الله ويسعدانه ، فكيف نسمع الله عز وجل يقول في (سورة النمل) ماتم من إفساد الملوك

للأرض اذا دخلوها ، وكيف يذكر أن بيوتهم خاوية بما ظهروا ثم تأتي هذه السورة فيكون مبدؤها فيه هذا  
هذا المعنى نفسه ونهايتها فيه مصداقه فكان فيها ردّ الهجر على المصدر المذكور في علم البديع . إن تفسير القرآن  
على هذا النمط في زماننا مرآة ترى فيه آثار الأمم والدول المصداقات لكتابتنا المقدس . أول هذه السورة  
(أمران \* الأول) علو فرعون في الأرض مع استضعاف أهلها وجعلهم شيعة وتذبيح أبنائهم (الثنائي)  
انه مفسد من المفسدين . هذا هو الذي جاء في أول هذه السورة . فانظر أيها الذكي الى ما جاء في آخرها ، ماهو ؟  
هو ذكر قارون وانه كان من قوم موسى ، فاذا فعل ؟ بنى على قومه وفرح بماله الوفير ونصحه الناصحون فقالوا  
له - ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين - وهذه القصة القارونية تضمنت ان الله لا يحب الفرحين  
ولا يحب المفسدين ، ومعلوم أن الفرحة صفة لمن يعاوى في الأرض . إذن هذه القصة تضمنت النهي عن العاوى  
المذكور في أول السورة وعن الفساد . إذن قصة فرعون جاءت في أول السورة لنم العاوى والفساد ومثلها قصة  
قارون في آخرها . ثم انظر كيف قال في آخر السورة - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عاوى في الأرض  
ولا فسادا والعاقبة للمتقين - جلّ الله وجلّ العلم وجاءت الحكمة . هذا معنى قول الله تعالى - كتاب أحكمت  
آياته ثم فصات من لدن حكيم خبير -

انظر لحكم الله عز وجل في القرآن ، أيها الذكي انظر الى القرآن في ظاهر الأمر يغير هذه المباحث ، إن الناظر  
للقرآن نظرا سطحيا لا يتخيل هذه الحكم ، العربي في البداية عرف تأثير القرآن بغريزته وفطرته ولكننا نحن  
الآن نقف على جوهره وبدايته وحكمه . جلّ الله . إن ما نعرفه الآن في حكم القرآن وبدايته أجلّ وأرفع  
مما عرفه علماء البلاغة السابقون . إذن كأن هذه السورة يقصد بها ألا نعاوى في الأرض وألا نفسد فيها  
المفسدون في الأرض هم الذين يغلبون الأمم ويحكمونهم ليسكونوا عالة عليهم لينلّوهم وليكونوا أشبه  
بالممور والاسود والذئاب والناس أمامهم كالغزلان والأرانب . وهذه الصفة هي التي وصفها ابن خلدون فيما  
نقلناه عنه في سورة النمل في الآية المتقدمة في صفة الأمم العربية المتأخرة التي تركت دينها فكان ذلك مصداقا  
لتخويف النبي ﷺ من فتوح البلدان ومصداقا لقوله تعالى - فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض  
وتقطعوا أرحامكم - ولما ظهر من سورة الأنفال تلك السورة التي جاء نظمها في الحكمة أشبه بما جاء في هذه  
السورة . ألا تراه تعالى يقول في أول السورة - وإن فريقا من المؤمنين لكارهون - الى قوله - واذيهدكم  
الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم - الخ وما خص المعنى هناك أن  
الصحابه رضي الله عنهم كانوا يريدون أن يستولوا على العير التي مع أبي سفيان ويتركوا الجيش الكبير الذاهب  
الى بدر لمحاربتهم لأن العير التي مع أبي سفيان غنيمة لا تحتاج الى قتال وأما الجيش المتوجه الى قتالهم فانه يحتاج  
الى قتال وعمل شاق فاختر الله لهم مواجهة الجيش لأن المال ليس هو المقصود بل المقصود اعلاء كلمة الله لا غير  
واعلاء كلمة الله لا تكون بالاستيلاء على الغنائم بل بمحاربة الرجال والطعن والزال . وجاء في آخر السورة قوله  
تعالى - ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يسخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله  
عزير حكيم \* لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم \* فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا  
الله - فتأمل في هذه الآيات وتجب ، حذر الله المسلمين فقال - تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة -  
ثم ذكر العذاب وأبان انه ملازم لعرض الدنيا غاية الأمر ان الله أباح الغنائم لنا لأجل حفظ بلاده فهذه الغنائم  
يلازمها العذاب ولكن الله لم يعذب المسلمين ولم يمنعهم من الغنائم ذلك لأنهم بها كانوا نعمة على الأمم ولكن  
المفسدون في الأرض من الأجيال التي جاءت بعد القرون الثلاثة لم يجعلوا الغنائم لحفظ الأمم بل جعلوها لشهواتهم  
وهذا هو الذي يهلك الأمم . فالدمار الذي حلّ بأمم الاسلام كله تطبيق على القرآن . فاذا رأينا أهل الأندلس  
كما تقدم في السورتين السابقتين لهذه صاروا (٢٠) مملكة فقرأها فيما تقدم . واذا رأينا بني العباس في آخر

أمرهم ففرقت دولتهم شذراً منذ في أيام خلافتهم . وإذا رأينا أمة الترك بعد ذلك كانت تفعل تحت خلافة بني عثمان ما كانت تفعله الأمم العربية بعد الصدر الأول أيقنا أن هذا كله تفسير لهذه الآية وأن مال الغنائم المستعمل في غير ماوضع له يجعل الأمم التي ملكته فرحة به مفسدة في الأرض والله لا يحب الفرحين ولا يحب المفسدين ، وإنما فرح هؤلاء بالمال لأنهم وجدوا أن القصد من الحياة هي اللذات والنوم والكسل بلا عمل وهذه صناعة الديدان في الأرض ، فأنه ينتقم من هذه الأمم بالاذلال ، ومن تأمل أول القصص وآخرها وجدها مطابقين لأول (الأنفال) وآخرها . وماالقصص في القرآن إلا إيضاح للحكم المودعة في القرآن ، فأنه أبان في الأنفال أن عذاب الله يمس من يأخذون الغنائم ولكنه أباحه لكم بمقتضى ما سبق في علمه القديم وهو أن أمثال أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة والتابعين لم يجعلوا المال وجهتهم فكان عمر يخطب على المنبر بشوب مرقع وأبو بكر يحرم على أهل بيته أخذ شيء من الغنائم إلا للضرورة فهؤلاء هم الذين فهموا القرآن وفهموا فعل النبي ﷺ وفهموا قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - وفهموا قصة قارون وما فيها من ذم الفساد في الأرض وذم الفرحين ، لذلك تبرؤ من المال . أما مالوك الاسلام فأكثرهم جهلوا هذه المعاني فاحتطت عزائمهم وخارت قواهم وذهبت دولهم لأنهم لم يفهموا لم أحلت الغنائم ولم يفهموا قوله تعالى - لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم - فكان قصة فرعون في هذه السورة وقصة قارون إيضاح لما تقدم في سورة الأنفال من المذكور في أولها والمذكور في آخرها ، ثم اعجب من قول قارون - قال إنما أوتيته على علم عندي - والرد عليه من الله بقوله - أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون - الخ فهذا مثل قوله في (الأنفال) - لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم - ثم انظر الى قوله تعالى - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً وما يلقاها إلا الصابرون - فهذا فتح باب للعلم والحكمة والعلم هو الذي شرح أمر المال ، فترى الفيلسوف (قابس) قبل الميلاد بنحو (٥٠٠) سنة ألف الكتاب المسمى (لغز قابس) وفيه أبان أن السعادة ليست هي المال وحده ولا الملك ولا الأدب المزور ولا غيرها من عرض الدنيا وإنما السعادة ترجع الى كمال النفس بالصبر والوقار والحلم فاقراً ملخصه في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - وبشر الصابرين - الخ وترى كتاب (الكوخ الهندي) المؤلف حديثاً ينحو هذا النحو . وترى أفلاطون في جمهوريته يبين طبقات الحكام والمحكومين ويذكر أن الأمة اذا حكمها أهل الطمع في المال وجعه أحاط بها وبهم الذل . فالأغنياء يجمعون المال والشعب يذل وكل منهم في شقاء . والأغنياء مهتدون من الفقراء لقلة الأولين وكثرة الآخرين .

ونظرة فيما تقدم في (سورة النمل) عند آية الملوك المفسدين وغيرها تعرف أن المال آلة للشقاوة عند قوم وللسعادة عند آخرين فهو تابع لعقول المستعملين له شرفاً وضعه . إن القرآن لم يهمل نظام الأفراد ولا نظام الأمم بل سلك كل سبيل لاسعادها وإنما هذه الأمم الاسلامية حيل بينها وبينه فهو كتاب يفسره كل علم في الأرض قبله وبعده . ومن عجب أن أكبر الفلاسفة جاء بحثه على مقتضى هذه الآيات . ولقد قرأ أفلاطون وقبله سقراط أن هذه الحياة الدنيا أشبه بالعدم لأن المادّة في نظرهم ليست شيئاً مذكوراً . لماذا ؟ لأنها متغيرة وكل متغير متقلب غير ثابت لا يستحق اسم الوجود بل الذي يستحق اسم الوجود إنما هو الدائم والدائم إنما هي النفوس والعقول وفوقهما الله . وبناء عليه وجهوا عقول الناس الى مبدع الكون وازدروا بالدنيا ازدراء تاماً بهذا البرهان مع أنهم ما ضلوا أشرف النواميس والقوانين للحكومات وللجيوش وللأُمم ليعيش الناس بسعادة . اللهم إني لأعجب من كتابنا كيف يكون هذا هو مشربه ثم يحمله المتأخرون . ياسبحان الله . كيف يختم الله السورة بهذه الآية - كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - وكيف يكون نفس هذا القول ملخص آراء أكابر الحكماء في العالم وعليه يجب على أن أكتب في سورة القتال عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - تلك الرسالة

المسماة ﴿صرافة الفلسفة﴾ ليطلع المسلمون بعدنا على ملخص فلسفة الأمم قديما وحديثا ويفهموا كيف يقول أولئك الفلاسفة ان المادة غير موجودة وأن هذه العوالم أشبه بالخيال ، وكيف يتجه أفلاطون وسقراط الى الخير المحض (الله) وكيف يقول علماء أوروبا الحاليين ان علومهم في هذا المقام ليست شيئا مذكورا بالنسبة لعلوم علماء اليونان المذكورين ، وكيف نرى ألمانيا تتبع مذهب (كنت) الألماني فذهب يقرب من رأى أفلاطون ان المسلمين يجب أن يطلع كبارؤهم وعظماءؤهم على هذا وواجب على أن أكتبه لهم لينظموا دولهم وعقوبهم ومدارسهم على نهج علمي وليكونوا بمنجاة عن الافساد في الأرض الذي ورد في (سورة القصص) هنا وفي (سورة النمل) ولا يدخلوا في زمرة من نهاهم الله في (سورة الأعراف) فقال - ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها - فان الافساد في الأرض انما يفعله الجاهلون الذين ورد ذكرهم في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ وفي آية - وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون - وفي آية - إنه كان من المفسدين - وفي آية - ولا تبغ الفساد في الأرض -

إن قراء هذا التفسير حينما يطلعون على هذا مجرد اطلاع يدخلون في زمرة قال الله فيها في آخر هذه السورة - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - ولولا أن الله علم أن الأمم العربية التي جلت هذا الدين سيكون من ذريتهم قوم فرحون بالمال وملوك مفسدون في الأرض ماصرح لهم بالنهي عن الافساد في آية - ولا تفسدوا - ولا عرض لهم في آية - فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض - علم الله عز وجل أن آباءنا ستكون هذه حالهم فلا القرآن بهذه الحكم التي تقر بها وتشهد بها تلك العقول الحكيمة أيام اليونان وبعدها ثم غشى على عقول أمة اسلامية فجعلت ذلك واستحلت مرعى البغي والإثم فأذاقهم الله عذاب الخزي في الحياة الدنيا وجعلنا نحن أبناءهم وعلمنا خطأهم و بصرنا وأفهمنا الحقائق فكتبناها واقتبسناها من القرآن وانشرحت بها صدورنا فسيكون خلفنا إن شاء الله خلفا شريفا صالحا نافعا لعباد الله مستخرجا لكنوز الله التي خباها في الأرض رؤفا بالأمم عاطفا على الانسانية كلها لأنهم عباد ربه وهو يحبه ويجب عباده والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٦ يونيو سنة ١٩٢٩

### ( الْقِسْمُ الثَّانِي )

وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ \* قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ \* وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ \* أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا



وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ \* وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا  
أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ \* إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ \* وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخَطِفُ  
مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ  
تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ \* وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ  
يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ \* وَمَا  
أَوْتَيْنَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَتَعَاصَىٰ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* أَفَنَنْ  
وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَا فِیهَ كَذِبٌ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ  
الْخَاسِرِينَ \* وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ \* قَالَ الَّذِينَ حَقَّ  
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا  
يَعْبُدُونَ \* وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا  
يَهْتَدُونَ \* وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ \* فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ  
فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ \*

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم) الى قوله (ونكون من المؤمنين) أي لولا قولهم  
إذا أصابهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنطيعها ونكون من  
المصدقين ما أرسلناك . وملخص الآية انما أرسلناك قطعاً لعذرهم وإلزاماً للحجة عليهم \* روى أن مشركي العرب  
بعثوا الى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ فأخبروهم أن نعتهم في كتبهم التوراة فرجعوا فأخبروهم  
بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهروا بهذا قوله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى  
موسى) أي هلا أوتى الكتاب حجة واليسد والعصا وغيرها مما اقترحناه تعنتا قال تعالى (أولم يكفروا بما أوتى  
موسى من قبل) ومعنى هذا أنهم سألوه الآيات التي اقترحوها كما كان يفعل موسى من خوارق العادات فردّ  
عليهم بأنكم قد كفرتم بموسى كما كفرتم بي وبين ذلك بقوله (قلوا ساحران تظاهروا) أي محمد وموسى ساحران  
تعاونوا يقوى كل واحد منهما الآخر . ومن قرأ - سحران - فهو بمعنى ساحران وعبر بالمصدر مبالغة (وقالوا  
لنا بكل كافرين) أي بكل منهما (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما نزل على وعلى موسى  
(أتبعه ان كنتم صادقين) أنا ساحران (فان لم يستجيبوا لك) دعائك الى الايمان بالكتاب الأهدى (فاعلم  
انما يتبعون أهواءهم) فانهم لو اتبعوا العقل لأتوا بحجة (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام بمعنى النفي

حال كونه كائنا (غير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالاهماك في الشهوات (ولقد وصلنا لهم القول) أتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير ووصلنا خير الدنيا بخير الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون ويتعظون ويقيسون أحوالهم بأحوال الأمم \* روى انه آمن أربعون من أهل الانجيل منهم اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة ومنهم ثمانية جاؤا من الشام فهذا قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) والضمير للقرآن (وإذا بلى عليهم قالوا آمنا به) أى بأنه من كلام الله تعالى (إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) فقلوه - إنه الحق من ربنا - علة لقولهم - آمنا - وقولهم - إنا كنا من قبله مسلمين - أى ليس إيماننا به مستحدثا بل إنا كنا به مسلمين من قبل لأننا قرأناه في كتبنا الدينية (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) إحداهما على إيمانهم بكتبهم ، والثانية على إيمانهم بالقرآن (بما صبروا) أى بسبب صبرهم وثباتهم على الإيمانين (ويدعون بالحسنة السيئة) يدعون بالطاعة المعصية كما قال ﷺ « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ويدعون ماسمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكرما (وقالوا) للآمين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) متاركة لهم وتوديعا (لأنبئى الجاهلين) لانطلب صحبتهم ولا يزيدوا ولا يزيد أن نكون من أهل الجهل والسفه لأننا نرفع عنهم (إنك لاتهدى من أحبت) لاتقدر أن تدخله الاسلام (ولكن الله يهدى من يشاء) فيقذف فى قلبه نورا يشرح صدره للاسلام (وهو أعلم بالمهتدين) المستعدين لذلك \* روى مسلم قال نزلت فى رسول الله ﷺ حيث راود عنه أبا طالب على الاسلام إذ قال النبى ﷺ له عند الموت « يا عم قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرنى قریش يقولون إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك » وهذه وإن كان نزولها على ما ترى ليست خاصة بذلك ، انها قاعدة عامة ، فتجد المستعدين للحكمة والعلم والهدى أناسا لا تحجمهم رابطة ولا بلد ولا أمة ، فتجد أن المستعدين للفنون والعلوم والحكمة يخلقون ونفوسهم قابلة لذلك فالمدار على الفطرة الأصلية لا على القرابة وأمثالها \* جاء الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف الى النبى ﷺ فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا فنزل قوله تعالى (وقالوا إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا) أى أولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن فإن العرب كانت فى الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون أى كانوا وذلك لحرمة الحرم فهو مكان منعنا عنه الأذى ممن عداه وأغدقنا النعم على أهله ، فالشرع عنه مدفوع والخير اليه وارد وهذا قوله (يجى اليه) يحمل اليه ويجمع فيه (ثمرات كل شئ) من الشام ومصر والعراق واليمن (رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى جهلة لا يتفطنون ولا يتفكرون فى أن حرمتهم آمن من الغارات تجى اليه الثمرات فالشرع عنه نازح والخير اليهم وارد وهم فى ذلك على طريقة أكثر النوع الانسانى جهلوا ما هم فيه من نعمة العقل والأعضاء والجوارح والسموات والأرض والأنهار والجبال والنعم التى لاحصر لها فكل يجهل النعم العامة . فاذا قال الله فى أهل مكة - ولكن أكثرهم لا يعلمون - قال فى الانسان كله - إن الانسان لفى خسر - واستثنى بعضه وقال - إن الانسان لظالم كفار - وقال - قتل الانسان ما أكفره - فهذا هو الكفر وهذا هو الجهل . فلأفرق بين جهل الجاهل بنعمة الحرم وجهل الجاهل بنعمة المال والولد والجسم والعقل والحواس والسموات والأرض . لأفرق بين البكل والجزء فالناس لإقليلا يجهلون هذه النعم لا أهل مكة وحدهم - إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم - ثم أشار الله لذلك فقال لم يختص أهل مكة بهذا البطر بل سبقتهم أمم فبطروا ففلسكوا وهو قوله (وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها) أى وكم من أهل قرية أثرت وطلعت وطلعت أى ساء احتماها للنعمتك فى ذلك فخرّب الله ديارهم (فتلك مساكنهم)

خاوية (لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) أى لم يسكن منها إلا أقلها وأكثرها خراب (وكننا نحن الوارثين) أى لم يتخلفهم فيها أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمهر رسولاً يتلو عليهم آياتنا) أى ما كانت عادته سبحانه أن يهلك القرى حتى يبعث رسولا في أكبرها وأعظمها لأن أهلها يكونون أظن وأنبل كمكة وأهلها (وما كنا مهلكي القرى إلا أهلها ظالمون) بتكذيب الرسل أو الجهل والمعاصي وطر النعمة وما أشبه ذلك ، وكيف قصرتم نظركم على الحياة الدنيا ، أفلا تعلمون أن للنفس الإنسانية حياة ودواما (وما أوتيت من شيء) من أسباب الدنيا (فتتاع الحياة الدنيا وزينتها) تتمتعون به وتترينون مدة حياتكم المنقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفعه من ذلك لأنه لذة لا يخاطبها كدر (وأبقي) وأدوم لأنه لا آخر له (أفلا تعقلون) فتستبدلون الفاني بالباقي (أفمن وعدناه وعدنا حسنا) وهو الجنة (فهولاء قيد) مدركه (كن متعنا متاع الحياة الدنيا) الذي هو مشوب بالآلام الكسر والانقطاع (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) للحساب والعذاب وثم للترخي في الزمان وهذه الآية زيادة بيان لما قبلها والاستفهام بمعنى النفي أى لا يستويان فإن الحسن الباقي خير مما ليس بحسن وهو منقطع \* ثم أخذ يبين ما يلاقونه يوم القيامة بيانا لقوله - ثم هو يوم القيامة من المحضرين - واطهارا لما قضتهم الحساب (و) اذكر (يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أى الذين كنتم تزعمونهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) بثبوت مقتضاء وهو قوله تعالى - لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أى هؤلاء هم الذين أغويناهم ثم استأنف فقال (أغويناهم كما غوينا) أى أضلناهم كما ضلنا فنحن لم نفعل إلا ما هو من عادتنا وسجيتنا ولم نفوهم إلا لما وجدناهم قائلين كما لا يقع الذباب إلا على عين قدرة فليس ذنبهم علينا وإنما عليهم عليهم هم لأنهم مشاكرون لنا ولو كانت نفوسهم أرقى ما أضلناهم ولا أغويناهم لعدم المناسبة والمساكلة ، فإذا فعلنا ما كان من طباعنا فهم فعلوا ما كان من طباعهم فلا يؤمونا وليؤموا أنفسهم (تبرأنا إليك) منهم فليس علينا ذنبهم (ما كانوا إيانا يعبدون) وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وهل الذنب على الذباب إذا وقع على العين القدرة إنما العيب على صاحب العين لأنه لم ينظفها ولو نظفها لتباعد الذباب عنها طبيعة فهكذا هؤلاء هم الملوون لأنهم ، هكذا الأمم الإسلامية اليوم لقلة العلم فيها يرسل أهل أوروبا لهم أقواما من العظماء منهم يعطونهم أموالا لينشوا فيهم أن هؤلاء يحكمونهم ويحفظونهم من غوائل الأمم ويدخلونهم تحت حاجتهم ورحمتهم فيطيعهم هؤلاء فيقول الأوروبي ليس الذنب على إنما أنت جاهل ومن طبعك أنك ضعيف ولا تفهم إلا الحياة الحيوانية فأنا استعبدتك لأنك جاهل ، ولو كنت متعلما ناظرا في هذه الدنيا وفيما خلق الله في السموات والأرض حافظا للنفورك متسلحا بالأسلحة التي تقيك متجاسرت أن أكلك ، وكيف أجسر أن أكل من هو مثلي أن يدخل تحت حكمي فليس العيب على في استعبادك ولكن العيب عليك لأنك أهل أن تخضع للأقوى لضعفك وجهلك (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم) من فرط الخيرة (فلم يستجيبوا لهم) لجزهم عن الاجابة ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) أى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا مارأوا العذاب في الآخرة ، ثم ان هؤلاء يسألون (سؤالين) سؤالين عن اشراكهم بالله وسؤال عن تكذيبهم الأنبياء ولما ذكر الأول أنبئه بالثاني فقال (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) أى ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) أى خفيت واشتبهت عليهم الأخبار والأعذار والحجج فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا ينساءون) لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة فهم إذن يستكون (فأما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحا) أى جمع بين الإيمان والعمل الصالح (فعسى أن يكون من المفلحين) عند الله ، ثم ان عسى تحقيق على عادة الكرام . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني من السورة

﴿ جوهره في قوله تعالى - ولقد وصلنا لهم القول - الخ ﴾

( حديث بيني وبين العالم صديق الذي اعتاد أن يباحثني في هذا التفسير )

بعد أن كتبت مائنه ﴿ ان توصيل القول لهم فيه معان غزيرة ومعجائب وحكم ﴾ حضر صاحبي فقال أريد أن تولد هناك معاني من هذه الجلة ، هذه جلة مفهومة بنفسها وانك بهذا تطيل التفسير إطالة ربما لا تكون مجدية وربما يسأم منها كثير من الناس . فقلت له إني أرى أن هذا غير إطالة انما التطويل هو القول الذي يكون أشبه بالمكرر وما سأكتبه هنا ليس بالمكرر بل هو حكمة أزيّنت للناظرين ، وحسناء أسفرت للعاشقين ، وحوراء برزت للمحبين

كأنما تبسم عن أولئ \* منضد أورد أواقح

جعت الى اعتدال قوامها وحسن شكلها زينة حلاها وفصاحة لسانها وجمال جنانها وحسن خلقها ورجاحة عقلها ، بها هام العاشقون ، وبحديثها طرب السامعون ، ألافلاً كشف لك عنها القناع بعد أن تقدم مهرها ، فقال ومأمرها ، قلت أن تشمر أن جسمك وروحك قد أحضرت صورتها أمامك وأخذت تدرسهما ومتى فهمتهما فهمت معنى التوصيل وهناك يتم لك الوصال . فقال إذن توصيل القول في الآية يعوزه دراسة جسمي ودراسة روحي . فقلت نعم . فقال إذن هذا تطويل لأنه تكرار كما قلت لك أولاً لأن دراسة الروح قد تقدمت في مواضع كثيرة . فقلت له لكل مقام مقال والحديث ذو شجون والكلام ذو ألوان

فلأندوم على حال تكون به \* كما تلون في أنوارها الغول

هذه الدنيا عروس ذات ألوان ونحن خلقنا فيها فعلياً أن نبرز علومها ببسائط الألوان وأفانين الصور ومختلف الأصباغ . فقال وكيف ذلك . فقلت إن ذلك منا انما هو نسج على منوال مانري في وضع الحكمة في خلق أجسامنا ، نحن نأكل ونلبس لمنافعنا وهذه المأكول والملابس والأصباغ والزينة والأزهار والطيور المغردة . لم يكن شعورنا بها ولا علمنا بمحاسنها من طريق واحد بل الطرق لعلمها مختلفة . فهذا التفاح نلمسه بأيدينا ونذوقه بأسننتنا ونشمه بحاسة الشم ونسمع صوت وقعه على الأرض بحاسة السمع ونرى شكله بحاسة البصر ، فهذه طرق خمس لنعرف ثمرة التفاح ، إن الحكمة قضت أن لا يكون العلم بالتفاحة عن طريق واحدة بل نرى لنا حاسة نلمسه من قرب وحاسة ذوق تحس بحلاوته فاحساس الحلاوة غير احساس النعومة فالحلاوة بالنزق فتحت الباب لأكلها وتمثلها بأجسامنا ، فأما الحرارة والبرودة والنعومة والثقل والخفة التي عرفناها باللمس فهي أقل درجة من الطعم الذي هو أقرب الى استعمالها من الثقل والخفة ، وحاسة الشم وظيفتها انما تتقبل ذرات دقيقة منفصلة عن التفاحة واصلة اليها من الهواء فنشوقها لاجتماعها

أما حاسة السمع فالواصل لها من التفاحة اذا سمعت وقعها انما هو الحركات الآتية في الهواء فهي حاسة ألطف من سواها . فأما حاسة البصر فانها ألطف وألطف لأن الرسول الموصل لها انما هو الضوء وهو ألطف من الهواء الذي استعماله الشم والسمع

فلما سمع صاحبي ذلك قال: هذه أقوال غريبة . ان المقام مقام سؤال مني لك في مسألة التوصيل في الآية فأجبتني بدراسة الجسم والروح . فقلت أنا فيه تكرار فأجبتني قائلاً إن العلم يجب أن يتنوع ويكون أصباغاً وألواناً ثم أخذت تقول إن الله جعل العوالم التي حولنا تصل لنا من طرق شتى وضررت مثلاً بالتفاحة فاننا نعرفها باللمس وذوقها وشمها وسمع صوتها ورؤية شكلها فيلذلك القول هو نفس المقصود من تفسير الآية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هو نفس الأسلوب الذي نتوصل به الى معنى التوصيل في الآية أم هو تبيان نظام الله في تعليمنا الذي نقيس عليه تعليم أنما العلوم من حيث التفنن . إني أرى أن هذا الذي نكتبه يظهر لي انه شروع في الأمرين معا أي انك أردت أن تضرب بحجر واحد طيرين . فبينما أنت تمثل لتنوع المناهج في تعليم الناس العلوم مما فعله الله

في جسم الانسان من الخواص التي تدرك التفاحسة بأنواع من الادراك رحمة من الله بنا أن يرينا بطرق مختلفة لازدياد العلم . إذ أنت بنفس هذا المثال أخذت تشرح المقصود وهو الجسم والروح اللذان أردت أن أتصورهما أسمى وأفهمهما وبهذا الفهم أصل المعنى التوضيحي في الآية وبعض سره . فقلت لقد أحسنت . نعم اني بهذا التمثيل أبين الأمرين معا . أبين أن تعاليم الأهم الاسلامية وغير الاسلامية يجب أن يكون على طرق شتى وكلها ترمى الى غرض واحد كما أن الله لما خلق العالم وخلق الانسان فيه جعل علمه بما حوله بطرق مختلفة ليحيط به علما على مقدار طاقته ويكون من نتيجة هذا أن أفهمك معنى . ولقد وصلنا لهم القول . قال فاضرب لي مثل ذلك حتى أعقله . فقلت انما مثل الانسان في هذه الأرض كمثل مالك عظيم الشأن رفيع المقام على المنزل واسع الملك كثيرا الجنود والأعوان . ولا جرم أن مثل هذا الملك له عاصمة يعيش فيها وله بلاد نائية عن العاصمة ، فيها ماهو قريب من العاصمة ومنها ماهو بعيد عنها ، فأهل العاصمة يمكنهم المشول أمامه بأنفسهم ورفع قضايهم له بدون رسول . قال نعم . قلت وسكان القرى المتوسطة في البعد يمكنهم أن يرسلوا نوابا عنهم قال نعم . قلت وسكان القرى التي هي في أقصى بلدانه يقدررون على محادثة الملك بارسال رسائل كتابية بطريق البريد المعروف أو بطريق الحمام الزاجل أو بطريق البرق (التلغراف) قال نعم كل هذا ممكن . قلت هذه صفة الانسان في هذه الدنيا . إن الملك في عاصمته له أعوان يحيطون به في نفس قصره وله خواص يعيشون في عاصمته . قال نعم . قلت فالأعوان المحيطون به من خدام قصره يراهم كل حين . فأما ضواحي المملكة فانه يراهم حيناً بعد حين اصالح المملكة . قال نعم . قلت هكذا هذا الانسان هو هذا الملك والعاصمة هي جسمه فاما الحر والبرد والثقل والخفة والنعومة والخشونة وما أشبهها وهي (عشرة أحوال) من أحوال المادة فانها تحيط بالجسم وهي تعرف بحاسة اللمس فقد أشبهت أعوان الملك المقيمين معه بقصره . وأما طعم التفاح وطعم المالح كل المختلفة من الحلاوة والمالحة والخراقة ونحوها فالقائم بها حاسة النوق التي هي أرق من حاسة اللمس لأن حاسة النوق هي أشبه بوزراء المملكة الذين يترددون عليها أنا فانا ليستأوروا معه في حياتها واصلاحها ثم إن المشمومات والمسموعات أشبه بسكان المملكة الذين ابتعدوا عن عاصمة الملك ، فأما المشمومات فانها ترسل ذرات دقيقة جدا كذرات المسك التي تتطاير في الهواء كل حين ولشدة دقتها لا يظهر أثر النقص فيه على طول الزمان فهذه الذرات التي تخللت الهواء لم تخرج عن كونها نماذج من جرم التفاح المحلوقة في الشجرة أرسلت مع الريح يشمها الانسان فهي أشبه بالوفود التي أرسلها سكان القرى المتباعدة عن المملكة ليعرف الملك مقدار طاعتهم ممن حضروا منهم ونابوا عنهم في الخضوع أمام الملك وتقول تلك الذرات التي نسميها رائحة أيها الملك اننا طائعون لك فهل ترغب أن يحضر بقية الجماعة ليكونوا خدما لك وعبيدا بل سيصبحون جزءا من جسمك ولحما ودما وعظاما ومخا وعينا وأذا . ولا جرم أن هذه الذرات أغلظ من الحركات لأن الحركات عرض والذرات جسم ثم إن حركات تلك التفاح في الشجرة وهي تترنح يمينا وشمالا وتعايق الأوراق وتضاحك القمر والنجوم وتفرح وتمرح وترسل تلك النغمات في أمواج الهواء فيسمعها صاحب البستان تعطي نفسه شوقا وتوقا الى احضارها والتغذى بها وهذه أشبه بارسال البريد بالخط والرقم في القطرات أو مع الحمام الزاجل ولا جرم أن الحركات في الهواء وسماعها أطف من الذرات المشمومات في الهواء كما أن حاسة السمع أشرف من حاسة الشم فتلك أقرب الى عالم الروح وهذه أقرب الى عالم المادة ، ثم إن صورة تلك التفاح لا يحملها النسيم ولكن يحملها عالم الأثير الذي يمتدحج وبتوجه آلاف آلاف المرات في الثانية يحدث لنا ما نسميه ضوء فهذا الضوء يحمل تلك الصورة ويدخلها في حركات الأعين المركبات من أغشية متناسقة معدة لقبول تلك الصورة فتعجبنا فننارها . هذه هي الفنون وأنواع الطرق وألوان الطرق العاصية التي أبدعها المبدع الحكيم في صورة الانسان فلم يقتصر الانسان على

- (١) لمس التفاحة  
 (٢) ولاعلى ذوقها  
 (٣) ولاعلى الاحساس بأجزاء منها بحاسة الشم  
 (٤) ولم يقف عند سماع حركات الهواء بسبب تحريكها  
 (٥) بل تعالى الى عالم الأثير وضوئه فارتقت هذه النفس الى عالم الأفلاك ، لماذا ؟ لتعرف التفاحة فهي إذن استعانت بكل ماحولها ، استخدمت اللمس مباشرة والهواء والضياء وهذا الضياء مسافر لها من أقاصي العوالم التي ربما كان ضوؤها قد سافر اليها منذ مائة مليون سنة نورية (اقرأ هذا في سورة الفرقان عند قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - فانك ترى هناك هذا المقام مشروحا وأن من الأجرام السماوية ما بعده عنا مائة مايون سنة نورية) هذه مراتب العلم عند الانسان  
 (٦) إن العين كما تدرك صورة التفاحة بنفسها تدرك اللفظ الدال عليها مكتوبا بصناعة يدها  
 (٧) وتدرك صورة رسمها بالآلات المصورة فهي إذن تعرف من ﴿ طرق سبعة ﴾ ثلاث منها بطريق البصر والأربعة الباقية بطرق الحواس الباقية

ثم إن الحواس الثلاث الأولى أقرب الى العالم الأرضي فلذلك كانت صناعاتها سهلة قريبة المنال . أما حاسة السمع والبصر فانهما أقرب الى عالم الأرواح ولذلك ترى أن حاسة السمع تسمع كل ماحولنا قريبا وهذا المسموع يشمل كل ماهو قريب وكذا ماهو بعيد باللفظ لأن الكلام يعبر عن كل موجود قريبا أو بعيدا والبصر كما يدرك نفس الأشياء يدرك صورها التي صورت بالآلات التصوير ، هذا هو الشرح الذي أردت أن أبينه لك أيها الصديق . وههنا ﴿ نتيجتان \* النتيجة الأولى ﴾ ان العوالم والمعارف في هذا النوع الانساني يجب أن تنوع وتكون لها طرق مختلفة ، وقد عرف هذا علماء البيداغوجيا كما تقدم في تفسير سورة الفاتحة فانهم يقولون للمدرسين لسمع التلميذ القول وليكتبه هو بيده وليكن مكتوبا بخط جميل ولتكن صور الأشياء مرسومة أمامه إذن يشترك السمع من المعلم وبصر المتعلم وكلام نفس المتعلم وكتابته للكلمة وصور الأشياء المرسومة أمامها كلها تشترك في تفهيم التلميذ . إذن علماء تعليم الأطفال أخذوا يدركون الحكمة الأولى وهي حكمة صانع العالم انه أرانا ماحولنا بطرق مختلفة . فهاهم أولاء أخذوا يسبرون على منواله ومن ضل طريق الصانع الحكيم عاش جاهلا ، هذه هي النتيجة الأولى التي جاء الكلام عليها عرضا . أما ﴿ النتيجة الثانية ﴾ وهي المقصود من أصل المقال فهي ان الله عز وجل جعل جسم الانسان كأنه النور أو كأنه بطارية كهربائية وخلق له مناسبا لما حوله ومهد السبيل لانتفاعه بكل ذلك ، فالنور والهواء ونفس الأجسام كلها مستعدات لابلغة العلم ولنفعته . إن الله لما خلقه أراد أن يرفعه الى عالم أعلى ولا طريق الى رفعه الى عالم أعلى إلا العلم فحاطه بطرقه وأكثر منها وابتلاه بالآلام واللذات والمرض والصحة والموت والحياة . كل ذلك ليوقظه للعالم الذي هو مسوق اليه فأكثر من الطرق ليزججه لينخرجه من هذه الأرض الضيقة وجعل في الأرض حكاما وعلماء وأنبياء فهؤلاء زادوا فوق الحواس وانما زادهم في الأرض ليساعدوا هذه الحواس وهذه المرمجات من حوادث الأيام والليالي على خروج الانسان من مضائق الأرض فأسمعهم أقوالا توقظهم الى عوالم عرفوها تارة بعقولهم كالفلاسفة وتارة بالوحي كالأنبياء فهؤلاء استعملوا حاسة السمع فسمعوا الكتب السماوية ومنها القرآن . ان البصر ازداد قوة برسم صور الأشياء بعد رؤية نفس أجسامها وبنظر الألفاظ الدالة عليها بوضع اللغات المختلفة شرقا وغربا هكذا السمع فضلا عن سماعه حركات المخافات سمع الألفاظ الدالة عليها ثم هو فوق ذلك سمع ما أنتجته العقول أوجاء به الوحي . كل ذلك تكميل للنفس لارتقاها الى العالم العاوي وازعاجها عن هذا العالم الضيق فقوله تعالى - ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون - نبيان لآخر ما يتقرب من حاسة السمع وهو سماع

الوحي الذي يأتي للنفوس بما يحدث فيها حكمة فتستيقظ بعد الغفلة وتتلقى أشعة من نور الحكمة والعلم فتنبعث لدراسة ماحولها ، وهذا الذي كتبه الآن لم ينبعث في نفسى إلا عند قراءة - ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون - فهذه الذكرى التي وصلت إلينا من هذه الآية

فقال صاحبي هذا بيان حسن ويظهر أن هذا الجسم الانساني مستودع علم فعليه نظام الدول الأرضية كما في كتابك ﴿ أين الانسان ﴾ وبه علم (البيدادوجيا) أو علم تعليم الأطفال ، وبه الازدياد في الحكمة ودراسة العلوم الطبيعية وعلم الفلسفة . فقلت نعم إن نوع الانسان بعدنا سيكون فيهم أناس أبرع من العلماء في زماننا أما الأمم الإسلامية فإن حوادث الدهر ومعجزات الليالي والأيام وأمثال هذا التفسير كلها متعاونات على اخراج أجيال منهم يكونون - خيرأمة أخرجت للناس - وسينهجون منهج ما أكتبه في هذا التفسير وسيكون منهم حكماء وعلماء يتلعون علوم الشرق والغرب بعشق وغرام وحب ولا يثنونهم عن ذلك الجلال عائق وهم الذين يتولون إن الله قد جعل أجسامنا مستمعة من كل ماحولها ، فعلينا أن نستمد من كل مخلوق فتعلم كل علم وندرس كل موجود ، ومتى قصرنا في أى عالم من العوالم التي حولنا فالتناهي بالمرصاد ويقول لنا أيها الناس أنا لم أترك فرصة إلا انتهزتها لتعليمكم ولم أقف عند اللبس ولا البصر بل خلقت لكم اللغات المعبرات عن صور الموجودات ووصلتها لكم تكثيرا للعلم ، فاذا أغمضتم العين ولم تشموا ولم تلمسوا أرسلت المعاني بطرق الألفاظ حتى إن هذه الحاسة كأنها جميع الحواس ، فاذا كانت هذه أعمالكم فعليكم أن تتخلقوا بأخلاق ولا تدعوا فرصة إلا انتهزتموها فانتفعوا بكل شئ بالهواء وبالماء وبالنور وبكل موجود فهذا هو التوصيل وهذا هو حديث حجة الوداع ﴿ ليلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع ﴾ وهؤلاء هم الذين يعقلون قوله تعالى - ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون - فهؤلاء وأمثالهم من أصحاب النبي ﷺ ومن على شاكلتهم هم الذين يتذكرون . انتهى صباح يوم الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٢٩ والحمد لله رب العالمين واعلم أن هذا القسم إلزام للكفار واحتجاج عليهم وقطع لأعدائهم بعد أن مهد لهم السبيل بذكر قصص موسى حتى يكون مدخلا للسكلام معهم ومخاطبتهم وقطع أعدائهم ، ثم أعقبه بالقسم الثالث وهو من قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار - الى قوله - وصل عنهم ما كانوا يفترون - وهو تذكير بآيات الله سبحانه في الأرض والسموات كما ذكرهم في القسم الأول بآياته في الأمم الماضية حتى تتضافر الدلائل وتتحد الحجج فأخذ يذكر أنه سبحانه هو وحده مصور الصور باختياره يخلقها كما يشاء لاراد لقضائه فلا شريك له كما يزعمون وعلمه محيط بما ظهر وباطن وهو محمود في الدنيا والآخرة وقضائه نافذ ، ومن أعظم نعمه أنه لم يجعل ظلام الليل دائما ولا نور النهار دائما بل أدار الأفلاك فكان ليل ونهار لينام الناس ليلا ويعملوا للرزق نهارا ، واليك بيان القسم الثالث

### ( الْقِسْمُ الثَّالِثُ )

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ \*  
وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُسْكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ \* وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى  
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلَامٍ تَسْمَعُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ  
عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا



تُبْصِرُونَ \* وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ \* وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ \*

### التفسير اللفظي

قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) أى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء لا بموجب عليه ولا مانع منه ولذلك كان هذا العالم على غاية النظام والاتقان والابداع فليس لأحد من الخلق اختيار فى شئ من ذلك (ما كان لهم الخيرة) أى التخير كالطيرة بمعنى التطير فليس لهم أن يختاروا على الله شئاً ما وله الخيرة عليهم وما يدخل فى هذا أنه له أن يرسل من يشاء رسولا فلا يجعل ذلك منوطا بمال أو بجاه فيستط بذلك قولهم - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - وهما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فالله مطلق التصرف وهو أعلم بمن استعدادهم قابل لذلك (سبحان الله) تنزيها له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره فاذا أراد النبي ﷺ أن يهدى أحدا من أحبائه أو أراد أهل مكة أن يرسل الله رسولا من عظمائهم قال الله ليس لكم من الأمر شئ ، فلا النبي يهدى عمه ولا أهل مكة ينالون أن تكون الرسالة فى عظمائهم تنزيها لله (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم . ولما كانت القدرة المسبوقة بالارادة المعبر عنها بالاختيار يتقدمها العلم الذى هو مقدم على الارادة أعقبه بقوله (وربك يعلم ما تكن صدورهم) تخفى (وما يعلنون) يظهرون فلما اختص بالعلم اختص بالاختيار فخلق ما يشاء كما يشاء (وهو الله لا إله إلا هو له الجدى الأولى والآخرة) ذلك انه يحمد المومنون وأوليائه وأنبيائه فى الدنيا ويحمدونه فى الآخرة مثل قولهم - الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن - وقولهم - الحمد لله الذى صدقنا وعده - (وله الحكم) القضاء النافذ فى كل شئ (واليه ترجعون) بالنشور (قل أرأيتم) أى أخبرونى يامعشر الكفار (إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما (الى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بضياء) يقول الله أخبرونى من إله غير الله يقدر أن يأتكم بضياء إن جعل الله عليكم الخ (أفلا تسمعون) سماع تدبر واستبصار وكان الانسان اذا جنّ عليه الليل وفرض أن الشمس لا تطلع يقول فى نفسه ذلك فعب بالسمع لأن الليل يناسبه السماع والنهار عكسه (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه) استراحة من التعب (أفلا تبصرون) ولما كان الضوء فى نفسه نعمة والظلمة انما هى عدم الضوء لم يصف الضوء اكتفاء بذكره هو ووصف الظلمة لتبيان فائدتها (ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) بالليل (ولتبتغوا من فضله) فى النهار بالمكاسب المختلفة والتنقل فى الأسفار والتقلب فى الأعمال (ولعلمكم تشكرون) أى ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها ولاشكر لغيره لأنه لا يكور النهار على الليل ولا الليل على النهار إلا الله تعالى فلذلك يعترف الكافرون بهذه الحقيقة على رؤس الأشهاد يوم القيامة بعد أن جهلوا أو تجاهلوا فى الدنيا وهو قوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) هذا تكرير للتوبيخ على اتخاذ الشركاء فهو فيما تقدم دليل على فساد آرائهم وهنا تقرير أنه لا حجة لهم ولا شبهة وانما هو هوى وشهوة وهو قوله (ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا يعملون (فقلنا) للأثم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدعون به (فعلوا) حينئذ (أن الحق لله) فى أن الله ألوهيته لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم) وغاب عنهم كما يغيب الضائع (ما كانوا يفترون) أى يخلقون فى الدنيا من الكذب على الله . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثالث من السورة



### ﴿عجائب القرآن في هذه الآيات﴾

تأمل قوله تعالى - وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون - تأمل في هذا وتجب كيف يقول هنا - وله الحمد في الأولى والآخرة - نعم الله محمود في الدنيا يحمدونه الناس على ما عرفوا من نعم يحمّدونه إذا أحسوا بها ، فيحمّده الفقير متى أحسّ بالفقر ، ويحمّده المريض متى نال الشفاء ، ويحمّده الذليل متى أحسّ بالهزّ . وبالجملة حمد الناس وثناؤهم على ربهم إذا أحسوا بنعمه وذلك عام في جميع النوع الانساني ، فأما في أوقات الفراغ وهذوء البال فان الناس لا يتذكرون نعمة ربهم فلا يذكرون صحة البدن ولا قوّته ولا العقل المركوز فيهم ولا الذكاء ولا يفكرون في نعمة الولد والأهل والأصحاب والأقارب ولا نعمة نظم المدن التي تحفظهم ليعيشوا فيها ، ولانهم السموات والأرض والكواكب والشمس والقمر والأنهار والبحار فالتناس ماداموا في خفض وسعة الرزق وبجودة العيش فانهم غافلون . لذلك أرسل الله رسوله ﷺ والأنبياء قبله ليدذكروا الناس بالنعم ليدرسوها ومتى درسوها أحسوا بها ومتى أحسوا بها حمدوا الله عليها . ولما كان النبي ﷺ آخر الأنبياء وأمر بالحمد كما رأيت في (سورة النمل) إذ قال الله له - قل الحمد لله وسلام على عباده - أمر ﷺ أن يصلي المسلمون بفتحة الكتاب فقال ﴿ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ﴾ وانما قال ذلك لأن الله أمره بالحمد ولا جد إلا حيث تعرف النعمة لأن النعمة التي لا يعرفها الانسان لا يحمّد عليها كما لا يحمّد الأصحاء على العافية ولا المبصرون على خلق أعينهم اذا لم يفتقرهم مرض فيذكروهم . لهذا ترى المسلمين في أفطار المسكونة قد اتخذوا الفاتحة شعارهم وتسمع في كل آن وقت الصلاة وفي خارج الصلاة قولهم ﴿ الحمد لله ﴾ وفي عقب الأكل وعقب كل نعمة ﴿ الحمد لله ﴾ فهذا من الحمد في الدنيا . ولا جرم أن الحمد يتقدّمه العلم بالمحمود عليه حتى تشهر النفس بالنعمة . فالشعور إما بحادث طبيعي أو بطريق علمي والحادث الطبيعي المذكور بالنعم غير دائم بل هو قليل لأنه خاص بالمصائب والأمراض . أما الطريق العلمي فهو عام في النعم الجزئية والنعم السكينة . فبه تعرف نعم السموات والأرض والأنهار وخلق هذا العالم حتى يدرك الانسان أن هذه كلها مساعدة له على بقائه ونعمها واصله اليه بل يرى أن الناس جميعا ينفعونه في أمته وفي غير أمته ، فإذن العالم كله نافع له لافرق بين شمس وقمر وبحر وأمة نشأ فيها وأمة لم ينشأ فيها ، فالعلم يعرف الانسان هذه العوالم فيحمد عليها ويعرفه أن الناس اخوانه فيحبهم ، ومتى حمد الانسان على نعم الله في الدنيا حمد عليها يوم القيامة بل لا جد في الآخرة إلا اذا تقدّمه جد في الدنيا إذ لا جد حقا إلا على علم والعلم في الدنيا باق في النفس بعد الموت فن لا يدرك هذا الوجود في الدنيا لا يدركه في الآخرة ، فاذا حمد العائمة والجهال ربهم على طعام أو شراب أو مال أو جاه ، فالعالم أرقى وأرقى لأنه يحسّ في نفسه بحمد الله كلما نظر كوكبا أو نباتا أو حيوانا أو هبت ريح أو جرى نهر لأنه يراها كلها متعاضدة متعاونة لخدمته وخدمة الناس بل يحمّد الله لذلك الجمال البديع والبهجة والرونق والحسن ويرى هذا العالم كله جيلا فيكون الحمد أجلى وأبهى وأدوم وأبهج وأجل وهذا الجمال هو المقصود لذاته وهذا غاية الحمد ولما كان الأنبياء هم المذكرون بتلك النعم وآخرهم سيدنا محمد ﷺ ورد أنه هو رافع لواء الحمد وأنه له المقام المحمود فيرجع الأمر كله الى العالم لأنه لا جد إلا بعد علم ، ونتيجة هذا القول أن هذه الأمة الاسلامية أمة جد ويلزم من ذلك أن يكونوا علماء بهذا الوجود ، انظر أليس الأمر اليوم معكوسا ، إن حمد المسلمين اليوم لفظي إذ جد العائمة هو الغالب ، أما الحمد الاسلامي العقلي المبني على العلم والحكم والفهم فانه غائب اليوم انه سيقوم فيهم أناس ينبغون في العلوم ويعلمون هذه الأمة أنواعها ويتصرفون فيها ويحكم الأكابر وهم يفيضون على الأصاغر وهذا هو السر في قوله في (سورة النمل) - وقل الحمد لله - وأتبعه بقوله - سيريكم آياته فتعرفونها - لأن الحمد بالامعرفة جد لفظي لامعني فيه وهو جسم بلاروح ولفظ بلامعنى ، وأي فضل في جد لا يحسّ حامده به ، فالجد بعد المعرفة ولذلك قال في هذه السورة - وله الحمد في الأولى والآخرة - لأنه ذكر

المعرفة هناك في آخر (سورة النمل) ومثل هذا يقال في (سورة الفاتحة) ابتداء الله فقال (بسم الله الرحمن الرحيم) ولا جرم أن الرحمة ﴿قسيان﴾ رجة أفيضت على الأجسام ورجة أفيضت على العقول ورجة الأجسام مقدمة ورجة العقول نهاية ثم أتبعها بقوله (الحمد لله رب العالمين) فذكر الترتيب ليوجه عقولنا الى نظام هذه العوالم كما تقدم في الفاتحة وأتبعه بذكر الرحمة للدلالة على أنها سارية في العوالم كلها لتستوجب الحمد والاحساس بالنعمة ولما كان أكثر الناس كما قلنا لا يحسون إلا بما تشعر به حواسهم من النعم الطارئة ولا يفقهون النعم المترددة لأنها بتكرارها عليهم يبطرون ولا يذكرونها . ذكر العبادة وانها خاصة بالله وسأل المؤمن أن يهديه الله الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم . فذكر هداية الله للنعم عليهم الى الصراط المستقيم وهذه الهداية منشؤها العلم والعلم بالنعمة هو الذي يثير في النفس الحمد والاعتراف به . إن الأمة الاسلامية أمة جد ونبينا ﷺ رافع لوائه ولا جد إلا على علم بالحمود عليه والحمود عليه جميع النعم والمسلم يسأل الله الهداية لصراط المنعم عليهم وصراط المنعم عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين هو الصراط السوي . هو العلم بالنعم . هو العمل الصالح والذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون هؤلاء هم المنعم عليهم فالأنبياء والصديقون متحققون بالعلم والأخلاق والشهداء تبع لهم وأما الصالحون فهم متحققون بالعمل أكثر من العلم فالصراط المستقيم شامل للعلم والعمل وبالعلم كما قلنا يثور الحمد في الانسان

إن هذه الآيات التي نحن بصددنا جاء فيها التسبيح - سبحان الله وتعالى عما يشركون - وتبعه التوحيد إذ قال تعالى - وهو الله لا إله إلا هو - ثم الحمد على النعم وهو قوله - له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم - فهذه ﴿درجات ثلاث﴾ تقديس وتوحيد أي ان الذات المقدسة ليست متعددة ثم جد \* وقد ورد « من قال سبحان الله وله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله وله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله وله ثلاثون حسنة » وورد أيضا ﴿ افضل الدعاء الحمد لله ﴾ وقيل ﴿ ليس شيء من الأذكار يضاعف ما تضاعف الحمد لله ﴾ \* قال الامام الغزالي ﴿ ولا تظن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات ﴾ اهـ

يقول مؤلف الكتاب إن أول الأمر وآخره المعرفة والعلم ، إن هذه كلها مذكرات بالعلم ، فاذا سمعت قوله تعالى - وآخرو دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - فانما ذلك الحمد لمعرفة أوجبه في الدنيا والمعرفة في الدنيا هي الاطلاع على نظام هذه الدنيا وجمال الله فيها وحكمته وبهائه وتلك النظم البديعة البهية التي تدهش العقل وتبهره فينطق بالحمد في هذا الجسم وبعده مفارقتة . وهذا الذي ذكرته كله واضح في هذه الآيات فانك ترى التقديس تلاه التوحيد أتبعه الحمد ، ولما كان الحمد لا يكون إلا على نعمة والنعمة العامة لا تعرف إلا بالعلم قال الله تعالى - قل رأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا - الخ يقول الله أيها المسلمون إن ربكم مختص بالحمد في الدنيا والآخرة ولا جد إلا بعلم ، فانظروا في الليل والنهار فلو أن الليل دام عليكم أفلستم تحرمون من التصرف في معاشكم ، واذا كان النهار دائماً عليكم أفلستم تمنعون من وقت الراحة ؟ انظروا في رحمتي التي وسعت كل شيء ، انظروا فيها فاني جعلت ظلمة وجعلت نورا بنظام دوران الشمس ليكمل هناؤكم وسعادتكم فحمدكم لا يكون إلا اذا عرفتم رحمتي ولا تعرفونها إلا بالعلم ، ألم أمركم أن تقولوا - بسم الله الرحمن الرحيم - قبل - الحمد لله رب العالمين - أليس ذلك لتذكروا رحمتي التي وسعت هذا النظام وذلك بالتعليم ومتى عرفتم حمدتم . انتهى

﴿ النعم والنعم مذكرات موجبات للشكر وهذه الآية ذكر فيها أعظمها ﴾

( نمط آخر في تفسير هذه الآية )

ذكر الله الليل والنهار وانه رحنا بهما مريداً بذلك أن نعلم النعم فنشكر عايلها والشكر أعظم من الحمد المتقدم فالجد بالاسان وحب جميع الناس بالقلب وصرف النعم والمواهب كلها فيما خلقت لأجله ، فهذه الثلاثة هي الشكر

وأسمها كلها العلم ، ومجامع النعم وأضداد النعم جمعت هنا . إن الله لما خلقنا في هذه المادة أراد ترتيبنا والترتبية لا بد لها من ضدين نعمة ونقمة ، فالنعمة موهبة ، والنقمة تسوق الناس إليها ، وعبر عن هذا كله بالليل والنهار والأصل كله دوران الشمس ومبدأ ذلك كله الحركة فبالحركة كان دوران الشمس ظاهرا وبدوران الشمس ظاهرا كان الليل والنهار ، والنهار عنوان النعم ، والظلمة أشبه بعدمها وعدم النعم هو النقم إذ لا نقمة إلا عدم النعمة ، فهذا الدوران أنتج فيما على الأرض ما هو من طباعه ، وإذا كان من طباع الدوران الظلمة والنور أى عدم النعمة ووجودها

### ﴿ كان في الأرض ﴾

جبل وواد وسهل وجزر وبحر وبرّ وعامر وخراب وخصب وجذب وحلو ومالح وهواء وحجر وخشن وناعم وحار وبرد ولطيف وكثيف ومرّ وحلو في النبات وحيوان مفترس ضار لنا وأنعام تنفعنا

### ﴿ وكان في أجسامنا ونفوسنا ﴾

أعمى وبصير وأصم وسميع وأخرس وفصيح وأعرج وضده وأقطع وذو يد ومريض البدن وسليمه وكذا مريض القلب أو الجنب أو المعدة أو الأمعاء أو الكبد أو الطحال وهكذا بقية الأعضاء ومقابلة الصحيح في ذلك كله ، وكان في الإنسان الغنى والفقير والعزيز والذليل والبخيل والكريم وهكذا مما لا يسعه المقام وكان فيه أيضا الذكي والبليد والعالم والجاهل والأحمق والعاقل كل ذلك داخل في ذكر الليل والنهار فالأول لعدم النعم والثاني لوجودها وما ذكرناه كله لا يخرج عنهما وكل ما على الأرض ناجم من آثار الحركات السماوية النازلة على الكرة الأرضية فسكان النتائج تابعة للفتنات ناهجة منهاجها سائرة على منوالها ولما كانت هذه تمرّ على الناس وهم غافلون ذكر الله الناس بقوله - لعلمكم تشكرون - أى لعلمكم تعرفون فتشكروا على النعم ولقد جعل الله سبحانه وتعالى ألم الجهل وألم الذل وألم الفقر وألم المرض والجوع وألم الفراق وألم الوحدة محرّضات على نعمة العلم والعزّ والغنى والصحة والطعام والاجتماع وهذه أشبه بالسائق للناس الى حوز النعم وجعل لذة العلم ولذة النصر ولذة الثروة ولذة الصحة ولذة الطعام ولذة الاجتماع أشبه بالقائد ، فكل من ذلك سائق مؤلم وقائد ملذّ تحمله على استجلابه ، ومن أكبر قائد للنعم جلال الزهر وحسن القر وبهجة ضوء السكواكب . وغرائب المخلوقات التي تلفت النظر وتكون في باب السائق أشبه بالمقطوعى الأيدي والأرجل في باب النقم . ثم الجبال الفائق والقيح الزائد أحدهما قائد للنعم وثانيهما سائق يسوق الناس للبعد عن قبح المنظر وشناعة اللبس وسوء الحياة

هذا كله هو ما وضعت عليه الحياة في أرضنا ويقرب منه قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون \* ففرّوا الى الله - فقوله - ففرّوا الى الله - هناك أى بالعلم وقوله - لعلكم تشكرون - ولاشكر إلا بعد علم

### ﴿ نتيجة هذه الآيات ﴾

عليك أيها الذكي أن تفهم المسلمين أن الله يغضب على كل أمة نامت عن العلوم ، أيقظ المسلمين وقل لهم اقرأوا جلال هذه الدنيا من نبات وحيوان وتشريح وعلم نفس وعلم فلك وعلوم البحار وبهجة هذه الدنيا وعلى كل غنى وعالم وذى جاه أن يفهم المسلمين انهم يجب عليهم أن يعمموا التعليم في سائر بلاد الاسلام وأن تكون معرفة الله بأشياء مشوّقة من بهجة الأنوار ومحاسن الأشجار وجمال البحار وصولا البخار وعزة النصار وضوء المساس وثقائن الأحجار وبدائع الأسرار وعجائب الآثار وحساب الليل والنهار وعجائب الفلك المدار - إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار -

قل ابدؤا بهذه العلوم فاقرّوها فاذا قرأتموها للصغار فعنى ذلك أن تقطفوا من أثمارها وتسمعوهم من

أخبارها فيكونون مشتاقين فرحين بها وهذا الشوق يدفعهم الى اكتناه أسرارها اذا كبروا . ذلك هو المسمى (درس علم الأشياء) فيؤتى بنبد من كل علم وتعطى لهم كأنها حلاوى بها يفرحون وفاكهة بها يتفكهون فاذا كبروا قرؤا دروسها وعرفوا نظمها وتناولوا آياتها

هذا هو شكر ربكم فادرسوه ، وهذا هو دين الاسلام فى المستقبل فتر بصوه ، وهذا هو توحيد الله وشكره فاشكروه ، وهذا هو الذى به تعمردنكم وتعظم أممكم وتقوى شوكتكم وتحفظ نفوسكم ونسكنكم ونعظمكم ونقمتكم ويهاجم عدوكم . هذه هى العلوم التى ترفعكم فى الدنيا بما ذكرناه وفى الآخرة بقاء الله ، فالدينا تكون لكم سامعة مطيعة وقلوبكم تعشق ربها وتحب خالقها وتأنس به فى هذه الحياة ، فاذا ما قرب موتها أنست بعالم الجلال وفرحت بقاء الله وهذا هو قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم -

وهنا ﴿ أربع جواهر الجوهرة الأولى ﴾ فى قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار -

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ فى قوله تعالى - وهوالله لا اله الا هو - الخ

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ فى بهجة العلم فى قوله تعالى - قل أرأيتم إن جعل الله - الخ

﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ فى قوله تعالى - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار -

﴿ الجوهرة الأولى فى قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة

سبحان الله وتعالى عما يشركون - ﴾

يقول المسلم فى صلاته « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » هذا لأنه أعلم بالمصالح فهو يعطى وهو يمنح لحكم هو وحده يعلمها ولن يعرف أحد من بنى آدم حقائق هذه الحكم إلا بقراءة كل علم على قدر الطاقة هو يخلق ما يشاء ويختار ليس الخيارات لأن علمنا قاصر وهو يعلم كل شئ ، واذا أردنا ضرب مثل هنا على ذلك وجدنا العالم كله والعلوم كلها مضرب أمثال ولكنى أقصر على مسألة واحدة تأخذ باللب وتشرح الصدر فأقول

يعيش الجنين فى بطن أمه وفيه يتغذى بدمها ، فأمه تهضم الطعام فى بطنها وينقلب دما والدم يقابل الهواء الجوى بالتنفس فى رئتيها فيصلح لتغذية جسمها فيرجع الى القلب ويدخل الجهة اليسرى منه فيدخل من أعلاه فى تجويف يسمى البطن وينزل منه بفتحة الى تجويف أسفل منه يسمى البطن وهو أكبر من التجويف الأول ، ومن هذا التجويف الأكبر فى الجهة اليسرى يخرج منتشرا فى البدن أعلاه وأسفله ثم يرجع الى نفس القلب من الجهة اليمنى وهو متلى مواد فحمة (كربونية) فيدخل فى تجويف صغير هناك ثم ينزل منه الى تجويف أسفل منه يسمى البطن أيضا ومن هذا الأسفل يخرج متجها الى الرئتين أى رئتي المرأة التى كلامنا فيها وهو يحمل المواد الفحمة فيقابل الهواء الجوى الداخل فيعطيه بنفسها تلك المواد ويصفى كما نضفى نحن الماء ونخلصه من المواد الغريبة بالآلات التصفية ، فهذه الرئة أشبه بالآوانى التى نضعها فى منازلنا وفيها الماء فينزل من مسامها خالصا سائغا للشاربين لاضرر فيه ، فالرئة كالآوانى المذكورة والدم كالماء ومتى صفى الماء فى الرئة وطهر بمقابلة الهواء الجوى أخذ من الهواء فى نفس الحال مواد الحياة (الأكسوجين) بعد ما أعطاه المواد المهلكة السامة الفحمة (الكربونية) ورجع الدم يجرى الى الناحية اليسرى ويدخل فيها كما تقدم . هذه هى الأعمال التى تحصل فى قلبي وقلبك أيها الذكر وفى قلب المرأة ونحن لانشر ولا نعلم . وليس شرح هذا المقام مقصودا بهذا المقال . كلا . لأنه قد تقدم مستوفى فى (سورة المؤمنين) عند آية - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - وانما الذى سقت له هذه المقالة أمر عجيب وغريب . سبحانك اللهم وبحمدك أنت الذى اخترت هذا الوضع للقلب واصطفيت له هذه الدورة الدموية التى توقفت حيانا عليها . ولما كان هذا النظام معلوما لجميع الأطباء ويتبعهم المتعلمون فى الكرة الأرضية لم يكن

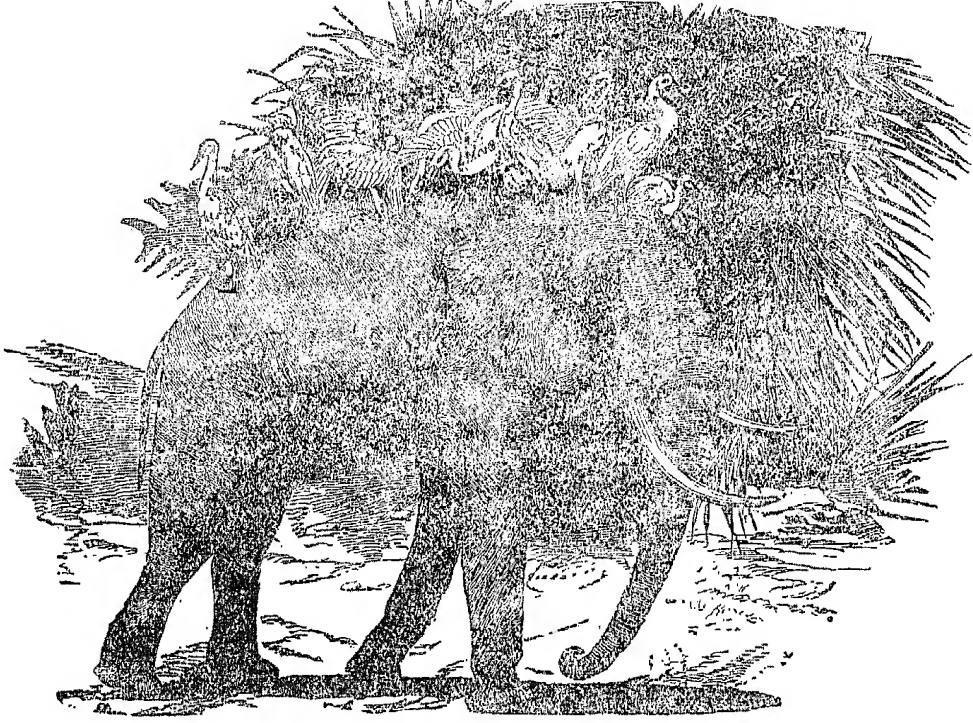
أمرنا غريبا لأن كل مألوف متروك وكل غريب مرغوب ، فلتكرار هذا العمل زالت غرابته كما زالت غرابة الليل والنهار ، تشرق الشمس وتغرب وهكذا القمر والكواكب فلا تتحرك ساكنا في أكثر هذا النوع الانساني كذلك هذه الدورة السموية التي تدور في أجسامنا المملوءة حكما وعلمها قد أصبح الانسان كله إلا قليلا معرضا عن بدائعها وعجائبها ، وإذا رأى الناس كسوف الشمس وخسوف القمر أخذوا يتعجبون من ذلك لأنه نادر فرما بعث الأذكىاء منهم الى التفكير . هذا في عالم السموات الذي نراه بأبصارنا . أما الدورة السموية فهي غائبة عنا لانراها بل لا يعرفها . الا العلماء الدارسون لها بل الدارسون لها أيضا قل منهم من يفكر في عجائبها إن دراسة العوالم حولنا أسهل علينا من دراسة نفوسنا وتشريح أجسامنا ، ولكن اذا اطالع هؤلاء الدارسون لتلك السورة على ماسقت الكلام لأجله دهشوا من تلك السورة وعجبوا وذلك هو المقصود من هذا المقال كله . ذلك أن التجويفين الأعلين الصغيرين اللذين يسميهما العلماء (بطينان) بينهما في أجسامنا الآن فاصل وحاجز فلاصلة بينهما . ذلك لأن السورة الدموية لاتتم إلا بهذا الحاجز بينهما (انظر شكل الدورة الدموية في سورة المؤمنين)

وانما لم تتم الدورة إلا بهذا الحاجز لأنه يفصل الدم الوريدي أى الذى لا يصلح للتغذية في البطين الأيمن عن الدم الشرياني الذى يصلح للتغذية في البطين الأيسر كما علمت . إذن الله فعل في الدورة الدموية في جسمي وجسمك أيها الذكي مثل ما فعله في البحرين العذب والملح فقد جعل بينهما برزخا وحجرا محجورا فلم يخط أحدهما بالآخر وجعل الخلو مشتقا من الملح بالبحر منه فيخرج الى الهواء فيخلص من الملح ثم يكون مطرا هكذا فعل الله في هذه السورة خرج الدم الوريدي الذى لا يصلح للتغذية لما فيه من الكربون من البطين الأيمن ورفعته الى الرئتين فقابل الهواء الداخل بالتنفس فصفاه وجعله صالحا للتغذية . هذا هو فعل الله في جسمي وجسمك أيها الذكي الآن وجسم المرأة التي تحمل الجنين . انما الأمر الأعجب هو أن الحاجز الذى بين الأذين الأيمن والأيسر الذى بينا انه لا بد منه لأنه حاجز بين الدمين الشرياني والوريدي الآن لم يكن له وجود في الجنين فهو لي ولك ولأم الجنين ولكنه لم يكن عند الجنين ومتى ولدت أمه سدت هذه الفتحة حالا فسكان هنالك بوابا فتح هذا الحاجز قبل الولادة وعند الولادة أقفله وبقى مقفلا ، والسبب في ذلك أن الجنين اذا وصل دم أمه اليه اتجه أولا الى الأذين الأيمن فبسد أن ينزل الى البطين الأيمن ومنه يتجه الى الرئة ليخلص فيها كما قدمنا يتجه حالا من الأذين الأيمن المذكور الى الأذين الأيسر مباشرة ومن الأذين الأيسر الى البطين الأيسر ومنه ينتشر في الجسم كله ، ذلك لأنه دم الأم ودم الأم الذى يجري الى الطفل كله شرياني . إذن لا حاجة الى دخول الدم في البطين الأيمن ثم خروجه الى الرئتين لأنه لا يعوزه ما يعوز دما نحن لأن ذلك دم مصفى في رئة الأم فهو دم شرياني . فرئة الطفل لانفس فيها لأن نفس الأم في رئتها قائم بما يجب . إذن لا حاجة لهواء يدخل في رئة لقيام رئة الأم مقام رئة . وعليه لا بد من اتجاه الدم من الأذين الأيمن الى الأيسر مباشرة ويعطى البطين الأيمن مادام الجنين في بطن أمه وتعطى الرئة أيضا ، ومتى ولد الطفل قابلفه وأنفه هواء الجوى ودخل الهواء الى الرئتين فهناك حالا يسد ذلك الحاجز ويدور الدم دورته المعالومة المشروحة شرحا كافيا وافيا والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الثلاثاء ٤ يونيو سنة ١٩٢٩

﴿ ضوء الجوهرة في قوله تعالى أيضا - وربك يخلق ما يشاء ويختار - ﴾

عبر بلفظ الرب إيدانا بالتربية فلم يكن الخلق إلا على مقتضى التربية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لم يكن الخبر إلا على حسب المبدأ ، فالمبتدا هو ربك والخبر هو يخلق وفي اضافة الرب لضمير الخطاب ايدان بشرف الخطاب وانه جدير بأن يكون خليفة في الأرض يربي الأفراد والأمم ، فالله يربي ما خلق ورسوله ﷺ ومن اقتدى به يتخلقون بالأخلاق السكاملة التي أمرهم بها ليكونوا صريين للناس وجعل المشيئة خاصة به تعالى والاختيار

ولم يجعل لأحد من عباده اختياراً في إعطاء أو منع ، المربي الخالق الذي يعلم ما خلق لا يجعل لأحد سلطاناً ولا وزارة ولا استشارة فيما يديره ، وهذا القول الاجبالي هو معنى الآية وهذا المعنى معلوم ، وإذا أردنا أن نجعل له مثالا تواردت آلاف الأمثلة بل مافي هذا التفسير من عجائب الحكمة يصلح في هذا المقام ولكن وقع اختياري على هذا الفيل المسمى بالانجليزية (جيبو) وعليه صف من طيرأني قردان تأكل الدود من جلده وهو مظهر من ساكن وهذه صورته (شكل ١)



( شكل ١ )

أنا اخترت هذا المثال لأنه أثر في نفسي أعظم أثر وكيف لا يؤثر وأنا أرى أكبر الفيلة واقفا ساكنة وهذه الطيور واقفة فوقه وهو مستلذ ساكن بل مبهج . هذا الفيل معلوم من طبائعه أنه قوى جدا وهو يقوم في العمل مقام جماعة من الرجال وهو يقاتل الأسود والفئور وغيرها من الحيوانات المفترسة ولكنه في نفس الحال حبيب صديق لأني قردان ، ذلك الطائر الضعيف الذي لاسلح له ولا قوة ، إن الفيل وإن لم يغلبه غالب من الحيوانات المفترسة فقد غلبه أضعف المخلوقات الذي هو أعدى أعدائه ولكنه لن يقدر أن يصل اليه ، إن له جلدا متينا قويا جدا وقد سلط عليه حشرة صغيرة تسمى (نيكس) فهي تعيش فيه وتتغذى بأكله وتؤذنه بأكلها وهو يحتك بالحجر وبالشجر لينحى عن جسمه - ولات حين مناص - وكلما أوغل في حكها أوغلت هي في جلده وتعمقت وغاصت فيه فلن يقدر عليها فهي في أمن وأمان ، فمن ذا الذي يغيب الفيل إلا أصدقاؤه أولئك القوائم على ظهره الآكلات عدوه المظهرات جلده من الآلام . وهذه الطيور البيض الجسم الصفرا العيون والمناقير قد عمات للفيل ما لم يقدر الفيل أن يعمل لنفسه . إذن هذه الطيور خير أصدقاؤه . قال شارح هذه الصورة باللغة الانجليزية ( فعلياً أن يتقدم بعضنا بعضاً ) هذا هو الذي استنتجته العالم الانجليزي من هذه الصورة ننظر نحن في هذه الصورة فنجد الفيل العظيم احتاج الى الطيور الضعيفة وصارت صديقات له وهذا هو خلق الله وترتيبه بحسبته ، ليس المدار في هذا المقام على كثرة العلوم بل المدار على الاقن والفهم ، وسترى أيها الذكي في (سورة الروم) عند قوله تعالى - واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين -

كيف تكون الصور في أنواع الحيات وفي بعض الطيور وفي بعض الحشرات متشابهة وتشابهها يحصل سببا في حفظ الضعيف الذي لا سلاح له لمشابهته والتباسه بالقوى إذ يخيل الى الذي يريد اهلا كه انه ذو سلاح أو بطش شديد . هذا ما استراه هناك وسترى صوره الجسيمة الموهجة الدالة على حكمة تفوق كل حكمة وعلم لم تعلمه الأمم إلا في أيامنا هذه فان علم الألوان ( كما تقدم في سورة الكهف عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - ) لا يزال الآن في حال الطفولة ومع ذلك قد أصبح مظهر منه لنا الآن معجزة قرآنية فان تلك الألوان وتلك الصور والابداع فيها والتفنن لا يدع أدنى شك لعاقل في الحكمة التامة التي لا يعقلها إلا من عرفها وهل يعرفها إلا علماءؤها وهذا معنى كونه آيات للعلماء للجميع الناس . هذا ماسياقي هناك ومعه شرحه لتبيان تلك المعجزة وهي أن هذه الآيات انما يفهمها العلماء بفن الألوان وهي أيضا تصلح لهذا المقام لأن قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة - اذا تلوت ما ستره في الصور التي هناك أو الصور المذكورة في (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - فيما تقدم أيقنت أن هذا الاختيار يسحر العقول ويدهشها . إذن أنا في هذا المقام لا أكثر من الأمثلة فان ماضي وماسياقي كاف في ذلك

وانما الذي أقول الآن ان منظر الفيل وفوقه أبو قردان ماهو إلا كتاب كتبه الله بيده وقال اقرأوه . الفيل أقوى والطير ضعيف والحشرة أضعف . الفيل كن العدو في جسمه ولم ينجه منه إلا طير ضعيف . إذن تعاون الفيل وأبو قردان على هذا الضعيف . إن هذا الكتاب الذي كتبه الله لنا بيده يجب علينا دراسته فنقول الفيل من الحيوانات الأرضية ذوات الأربع وأبو قردان من حيوانات الهواء والدود من الحيوانات التي تتخفى عن الأعين في الأجسام

هذه أمم ثلاثة أمة تكون غالبا في الأجسام أو تحت الثرى ، وأمم فوق الثرى ، وأمم في الهواء . هذه كلها هي التي ظهرت في هذه الصورة ، فساكن الأرض وساكن الهواء تعاونوا على ما يسكن تحت الثرى أو في طبقات الأجسام . أيها الناس ، طير وحيوان أرضي برى تعاونوا معا ، هذه هي الصورة التي ترونها ، تعاونوا لأن الحاجة ماسة ، فهناك دفع أذى عن الفيل وغذاء لأبي قردان ، فهذا العمل أشبه بمن ضرب بحجر طيرين فهو غذاء للطير وشفاء للفيل . إذن هو غذاء وشفاء ، وهنا نقرأ (درسين «الدرس الأول» بعض أسماء الله تعالى الدرس الثاني نظام نوع الانسان ، (١) انظر الى الصورة وتفكر فانك تقرأ فيها أن الله ملك فالملك يدير الرعايا وهم في رعايه يعيشون وأى ملك ينظم كهذا النظام وهو (قدوس) منزّه عن كل مالا يليق بكماله ومنها انه لا يتخلق داء إلا خلق له دواء مثل ما رأينا هنا (السلام) فهنا أمان للفيل وأمان لأبي قردان وهو (مهيمن) فهو يفعل مع هذه الحيوانات فعل الطائر يهيمن على دغاره بأجنحته وهو (عزيز) قد غلب الفيل بتلك الحشرات وغلب تلك الحشرات بأبي قردان وهو (مؤمن) جعل هذه الحيوانات آمنة في أماكنها فرحة بنعم خالقها وهو (جبار) حكم على الفيل بما يؤذيه وأخضعه فذل لأضعف الحيوان واحتاج لبغات الطير وهو متكبر لا يريد أن يدخل أحدا في هذا النظام فهو عمله وحده (الخالق) أى المقدر لهذه الموجودات (البارئ) الموجد لها (المصور) صورها على مقتضى الحكمة التي رأيناها هنا عيانا وهو (قهار) قهر الفيل وقهر الحشرة وهو (وهاب) وهب هذه الطيور أغذيتها من تلك الحشرات (رزاق) رزقها من جلده (فتاح) فتح لها باب الرزق (عليم) بما يصنع في هذا وفي غيره (قابض) قبض أرواح تلك الحشرات (باسط) بسط الرزق لتلك الطيور بأجسام تلك الحشرات (خافض) تلك الحشرات (رافع) تلك الطيور على الفيل (معز) لهذه الطيور (مذل) لهذه الحشرات الخ إذن أسماء الله الحسنى دراستها تكون أكمل في الحقول وهو (لطيف) وبهذا اللطف خلق المنقار الحاد والعيون القوية والأجنحة لهذا الطائر فغاص على تلك الحشرات فصار لطيفا بالفيل



ولطيفا بالطير وهكذا

### (٣) ﴿ الدرس الثاني نظام الأمم الأرضية ﴾

وحق لي الآن أن أخطب الناس كافة ، ذلك لأن هذا كتاب الله وهذا خلق الله وأنا مفسر لكتابه وقد ينشرح صدرى لما أقول فيه ، فعلى أن أخطب أهل الشرق وأهل الغرب ، أخطبهم بكلام ربهم وأعماله المحمّية فأقول

يا أهل الشرق ، ويا أهل الغرب ، إن الله جعلكم أرقى من هذه الامم الحيوانية وجعلها هي أنفسها دروسا لكم ، فاقروا هذا الدرس وانظروا أمة من أمم الهواء قد اتحدت مع أمة من أمم الأرض مع تباعد ما بينهما وشدة اختلافهما واتساع نطاق البعد بينهما ، هذا قوى وهذا ضعيف ، هذا أرضى وهذا هوانى ، هذا له أجنحة وهذا له أرجل ، هذا له معدات وهذا له قنطرة وحوصلة ، هذا أسود وهذا أبيض ، هذا طعامه نبات وهذا طعامه حيوان . نعم أنتم درستهم يا أهل الأرض صفات الحيوان ولكن لم تدرسوا فنّ الأدب ونظام الأمم منه ، فإذا كانت هذه الحيوانات المتباعدات تباعدا تاما قد اتحدوا وتعاونوا وفرح كل منهما بأخيه ، فما أجهلكم يا أهل الأرض ؟ رأت الأمم الكبيرة أن الأمم الصغيرة لضعفها لم تستخرج مافى أرضها من كنوز ولم تستثمر مواهبها ، فإذا فعلوا ؟ هجموا عليهم وأذلّوهم ومنعوا العلم وهذا هو الخطأ والجهل

يقول الله لكم جميعا انظروا الفيل وأبقردان ، الألفة بينهما جامعة لاعداءة فيها ولاجهاد ، قتل الانسان مأجلاه - قتل الانسان مأكفره - تقرأون ولا تفهمون تدرسون ولا تعقلون - صم بكم عمى فهم لا يعقلون - أبحرت الأمم العظيمة أن تكون مع الصغيرة كالفيل مع أبقردان تعاونا بالمحبة والمودة بالاذلال والاكرام ارتقت الأمم الأوروبية ولكنهم جاهلون طرق الاستعمار ، الأرض لم تزل مملوءة بالمتوحشين من نوع الانسان وهؤلاء لم يقدروا أن يعلموهم ، وغاية ما يعملونه أنهم يستعبدونهم وينهبون معهم نهج جاعات النمل القوية مع النمل الضعيف كما تقدم في (سورة النمل) فيكون هؤلاء سادة وهؤلاء عبيدا وتكون النتيجة أن السادة بعد أجيال وأجيال يألفون الراحة ويكرهون التعب ويفرحون بالبطالة وهناك تنقرض تلك الجاعات من الوجود . هذا هو استعمار أوروبا المعطوف على استعمار الرومان والأمم العربية في القرون المتأخرة ومثلها استعمار التتار والترك العثمانيين ، فهؤلاء في أواخر أيامهم كانوا على الأمم يستنزفون ثروتهم وهم مذمومون - فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين -

والحق الذى لا محيص عنه أن الأمم الأرضية اليوم لاساعدة لها إلا بالمعاونة العامة وهذه يعوزها مفكرون دارسون لها حتى يكون الضعاف فى أواسط أفريقيا وفي غربها مع الأقوياء فى أوروبا أشبه بأبقردان مع الفيل هذا هو الذى فهمته من هذه الصورة (أى شكل ١) فى تفسير قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار - فهو الذى وضع لنا فى الأرض نملا يأسر بعضه بعضا وطيرا يصاحب فيلا ، وقد اخترنا أسوأ المثاليين فى القرون الخالية فلنختر أشر فهمما فى الأيام المقبلة لنكون ناهجين فى العمل أحسن المنهجين . انتهى يوم الثلاثاء ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٩ م

﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى - وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة

وله الحكم واليه ترجعون - الخ ﴾

جاء فى هذه الآية أن الله واحد وأنه محمود أولا ومحمود آخر وأنه هو سبحانه له الحكم وأن المرجع إليه ثم أعقبه بذكر الليل والنهار والضياء والظلام . ومن عجب أن المحاور بين (طباوس) وهو حكيم من أصحاب (فيثاغورس) وبين (سقراط) الفيلسوف المشهور تناسب كل مافى هذه الآية وألخصها هنا جميعها لمناسبتها هذا المقام بعد أن أثبت منها فى (سورة الشعراء) ما هو أكثر مناسبة للطب فى آية - وإذا مرضت فهو يشفين -



ذلك أن طيماوس ابتدأها بقوله ﴿إِنَّهُ يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ فِي شَرْعِهِ فِي مَعْرِفَةِ مَبْدَأِ الْعَالَمِ عَسَى أَنْ يُلْهِمَهُ اللَّهُ الْقَوْلَ الْحَسَنَ وَيُلْهِمَ السَّمْعَ قَبُولَهُ﴾ ، ثم أخذ يفرق بين القديم والحادث فالقديم متصف بالوجود ويدركه العقل أما الحادث فليس له وجود حقيقي وإنما يدركه الحس والخيال ويحتاج إلى علة في وجوده المجازي ، ثم أخذ يثبت حدوث العالم بأنه مرئي ملموس مادّي ، وكل ما ثبت له هذه الصفات فهو محسوس ، فكل ما هو محسوس فهو مدرك بالوهم والحس فهو إذن حادث والحادث لا بد له من علة ، ثم أبان أنه عاجز عن شرح وفهم الإله لأن المتكلم والسامع من البشر ، ثم ذكر سبب خلق العالم وقال سببه أن الله جواد وقد عمد إلى الأشياء المضطربة فوزنها فركب لها عقلا والعقل جعله في النفس والنفس جعلها في الجسد فجعل صورة العالم كله كصورة حيوان واحد مشتمل على كل حيوان والعالم في نظره حيوان عاقل مرئي جسده مركب من العناصر الأربعة في نظره إذن العالم مركب من العقل والمادة وشئ مشترك بينهما فهو كله أشبه بجسم إنسان واحد وقبل ذلك التكوين لم يكن ليل ولا نهار لأنهما محصلا عند تكوين الأفلاك . إذن لا نحكم إلا على الحادث أما القديم فلا ، والكواكب التي هي من هذه الحيوان الكبير وهو العالم سواء أكانت سيارة أم ثابتة أجرام حية (في نظرهم هم) بها تكونت الأيام والشهور والسنين ، ويقول إن الله لما خلقها خلق لها أرواحا وهي الملائكة تدبرها وخطبهم يقول أنتم حادثون وهذا الحادث ليس نقصا لكم لأن قوتى تحفظكم فأتم لا يلحقكم موت ، وهنالك خلق أرواحا في كل كوكب وفي الأرض والقمر والكواكب الثابتة وأطلع تلك الأرواح على العوالم كلها ثم قال لها أنا خلقتكم من عنصر الروح الملكية وسأُنزلكم إلى عوالم المادة وتكون لكم شهوة فمن اتبع العقل رجع إلى كوكب سعيد ومن اتبع الشهوة نقلته في حيوان بعد حيوان على حسب ما غلب عليه من الشر والشهوة ، وقبل ذلك خاطب أرواح الكواكب فقال لها أتم دائمون وأنا آمركم أن تأخذوا هذه الأرواح التي هي أيضا إلهية وتسكنوها في أجسام وتغذرها بما يناسبها وتكون تلك الأشخاص مركبات مما يموت وهو الجسم ومما لا يموت وهو الروح مع إحداث حيوانات أخرى ليكمل النظام العام ﴿وهذا القول الذي قاله طيماوس لسقراط أكثره موافق للإسلام فقد ذكر بقاء نفوسنا ونفوس الملائكة وذكر العقاب للذنب والسعادة للصالح وذكر أن الملائكة موكلون بالعالم وذكر أن العالم حادث وهذا عجيب جدا أوقفنا على أن نقل الفلسفة من اليونانية إلى العربية كان مشوها إذ نقلوا القول بقديم العالم فظهر أن ذلك النقل كان عن صغار علمائهم وأن ذلك الخلاف في الكتب كان ضياعا ، وأقول الآن يجب الاستقلال في جميع المباحث فإن الاتسكال على الأمم مضیعة لأمتنا والذي ينافي ديننا مسألة كون العصاة يصبحون حيوانات ، فنفس (طيماوس) يقول هذا ظن لا يقين وعليه فإن شريعتنا ذكرت جهنم وهذا عذاب يقين ، ومن الحكم العجيبة أنه يقول «إن الله خلق الأرواح وخاطبها» وهذا بعينه آية - واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم - الخ وهذا من أعجب العجب أن يكون نبينا ﷺ قد نزل الوحي عليه وهو لم يزال عالما بما كان يختلج في قلوب علماء اليونان ، وأقول إن هذه معجزة كبرى بل كل هذا المقال معجزة وأى معجزة ، وكيف يثبت طيماوس المبدأ والمعاد وقدم الله واثبات اليوم الآخر والعذاب والثواب وإن أخطأ في تعيينهما ويثبت بالظن خطاب الله للأفئدة قبل نزولها إلى عالمنا الأرضي ، كل ذلك قبل الرسالة المحمدية بنحو تسع قرون

وهنا بهجة العلم التي هي أنسب لهذه الآية بذكر النور والعين ، قال مانصه بالحرف الواحد ﴿قال أفلاطون ثم بين (طيماوس) تصوير الأبدان من العناصر على يد الله وتصوير الآلات المختلفة من البصر والسمع وغيره ، قال إن البصر نازعه الله في داخل العين فمن تلاقيه بالنار الموجودة من خارج يتولد الابصار وبسط القول في مدح البصر وبيان منافعه قال إن فائدة البصر على ما أرى أنه لو لم تكن لنا القدرة على إدراك الشمس والكواكب ما كنا نتمكن من الكلام عن السماء والعالم إذ من مراقبة اليوم والليل

وتحوّل الأشهر والأعوام حصل لنا العلم بالأعداد والشعور بالزمان وحدث فينا الشوق لمعرفة الطبيعة والعالم فنه نشأت الفلسفة وهي أنفس ما أنعم الله به على البشر ﴿

ثم قال ﴿ إن الله لم يقصد من إيجاد البصر فينا إلا أن يمكننا من تأمل دوران العقل في السماء لنستفيد منها تقويم دوران عقولنا وتنظيمه على نسق ما نراه في السماء من ترتيب العقل في دوراته إذ هو وذلك طبيعة واحدة ﴾ انتهى

يقول (طنطاوي جوهرى) مؤلف هذا التفسير إنى لما اطلعت على هذه الجلفة الأخيرة اعترانى ما يشبه الدهش والبهر وفكرت في هذا النوع الانساني في الوقت الحاضر لاسيا أمة الاسلام ، اللهم إنك أنت خلقتنا في هذه الأرض غرباء عن المادة فنجبت هي أكثر عقولنا فكيف نرى هذا الجبال ، جبال النجوم ونظام الشمس والقمر والكواكب ونرى الشهور والسنين ونحن غافلون لم يخطر ببالنا من تلقاء أنفسنا أن تلك العوالم المنظمة قد جعلت نبراسا لعقولنا التابعة لها ونحن نقرأ كل يوم - وزيناها الناظرين - ونقرأ - أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج - ونقرأ - قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا - الخ فيها هوذا ذكر الليل والنهار وانهما لما فعنا ، ويقول في آية أخرى - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقتره منازل لتعلموا - الخ أوليس من أعجب العجب أن يأتي رجل يوناني فيقول إن البصر لم يخلق فينا إلا لنلاحظ هذه الكواكب وسيرها ونفكر أن نظامنا يكون على نظام السموات التي نظمها عقول عالية عقولنا مخلوقة على مثاها . أوليس هذا هو قوله - ووضع الميزان \* ألا تظفوا في الميزان -

أيتها الأمم الاسلامية ، إنى أكتب هذا وان نفسى في خجل أن أرى أن هذه الحكمة وهذا الاشراق وهذه النظرات السامية تكاد تكون مفقودة في أمتنا الاسلامية في القرون المتأخرة ، أنا أقول لن يكفي المسلم أن يقرأ هذا في كتاب . كلا . بل لا يتسنى للمسلمين أن يتأثروا بهذه المباحث إلا اذا نظروا بأنفسهم وفكروا بعقولهم ففكر الاستقلالية ، فن وفقه الله لهذا هداه الى النظرات في الكواكب ليلا فيفكر في جلالها الظاهري ويتأمل في عجائبا بنفسه يوما فيوما ثم يدرس مبادئ الفلك وهذا هو قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - هنالك يتأثر الوجدان ومن هذا التأثير تحصل المعرفة ، فالكتب وحدها لا تفيد بل لابد من النظر الاستقلالي

اللهم إنك أنت المنعم وأنت الهادي . اللهم إنى أجا اليك أن تجعل هذا الكتاب ذكرى لشبان من النوع الانساني مسلمين وغير مسلمين لأنك أنت رب الجميع والمنعم على كل نسمة بما يناسبها وخير النعم ما كان علما وحكمة فاجعله يا الله نورا لبصائر المستعدين من العالمين والحمد لله رب العالمين انتهى صباح الاثنين يوم آخر شهر رمضان المعظم سنة ١٣٤٧

﴿ الجوهرة الثالثة في بهجة العلم في قوله تعالى - قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة - الخ ﴾ حدثني الحارث بن همام قال رأيت في المنام كأنى مت وغسلت وكفنت وصلى على ودفت وفي نفس الوقت كان روحي ترفرف بهيئة تشبه هيئة جسمي ولكنها هيئة روحية نورية فأخذني ملائكة أوقفوني في عوالم من النور البهيج الذي لا مثيل له في الأرض بحيث لا أتمكن من وصفه لبهجته وجماله ثم أحسست في نفسى بخواطر على هيئة السؤال والجواب وأنا في حال الدهش من الجمال وكأن الحق يخاطبني بالاحرف ولا صوت وأنا أجيب في سرى وكأنه يقول لى يا عبدى أنا أحبك فقلت في سرى ربما كان هذا الخاطر شيطانيا والاف كيف أستحق هذه المحبة وأنا مقصر في أعمالي كلها ، فقلت في سرى وما علامة حب الله لى فكان الجواب ما أتى ﴿ علامة حبى لك اننى شغلت عقلك بى طول حياتك ، فأنت فى حضرك وسفرك وفى كل حال من أحوالك تبحث عنى وتفكر فى أعمالى ، فهذه لم تكن إلا من الحب الذى ألقىته فى قلبك لى ولن يحبنى أحد إلا كنت أنا محبا له

قبل أن يحبني ، ألم تقرأ - يحبهم ويحبونه - ﴿ ثم قال ﴿ وقد خلقت العالم كله لأجلك ﴾ قال فلما خطر لي هذا الخاطر وكأنه خطاب من الله اعتراني الذهول ورفعت طرفي الى السماء وقلت يا الله أنا لست بقادر على أن أفهم هذا فأجبت بما يأتي ﴿ طب نفسا وقرعينا وسأعلمك معنى ذلك ، من أين أنت روحك ؟ فقلت هي قبسة من نورك فقال وهذا النور حكمت عليه أن يترى تربية تدريجية في العوالم المادية ولا يكون ذلك إلا بأبوين يلدانك وأمة يعش فيها هذان الأبوان وأمم تخطط بهم تساعد هذه الأمة بتجارة ومعاملة وهذه الأمم كلها لابد لها من الحيوان والنبات والماء والمعادن والأرض والهواء والكواكب الثابتة والسيارة . فقلت نعم حقا أنا لا أخلق إلا وأنا مصحوب بهذا كله فقال لي الله في سرى فأنا لأجلك خلقت الشمس والقمر والمجموعة الشمسية والمجرة والسدم والأرض ومن عليها ، قال فقلت في نفسي انه لم يخلقه لي وحدي فأجاني قائلا أضرب لك مثلا رجلا له عشرة أبناء أسكنهم بيتا مزخرفا الخيطان مفروش الأرض مضاء السقف بالمصابيح وهؤلاء الأبناء يتعاونون على جلب الرزق ودفع الأعداء ، فهل هؤلاء الأبناء كل واحد منهم شر على البقية من اخوانه أم هو خير فقلت بل هو خير لأنه وان شارك اخوته في الرزق فقد شاركهم في العمل والمنفعة لهم ، فقال إذن كل واحد من العشرة الأبناء في حياة وسعادة بالمنزل نفسه وبجميع اخوته المساعدين له ، فقلت نعم قال فهكذا أهل الأرض كلهم فكل امرئ منهم يصح أن يقول خلق العالم كله لأجلي ولا ينافي هذه القضية بل يؤيدها وجود أمثاله من بني آدم في الأرض لأن كل انسان منتفع بالناس تعلما وتجارة ومدنية ونظاما كما انتفع من الشمس والقمر والسحاب والهواء . إذن لكل عاقل أن يقول خلقت لي السموات والأرض وما بينهما كما تقول المرأة في حق زوجها واخوتها وذريتها هؤلاء كلهم لمنفعتي وخدمتي وكل من هؤلاء يقول مثل ماتقول هي ، وعليه لكل انسان في الأرض أن يقول خلق العالم كله لأجلي ، قال ثم هجس في نفسي أن هذه المعاني كامنة في قوله تعالى - ألم يجدك يتيما فآوى - فاليتم اللغوى معروف وهو الذي يحب القلوب في ذلك اليتيم فتكفله ، أما اليتيم العلمي فهو احتياج النفوس الى تربيتها في الأجسام واصلاحها بهذه العوالم كلها وأول اليتيمين رمز لثانيهما ، فكل نفس في حد ذاتها مفتقرة الى هذه العوالم افتقار من فقد أباه الى من يعوله ، وقوله - والضحى \* والليل اذا سجى - قد شمل العوالم كلها فالعالم العلوي والسفلي ليلا ونهارا مسخر لكل امرئ في الأرض

قال الحرث بن همام فلما تم هذا الخاطر في نفسي قلت يا عجباً وهل هذا دليل على حب الله لي ؟ فغاطبت الله في السر قائلاً إذن أنت تحب كل مخلوق وكل انسان كافراً ومسلماً لأن كل واحد من هؤلاء يقول مثل ما أقول فأجاني الخاطر في سرى يقول ﴿ إن الله لم يخلق الخلق إلا وهو يحب أن يخلقهم ومن كشف منهم له الغطاء عن حقيقة الأمر وأحس بوجدانه بما ذكرته لك الآن فهو المقصود الحقيقي لأن روحه أصبحت راقية ، أما بقية الخلق المنعمون في الجهالة فأمامهم دهور ودهور يتيهون في بحر الجهالة والعماية والضلال ، ثم قال إن الله خلق الخلق وأعد لهم للرقى ومن أحس بهذا الوجدان وثبت في نفسه فذلك دليل على أنه استعد للعبادة الحقيقية والنور والبهجة والجمال ﴾

ثم قال الحرث بن همام فقلت في سرى ان المحبة في أهل الأرض اذا ملك قلب امرئ أضنته وأحرقت فؤاده وأمراضته وماهى إلا أن يحب الرجل امرأة ردها من الزمن فما بالك اذا أحب العالم مبدع هذه الصور وأنواع الجمال ؟ فكيف يطبق ذلك ؟ وكيف يكون ذلك الحب . قال فأجاني الخاطر في سرى قائلاً أما قولك كيف يكون ذلك الحب فأقول ، أذكرك بما تقرأ في الحكمة والعلم فتفكر في رجلين رأيا طائراً على شجرة مثل الزقراق البلدى (المرسوم في سورة يوسف وفي سورة النمل) فهذا له نوع من الجمال فوق الشجرة وقد تمايلت الأغصان وهبت الرياح وتغنت الأطيوار فأحدهما لم يفكر فيه والثاني ففكر في جماله ومنفعته وكيف

أعدلاً كل الدود الذى يأكل الزرع ، فهناك يحاربه ويدهش ويقول انى كما أنتفع بالشمس والقمر والكواكب وأهل بلدى وأمتى والأمم وبالجبال والأنهار هكذا أنتفع بهذا الطائر هو وأمثاله التى تبلغ نيفا وثلاثين كما تقدم فى (سورة طه) و (سورة يوسف) فهذه كلها جيوش وجنود مجندة أرسلت الى من العالم الأعلى لتلتقط الدود وتحافظ على حياتى ، هناك يخرج من هذا الخطر الى ما هو أرقى عنده ويقول فى نفسه من أنا ؟ وماهى حياتى ؟ وما هذه الطيور والأمم والدول والكواكب . إن الأمر لأعظم وأكمل . أى حكمة دبرت . وأى تدبير أحكم إن الأمر لعظيم . هنا تدبير محكم ربط الشجر والطيور بالدود والزرع والانسان . هذه حكم ونظم محكمة مضبوطة هنالك تطير روح هذا المفكر الى عالم الجبال وتفكر فيه وتشرح وترجع الى مبدع هذه النظم وهنالك يرى الجبال بالبصيرة ويدهش عقله ويطيبله . وهذا الحب والدهش والتعجب ليس اختياريا بل هو أشبه بحب المرأة لولدها والعاشق لمعشوقه . والناس فى حق أصحاب الجبال على ﴿ قسمين ﴾ قسم عرف الجبال وهام به وقسم عرفه ولم يهم به لعدم استعداده . وكما اننا اذا أنينا بطفل أمام مائة امرأة وهو يبكى طالبا ارضاعه لانرى واحدة منهم تتقدم اليه اكثر من غيرها إلا امرأة واحدة هى أمه التى تلقمها ثديها لأنها هى التى بينها وبينه مناسبة أشد من غيرها وان كان النساء كلهن يتأثرن بسكاته ويردن ارضاعه هكذا مناظر هذا الوجود كسألة الطائر المتقدمة والتقاطه الدود وحسن النظام العام فهذا ينظره العالم والجاحل وعلماء الزراعة وغيرهم ولكن لا يتأثر بالحب لمبدع العالم إلا نفوس خاصة كما لم يؤثر بكاء الطفل الأثر القوي إلا فى أمه . هنالك دعيت فى سرى وقيل لى إذن أنت محبوب فعلا لأنك اذا نظرت أمثال هذا الطائر طار بك وأخذ منك العجب كل مأخذ ووجدت فى نفسك حبا لا يحس به من حولك مع أنهم يشاهدون مثل ما تشاهد ويعلمون مثل ما تعلم بل نفس علماء الحيوان وعلماء النبات يعلمون هذا أكثر منك ولكنهم لا يتأثرون فىرى عالم الزراعة أن ورق السنط قد حفظ بشوكة طلعت بجانب كل ورقة وأن عنق ورقة (البازلاء) وعنق ورقة الورد قد حفظ كل منهما بما خلق ملازما له كما تقدم فى (سورة النمل) رسم ذلك . يرى ذلك عالم الزراعة فلا يتأثر به لأنه ربما لم تكن روحه من الأرواح المستعدة لفهم الجبال كما لم يستعد الطفل لادراك جبال الغايات

ثم قال الحارث بن همام ، وختم لها تاف فى سرى خطابه لى قائلا ﴿ إن كل العوالم ساعية مجدة للرقى ولم يحظ بتلك المحبة إلا نفوس خاصة هى التى أدركت ذلك الجبال ، أما البقية فانهم الى الآن لم يصلوا الى ذروة السكال فلم ينالوا هذه المحبة . هذا جواب السؤال الأول وهو كيف يكون هذا الحب

أما قولك كيف يطبق ذلك الحب فأقول هذا هو بيت القصيد . اعلم أن أرواحكم فى هذه الأرض لها صلة بالأرواح العالية فهى نفوس جزئية لها نسبة الى النفوس الكلية التى بها نظمت العوالم كلها بأمر الله وهى - المدبرات أمرا - فهذه وضعت فى الأرض والأرض كلها جبال وحكم وعجائب وبدائع فلو أن هذه النفوس كشفت لها الجبال فيما حولها لمانت وتصدمت ولكن الله لرحته أحاطها بالمصائب والجهل والحسد والحرب والمرض وغيرها لئلا تعرف ذلك الجبال فيدهشها فلا تتحمله فتهلك ، فانظر الى آثار رجة الله ، جهل وذلل وعمل وأشغال متعبة وهموم ، كل ذلك جعل غطاء يغطى جبال هذه العوالم المحيطة بالانسان من كل جانب بل على مقدار كثرة الجبال فى العوالم كان الغطاء الذى غطاه فكثرة الأعمال والجهل والثورات والفتن فى الأرض وضعت بمقدار وفرة الجبال لتعطيه وتحجبه . فأكثر الخلق محجوبون عن الجبال فى أنفسهم وأجسامهم وحيواناتهم ونباتهم وأرضهم . فأما الذين كشف لهم بعض الجبال فهو لاء أيضا تنزل بهم الكوارث والنوائب فتحجب عقولهم عن ذلك الجبال كالباقين وانما يتجلى لهم الجبال وقتا بعد وقت فى فترات على مقدار طاقتهم - لا يكاف الله نفسا إلا وسعها -

## ( نور الجوهرة الثالثة الصحة والشمس )

جاء في جرائدنا المصرية في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣٦ مانصه  
يقول الدكتور (بنتلي) عميد كلية الطب بكليتنا ان الشمس تسبب زيادة سكان الممالك أو نقصها كما  
تسبب نمو المحصولات أو ضعفها . وعلى ذلك يقول الدكتور انه في أمريكا وألمانيا استدلوا على أن الشمس تؤثر  
في إنباء الأجسام والمحصولات الزراعية وأن عدم وجود الحرارة يضعف الأجسام والمحصولات أيضا . ويزيد  
أن الصحة لا تسلم إلا في نور الشمس وتحت حرارتها اه

﴿ الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار - الخ بعد قوله

- قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا - الخ ﴾

اعلم أيها الذكي أن هذا المقام عظيم القدر ساعى المنزلة ففهم الرحمة هنا يعوزه أن تجتهد النفس في أن  
تخلص من عاداتها وتخلص ولومؤقتا من شؤونها حتى تنفرغ الى فهم رحمة الله بشمسه وكواكبها نهارا وليلا  
وبالظلمات والأنوار . واعلم أن السبيل لذلك ما قاله الله في سورة أخرى - فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد  
ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلي ترضى \* ولا تمدن عينيك الى  
ماتعتنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى \* وأمر أهلك بالصلاة واصطبر  
عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى -

خلقنا الله في الأرض وأفاض علينا نعم الشمس والكواكب والأنوار ولكنه في الوقت نفسه سلط علينا  
الأعداء من كل جانب كلما أحسن اليهم المرسلون والعلماء بافاضة العلم والخير أسأؤهم وسلقوهم بألستة حداد  
ومن جهة أخرى سلط على كثير من الأخيار في الأرض حب الموازنة بينهم وبين معاصريهم في المال والرزق  
والولد والجاه . إن أهل الأرض من الصالحين والطالحين جميعا قد أحاطت بهم هذه المزعجات ممن حولهم ومن  
أنفسهم ، يجدون من بنى آدم العداوة والبغضاء ، لاسيما الأقارب والقرناء ، ويجدون من أنفسهم طمعا لاحد  
له وميلا لخرق الحياة الدنيا ، فالأنفس في عذاب واصب مزدوج من داخلها ومن خارجها فأنى وكيف تقدر  
هذه النفوس ان تخلص للنظرة العامة في هذه الشمس الجيلة والكواكب البهجة وبهاؤها وظلمة الليل وضياء  
الشمس . كلا . فالقوى النفسية في الانسان محدودة وقد وزعت بين قوتين قوّة داخلية وأخرى خارجة

اللهم إنا نحن على الأرض مساكين خلقنا في أرضك الجيلة تحت شمسك البهية المتألثة وكواكبك  
البديعة ثم أحكمت اقفال أبواب السماء على أكثر نفوسنا فغابت في دجى ظلماتها وانهمكت في مطالب دفاع  
الأعداء وجلب الكساء والغذاء ، فنفسنا أبدا ما بين قوى الدفع والجذب فأنى لها أن تخلص من ذلك وتنظر  
رجاتك الواسعة المحيطة بها

علم الله أن ذلك الخلق فينا فقال لنا أيها الناس ، أماذم الأعداء وحسدكم وإبذأؤهم فدأؤه الصبر وما الصبر  
إلا الجنة (بضم الجيم وتشديد النون) التي تتخذونها لكم دروعا تتقون بها إيذاء الأعداء وأنا مع الصابرين  
، وأما مطالب أنفسكم وحبها الزهرة الحياة الدنيا فإياكم أن تمدوا أعينكم الى ذلك لأنها زهراء وهل لازهراء بقاء ؟  
إذن لابد من صبر على الضراء وصبر عن الشهوات . إذن الناس موثقون بوثاقين والثاقان لهما حل واحد  
وهو الصبر ، صبر على قول الأعداء وصبر عن الشهوات ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ احتقار ما يصيب الانسان داخلا  
وخارجا . هذا هو قوله تعالى - فاصبر على ما يقولون - راجع للصبر على كيد الأعداء . وقوله - ولا تمدن  
عينيك الى ماتعتنا به أزواجا منهم - الخ راجع للصبر عن الشهوات . وهاتان الخصلتان يرجع اليهما كل مكروه  
من مرض وفقر وفراق وهكذا . فهذه هي القواطع التي تقطع الناس وتصرفهم عن معرفة رحمة الله عز وجل

في شمسهِ وقرهِ وكواكبهِ . وبالصبر والرضا بالقضاء والقدر رضا مبنيًا على العلم والحكمة . يتفرغ الإنسان لهذا الوجود ويفهم إذ ذاك قوله تعالى - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى - لأن النفس لا ترضى إلا بالعلم والعلم لا يكون إلا بعد أن تذهب تلك القواطع يأمرنا الله بالتسبيح بحمده قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ويأمرنا بذلك في بعض ساعات الليل ويقول لنا في هذه الآية التي نحن بصددِها - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله - . قد قلنا إن الإنسان موثق بوثاقين من الداخل والخارج والوثاقان يحلان بالصبر ولكن الزهد في الدنيا والصبر على الأذى وحدهما ليس معناهما أن الإنسان يفهم هذا الوجود لأن هذا ماهو إلا تخلية ولا بد من التخلية كدخال الحمام بتجرّد من الأقدار ثم يلبس الثياب هكذا هنا إذا خلصت النفس من هذه القواطع فلتشرع في درس هذا الوجود ولتقف أيها الذي صباحا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في موضع خال والجوّ جيل فسيح وقد أقبلت جيوش الصباح البيض الصباح أو المشرقات الحسان البهجات في دياجي الظلمات . فهناك تنظر فتري دولة وموكبا مقبلا فتطلع الشمس وترسل الحرارة إلى الهواء فتجري الرياح إلى الماء فيثور البخار الذي يصير سحابة فتقابلها الرياح فتحمله إلى الاقطار فيمطر فيكون أنهارا تسقي النبات والحيوان والإنسان . أو ترى تلك الثريات اللامعات التي لاحد لجأها في الدجى وهن باهرات لا يعرف لهن أمد ولا يوقف لهن على عدد ثم تنظر فتري أن حياة كل مخلوق موقوفة على الشمس وضوؤها وحرارتها وأن كل ماهو جيل في الأرض مشتق من بهاء تلك المشرقات ، وما هذه الزينة التي تتباهى بها الغايات الحسان في الأرض إلا من آثار ذلك الضياء ، ألم تر أن الأصباغ التي نوعها الإنسان في الثياب ماهي إلا من الفحج الحجري الذي حفظ ضوء الشمس قبل آلاف الآلاف من السنين ثم استخرج الناس منه تلك الأصباغ الآن والأضواء ، وبتلك الحرارة المخزونة أجروا المركبات في الطرقات ونوعوها ووزعوها في الأقطار

نفس الإنسان شريفة كبيرة عظيمة تعطي الملك والنعم والمل والولد وتملك الأقطار والبلاد ولكنها تقول كلا . كلا . هل من مزيد ، هي حقامن نور الله ، نحن لا نرضى في الأرض بما نملك . لوملك كل منا هذه الأرض جميعها لقال هل من مزيد فكيف إذا كانت الأرض موزعة بيننا فلا سبيل لنا إلا العداوة والبغضاء في اقتسامها وانما لم نرض بذلك لأن هذه النفوس عالية شريفة لا ترضى إلا بمعرفة حقيقة هذا الوجود ومتى عرفت اطمأنت وسكنت . فهذا معنى قوله تعالى - لعلك ترضى - أما إهلاك الأعداء وأما مد عينيك إلى ما متعناهم به من مال وولد فهذا لا يرضى هذه النفوس إلا وقتا ما ثم ترجع للطالبة وتقول أين المنتهى . ومتى أدرك الإنسان جمال هذا الوجود (وكيفيك مؤقتا قراءة هذا التفسير أو أكثره) رضيت نفسه وفهم معنى - فسيح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - الخ وأدرك السبب في ترتب الرضى على التسبيح والتزويه لا غير إذ يرى أن ما يصيبنا لم يكن إلا لارتقائنا والله منزّه عن قصد الايلاء بلا فائدة . ومتى اعتقد ذلك اعتقادا مبنيًا على النظر والعلم رضى وفهم سر معنى كون رضوان خازن الجنان فهو من هذا الوادي وكفى في هذا المقام من أسرار وبهذا المقام يفهم المسلم في صلاته معنى مخاطبة ربه قائلا ﴿ أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ﴾ فأنت أهل الثناء والمجد دائما . ومعلوم أن الثناء لا يكون إلا على نعمة وهذا المنع بعد فهم الحقائق صار نعمة . والمصلي يقوله إما تعبدا وتسكفا إن كان جاهلا واما بعلم وعقل ان كان عارفا بأمثال ما يذكر في هذا التفسير وهنالك درجات فوق ذلك

فهناك يمتزج التسبيح بالتحميد إذ يرى في طلوع الشمس والكواكب وغروبها حياة وموتا وزرعا وحصادا ويدرك النعم ويعقل السبب في الموت والمرض وأن كل شر لم يكن إلا خيرا وأن الأمر عظيم ويفهم - وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا - ويرى أن الملك الكبير كما يكون يوم القيامة يكون في الدنيا بالفهم والعلم

غاية الأمر أنه يكون هناك أظهر ولكنه ظاهر لدوى البصائر الآن . إن هذه الطائفة التي اتصفت بما أقوله الآن وعرفت مقصود الوجود على مقدار طاقتها تعرف نعم الله فتحمده عليها وتشكره ويخامر قلوبها حبه لما ترى من جلاله وإحسانه الذي لا حد له وتفهم أن رحمته لا حد لها وتعقل أن الموت الذي هو أعظم المصائب الخفيات في الدنيا ما هو إلا مقدمة لا بد منها من مقدمات الرحمت لأنّه يستحيل أن تكون هذه الرحمة التي لا حد لها تأتي بنقمة إلا مقدمة لنعمة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان النقمة ضرورية لجلب نعمة أرقى من النعم السابقة

هذا هو الذي تضمنه قوله تعالى هنا - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار - الخ فهذا الاجال تصوّر مبادئ الرحمة التي في هذه الآية فنزّه الله عن الايلام لغير نتيجة وهذا هو التسبيح ونعرف نعمه التي لا حد لها وهذا هو التمجيد وهذا هو غاية الرضا واذن نفهم - لعلك ترضى - هذه هي الرحمة العالمة

أما الرحمة العملية فانظر أيها الذكي الى بنى آدم تجدهم قد تخبطوا في قبول هذه النعمة . رأوا الشمس وضوءها فإذا فعلوا ؟ رأوا الطيور والأنعام والحشرات متمتعات فرحات بضوء الشمس فقلت أمراضها وكثرت خيراتها ونعمها . أما هذا النوع الانساني فانه لما أعطى قوّة الفكر والتمييز أخذ يتوارى عن السعادة وينحط في دركات الشقاء بسوء تديره وكبل في قيوده وحيل بينه وبين سمادته بالتباهي وألهاه التكاثر في المال والولد والزينة والزخرف وجمع المال والأكثر من الملابس والتفنن في الأطعمة والازواء في القصور والمنازل فخرم الهوا والنقى وضوء الشمس والأطعمة الطبيعية فأحاطت به المكروبات (الحيوانات الذرية) وأوردته مواردهلكة بالطاعون والحصبة والجدرى والحجى وأمثالها وقتلته الأسقام بسبب البطنة وسوء اختيار الأغذية واتباعه ظواهر اللذات الحسية ونبذه مقاصد المطاعم والمشارب ولذلك الإشارة بقصة آيينا آدم التي ذكرت في مواضع من القرآن يقول تعالى - فأكل منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى - فانظر هذا المقام في أول سورة الحجر وفي أواخر سورة طه ، فهناك ترى خطا هذا الانسان وجهله في الشرق والغرب ومرض بدنه بجهله سواء في ذلك أطباؤه وعلمائه وعلماءه وجهلاؤه

لعمري الله ما نزلت تلك القصة ولا كررت تأديبا لآدم . كلا . وإنما ذكرت عظة لنا وتأديبا وهذه القصة قد نزلت على الأنبياء ثم على نبينا ﷺ والناس لا يكادون يفتننون لها حتى اذا كان هذا الزمان أخذ الناس يفتننون لهذا الوجود ويبحثوا فأداهم بحجهم الى أن التوارى عن الشمس والازواء في البيوت والانهماك في اللذات كلها عذاب واصب . أما المطاعم واللذات فقد تقدم الكلام عليها مفصلا في (سورة الشعراء) عند قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - وفي (سورة طه) عند قصة آدم وفي (سورة الحجر) كما تقدم وفي (سورة الأعراف) عند قوله تعالى - وكاوا واشربوا ولا تسرفوا - وفي (سورة البقرة) عند قوله تعالى - أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - فافقروا ما هناك فان فيه غنى لك ولدويك وحكمة ونورا مبينا

وأما أمر الشمس فان الناس اليوم عرفوا قيمة الخلاوات والهواء والتعرض لضوء الشمس فعلى المسلمين أن يذروا ما عندهم من العادات وليكن لهم وجهة صحية بعلم وفهم وليعلموا أن الله عز وجل عمم نور الشمس وجعله سعادة وصحة للطيور وللأنعام وللحشرات المقيمات في الحقول والبساتين فليس من المعقول أن يكون نعمة لهذه المخلوقات ثم هو نفسه يكون نقمة على الانسان

قد أجمع الأطباء أن ضوء الشمس يجب أن يتخلل جميع حجرات المنزل حتى تقتل الحيوانات الذرية بل ان الأمر فوق ذلك . هاهم أولاء أهل ألمانيا أخرجوا التلاميذ من المدن والمنازل وأخذوا يعلمونهم في الخلاء ليتلقوا العلم وهم معرضون للشمس التي هي رحمة مرغوبة لانقمة مرهوبة ، فهناك ما اطلعت عليه في « مجلة كل شئ » فافقروا قراءة من يريد أن يعمل بالعلم ، فاذا قرأته فتفكر فيه وغير نظام مدارس المسلمين وأخرجهم من ظلمات الحجرات الحقيرة القذرة وقل لهم أيها الناس إن الله جعل ضوء الشمس رحمة بنص الآية ثم ألهم

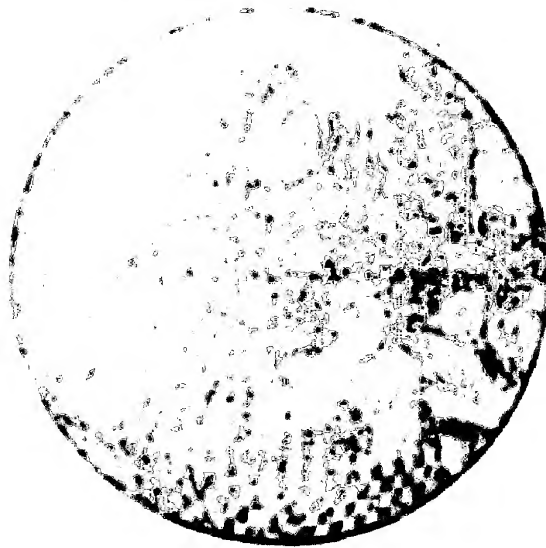
الأم وعلمها فعرفت فوائد الضوء فاعترفوا من رحمة ضوء الشمس ولا تحبسوا أبناءكم في تلك الأماكن القذرة التي لا يدخلها ضوء الشمس وابتغوا من فضل الله فهذا كلام الله وهذا عمل العلماء من عباده فهذا ما جاء في تلك المجلة بنصه

### ( التعليم في الهواء الطلق )

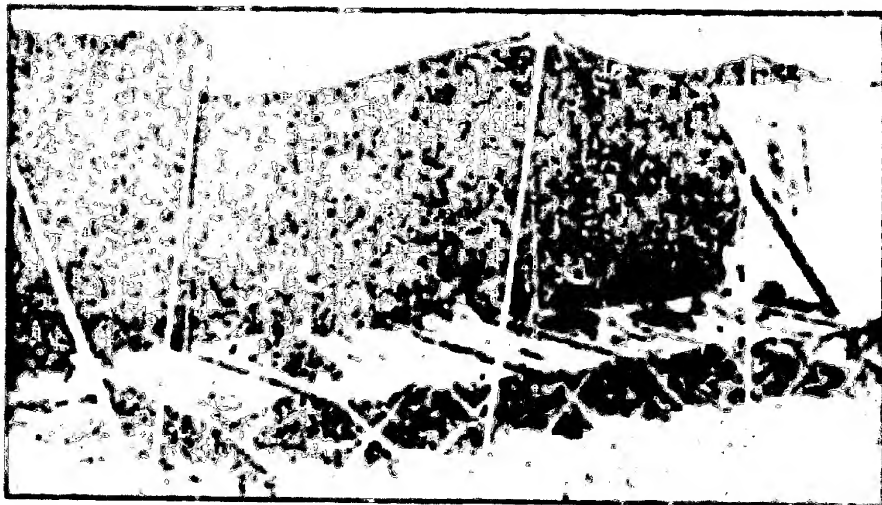
يؤمن الأطباء الآن إيماناً عظيماً بفائدة الضوء والهواء الطلق ، ولذلك هم ينصحون للرضى بالتعرض لضوء الشمس والتخفيف من الملابس بل ينصحون باستعمال الضوء الصناعي إذا كانت الفصول كثيرة كما هي في لندن . وقد بنى الألمان وغيرهم مدارس مكشوفة يجري التعليم فيها في الخلاء فإذا أمطرت السماء أو التلاميذ والمعلمان إلى الغرف ، ويرى القارئ هنا ثلاث صور للمدرسة أطفال جديدة أنشئت قريباً من (بورجيه) في فرنسا وهي تجمع الصفار من منازلهم كل يوم بالأتوموبيل وتخرج بهم للخلاء فيجري التعليم بين الحقول تحت الشمس عند اعتدال الهواء ، فإذا لم يكن الجو موافقاً فبعد التلاميذ في المدرسة الأصلية وهي بناء عادي به الغرف الخاصة بالتدريس وبهذه المدرسة الآن ٨ تلميذاً (انظر شكل ٢) و (شكل ٣) و (شكل ٤)

( شكل ٢ - التلاميذ في المدرسة الجديدة التي أنشئت أخيراً في فرنسا يلعبون في الحقل أثناء الاستراحة بين درسين )





( شكل ٣ - التلاميذ على الموائد )



( شكل ٤ - التلاميذ في خيامهم في الخلاء يستريحون على أسرتهم عقب الغداء )

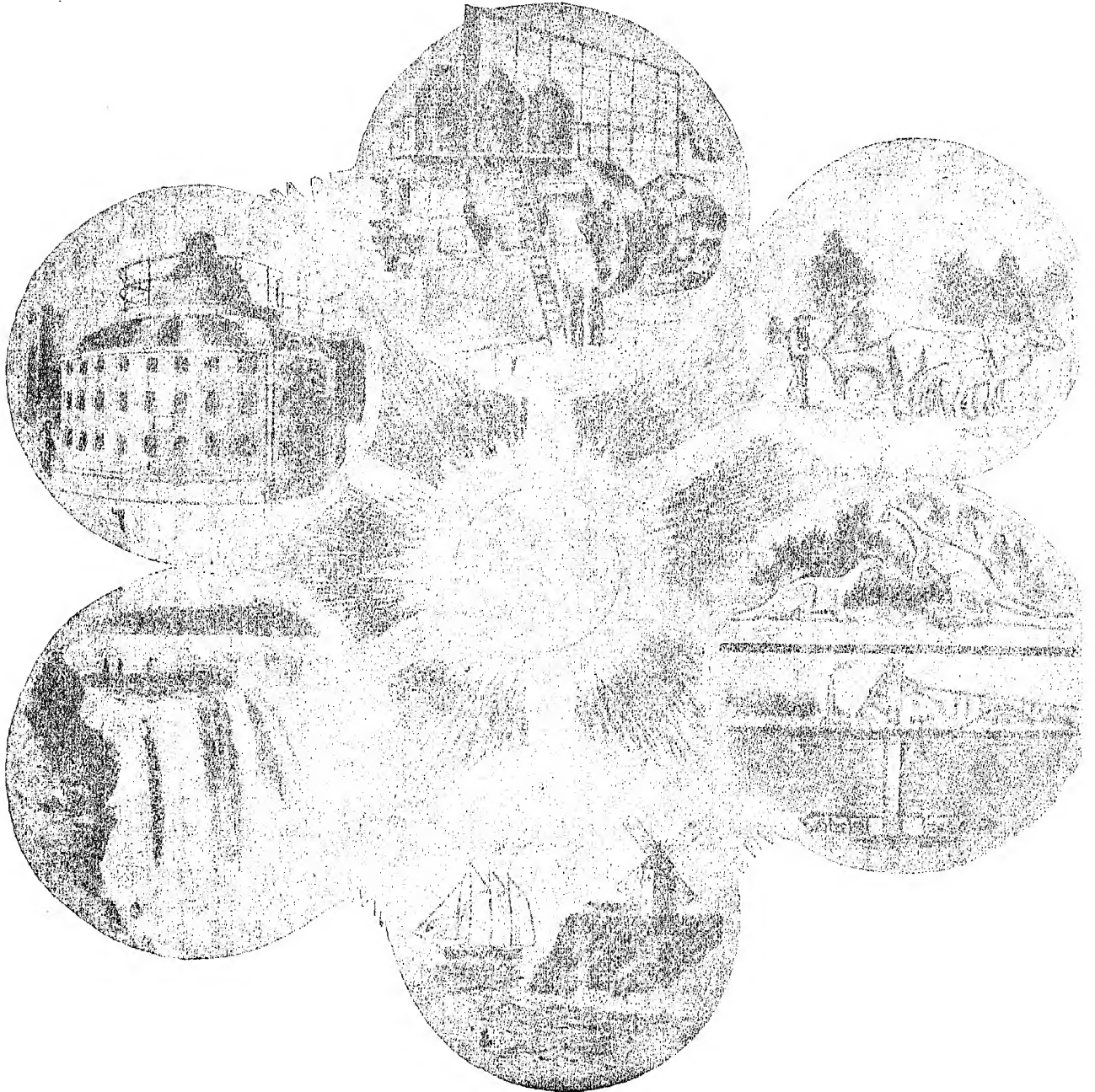
فلما اطلع صاحبي العالم على هذه الصورة وفيها التلاميذ في الخلاء معرضين للشمس ، قال أتدري مايقول الناس حين يرون هذه الصورة ، يقولون إنك تأتي بالجزئيات فتجعلها كليات ، هذه فرنسا ربما قام فيها أفراد وصنعوا هذه للتجربة وجعلوا مدارسهم في الخلاء تحت الهواء والشمس فهل يصبح هذا قاعدة وعلمنا وأيضا إن أمر الشمس يحتاج الى إيضاح ثم لماذا أدخل من على الرحلة ومارأيتك في تعليم المسلمين اليوم وغدا فقلت سأشرح هذا المقام في هذه الفصول ﴿ الفصل الأول ﴾ في منافع الشمس ومايتخيله الناس في مستقبل أمرهم بالنسبة لها ﴿ الفصل الثاني ﴾ علاقة الشمس والهواء بارتقاء الأمم وفي ذلك ﴿ مقصدان ﴾ المقصد الأول ﴿ آراء ابن خلدون في أن التصديق على المتعلم يورثه الخيبة وتقعده به عن المعالي ﴾ المقصد الثاني ﴿ فيما قاله العالم السويسري الذي جاء الى مصر الآن ﴾ الفصل الثالث ﴿ في أن تباعد الناس عن الفطرة يضرب بصحتهم ويقصر أعمارهم ﴾ الفصل الرابع ﴿ في شرح الكلام على الرحلة في هذا المقام ﴾ الفصل الخامس ﴿ آرائي في التعليم عند المسلمين اليوم وفي المستقبل

﴿ الفصل الأول في منافع الشمس وما يتخيله الناس في أمرها غذا ﴾

- (١) إن الشمس بها يكون البخار فيصير سحابا فطرا فيكون النبات والحيوان
- (٢) إن الفحم الحجري المظمور تحت الأرض من مئات ألوف السنين قد خزنت فيه حرارة الشمس وهاهو الآن تجرى به المركبات وتسرع الحركات
- (٣) بالشمس كانت الرياح اللاتي تجرى بها السفن والمطاحن . إن الشلالات بها تستخرج الكهرباء والشلالات وما أشبهها نتائج الشمس لأن نفس الأنهار سببها الشمس
- (٤) وكل محرك كهربائي لا يسير إلا بوقود وقوة والقوة أصلها من الشمس
- (٥) وقد تخيل العلماء أن الشمس في المستقبل سيجعل لها زجاج بلوري يجمع الأشعة ثم يوزعها ومعنى هذا أننا بدل أن نرجع الى ما خزن من حرارتها قديما في الفحم المظمور في باطن الأرض نتجده مباشرة لنفس الضوء بالآلات خاصة ونخزنه ونستعمله أي اننا نأخذ ضوء الشمس مباشرة بدون تلك الوسائط القديمة التي صنعها الله لنا لضعفنا وجهلنا ، أما الآن فالعلم يفتح لنا كل مغلق وهذا هو الرسم الذي تخيله الناس نقلته من مجلة « كل شيء » (انظر شكل ٥ في الصفحة التالية)

### ( الشمس مصدر كل قوة في الأرض )

هذا الرسم يبين أهمية الشمس للبشر وكيف انهم المرجع الأصلي لكل القوى التي نستخدمها على وجه الأرض ، وقد رسمت الشمس في الوسط ورسمت حولها بعض الأشكال التي نستخدم بها قوتها أى الأجهزة التي تستمد قوتها من الشمس



( ٥ شكل )

- (١) آلة لاستخدام أشعة الشمس في المستقبل وهي صورة تخيلية
- (٢) الأحياء كلها تستمد قوتها من الشمس إما مباشرة أو غير مباشرة
- (٣) الفصح ليس إلا نباتا مأمورا والنبات انما تشييه الشمس
- (٤) الشمس تسبب حركة الرياح فتستخدم في المطاحن وفي السفن
- (٥) الشلالات والأنهار انما نشأت عن تبخر المياه وسقوطها مطرا
- (٦) المحركات الكهربية لا تسير إلا بوقود أى بقوة مستمدة من الشمس

### ﴿ إيضاح الصورة المتقدمة ﴾

تكثر الصحف هذه الأيام من ذكر القلق الذي ينتاب العلماء بشأن نفاذ الوقود ، فالبتول والفصح سينفدان عن قريب ، وقوة المياه الساقطة محدودة ، أما قوة الرياح والمد والجزر فلم يسسها أحد إلا قليلا ولذلك يكيد العلماء قرايحهم لابتكار طريقة للارتفاع بقوة الشمس مباشرة ، فكل ما في الأرض من قوة مخزونة ماضية أو مستقبلية مرجعه الى الشمس وحدها ففي

(١) رسم يمثل آلة لتوليد القوة من الشمس رأسا وبها زجاج باورى يجمع الأشعة ثم يوزعها ، والرسم خيالى لأنه لم يتحقق إلا فى زمن بعيد جدا وفى

(٢) صورة حارث يحرق الأرض ، فكل ما فيه وفى الأشجار والثيران من قوة مستمدة من الشمس فالشجر يخزن قوة الشمس بواسطة ورقه وحياة الحيوانات كلها متوقفة على حياة النبات والنبات لا يمكنه أن يعيش بدون ضوء الشمس . وفى

(٣) يرى القارئ صورتين العليا تمثل الأشجار القديمة والزواحف المقرضة . وهذه الأشجار قد طمرها التراب فصارت الآن خفا ، فصدر القوة فى الفصح هو الشمس أيضا لأنها هى التى أنبتت نباته . وفى

(٤) ترى مطبخة هوائية وسفينة وكلتاها تستغل الرياح والرياح لا تتحرك إلا بفعل الشمس التى تسلط أشعتها على بعض الأماكن فيخفف الهواء عند ما يسخن ويرتفع فيأتى غيره مكانه فتتولد الرياح . وفى

(٥) يرى القارئ شلالا ينتفع بسقوط المياه منه فى توليد الكهرباء بائية وقوته تعزى أيضا الى الشمس التى هى سبب تبخر المياه وتكوين الأمطار والأنهار . وفى

(٦) يرى دينام كهربائى ولده البخار الذى تولده الشمس أيضا فهى التى أوجدت الوقود لاجاد البخار وبهذا تم الكلام على الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثانى فى بيان علاقة الشمس والهواء ونحوهما بارتقاء الأمم وفيه « متصدان » المقصد

الأول » آراء العلامة ابن خلدون فى التضييق على المتعلمين فقد عقد فصلا عنوانه ﴿

( فصل فى أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم )

قال ، وذلك ان ارهاق الحد فى التعليم مضرّ بالمتعلم سيما أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس فى انبساطها وذهب بنشاطها ودعا الى الكسل وحل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما فى ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعمله المكر والخديعة لذلك . الى أن قال وفسدت الحمية والمدافعة عن نفسه ومثله وصار عيالا على غيره ، ثم أخذ يقيس الأمم على الأفراد وضرب مثلا باليهود وانهم يوصفون فى كل أمة وعصر بالحرج والتخايب والكيد وسببه ما تقدم ، ثم أخذ ينصح المعلم أن لا يستبد بالمتعلم ونقل من الاستاذ محمد بن أبى زيد فى كتابه الذى ألفه فى حكم المعلمين والمتعلمين انه لا يزيد فى الضرب عن ثلاثة أسواط ، وهنا ذكر موعظة عمر وخطاب الرشيد للأحرار معلم ولده وقوله له يا أحرار إن أمير المؤمنين الح

هذا ما قصدت نقله من مقدمة العلامة ابن خلدون وهو وإن لم يكن فيه نص على الهواء والشمس اللذين نحن بصدد الكلام عليهما لمناسبة الآية ففيه ذكر العناية بالتعلمين وإن في ادلالهم بوضعهم في حجر ضيقة ومنع الهواء والشمس عنهم ضررا أشد وذلا أعظم من الضرب وهذا هو الذي صرح به المستر (مان) الذي انتدبته وزارة المعارف المصرية أثناء طبع هذه السورة من علماء النفس والتعليم في بلاد سويسرا وهو الذي عقدت له

﴿ المقصد الثاني ﴾

فإن وزارة المعارف كلفته أن يضع تقريرا وافيا عن التعليم في مصر بجميع فروعها ، فمن حسن حظ هذا التفسير اني اطلعت على ما كتبه في هذا الصدد فرأيت يقول ﴿ لقد رأيت مدارس كثيرة في نفس بلاد الريف والجو حول المدارس حسن جيل والمزارع تحيط بهم والتلاميذ مع ذلك لا تبسوا عليهم ملاح السرور فكأنهم محبسون وقد حرّموا من الهواء والشمس ، ونصح المعارف أن تجعل الشمس والهواء يحيطان بهم وأن يجعل لهم حرية في الذهاب والإياب وأن يشعرهم المعلمون بأن لهم كرامة الخ واقتراح أن المعلمين يذهبون بهم أحيانا الى الخلاء في الشمس والهواء ويعلمونهم هناك ﴾ اه

أفليس هذا من العجب ، أتى بعد أن أحضر صورة المدرسة الفرنسية أطلع على التقرير أثناء ترجمته فأجده يصريح باخراج التلاميذ الى الخلاء في الشمس أحيانا . أليس هذا من التأييد لهذا التفسير . ومعام أن جميع مدارس أوروبا تنحو نحو الخلاء والشمس والاستقلال

﴿ الفصل الثالث في أن تباعد الناس عن الفطرة يضر بصحتهم ويقصر أعمارهم ﴾

إن هذا الموضوع مناسب لما قبله من تبطبه ، ذلك أن العلامة (فنلند) ألف كتابا موضوعه «إطالة العمر» فقد قال هو وغيره ﴿ إن الكلب يبلغ تمام نموه في سنة ونصف ، والحصان في ثلاث سنين وهكذا السكل حيوان زمان يتم نموه فيه ومدة تمام النمو المذكورة تبلغ ثمن عمره اذا لم يقتل بسبب آخر ، فيعيش السكل (١٢) سنة ويعيش الحصان (٢٤) سنة ويقاس عليهما بقية الحيوانات ﴾

ثم قال هو وغيره ﴿ إن نهاية نمو الانسان تكون في (٢٥) سنة وبضربها في (٨) تكون مائتي سنة والسبب الذي منع عن الناس طول عمرهم اهمهم لا يعيشون بالبساطة والقناعة والاعتدال بل يفرطون في كل أمر مع الانحراف عن النظام الطبيعي ومن ذلك العبودية للشهوة والتقليد البطالة والزي . أنا لست أقول هذا الكلام حق من كل وجه . كلا . وإنما أقول علينا أن نعتدل لتصح أجسامنا ، وقد ذكر أن (هنري) عاش (١٦٩) سنة وهو انجليزي و (جون بافن) البولندي عاش (١٧٥) سنة و (يوخنا) النرويجي عاش (١٦٠) سنة و (طوزمبار) عاش (١٥٢) سنة . وهناك رجل زنجبي يعيش الآن وعمره (٢٠٠) سنة اه

﴿ الفصل الرابع في الكلام على الرحة ﴾

يقول الله تعالى - ومن رحته - الخ . معلوم أن أول السورة - بسم الله الرحمن الرحيم - والمسلم في كل صلاة يذكر الرحة عشرات المرات ، فالرحة تكرر في كل زمان ومكان . يقول الله - ومن رحته جعل لكم الليل والنهار - الخ فهذه الشمس المضيئة التي جرت بها الأنهار والرياح والسموات واخضر الزرع وعاش الحيوان والانسان وجرت السفن والقطرات والكهرباء وبها كانت الأصباغ المخترة الكثيرة التي تفتخر بها الغادات فهي كلها من القطران المستخرج من الفحم كما تقدم في آخر (سورة النمل)

فهذه الشمس ومنافعها التي لا حصر لها من بعض رحته . ومعام من حديث الصحيح أن الرحة في الأرض واحدة نشأ عنها هذه السعادة في الأرض والرحمة بين الأمم وذريتها والآباء وأبنائهم في الانسان والحيوان وهذه الرحة واحدة من مائة رحمة أخرى جميعها للناس في عالم آخر بعد فراق هذه الأرض

### ﴿ الفصل الخامس آرائى فى التعليم عند المسلمين اليوم ﴾

إن الأمم الإسلامية فى الأكثر اليوم ليس عندها إلا الكتائب المعدّة لحفظ القرآن وهى فى أكثرها أشبه بالمبارقة ذرة لاضوء فيها ولا هواء لإقلىلا وهنده مضرّة بالمنعطين باجتماع الأمم . فقال صديقى العالم هل تظنّ أن المسلمين يقنعهم هذا القول ؟ هذا يقنع الرافق منهم لأنهم يعلمون اتساع ديننا . أما الأمم المتأخرة منهم فانها لاتنقى إلا بما يرد عن المتقدمين . فقلت أذكرك بما ورد أن النبى ﷺ كان يوحى اليه وهو سائر فى الغزوات ومتى نزلت عليه آيات أو سورة اجتمع القوم أو لهم فى الطريق وآخرهم وهو على دابته يقرأ لهم ما نزل عليه ﷺ فيها هو ﷺ ألقى عليهم الدرس فى الشمس والهواء الطلق . أفليس هذا يكفىك أن تعرف أن جالس المسلمين فى الهواء الطلق موافق للسنة النبوية . ومن عجب أن الحج فيه الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة وهكذا جميع أعمال الحج . وترى الحاج قد امتنع عن كل زخرف فى هذه الحياة ولا يلبس الخيط وإنما يلبس إزارا ورداء ، فكيف كان الحج على هذا النمط ؟ نعم هذا أمر تعبدى . نحن لا نذكر ذلك ولكن هذا التعبدى ظهر بعض سرّه اليوم . الله أكبر . يتجرّد الحاج من الخيط ويقف عارى الرأس تحت الشمس المحرقة يوم عرفة ويهرول بين الصفا والمروة . أليست هذه مبادئ سبغى عليها أمم بعدنا سعادة للإنسانية غير هذه الحال . إن آدم أكل من الشجرة والقرآن والتوراة وغيرها صرحت بذلك وعصيان آدم ربه نزل به القرآن فهو مع صحته يمرض به لحالنا نحن . فهاهى ذه الأعمار قصرت لانحراف الناس فى ما كاهم ومشاربهم وما لبسهم وفى طمعهم وفى شرهم ولذاتهم فهلكوا سريعا

إن بنى آدم باجتماع الأطباء انصرفوا عن سواء السبيل فى أحوالهم النفسية والجسمية ، فرأينا الصحابة رضى الله عنهم يأكلون الخبز غير منخول زهدا فى الدنيا ، ولكن العلم الحديث اليوم أثبت أن هذا صحتة لأبدانهم ، وهاهى ذه الأمم تنحون نحوهم طبيبا لا زهدا ، ومثلها مسألة الحج فهى لنا تعبد ولكن من الذى تعبدنا ؟ الذى تعبدنا هو الله . ولما نظرنا وجدنا أن الأمم اليوم تستشفى بالشمس ( انظر ما تقدّم فى سورة الشعراء شكل ١٠ ) فانك ترى القيات فى الشمس يستشفين بنورها ، ثم انظر المدرسة الفرنسية فى هذه المقالة التى ترى تلاميذها مكشوفين للشمس . إذن البساطة فى الحج من حيث الملابس وظهور بعض الجسم للشمس هو أولا عبادة مقدسة وثانيا هو مبدأ يتخذ للشفاء والصحة والقوة والعلم وهذا ضد الترف المهلك للأمم ونفس الهرولة بين الصفا والمروة مبدأ يقاس عليه الحركات التى تقوى الأجسام وهذه كلها حكم غير حكمه العبادة المقدسة العالية . أليست ترى أن تقليل الملابس وكشف بعض الجسم للشمس وترك الترف هو هذا الذى يحبه النوع الإنسانى الآن ليسعد بالحياة وتصح أجسامه . إذن الحج من فوائده فتح باب التجرد من أمور الزينة والشهوة لتصح الأجسام ومنها فتح باب الرياضة البدنية وأيضاً اجتماع الناس فى مكان واحد ولبسهم ملابس متماثلة رجوعهم الى الفطرة الأولى وفيه إشارة الى انكم أيها الناس جميعا يجب أن تتعارفوا وتتركوا الترف والنعيم وهذا الترك هو الذى يجمعكم والذات تفرقكم ، والصوم يلحق بالحج لأن فيه ترك الأكل فأما الصلاة فهى درس اجالى لجميع العلوم كما أوضحته فى بعض هذا التفسير ، الصلاة مبدأ العلوم والزكاة مبدأ المودات بين الأمة والحج مبدأ المساواة العامة وصحة البدن وهكذا . انتهى نصف الليل ليلة الأربعاء ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٩ وهذا تم الكلام على القسم الثالث من السورة

### ( القسم الرابع )

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ

بِالْمُصِيبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ \* قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْجَبَرِيُّونَ \* فَفَرَحَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ \* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ هُوَ مِنْ وَحَمَلٌ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ \* نَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ \* وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَانَ اللَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ \* تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ \* مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ \* وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِهْتًا إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \*

هذا القسم تطبق على ما تقدم من أقسام السورة راجع إليها متمم لها مكمل لمقاصدها منه لما ترمى إليه ،  
ابتداء الله السورة بما يأتي

- (١) بذكر أن فرعون علا في الأرض وأنه من المفسدين
  - (٢) ثم ذكر قصة موسى وفرعون ونجاة الأول وهلاك الثاني وقومه
  - (٣) ثم أورد بذكر نظير ذلك من كفار قریش وأفهمهم أنهم كقوم بطروا معيشتهم فخربت ديارهم
  - (٤) ثم أتبع ذلك بمن أنعم عليهم وتعلموا وشكروا
- ذلك ملخص السورة ، ثم أتبع ذلك بذكر قارون وأنه بنى على قومه وقد كثرت ماله فأبطره الغنى ونسبه إلى علمه وتكبر على قومه وانقسم الناس في أمره ﴿ قسمين ﴾ قسم النمام وهؤلاء حقروا زينة وماله وقسم الجلاء وهؤلاء تمنوا مثل ما أعطى قارون ، فلما وقعت واقعته وانشقت السماء مجده فكانت واهية وسقط قارون في الهاوية عرف الجاهلون الحقيقة بهذه الحادثة وأدركوها بتلك الكارثة فأما أهل العلم فلم تزددهم إلا ثباتاً ،



إن ذلك أشبه بما حصل لفرعون وموسى ومحمد ﷺ وكفار قریش ففرعون وكفارون وكأهل مكة لما طغفوا وأسرفوا واستكبروا وتدمر فرعون وما يملك كتدمير فرعون وجنوده وكذلك هلاك قریش . لذلك ختم السورة بأن الدار الآخرة يحرم منها ﴿ اثنان ﴾ العالون في الأرض والمفسدون ويناهاها من تنزهوا من هذين وهذا نظير ما في أول السورة - إن فرعون علا في الأرض - الى قوله - من المفسدين - فهنا يقول الآخرة لمن لم يتصف بهذين الوصفين وتجرد من الأمرين وفاز بالحسنين التواضع واصلاح الأرض . ثم ختم السورة بأن كل شيء هالك إلا ما كان على نسق يرضاه الله كما كان موسى ومحمد ﷺ والذين أوتوا العلم مع فرعون وقریش وقارون ، وملخص ذلك أنه لا آخرة إلا لنبي أو حكيم أو عالم أو متبع سنتهم . فهو لأهلهم الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً فكأن السورة في هذا القسم خلصت مرتين مرة في قصة قارون ومرة في قوله - كل شيء هالك إلا وجهه - في آخر السورة . اذا عرفت ذلك فلنشرع في

﴿ تفسير الألفاظ ﴾

قال تعالى (إن قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه (فبني عليهم) طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره وتكبر عليهم وظلمهم (وآتيناه من السكّنوز) الأموال المدخرة (ما إن مفاتيحه) أي خزائنه جمع مفتاح بفتح الميم وأما ما يفتح به فهو بكسرهما وما بمعنى الذي منصوب والجملة صلته (لتنوء بالعصبة أوى القوة) أي لتثقل العصبة ، فالباء إذن للتعدية ، يقال ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة والقوة الشدة ، وقوله (إذ) متعلق بقوله (قال له قومه) المؤمنون ونبههم موسى عليه السلام (لاتفرج) لاتبطل بكثرة المال كما قال تعالى - ولا تفرحوا بما آتاكم - وكيف يفرح الناس بما أوتوا وهم زائلون من هذه الأرض (إن الله لا يحب الفرحين) بزخارف الدنيا لأنهم قوم غافلون ، ثم أبان المقصود من المال في هذه الدنيا فقال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تكون أبا لأمتك نظراً في شؤونهم مرقياً لهم حافظاً لكرامتهم حرصاً على اسعادهم بحيث يكون مالك معيناً لفقرائهم مرقياً لهم (ولانفس نصيبك من الدنيا) لأنك واحد منهم والمال مال الله والخلق عياله ، فليس معنى اتفاق المال للناس أن تنسى نفسك . كلا . بل ابدأ بنفسك فاذا نسبت نصيبك من الدنيا فأنت مذنب لأنه لا معنى لإحياء نفوس الناس وامانة نفسك واصلاح حياتهم وافساد حياتك ، ولما قرّر هذه الحقيقة أخذ يتم تحريضه على الاخسان فقال (وأحسن كما أحسن الله اليك) لأن مالدريك من المال والقوة والعلم ليس منك وإنما هو من الله وكما أن ضياء الشمس والكواكب من الله خلقه فانه الى خلقه منفعة هكذا ما أنعم الله به عليك فهو من الله والى عباده ومنهم نفسك (ولاتبغ الفساد في الأرض) بالظلم والبغي (إن الله لا يحب المفسدين) لسوء فعلهم فأجاب قارون ناسياً أن الله هو الذي وهبه هذه النعم مدعياً أنه استحقها بقوة فطنته وذكاؤه وعلمه (قال إنما أوتيته على علم عندى) فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم في المال والجاه أى إنما أوتيته حال كوفى على علم كائن عندى كعلم التجارة والكيمياء ، ولا جرم أن العلوم كلها كشجرة ذات أغصان وفروع فمن اقتصر على أحدها أغرم به وجهل سواه ، ومما مثل الناس إلا كمثل قوم عمى أمسك كل بجزء من الشجرة فقال أحدهم إن هذه الشجرة ناعمة رائحتها طيبة وهو قد أمسك بالزهرة وقال آخر إن هذه الشجرة خشنة مدورة وقد أمسك بالجذع وقال ثالث إن هذه الشجرة رقيقة كورق الكتابة كثيرة القطع معلقة في سقف مربوطة بحبال دقيقة يريد الورق وهو متصل بفروع صغيرة دقيقة هكذا العلوم من قرأ منها علم التجارة أو علم الكيمياء على فرض استخراج الذهب به فانه يغرم به ويقول إنما العاوم لجمع المال وهو المقصود وما عداه لجهالة . ومن قرأ علم الزهد والتصوّف احتقر المال وتعلق بأسباب الكمال وتهذّب النفس وههنا قارون كان من القسم الأول وكلا القسمين في نقص مشين فلا بد من معرفة سائر العلوم معرفة اجمالية ثم التفرغ لواحد منها ولا يكون المسلم كما كان قارون



يحفظ عالما واحدا ويجهل سواه فيعيش ناقصا وحيدا لأن ذوقه لا يطابق أذواق الناس فيصبح عالم التجارة عدو صاحب تهذيب الأخلاق ويكون الناس في تقاطع ، فعلى الناس أن يقرأوا سائر العلوم فعلم الزهد لا بد منه لدى المال حتى لا يكون أحدهم مغرما بالمال فتضيع حياته سدى . ولذلك وبخه الله فقال لماذا عرفت علوم الدنيا وتركت علوم الآخرة والدنيا والآخرة لى ، هلاقرأت العلمين (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للمال أى أغره علم المال فافتخر به وجهل علم تواريخ الأمم الغابرة والقرون البائدة وكفى فيهم من كانوا أكثر منه مالا وأعز نفرا فهلكوا

فقل لمن يدعى عالما ومعرفة \* حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

ولذلك يقال « البلاء خير من الفطنة البتراء » فهو لأء جميعا واقعون فى الهلاك محكوم عليهم بالاعدام لافرق بين الأولين وبين الآخرين ومنهم قارون انهم يهلكون بذنوبهم لأن الله عليهم بظواهر ذنوبهم كما هو عالم ببواطنهم فيهلكهم (ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون) وكيف يسألون وأمرهم عنده معلوم ، ثم أعقبه بذكر بعض ذنوبه ليعلمنا الله كيف تكون الذنوب الكبائر والموبقات كامنسة فى مظاهر لا يظنها الناس إنما ولا يعتقدونها ذنبا بل تلك المظاهر أحوال عادية وأمور مباحة مظاهرها رجاء وباطنها زلات بل أعظم الزلات فيا ليت شعري أى شين وأى إثم فى قوله تعالى (خرج على قومه فى زينته) وماذا فعل ؟ يقال انه خرج على بغلة شهية عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهم الخلى والثياب الجروهن على البغال الشهب ، ولا حاجة الى نقل أقوال غير هذا لأنها عبارات متقاربة وإنما المقام مقام هذا السؤال أى ذنب فى هذا وهل ظهور الانسان مع نسائه ومع الفرسان وعليهم ملابس جميلة حرام ، إن هذا ليس بحرام إلا اذا كان هناك بعض ملابس محرمة وهذه الملابس حرمتها من الصغائر . إن هذا المظهر مظهر مباح فما ذنب قارون إذن ؟ ولماذا يذكر ذلك المظهر بعد قوله ... ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون - وهل اذا تمى الجهال مثل ذلك الجبال والزينة إذ (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) من الدنيا ، هل هذا ذنب لقارون وإنما هؤلاء لجهالتهم تمنوا مثل قارون كما نرى ونسمع فى كل قرية وبلدة وضعية هذه العبارة بعينها حتى ان الرجل والشاب والمرأة والفتاة ليقول كل منهم يا ليت لى مثل ما أوتي فلان وفلانة على أى نعمة كثوب جميل أودابة يركبها أو بهيمة يأكل لبنها أو مزرعة يحصد غلتها وما أشبه ذلك ، إن هذه عادة جميع أهل الأرض فى زمن قارون وقبل قارون وبعد قارون ، فما ذنب قارون إذن ؟ نعم ذنبه ظاهر فى الآية إذ قال تعالى - فبغى عليهم - وسيأتى ما فعله من أنه برطل المرأة الباغية لتتهم سيدنا موسى ، فهذا بعض البغى منه ولذلك ذمه الله وخسف به وبداره الأرض . أقول ولكن ذكر خروجه على قومه فى زينته لا بد فيه من أمر خفى والافلماذا يذكر بعد ذكر هلاك الأمم وأن المذنب منهم لايسأل عن ذنبه كما قال تعالى - فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان - والجواب على ذلك ، ان من الذنوب ذنوبا باطنية وقال علماؤنا رجعهم الله انها أشد فتكا بالانسان من الذنوب الظاهرية . إن الله لم يذكر فى القرآن إلا انه بنى على قومه وانه - قال إنما أوتيته على علم عندى - وانه - خرج على قومه فى زينته - ولم يذكر ماسأقصه عليك مما نقله المفسرون عن بنى اسرائيل من أمر المرأة وغيرها ، فليتبحث فى هذا الذى جاء فى الآية . إن فيه لكبائر الذنوب مثل الكبرياء والعجب والتعالى على الناس . فهذه وأمثالها ذنوب كبائر ويقول علماؤنا انها هى المهلكة . إن هذه المظاهر إما أن تكون من أشرف الأعمال وإما أن تكون من أضلها فاذا كانت لاظهار مجد الأمة وقهر عدوها وكسر نفسه واطهار العظمة الدينية والقومية فهى جهاد فى سبيل الله . فأما اظهارها لاذلال النفوس وكسر القلوب والتعالى على الاخوان وأبناء البلاد فذلك تفرق للسكامة واطهار للعظمة فى غير موضعها فان الناس اخوانه ومتى تعالى عنهم خفضهم فلاجمة بينهم ولا رابطة تربطهم

فيذلون في الدنيا بانقضاض الأعداء عليهم وفي الآخرة بجحيمهم . فظاهروا قارون كانت من القسم الثاني قصتها الله يعلم المسلمين ويقول لهم لتكن نفوسكم شريفة وإياكم أن تطغوا إنما نظرى لقابكم لا صوركم ، فكم مقلهم نعمة يريد بها تعالى والتفاخر ، وكم مقيم زينة وصانع ولية أو عرسا أو مأتما وهو في ذلك كله كقارون ، ليست هذه المظاهر عند كثير من الناس إلا ليظهروا بها الكبرياء والتعالى على الناس وإظهار العظمة ... من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يمشون \* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون - إن هذه الآية وردت في المرأتين ، ففعل قارون وأمثال قارون من كل ذى مال ولوقل في الأمة الإسلامية يدخله الرياء والاعتجاب بالنفس والكبرياء والتعالى على الأقران وهي هي المهلكات المزجمات قال تعالى - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تقسقون - هذا هو القرآن وهذا كلام الله وأكبر مصيبة حلت بالاسلام أن الذنوب الباطنية لم تذكر في مدارس التعليم واكتفى الناس بالأحكام الشرعية الظاهرة وظنوا أن التعليم في البواطن خاص بالمجاذيب والصوفية وهذا من أكبر عيوب التعاليم الإسلامية . إن هذا هو السبب في أنك ترى بعض المسلمين في المكتبات العامة النافعة لا يساعدون ، وترى الناس يصرفون أموالهم في الزينة والزخرف والسفر إلى أوروبا للنزهة والرياضة ومصر التي هي بلاد يسهل منها كل ستة نحو خمسين ألفا يصطافون في أوروبا ، وترى الناس في المآتم والأعراس يدفعون أموالا كثيرة ، كل ذلك لأن التعاليم الإسلامية اليوم لم تدخل القلوب . إن التعاليم الإسلامية إنما قصرها الناس على ظواهر الأجسام وتركوا القلوب فارغة لاعلم ولا رجة ولا احساس إلا ما جاء عفوا وبدون قصد . فأما تربية الوجدان فإنها متروكة للأهل والأقارب والبيئة . إن المسلم إذا سمع هذه الآيات يقول إنها في الكفار فأما أنا فيكفني الاسلام وهذه أكبر خطر . يقول المسلم « مادمت لا أؤذى أحدا ولا أسرق ولا أذني فأنا لا ذنب علي » وهذا هو الخطأ الفاحش والذنب العظيم . إذن أين أمثال هذه الآيات ولم أنزل القرآن . إن استنار المسلم بالدين واحتججه به وقوله إني مسلم وإنما هذه الآية واردة للكفار هو الذي أوقع الأمة في الجهل وضياح المال والبذخ والزينة والاسراف خسف بنا وبدارنا الأرض خسفا معنويا ودلا حقيقيا . فلئن خسف بقارون وبداره الأرض فهلاك هلاكاً حسيما فلقد خسف بنا وبدارنا الأرض خسفا معنويا ، فأينما تول وجهك في بلاد الاسلام لا ترى إلا جهالة عمياء وضلالا ورياء إلا قليلا من ذوى النفوس الشريفة فهم الذين يرجع اليهم وسيقومون بشراً أمثال هذه بين المسلمين وسيرجع للاسلام مجده على أيديهم ويكونون نورا للمسلمين . إن الله ما قص هذا القصص إلا ليرينا أن أمثال هذه الذنوب كالكبرياء والرياء والتعالى ليس ذنبها في الآخرة وحدها بل شؤمها يحصل في الدنيا كما حصل اليوم للمسلمين ، هذا في ضمن قوله تعالى ( وقال الذين أوتوا العلم ) بأحوال الدنيا والآخرة لأولئك الممتنين ( ويلكم ) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى كيف تتعالون بالزينة وتفخرون بالحلية ( ثواب الله ) في الآخرة ( خير لمن آمن وعمل صالحا ) مما أوتى قارون ومن الدنيا وما فيها ( ولا يلقاها ) أى المثوبة أو الجنة والعامل الصالح ( إلا الصابرون ) على الطاعات وعن المعاصي وبذلك الصبر وحفظ الشهوات يصرفون ما لهم لوجه الله وللأعمال العامة ويكونون قدوة صالحة ويرفعون أمتهم ويحفظون مجدها ويجهلون ما لهم لاسعاد أمتهم فينالون بذلك الصبر الثناء في الدنيا وحب الناس وفي الآخرة يدخلون الجنة فانه لا آخرة إلا على حسب الدنيا . إن النفوس الانسانية مصروفة الى الهوى والشهوة والعادات الموروثة والامور المحسوسة . انظر الى المصلى انه يريد أن يوجه قلبه في الصلاة لله وللذكر والقراءة والمعاني فلا تطاوعه نفسه وتنصرف الى أمور تهمها هذا طبعها فإذا جاهدتها مرة بعد مرة قوت وثبتت وتذكرت ثم يصير ذلك عادة جديدة ثم يستلذ بها هكذا في المال تنصرف النفس الى الزينة وإظهار الشرف والغنى والجاه والثروة فإذا وجدت من يفهمها أن المال ليس لهذه السفايف بل للتبعية

الدين وشريف العواطف ويذكرها مرة بعد أخرى صارد ذلك عادة لازمة واستلذ بها لئلا دائمه ويسمع ثناء الناس عليه والآخرة خير وأدوم . إن اتجاه قلب المصلي بعد شموسه وسجاده وشروده واثنياده بعد نفوره للحضور في الصلاة وصرف ذى المال ماله للمحتاجين وللنافع العامة بعد رايته وكبريائه وجهالاته لم يكن إلا بالصبر . إن ردع النفس عن طبعها لا يكون إلا بالصبر عن المألوف والبذل في المعروف . هذا معنى قوله تعالى - ولا يلقاها إلا الصابرون - ولا جرم أن قارون لم يكن منهم ككثير من أمثاله من أغنياء الأمة الاسلامية الآن بل انه استهان بالمال على إهانة قومه وعصيان ربه ككثير من أغنياء المسلمين الآن وقد ذكر المفسرون منها ما يأتي (١) أوحى الله الى موسى أن مر بنى اسرائيل أن يعلقوا في أرديتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطا أخضر كما كان السماء يذكرني به اذا نظروا الى السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فامثل بنو اسرائيل وتكبر قارون وقال هذا فعل الأرباب لعبيدهم

(٢) جعل الله الحبورة هارون وهي رئاسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقرابنهم الى هارون فيضعها في المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فحسد موسى وهارون وقال أنا أقرأ التوراة وأنت تنال الرسالة وهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك فأقام له موسى الحجاة أن هذا من الله فعدها سحرا . ذلك أن القوم وضعوا عصيهم في قبة وحرسوها طول الليل فأورقت عصا هارون ولم تورق سواها من العصي فقال هذا سحرك اليهود واسكن سحرته قبل هذا (٣) أمره بالزكاة فلما جمعها استكثرها وعصى ولم يعطها

(٤) أراد أن يفضح موسى بين بنى اسرائيل فبرطل بغيا لترميها بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجناه فقال قارون ولو كنت أنت قال ولو كنت أنا قال إن بنى اسرائيل يزعمون انك جفرت بفلانة فاستحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسى نفرت موسى شاكياً منه الى ربه فأوحى اليه أن مر الأرض بما شئت فقال يا أرض خذيه فأخذته الى ركبتة ثم قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه نفسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الأحوال فلم يرعه فأوحى الله اليه ما أظفرك استرحك مرارا فلم ترجه وعزتي وجلالي لودعاني مرة لأجبتة ثم قال بنو اسرائيل انما فصل ذلك ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله

إن ذلك كله كان نتيجة عدم صبره أى انه لم يعكج جهاج نفسه عن رعوتها وميلها الى الكبرياء والشهوات والقرآن لم يجيئ فيه هذا التفصيل وليس فيه إلا قوله تعالى (نخسفنا به وبداره الأرض) مرشداً بذلك المسلمين أن يصرفوا هواهم عن التعالي والكبرياء والتعالى في الزينة لئلا يخسف بهم وبما لهم الأرض كما حصل الآن فقد أصبح ما لهم تحت تصرف غيرهم من الأمم المحتلة وذلك لجهلهم وقلة علم وعظمتهم إلا قليلا فصرف الناس أموالهم وعقولهم في الرياء والمباهاة وجهلوا المقصود من المال ومن الحياة فضاغت بلادهم وهذا هو الخسف العظيم ، وأى شيء خسف قارون وداره ؟ الخسف الآن خسف الأمم بتماها ، يدخل جيش الأعداء القاهر في بلدة من بلاد الاسلام فيصبح الناس عبيداً الفاسيين وضحية الطامعين ، ذلك هو الخسف الأكبر ، خسف أمة لاخسف فرد ، فليخسف الفرد ولتبقى الأمة ، أما الأمم الاسلامية الحديثة فانها ابتليت بخسف الأمم والأفراد ولجهل كثير من الوعاظ الغافلين الساهين النائمين الجاهلين ، الخسف حتم لكل مرء وياغ وجاهل بمقاصد المال ومقاصد الصحة والعلم ، يخسف بهم سواء أكانوا أم أفرادا كقارون (فما كان له من فئة) أعوان (ينصرونه من دون الله) فيدفعون عنه عذابه (وما كان من المنتصرين) المنتصرين منه يقال نصره من عدوه فاتصرا اذا منعه منه فامتنع . وكيف يكون له معين . وكيف يكون للأمة الغافلة ناصر

وهو هي قد فرطوا في قواهم وأضاعوا مجدهم وخربوا بيوتهم بأيديهم . إن النصر للصابرين . إنما النصر نتيجة الصبر على حفظ المال وحفظ الشهوات والعقول وجعل ذلك كله للفضائل والمنافع العامة

﴿ ضرب مثل لحال المسرفين في ما لهم بالمسرفين في ما كانهم ﴾

أضرب لك مثلاً يوضح لك السابق كله لتعلم أن هذه الآية لم تنزل في القرآن ليتعجب الجاهل من قارون كيف خسفت به الأرض وكيف كانت البغي لم يغيرها المال بل نطقت بالحق وهو براءة موسى وأشباه ذلك . كلا . إن هذه القصص جاءت لحقائق علمية ومعاني قدسية وحكم عقلية وآيات عمرانية وعجائب نظامية وسعادة اسلامية للمسلمين في مستقبل الزمان \* قال أطباء هذا العصر من النساء والرجال وغيرهم ﴿ إن الذين يتعاطون اللحم والبيض واللبن وأمثالها من كل ما فيه غذاء كثير التغذية تقوى أجسامهم وتحمر وجوههم ويحسدون أقرانهم لأن المواد الغذائية في هذه الأصناف الثلاثة قوية فتدخل في نسيج الجسم وخلياته بقوة فتملؤها فيظهر ذلك على الوجوه والأعضاء وتحمر الحدود وتقوى الجسوم . وهناك فريق ثان ضعيف البنية منهوك القوى قد أضرب به المرض فظهر في جسمه القروح والبثور والعوارض السكتية وهو يئن من المرض ولا يقوى على هضم الطعام أحياناً ، فيقول الناس إذا رأوا الأول قائماً بينهم هاشا باشا ياليتنا كنا مثله ويحسدونه على ما آتاه الله من قوة الجسم والبدن والجمال والحسن وبينما الناس على هذه الحال إذا ذلك القوى المتين خرب صريعاً في يوم أو بعض يوم ، أما ذلك المريض الضعيف فانه كثيراً ما يعيش بعد ذلك سنين وسنين وهذا أمر عجب ، الغذاء حسن جيل مقو فهل المقوى ضار ؟ وماذا يصنع الناس ، فأجاب هؤلاء الحكماء قائلين اعلم أن الرجل القوى الجسم كان ضعيفاً والضعيف الجسم كان قوياً لأن القوى الجسم لما أكل هذه المواد السامة وامتلاّت به أنسجة جسمه ولم ترحم تلك الأنسجة ولم تشفق عليها ولم تكن كالغذية الواردة عليها من المواد النباتية والفواكه والحبوب ، تلك الأغذية التي تدخل تلك الأنسجة بلطف وتؤد لها لأنها ليست كثيرة التغذية بل قوة الغذاء مصحوبة بمواد أخرى تحول بينها وبين تلك الأنسجة فلا ترهقها كما ترهقها أمثال اللحم وماءه أقول لما حصل كل هذا في جسم ذلك القوى ظاهراً وامتلاّت الأنسجة بالمادة الغذائية احتاج الجسم أن يخرج الفضول ويستريح مما زاد عن قوة الأنسجة الممتلئة فلا يجد لذلك سبيلاً فامتلاّت الجسم كما يمتلي النهر بالماء حتى يفيض ولا بد من قطع موضع من الجسر ، هكذا ذلك الجسم يتمزق في يوم أو بعض يوم ، أما ذلك الضعيف فإن جسمه لما امتلاّت كذلك القوى فانه لقوته فتح منافذ سماها الناس أمراضاً كالقروح والبثور والأمراض فتخرج الداء من الأجسام ويستريح الجسم وما ذلك بداء وإنما هو صحة للجسم وإخراج للفضلات منه فتكون النتيجة هكذا « المريض قوى والصحيح ضعيف »

هذا هو الذي قاله الأطباء في العصر الحاضر وبنوا على ذلك أن الإنسان خير له أن يأكل البقول والفواكه والحبوب وأن يمتنع عن اللحم والبيض واللبن أو يقلل منها ما استطاع لذلك سبيلاً . أفلمست ترى أن صاحب الثروة الواسعة الذي أشبهه قارون في بذخه كذلك القوى الجسم . أولست ترى أن الذي أنفق ماله لأهل قريته ونفع أمته وذلك العالم الذي جعل علمه لأمنته أشبه بذلك المريض الذي قوى جسمه على دفع الأذى . ألا ترى أن ما يظنه الناس انه فقير عند ما يعطون المال لمستحقه أشبه بما يظنه الناس مرضاً بظهور القروح والبثور فاذن يكون المنفق غنياً والممسك المتباهي بالزينة فقيراً . أوليس هذا أشبه بما في قوله (وأصبح الذين تمنوا مكانه) منزلته (بالأمس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يبسط ويقدر بمقتضى المشيئة لا لكرامة تقتضى البسط ولا لهُوان يوجب القبض فالقبض والبسط كالليل والنهار والصغر والكبر والصيف والشتاء يمران على الصالح والطالح امتحاناً لهما واختباراً وترية من رب العالمين وقد أخطأ الإنسان فانه إذا أكرمه الله ونعمه يقول - ربي أكرم من \* وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي

أهانن \* كلا - ثم كلا إن الأمر امتحان واختبار وترية ولفظ « وَى » للتعجب و « كَأَن » للتشبيه أى ما أشبه الأمر - إن الله يسط - الخ (لولا أن من الله علينا) فلم يعطنا ما تمنينا (لخسف بنا) لأنه يحقق بنا ما حاق به فيخسف بنا (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمه الصارفون لها فيما نفعه قليل ومن هؤلاء المكذبون برسله . أليس هذا هو ما يحصل الآن أمام أعيننا فى الدنيا لاسيما فى هذا العصر

(١) ألم ترى قيصر الروس كيف كان له السلطان التام والقدرة والصولة والعظمة والجاه وقد ملك مقاليد الروس ، وما ادراك ما الروس ، أمة عظيمة قوية تحتها أم وأى أم ، مائة مليون أوزيريدون ، فإذا حل به لما جاءت الحرب الكبرى ؟ أنزله قومه من على عرشه وذبحوا أبناءه أمامه وأنزلوه بعد ذلك داراهوان وقتلوه قتلا شنيعا بعد أن أجاجوه وأذاقوه مرّ النكال . أليس ذلك هو عينه ما حصل لقارون وللسرفين فى ما كلفهم مخالفين نصيح الأطباء ، يحسدوهم الناس ويقولون ياليت لنا مثل قيصر انه لذو حظ عظيم ، ياليت لنا صحة مثل هذا السمين الوسيم من الأصحاء ، أفليس الناس بعد انقلاب الأمر على قيصر وحلول المنون بذلك السمين الوسيم يقولون نفس هذا المقال يقولون نتعجب كأن هذه الدنيا دار خدعة ، انظر الى قيصر كيف أبادته الجنود وأهلكه من كان يغتر بهم وذلك لأنه استبد بالأمر وخرج على قومه فى زينته وهو يريد الحياة الدنيا والناس كلهم كانوا له كالعبيد . هكذا حصل فى الاستانة وخلع عبد الحميد من ملكه وهكذا كثير من ملوك أوروبا

(٢) أولست ترى أن أولئك الموسرين من مصر وأهل الشام والمغرب وغيرهم من أقطار الاسلام الغافلين عن منفعة المال يتباهون بالدور والعقار والولائم ويتظاهرون بها وقد ركبهم الدين ورهن العقار والفرجة واقفون لهم بالمرصاد يخربون بيوتهم بالدين وهم غافلون والناس من حول هؤلاء المثرين يقولون ياليت لنا مثل ما أوقى فلان المثرى ، انظروا الى زينته ، انظروا الى قصوره ، انظروا الى الجوع التى جمعها فى عرسه أو مأتمه ثم ينقض عليه دائونه فيبيعون العقار ويخربون الديار ويصبح كأن لم يكن بالأمس . ذلك مشاهد فى كل قرية و بلد وضيفة ولكن الناس غافلون وترى الذين كانوا يحسدونه بالأمس بعد سقوطه يقولون - ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر - لولا أن الله لطف لكان جعلنا مثله مغرورين فأصبحنا عبدة وشماتة للأعداء فى الداء العضال . ذلك هو المقصد من قصة قارون ثم ذكر الله فيجدة جميع ما تقدم فقال (تلك الدار الآخرة) الإشارة للتعظيم أى تلك التى سمعت من أبناء الأم وعرفت وصفها ، وقوله - الدار - بدل والآخرة صفة الدار والخبر (تجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض) غلبة وقهرا (ولافسادا) ظلما على الناس كما أراد فرعون وقارون وكفار مكة لما آذوا النبي وأصحابه (والعاقبة) المحموده (للتقين) ما لا يرضاه الله (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) أى إلا مثل ما كانوا يعملون ولما كان الصابرون الذين لا يفخرون على الناس وتكون أموالهم وحياتهم وقفا على أهمهم موعودين بالشواب فى الآخرة أعقبه بما يفيد أن الحظ فى الدنيا والآخرة لهم فلمهم الآخرة ولهم الدنيا ، فالذى لا يتبع الهوى فى شهوة الطعام له الصحة الحقة والذى يسلك سبيل الانفاق فى المنافع العامة يرى فى الدنيا سعادة لا يحلم بها ذلك المسرف المرائى بما يتهاى له من حب الناس وثنائهم عليه واكرامهم له وتبجيله واعظامه فقال (إن الذى فرض عليك القرآن) أى أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرأى الى معاد) دنيوى وأخروى ، أما الدنيوى فانك ترد الى مكة اذا اشتقت اليها لأنها مولدك ومولد آبائك ، وأما الأخروى فانك ترد الى المقام المحمود الذى وعدت أن تبعث فيه وهذا المقام أنت تحمده ويحمده كل من عرفه ، ولقد تقدم أن هذا المقام يشير الى ارتقاء العلوم فى هذه الأمة فى مستقبل الزمان كما ارتقت عند أسلافنا ، فهم رفعوا منار العلوم التى هى مناط الجد كما قدمناه وسيرفعونه كما أوضحناه . وملخصه أن هذه الأمة سترقى فى مستقبل الزمان . وملخص ذلك كله أن الذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا وهم منفقون أموالهم فى الخيرات ينالون الخير فى الدنيا والآخرة كما حصل

لرسول الله ﷺ إذ قال له جبريل لما نزل الحجة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها « أشتاق إلى بلدك » قال نعم قال فإن الله تعالى يقول - إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد - فهذه الآية لا مكة ولا مدينة ، ثم قرّر ذلك فقال ( قل ربني أعلم من جاء بالهدى ) وما يستحقه من الثواب في الدنيا والآخرة كما قال تعالى - وآتيناه أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين - (ومن هو في ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والاذلال في الدنيا والآخرة كما قال تعالى - لهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - والمقصود من ذلك نفسه عليه الصلاة والسلام والمشركون وكنا كل مهتد وكل ضال كما عرفت . ولما كان الصبر على شدة الكفار ومقاساة الأهوال شديدا على النفوس وقد وعد الله نبيه على صبره على أذى قومه وما يلاقيه من الصعاب أن يردّه إلى مكة في الدنيا وإلى المقام المحمود في الآخرة . أكد ذلك بما سبق له من شوقه إلى لقاء جبريل ونزول الوحي أيام الفترة في أول النبوة فلقد كان لشدة وجده وهيامه وغرامه بملاقة جبريل وتلقيه الوحي منه يكاد يلقى نفسه من فوق الجبل وذلك الشوق جعله الله في الأنبياء وفي العلماء والحكماء ليكون ذلك أدعى إلى صبرهم على مقاومة الأعداء ومقارعة الإخوان ومصادمة الحوادث فانهم لولم يتشوقوا لتلك المراتب ولم يرتقبوا تلك الفضائل بل أتت لهم سهلة هينة مرسلة لجوها إذا أودوا أو لتركوها إذا قهروا فالاشتاق للشيء الذي لم يلبه وكرره وهو ممتع عليه محبوس عنه إذا بلغ منه بعد اليأس كان أحرص الناس عليه وألزمهم له وأغرمهم به وأحبهم إليه وهذا قول الله تعالى (وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب) أي يوحى (إلا رجّة من ربك) أي ولكن رجّة من ربك ألقى إليك الكتاب فأنت أوتيت الكتاب بعد الشوق وقطع الرجاء فهانحن أولاء وعدناك بالعزّ في الدنيا والمقام المحمود في الآخرة الآن وقد كنا شوقناك إلى الوحي ومنعناه عنك وقد قطع رجاءك استزادة لشوقك لتزيد بالكتاب غراما وعليه حرصا حتى تصبر على الأذى وتقاوم المشركين (فلا تكوننّ ظهيرا للكافرين) أي لا تكوننّ مينا لهم بمداراتهم والاجابة إلى طلبهم وكيف يكون ذلك منك وأنت مانلت هذا الكتاب إلا بعد الطلب القوي والشوق إن ذلك أدعى لصبرك هكذا أكرمناك ودبرنا أمرك - وما كنا عن الخلق غافلين - وهكذا جميع الحكماء والعلماء والمصلحين يشوقون إلى المعالي ثم يمنعونها زمانا ليصبروا على ما أحبوا متى نالوه وهذه سياسة الله في هذا العالم الأرضي إنه لطيف لما يشاء (ولا يصدّك عن آيات الله) عن قراءتها والعمل بها (بعد إذ أنزلت إليك وأدع إلى ربك) إلى عبادته وتوحيده (ولا تكوننّ من المشركين) بمساعدتهم (ولا تدع مع الله إلها آخر) وذلك القول لقطع أطماع المشركين وكيف يصدّونك أو ينالون بغيتهم منك أوتسكون أنت معهم ونحن قد أحكمنا أمرك بما ذكرناه فشوقناك ثم أرسلناك وهذا القول يقتضى أن سياسة الشوق أعظم وسيلة للنفحة العامة ، فالدعاية والتشويق للأفراد وللأثم والجماعات إلى فضيلة من الفضائل هي الدعاية للاستزادة منها

فعلى المسلمين في أنحاء المعمورة أن يشوقوا الشبان إلى مجد آبائهم وإلى حفظ بلادهم وإلى استخراج ثمرات أرضهم ومعادن جبالهم ويبشون فيهم هذه الفكرة ويحضوهم حضّا دائما على ذلك وعلى النظر في الجوانب بذكر بعض جاهلها ، وكلما تمتعت هذه المطالب ازداد الشبان بها غراما حتى إذا نالوا بغيتهم استمسكوا بتلك المزايا أجيالا وأجيالا حتى تخور العزائم وتدور الدوائر وتضمحل الأثم وتموت الهمم ذلك يؤخذ من هذه الآيات إذ رتب الله أمره لنبيه بأن لا يعاون الكافرين ولا يصدنّ عن آيات الله وأن يدعو إلى ربه وأن لا يكون من المشركين ولا يتخذ غيره وكيلا على أموره كلها ولا يعتمد إلا عليه . كل ذلك رتبته على أنه شوقه إلى الوحي وأوحى إليه بعد اليأس ، هكذا فليفعل المسلمون وليقيم بذلك المدرّسون في البلاد الإسلامية ، وقوله (إلا إله إلا هو) معروف (كل شيء هالك إلا وجهه) أي إلا ما أريد به وجهه لأن كل شيء أريد به غير الله فهو هالك ، فكل ما لمصلحة فيه كما تقدّم من الأمثلة بقصر الروس وبالأغنياء في الاسلام المسرفين الجاهلين وبقارون

وفرعون وكفار مكة كل فمل هؤلاء هالك (له الحكم) فصل القضاء بالعدل فيخذل المسرفين المرائين وينصر  
الفاضلين العادلين على وجه الحكمة وطريق الصواب (واليه ترجعون) للجزاء بالحق . انتهى التفسير اللفظي  
للقسم الرابع من السورة . وهنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - فخرج على قومه في زينته - ﴾

لقد ذكرنا في هذا التفسير في سور كثيرة أن التمتع مضعف للأجسام والعقول والهمم ، ومن لطائف  
الاسلام انه حرم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجال ، ذلك ليقفل باب التمتع الذي يورث القعود عن  
المعالي ، والأمم لاحياة لها إلا بالرياضة البدنية ومزاولة الأعمال العسكرية ومشاق الجندية لحفظ الثغور ونظام  
البلاد وقوة الأجسام وصيانة النفوس والقوى من الضعف . إن السعادة كل السعادة في ترك التمتع وكثرة  
الأعمال الجسمية وترك النعيم فانه أدعى للسعادة والهناء والصحة والقوة وحفظ البلاد

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض

ولا فساداً والعاقبة للمتقين - ﴾

إن ذكر هذه الجملة بعد ما قص الله من قصص قارون وموسى وما تجلى للناس من أمر المال وانه زائل  
وأن الذين أوتوا العلم قالوا إن ثواب الله خير الخ ثم خسفت الأرض بالمال وصاحب المال . أقول إن ذكر  
هذه الجملة بعد ما تقدم فتح باب لأرقى ما وصلت اليه الحكمة والفلسفة . ياسبحان الله . أليس من العجب أن  
يكون أرقى الحكماء في نظر علماء العصر الحاضر والغابر يقولون ﴿ إنه لا يصح أن يسمى موجوداً إلا ما كان  
معصوماً من الزوال ﴾ . ولقد نسمع كثيراً من حكماء القدماء يقولون ﴿ إن الحركة وجودها ضعيف وبرهنا  
على ذلك ﴾ فهذه هي القاعدة التي بنى عليها أن العلم لا يبنى إلا على ما هو ثابت ، فأما ما لا ثبات له فلا يبنى العلم  
عليه . ولا جرم أن مافي السموات والأرض كله متغير والمتغير غير ثابت وغير الثابت لا يبنى عليه علم فالعلم الذي  
نعقله مبنى على أمور وراء هذه المادّة ويسمونه (عالم المثال) وكل ما نراه أو نحس به فها هو إلا ظلال لذلك  
العالم أوصوره له أو آثاره لا غير وذلك العالم هو الثابت الذي يبقى فلذلك نرى العلم باقياً فهو باق ببقاء ما يبنى عليه  
والمادّة لا بقاء لها فلا علم يتعلق بها ، وعلى ذلك يقول أولئك الفلاسفة ﴿ فلنوجه وجوهنا للعالم الذي يبقى  
ولنحقر هذه الدار الفانية ﴾

أما الدار الدنيا فليست دار حياة وانما هي دار متقلبة متغيرة فليس من حقها أن تسمى حياة كما أنه ليس  
من حقها أن تسمى موجودة ، فاعجب من القرآن ومن أن تشرحه حكماء الحكماء وعلم العلماء ، فجلّ الله وجلّ  
العلم ، واعجب كيف يقول الله في آية أخرى - وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون - فأفاد أن عدم  
العلم هو الذي يمنع الناس من أن يفهموا أن عالم الأرواح هو العالم الثابت وهو الموجود على الحقيقة وما سواه  
من المادّة باطل ، وهل يفهم هذا القول إلا أولوا العلم المذكورون في هذه السورة وهو ذلك - وقال الذين  
أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير - وأفاد أن ذلك يعوزه الصبر . انتهى صباح يوم السبت قبيل ظهر (٢١)  
يوليوسنة ١٩٣٩ م

﴿ اللطيفة الثالثة . الموازنة بين فهم الصحابة رضى الله عنهم وبين فهمنا في القرآن ﴾

كيف كان سلفنا الصالح يفهمون القرآن ، وكيف كان فهمهم سبياً في انهم ملكوا ملك فارس والروم ،  
وكيف كان فهمنا للقرآن بعد ذهاب الدول الاسلامية والقوة العربية غير مجد ولا مفيد فغلبتنا الأمم وصرنا لهم  
خاضعين . ذلك نفهمه من حكاية الربيع بن زياد مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال الربيع بن زياد  
الحارثي كنت عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحر بن فسكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمره  
بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا جميعاً (أى أن يتخذ كل واحد منهم له خليفة يقوم بالحكم في غيابه)



قال فلما قدمنا أتيت (برفاً) فقلت (يا برفاً) مسترشد وابن سبيل أى الهيات أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عمله فأومأ الى بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين أى مطبقين يقال طارقت نعلى اذا أطبقتهما ويقال لكل ماضوعف قد طورق ولبست جبة صوف واثت عمامتى على رأسى أى أدريت بعضها على بعض على غير استواء ويقال رجل ألوث اذا كان أهوج مأخوذ من اللوثة ، فدخلنا على عمر فصفا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه أحداً غيرى فدعانى فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثى قال وماتتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترتزق قالت ألفا قال كثير فاصنع به ؟ قالت أتعوت منه شيئاً وأعود به على أقارب لى فما فضل منهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعى من الصف فصعد بنا وصوب فلم تقع عينه إلا على فدعانى فقال كم سنك قلت خمس واربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابى حديث عهدهم بلبن العيش وقد تجوعت له فأتى بخبز وأكسار بعير (الكسر والجدل والوصل بكسر الأول فى الثلاثة العظم ينفصل بما عليه من اللحم وجع الكسر أكسار) فجعل أصحابى يعافون ذلك وجعلت أكل فأجيد جعلت أنظر اليه يلحظنى من بينهم ثم سبقت منى كلمة تمنيت انى سحت فى الأرض فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام ألين من هذا فزجرنى ثم قال كيف قلت ، فقلت أقول يا أمير المؤمنين ان تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك إياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتوقى بالخبز لنا واللحم غريضا (أى طرياً) فسكن من غربه (أى لانت حسنته) وقال أههنا غرت (أى ذهب) قلت نعم فقال ياربىع إنا لو شئنا ملأنا هذه الرحاب من صلائق (الصلائق كل مطبوخ ومشوى بالنار) وسبائك (هو ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه وهو الخوارى والرقاق تسمى سبائك) وصاب (هو صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ولكنى رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم (أى عابهم ووبخهم) فقال - أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا - ثم أمر أباً موسى باقراى وأن يستبدل بأصحابى اه

### ﴿ الكشف الحديث ﴾

( فى ايضاح قوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - )

اعلم أن هذه الآية أصل عظيم من أصول العلوم الطبيعية والذى جاء فى نص هذه الآية هو آخر رأى وصل له العلماء ، انظر الى علوم اليونان فلقد ابتدأت حياتى العلمية الفلسفية بقراءتها ولم أكن أعلم بالحديث فرأيت القوم يقولون ان السموات والكواكب كل هذه أزلية أبدية ولا يمكن خرقها ولا التئامها فهى قديمة كما أن الله قديم وباقية كما ان الله باق ولا يمكن أن تجزأ ولا تنفصل . أقول ومعلوم أن هذا المذهب يخالف ديننا على خط مستقيم ، ثم إن المتأخرين من العلماء أجمعوا أن هذه الكواكب مركبات من عناصر وانها كانت بخاراً قديماً وفى المستقبل ترجع بخاراً الخ ولا جرم أن هذا يوافق ديننا أى ان علماء أوروبا قرروا ما يوافق ديننا موافقة تامة وان كانوا لا يعلمون ولكن بقيت العناصر وهى فوق الثمانين ، فهذه لا تنحل مطلقاً ، فإذا هى دائمة وتقوم فى دوامها مقام السموات فى بقائها عند القدماء فرجع الأمر الى مثل ما كان عليه القدماء . هنالك ظهر علماء زماننا فقالوا . كلا . بل كل هذا الوجود ونفس هذه المادة تنعدم كما تنعدم مركباتها ، وآخر رأى هو أن العناصر محكوم عليها بالفناء كالمركبات منها

### ﴿ ايضاح هذا المقام . النظرية القديمة ﴾

قد أثبت لك أن بعض علماء اليونان ومن تبعهم من علماء الاسكندرية أيام دولة الرومان بمصر قد قالوا ﴿ إن السموات لا تنحل ﴾ وأزيد عليه أيضاً انهم قالوا ﴿ إن المواليد الثلاثة وهى الحيوان والنبات والمعادن مركبات من عناصر أربعة وهى الماء والتراب والنار والهواء ، فاذا حكمنا بأن السموات وكواكبها لا تنحل ولا تتجزأ ولا تنفنى فانا نحكم أيضاً على الماء والنار والتراب بأنها لا تنحل ولا تتجزأ ، فالشمس لا تنفنى والقمر



لا يفنى والكواكب لا تفنى ﴿ واستمر الأمر على ذلك مئات السنين

﴿ نقص هذه النظرية ﴾

هنالك جاء متأخرو علماء الاسلام كما تراه في ﴿ كتاب المواقف ﴾ للعلامة العنبري وهكذا السيد وغيرهما فزلزلوا بعض القواعد كقولهم ﴿ إن الأرض تدور حول الشمس وليست الشمس دائرة حول الأرض ﴾ ثم جاء (كويرنيكوس) و(غاليلي) من علماء أوروبا وأوضحوا هذا ودوتوه وهذا وإن لم يكن نقضا لهذه النظرية هو فتح باب للنظر فيها والتفكير والهدم . هنالك نظر المتأخرون من الفرنجة مثل العلامة (لافوازيه) فانه وضع هذه النظرية وهي

﴿ المادة لا تنعدم ولا تتجدد ﴾

ومعنى هذا انك لوأنت بمادة خشبية وأحرقتها فان الأجزاء تتفرق فبعضها يطير في الهواء وبعضها يبقى خفا في الأرض وهكذا . نحن نأكل الخبز فالخبز لم يذهب منه شئ فانك لو وزنته فوجدته رطلا فهذا الرطل يقسم أقساما فقسم يصير دما بعد تمام هضمه وقسم يخرج مع العرق والبول وقسم يخرج مع الفضلات ، فدما موجود يصير لحما وعظما ومخا الخ والفضلات والعرق لا تزال في هوائنا وفي أرضنا وفي حقولنا فترجع في أجسام نباتنا وحيواننا أوفي تراب أرضنا . هذا هو الوجود كله عند (لافوازيه) وهناك حللوا هذه المادة فوجدوا أن العناصر الأربعة مركبات من عناصر ألطف منها ، فالماء من الأكسوجين والهيدروجين والهواء من الأكسوجين والاوزوت ومعه بخار الماء والفحم وهو السكر بون ومواد أخرى ، وقد عرفوا من العناصر فوق الثمانين ولها جداول عجيبة تبين المناسبات بينها كما ستره في (سورة العنكبوت) فهذه العناصر وان أبطلت النظرية القديمة لم تحل بها المشكلة ، فاذا قلنا ان الكواكب مركبة من عناصر كما يتركب حيواننا ونباتنا وماؤنا وأرضنا وأن هذه الكواكب وهذه الأرض ستحل وتذهب مركباتها وتتفرق وأن ذلك معروف من أضواء تلك الكواكب فانهم حللوا بالنظار فوجدوا في كل كوكب أضواء مختلفة كالنحاس والحديد والرصاص الخ أي انهم وجدوا هذه الكواكب مركبات من عناصر هي نفس العناصر الأرضية والشمسية لأن أشعة تلك الأضواء تشبه أشعة المعادن المختلفة المذكورة وبحشوا بحثا طويلا في معاملهم . أقول إن هذا أيضا لم يحل المشكلة لأن هذه العناصر التي تنحل اليها الكواكب لا تفنى كما هو رأي (لافوازيه)

﴿ الرأي الحديث الموافق لقوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - ﴾

( رأى العلامة جوستاف لوبون )

اطلع العلماء اليوم على مادة اسمها (الراديوم) فهذا الراديوم له ضوء غريب عجيب جدا . ذلك أن أشعته لها مزايا لا توجد في غيرها بها تنحل أجزاء العنصر أي ينقص وزنه فهذا أدهش العلماء كيف يكون هذا الشعاع سببا في نقص الوزن فأخذوا يعللون ذلك بعلل لم تصب كبد الحقيقة وذهبت أدراج الرياح ، ولكن (جوستاف لوبون) قال ما يأتي ﴿ إن جميع العناصر تقبل هذا الانحلال ولكن الراديوم أقواها وأسرعها انحلالا مع علمنا أن جزءا واحدا من ألف جزء من الجرام في الراديوم الذي هو أسرع المواد انحلالا يبقى دهرا وهو يشع الملايين وملايين الملايين من تلك الذرات حتى يصبح معدوما تماما أي ان الراديوم المذكور يصير قوة لا مادة ومثله العنبر وان كان أبدا انحلالا عن الراديوم وهكذا سائر العناصر قابلة لهذا الانحلال لكنها أبطأ وأبطأ ثم قال وهذا الانحلال البطيء يكون بخروج أجزاء ضوئية سرعتها في الثانية الواحدة (٢٠٠.٠٠٠) مائتا ألف كيلومتر . وقرر العلماء الذين وافقوا (لوبون) انهم لو استطاعوا أن يحللوا جراما واحدا من الحديد في ثانية واحدة أي لو قدروا أن يعدموه كما يعدم الراديوم ويحوّله الى قوة لا وزن له لأفادونا قوة من هذا التحول تعادل قوة تجرّ قطارا حديديا حول الكرة الأرضية أربع مرات فان القوة التي يتحوّل اليها ذلك الجرام تساوي

قوة (٦٨٠٠) ألف ألف حصان ﴿ ومعنى هذا أن المادة التي نراها والعناصر التي تركب منها كل نبات وحيوان وإنسان تنعدم كلها ، وما هذه العناصر إلا قوى مخزونة متراكمة مجتمعة سميها مادة وماهى إلا حالة من حالات عالم يسمى الأثير ، فالأثير الذى لا وزن له ولا لون ولا يرى ولا يعرف إلا بالعقل والاستنتاج هو الوجود كله ، فإذا رأينا كهرباء أوضوا أو نورا أو حرارة ومغناطيسا قلنا هذه كلها قوى يتحوّل بعضها الى بعض وهى فى المعنى شئ واحد هو الأثير المالى للفضاء فى جميع هذا الفراغ فاليه يرجع كل شئ بل هو كل شئ ، وما هذه العناصر الأرضية والسماوية بالنسبة للأثير إلا كلماء قد صار ثلجا أو البخار صار ماء ، فاذن أنا وأنت وأرضنا وسماؤنا وعناصرنا كلها عبارة عن قوى أشبه بقوى الكهرباء والنور تجمدت وتكاثفت وهانحن أولاء نراها تنحل فى الراديووم مثلا . إذن هذا الوجود الذى نعيش فيه والذى نسميه مادة متنوعة الى عناصر وإلى كواكب وشموس ماهو إلا قوى متجمدة متكاثفة كتكاثف البخار فيعود ماء فالبخار اذا صار ماء أمكن رجوعه الى بخار ثانيا هكذا المادة . فاذن لامادة ، واذن فهمنا قوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون -

#### ﴿ حظ هذا التفسير ﴾

أفلا ترى أن هذا التفسير حظه عظيم ، انظر الى التوفيق ، انظر كيف أمكن انطباق الآية فى آخر السورة على آخر كشف حديث وكيف كانت هذه الآية توافق نفس العلم الذى به ارتقت أوروبا وقهرت المسلمين به ، اللهم إني أجدك على نعمة العلم والحكمة ، بل انظر فوق ذلك الى ما استراه فى (سورة العنكبوت) أنا الساعة أكتب هذا صبح يوم الأربعاء وهو ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٦ وذلك أثناء طبع هذا التفسير بعد أن تم تأليفه وقد كنت كتبت فى (سورة العنكبوت) فى العام الماضى ما يناسب هذا المقام ولم أكن لأعلم ولم يخطرلى أن آخر الشعراء هو عين أول العنكبوت ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لم يكن ليخطرلى أن قوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه - هو عين مادوتته فى (سورة العنكبوت) من أن - الم - فى أول السورة هى عبارة عن حروف مفرقة وهذه الحروف المفرقة تفتح باب العناصر وأن المركبات السماوية والأرضية ترجع الى عناصرها كما ترجع الكلمات والخطب والقصائد الى الحروف الأبجدية وأن الأمم الاسلامية يجب عليها أن تنظر فى التحليل والتركيب لأن العالم الذى نعيش فيه لانهقله إلا بتحليله كما ان القراءة لاتتم إلا بمعرفة حروف الهجاء التى تتركب منها الكلمات وهناك فى السورة جدول للعناصر والصلة بينها . إذن سورة العنكبوت أصبحت موضحة لسورة الشعراء من بعض الوجوه واتصل آخر الثانية بأول الأولى

#### ﴿ ظهور هذه الوحدة فى النبات والحيوان ﴾

##### ( الذرة والخروج )

إن الذرة كما تقدم فى (سورة الفاتحة) يكون فيها أعضاء الذكور فى أعلى عودها والأنثى فى وسط العود والخروج يكون ذكره أسفل والأنثى أعلى ولكنها عند الالتحاق تنزل الأنثى فتكون أسفل من الذكر فيقع اللقح عليها ثم تكون الثمرة فيهما ثم يعدم الذكران والاناث ، وهذه الحال حاصلة فى كل نبات ، والنخل وان امتاز ذكره عن أنثاه هكذا حالة الذكر والأنثى متعاونان ثم يذهبان ، وكل حيوان وكل إنسان أشبه بعود الذرة وعود الخروج فانك ترى شجرة الخروج وتقول هى واحدة وترى النباتات من الذرة فتقول هى واحدة ومع ذلك ترى فى هذه الوحدة ذكرا وترى أنثى فهما ممتازان ، فهنا وحدة تنوعت ، هكذا النخل وحدة تنوعت وهكذا الانسان والحيوان ، فالرجل والمرأة فيهما معنى الوحدة التى رأيناها فى الذرة والخروج وهذه الوحدة تذكرنا بالوحدة العامة فى الوجود فهو كله يرجع للأثير والأثير شئ لا وزن له ، فالظاهر كلها ذاهبة ، هذا كله معنى قوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - والمجد لله رب العالمين

﴿ ايضاح لهذا المقام بأوسع مما تقدم وذلك تذكراً في قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - وقوله تعالى في سورة أخرى - كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام - ﴾  
 إن هاتين الآيتين من واد واحد ، فقوله - هالك - وقوله - فان - كلاهما اسم فاعل وهو حقيقة في الحال ، وكثيراً ما كنت أسمع بعض أساتذتي يقولون ذلك وأن الموجود على الحقيقة هو الله ولا موجود سواه الآن ، ولما كانت العقول اليوم في الأمم لا تعرف إلا الحقائق أخذت أبحث في هذا الموضوع فوجدته يرجع الى ﴿ مسألتين اثنتين ﴾ المسألة الأولى ﴿ هل المادة موجودة وجوداً حقيقياً ﴾ المسألة الثانية ﴿ هل هذه العوالم صائرة الى الزوال ؟

أما المسألة الأولى وهي هل المادة موجودة وجوداً حقيقياً ، فاعلم أيها الذكي أن نفس المادة من سموات وأرضين وما بينهما قد صعب على العلماء اثباته وحارروا في تحقيقه ، وبيانه أن القدماء من علماء الفلسفة قالوا إن هذه المادة مفرقة على حواسنا ، فهذه الأضواء والحركات والسكنات والألوان والقرب والبعد اختص بها البصر ، وهذه المسموعات من صوت الانسان والحيوان والجناد اختصت بها حاسة الشم ، وهذا الثقل وهذه الخفة وهذه الحرارة وهذه البرودة اختصت بها حاسة اللمس ، وهذه الحلاوة وهذه الملوحة والمرارة وما أشبهها اختصت بها حاسة الذوق

اننا لما فكرنا في هذا الوجود لم نعرف منه إلا هذه الصفات وهذه الصفات شيء والمادة شيء آخر ، أما المادة فأننا لم نعرف لها برهاناً ولا برهان على وجودها إلا هذه الأوصاف فهذه المحسوسات ماهي إلا أعراض وأخيراً حكموا بأن المادة وجودها ضعيف

هذا ما يقوله قدماء الفلاسفة وهذه المحسوسات هي التي عرفوها في (علم المقولات) وهي كليات عشر تشمل جميع هذا الوجود والذي ذكرته لك منها هنا ملخص كلمة منها وهي (الكيف) والكيف عندهم يرجع الى كيف محسوس والى كيف معقول والذي ذكرته هو الكيفيات المحسوسة التي استنتجوا منها ضعف أدلة وجود المادة . هذا آخر آراء القدماء في المسألة الأولى وهي هل المادة موجودة وجوداً حقيقياً

#### ﴿ آراء المحدثين ﴾

أما آراء علماء العصر الحاضر فانهم وافقوا القدماء ولكن على منهج غير منهجهم قالوا إن الذي نعرفه من هذه العوالم أماننا إنما هو الأثير والأثير شيء تصورناه ولم نره وهذا الأثير فيه حركات كثيرة وتلك الحركات تتنوع فمنها حركات تصير كهرباء . ومنها حركات تصير نورا ، ومنها حركات تصير حرارة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان هذه المذكورات من النور والحرارة والكهرباء ماهي إلا حركات ظهرت بمظاهر مختلفة أي انها شيء واحد اختلفت مظاهره بحسب استعداد قوانا نحن الأحياء على الأرض . فأما ما نراه من جناد ونبات وحيوان وانسان وجبل وحجر فما هو إلا نفس هذه الحركات حصل لها ما حصل للحركات التي صارت نورا وكهرباء وحرارة غاية الأمر أن الحركات التي صارت نورا قليلة بالنسبة للحركات التي صارت فجأ أوقطنا أودها أوفضة فان الحركات التي سمينها نورا تعد بملايين الملايين فقط فيقال إن حركات النور في الثانية الواحدة من حوالي (٤٠٠) مليون مليون الى حوالي (٧٠٠) مليون مليون . فأما الحركات التي تكون حجراً أو شجراً أو ماء فانها تعد بأكثر من هذا فيقال مثلاً انها ستة آلاف مليون مليون فبدل أن كنا نقول إن الحركات في النور تعد بمئات الملايين صرنا نقول إن الحركات التي صارت مادة تعد بألاف الملايين . إذن الموجودات كلها ترجع الى حركات وكلما كانت الحركات أقل كان الموجود ألطف وكلما كانت الحركات أكثر كان الموجود أكتشف . ولعمري ان هذا يخالف ما هو معروف في بادئ الرأي . ألا ترى رعاك الله أن النور سريع الحركات وأن الحجر والشجر معدومة الحركات . فانظر كيف انقلب الوضع وأصبح ما كان يظهر لنا انه كثير الحركات قليل الحركات

وما كان قليل الحركات قد كثرت حركاته

فيا عجباً من وجودنا في هذه الأرض ، الأوضاع مقلوبة والأحوال معكوسة والعلم يظهر لنا الحقائق على غير ما نعهد . سبحانه اللهم حكمت علينا أن نعيش في عالم مقلوب الوضع معكوس الحال ، نرى الشمس جارية حول الأرض فيقول العلم . كلا . الأرض جارية حول الشمس . ونرى أن المال والولد والدنيا كل ذلك سعادة فيقول لنا العلم والدين . كلا . فالسعادة غير هذا . ونرى بحسب نظرنا أن الانسان متى مات فلا وجود له ويقول العلم والدين . كلا . بل هو حي . إن هذه الحياة مقلوبة الوضع معكوسة الحال ترىنا الكبير صغيراً والصغير كبيراً والعظيم حقيراً والحقير عظيماً

فهاك برهاناً على ما نحن بصدده من أن المادة كلها ترجع لحركات أذكرك بما تقدم في (سورة النور) عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - فأذكرك بقطرة الماء المذكورة هناك وانما رجعت الى جزئيات ضعيفة وتلك الجزئيات يبلغ عددها نحو عدد نجوم السماء ثم هي مع هذا كله لاتمتلأ فراغ هذه القطرة بل تملأ جزءاً من مئات الآلاف من الفراغ المذكور ثم هذه الجزئيات مع صغر مقدارها بالنسبة للفراغ الذي تشغله القطرة ظهر انما ترجع الى كهرباء سالبة وإلى كهرباء موجبة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ نقطة ضوء تجرى حول نقطة أخرى ستة آلاف مليون مرة في الثانية الواحدة وباختلاف مقادير هذه السرعة في الجرى اختلفت المادة بحسب ما نراه فقلنا هذا اكسوجين وهذا ادروجين وهذا ذهب وهذا فضة الخ والحقيقة أن هذا كله أمر واحد هو نور أو كهرباء لا غير وباختلاف الحركات ظهرت المواد المختلفة . أما أنا فاني أجد الله عز وجل . أحمده يا الله على انك وفقتني لتلخيص هذا الموضوع وشرحت صدرى لتبينه فيعرف الأذكى في أم الاسلام وغيرهم أن العلم الذي وصل الى عقول أمم الأرض الآن أظهر أن الموجود انما هو حركات والحركات ضوء أو كهرباء أو حرارة أو ذهب أو قرح أو حديد لا أقل ولا أكثر . فالحقيقة شيء والظواهر شيء آخر

واعلم ايها الذكي أن كثيراً من الناس حينما يقرؤون هذا يهجم في نفوسهم خواطر تزعمهم فيقولون ﴿ اذا كان الموجود ما هو إلا حركات اختلفت مظاهرها فكيف يكون عندنا جنة ونار وحساب وعقاب ودنيا وآخرة إذن هذا كله لا وجود له ﴾ وهذا قول من لا تحصيل عنده . فاننا اذا عرفنا حقيقة هذه الدنيا على حسب ما وصلت اليه عقولنا فليس معناه أن هذه الموجودات والمظاهر لا عمل لها . كلا . فان فائدة هذه المباحث في مثل هذا المقام أن تظهر لنا الحقائق فأما تعطيل قوانا وملكاتنا وأعمالنا فهذا ضرب من الجهل . إن هذه الحقائق تثير عقولنا وتفهمنا أن هذه العقول أمرها عظيم وانها قادرة أن تحيط علماً بالمادة عاومها وسفلها ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انها أكبر من الشمس والأقار والكواكب الثابتة والسيارة لأنها تحكم عليها وتتصورها وتختيلها وترجعها كلها الى أمر واحد . إذن هذه العقول نور أكبر من النور الذي خلقت منه المادة بدليل أن هذه العقول حكمت على جميع العوالم فقالت انها نور والنور يرجع الى حركات والحكم أفضل من المحكوم عليه ، فنفس هذا المبحث يرىنا عظمة نفوسنا وشرفها وانها تكبر وتعظم أن تخضع لهذه المظاهر بل مقامها الأسنى أن تعيش في ملاً أعلى ومقام أشرف - في مقعد صدق عند مليك مقتدر -

### ﴿ آراء أفلاطون ﴾

ولا جرم أن هذه الآراء قد عرفت في اجالاً أفلاطون إذ يقول ﴿ إن هذه المادة لا ثبات لها ولا ثبات له فلا تقة به ولا تقة به لا يصح مناظر للعلم بل العلم مبني على أمور ثابتة ﴾ وما هي هذه الأمور الثابتة ؟ هي التي سماها هو « المثل الأفلاطونية » التي أوضحها في غير هذا المكان ، وما هذه المثل الأفلاطونية إلا العوالم العقلية التي تلوعن المادة ، ولم ورد عليه من اعتراض ، ولم أجيب عنه ، وسترى هذا المبحث في (سورة القتال) إن شاء الله تعالى في رسالة ﴿ مرآة الفلسفة ﴾ التي ظهر فيها هذا الوجود أوضح مما قاله أفلاطون ولا يرد علينا

ماورد عليه من الاعتراض ذلك لظهور الحقائق في زماننا والله واسع عليم سبحانه اللهم وبمحمدك ، علمت الأولين وعلمت الآخرين وجعلت العلم كله يرجع الى أمر واحد وأهملت (أفلاطون) قبل الميلاد ما علمته لعلماء العصر الحاضر ، إنك رحيم بعبادك معلم الأولين والآخرين ، ومن عجب أن علماء الهند قديما يقولون كما رأيته في كتاب ﴿ راجا يوقا ﴾ المترجم الى الانجليزية من الهندية ﴿ إن المادة أصلها عقل بدليل انها ترجع اليه ﴾ ألا ترى أن الغذاء فينا يرجع الى قوة فكرية ، فمن المادة العضلات والأعضاء ومنها نفس العقل إذن رجعت الى أصلها وهذا رأى عجيب وهذا رأى يقول به (استوارت سميث) فانه يقول ﴿ ان المادة ماهي إلا عقل تكاثف ﴾ وهذه العبارة منقولة عنه في نفس ذلك الكتاب . انتهى الكلام على المسألة الأولى وملخصها

(١) ان القدماء يقولون ﴿ إن الكيفيات المحسوسة البالغة ٣٦ كيفية مفرقة على حواسنا وحواسنا لم تدرك المادة وانما أدركت هذه الكيفيات لاغير ﴾ إذن وجود المادة ضعيف

(٢) علماء العصر الحاضر يقولون ﴿ إن العوالم كلها ترجع الى حركات فلا فرق بين الضوء وبين الحجر كلاهما حركات والحركات أضواء والأضواء باختلاف حركاتها تصير محسوسة لنا فان كثرت الحركات كانت مواد صلبة وان قلت كانت سائلة وان زادت قلتها كانت ضوءاً أو كهرباء الخ

(٣) أفلاطون من علماء اليونان يقول ﴿ إن المادة لا ثبات لها وما لا ثبات له لا يصح أن يكون مناط العلم بل لا يصح أن يسمى موجوداً فالوجود الحقيقي هو العالم العقلي المسمى المثل الأفلاطونية ﴾

(٤) يقول القدماء من علماء الهند ﴿ إن المادة أصلها فكر بدليل انها تعود الى فكر ﴾ ويقرب منها رأى (ستوارت سميث) ومن قرأ آراء (اينشتين الألماني) لا يجد لها تعدوا ما كتبناه هنا فهو يقول هذا القول بعينه غاية الأمر انه أوضحها وأطال فيها وأعلن عنها . فهذا العالم الألماني أعلن أيام الحرب الكبرى هذه المسألة وقال ﴿ إن هذا الكون ساكن لا وجود لشيء فيه وما هي إلا حركات ظهرت لحواسنا مختلفة المظاهر ﴾ وهذا رأى قد تقدم في هذا التفسير فارجع اليه إن شئت

وهذا هو نهاية الكلام على المسألة الأولى وهي هل المادة موجودة وجوداً حقيقياً تفصيلاً واجالا وأحد الله على التوفيق ونعمة العلم ونعمة الايضاح والحمد لله رب العالمين

﴿ المسألة الثانية هل هذه العوالم صائرة الى الزوال ﴾

اعلم أيها الذكي أن المسألة الأولى رجعت الأمر فيها الى تحقيق هذا الوجود وانه راجع للحركات لاغير ولكن هذه الحركات مظاهر وهذه المظاهر لها قيمتها العظيمة خفياتها كلها وأعمالنا وديننا وآخرتنا ترجع أكثرها الى هذه المظاهر فليس معرفة أصل الوجود بمن فتيلا عن نفس هذه الموجودات فتقع عليه حواسنا له مقام عظيم في العلم فلا ينبغي لنا أن نفعل ما يفعله كثير من جهلة الصوفية الذين يقولون ﴿ اذا لم يكن في الوجود إلا الله فالعلم يكون جهلاً والبحث جنونا ﴾ وهذا يرجع بالانسانية الى الكسل والجهل والهمز ويقول ﷺ « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل الخ » إذن لهذه المادة التي هي مظهر من مظاهر الحركات والأنوار مقام عظيم وعليها مدار المباحث وهي السبيل الموصل الى ما وراءها وحينئذ نقول هل هذه المادة التي ظهرت أمام حواسنا يوماً ما ستفنى بحسب ما يظهر لحواسنا ، وهنا ظهر في الدنيا ﴿ رأيان اثنان ﴾ \* الرأى الأول ﴿ وهو القديم ﴾ لاشئ يزيد على المادة ولاشئ ينقص منها » وهذا رأى (لافوازيه) وهو يعتبر اليوم الرأى القديم . ومعنى هذا أنك اذا أحرقت خشبة أمامك ثم جعت ما بقي من رمادها ومطار في الجوّ من دخانها وبخارها كان مساوياً في وزنه لو وزن الخشبة . وعليه يكون الماء والهواء ونحوهما لا تفنى فالماء يدخل النبات ويخزن فيه ثم يتحلل هذا النبات والماء الذي كان فيه لا بد أن يرجع بخاراً كرة أخرى

ولا يفنى وهكذا الهواء ونحوه . إذن المادة تتحلل وتتركب وكأنما هي حروف الطبع توضع في الصندوق وترتب وتنظم ويطبع بها الكتاب ثم تفرق كرة أخرى وهكذا فالحروف واحدة معلومة محدودة في المطبعة والكتب المطبوعة بها تعد بالمئات والآلاف هكذا هذه العوالم بحسب النظر الظاهر والمشاهدة في هذه الحياة

﴿ رأى الحديث « لاشئ يزيد على المادة ولكن كل شئ صائر الى الزوال » ﴾

لعلك حين تسمع هذا القول تقول ان المسألة الأولى والمسألة الثانية اللتين ذكرتهما مرجعهما واحد فان المسألة الأولى رجع الأمر فيها الى أن العوالم كلها ترجع الى الحركات والحركات الى الأثير ، وهذا رأى القائل ان المادة صائرة الى الزوال معناه يرجع لهذا ، فرجع الأمر الى أن هذه المادة تتحط وتجزأ وتصور في آخر أمرها الى القوة والقوة ترجع الى الأثير فقلت . كلا . ليست المسألتان واحدة وايضا به ضرب المثل أن أقول انظر حباك الله العلم وألهك التوفيق وشرح صدرك للحكمة وأنا لك الكمال الى رجل أصيب بمرض عصبي وهذا المرض جعله يرى أشباحا من عجة وأشخاصا يظهرون له فيؤذونه ويسمعونه ما يكرهه ولا يزالون يوالون الظهور له وهو يستغيث ولا مغيث ويسأل ولا مجيب وهو في الحقيقة مظهر له إلا ما خيلته له نفسه من الصور الخفية التي ظهرت له كأنها حقيقة فلا تزال تلك الصور تظهر له وقتا فوقتاً حتى يوارى في ثرى رسمه بسبب ظهور تلك الأشباح المزججة والتاريخ القديم والحديث قصص علينا قصص هؤلاء العصبيين الذين اوردتهم مرضهم موارد الخلف وأقلقتهم تلك الصور وأمضت مضاجعهم وهياتهم للموت ومفارقة الحياة ، لست في هذا التمثيل أتخيله تخيلا بل هو حقيقة عرفها علماء الطب وعلماء الأخلاق ، هذا المريض بذلك المرض العصبي يرى تلك الأشباح ، لماذا ؟ لأنه مستعد لذلك فاستعداده هيا له تلك الأشباح والمظاهر وهذه حقيقة عنده لا تقبل الشك ولذلك تمنع عنه النوم والأكل والشرب والذات ثم يرد أحواض النايان ليخلص من هذا العذاب المبهين ، فبينما هو كذلك اذا الناس حوله يصفونه بأوصاف الجنون والتخبط والطيب يقول إن أعصابه فيها مرض هيا له ظهور هذه الصور فهنا ﴿ رأيان ﴾ رأى الجمهور الذي سلمت قواه العقلية من الخطأ فهو يقول لاصور ولا أشباح ، ورأى المريض الذي أصيب بهذا الخطأ والخل فهو يقول بوجود صور وأشباح والجمهور تكون نتيجة معارفه انه لا يفرع لأشباح ولا يخاف من عفاريت وهذا العصبي يتأثر فيموت

اذا عرفت هذا المثل فاعلم انه منطبق على المسألتين السابقتين . فبمثل الناس في الأرض إلا كمثل هذا هذا العصبي المريض . وبمثل العوالم الروحية التي خلصت من المادة إلا كمثل العقلاء الذين في الأرض حول هذا العصبي . وبمثل الصور والأشباح التي تظهر له إلا كمثل هذه المادة الظاهرة لنا في الأرض الآن . فاذا قال العصبي هنا صور وأشباح وقد صدق فعلا وما كذب وقال الناس حوله لاصور ولا أشباح وقد صدقوا وما كذبوا فهكذا نحن الآن في الأرض نقول هنا موت وحياة وسما وأرض وجاد وحيوان ونبات وقد صدقنا وهناك عوالم أخرى روحية لا ترى إلا أنوارا وحركات وقد صدقوا فنحن صادقون في اعتبار هذه العوالم موجودة وصادقون في قولنا باعتبار آخر انها غير موجودة . ومن الجهل أن نخلط أحد المقامين بالآخر ثم إن هذا المريض العصبي اذا بقى على حاله مريضا وانفق أن الصور والأشباح لم تعد تظهر له فهذه حال أخرى نظيرها ما نقره في المادة نحن فانتنا نقول ان المادة آيلة للزوال ونحن على حالنا الحاضرة أى اننا بالعلم عرفنا أن هذه المادة ونحن في حالنا الحاضرة تأخذ في الزوال وترجع الى قوة والقوة ترجع الى عالم الأثير . إذن هنا فرق بين المسألة الأولى والمسألة الثانية ، المسألة الأولى فيها أن هذه العوالم لاحقيقة لها بل ترجع الى الأثير في التحقيق العلمي وهذا كالمثال الأول للمريض بالمرض العصبي ، والمسألة الثانية ترجع الى أن المادة ونحن على حالنا صائرة الى الزوال كما ان العصبي وهو مريض زالت الأشباح وماعدت تظهر له

هذا هو الفرق بين المسألتين ، فالمسألة الأولى فيها بطلان العوالم في التحقيق العلمي ، والمسألة الثانية تفيد

أن بطلان المادة يصير عملاً واقعاً تطبيقاً للعلم على العمل ، وعليه نقول - كل شيء هالك إلا وجهه - و- كل من عليها فان - أما في الحال الآن في التحقيق العلمي وأما في الظواهر وفي مقامنا الانساني في الأرض . بل نحن مأمورون ومسوقون الى العمل في العالم بجمد باعتباره موجود فعلاً وجوداً يناسب حالنا ، وأما في المسأل بأن يبطل هذا العالم الذي ظهر لنا ويزول من الوجود فعلاً كما انه زائل الآن في النظر العلمي ولا يجوز للناس أن يخطئوا أحد المقامين بالآخر فلا يقول جهال المسلمين وبعض الذين يدعون التصوف ﴿ إذا لم يكن في الوجود إلا الله فلم النصب والعمل فلتتوكل ولنم ﴾ وإذا قال بعض المتفلسفين صغار العقول من الذين قرؤوا كتبهم وجاهلوا الحقائق ﴿ ليس عندنا في الوجود إلا هذه المحسوسات فعلام النصب والتعب في تحصيل الحقائق ولا حقائق إلا ما نراه فلنعش للذات ﴾ فهو لا يقال لهم أتم مساكين جهلتم علوم الأمم المحيطة بنا وأذا كم كسلكم الى هذه الفكرة فوقتم في أول الطريق فأتم مغرورون ، وهؤلاء يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مشوى لهم ولما اطلع صديقي العالم على هذا المقال قال لقد أجدت صنعاً ولكن هنا ﴿ سؤالان \* الأول ﴾ انك جعلت النوع الانساني أشبه بالمرضى مرضاً عصبياً يرى الأشباح ولا حقيقة لها . إذن هذا الانسان الآن في حال نقص . فقلت إن الانسان في هذه الأرض روحه من عالم النور ووجوده في أرضنا يعدله عن مقامه السامي الشريف وهذا هو الموزله بقصة آدم إذ عصى وأكل من الشجرة وهذا هو الموزله بالذنب ، ألم تر الى قوله تعالى - واستغفر لذنبيك - ألم تر الى المسلم يقول في كل صلاة في الجلوس بين السجدين ﴿ رب اغفر لي وارحمني الخ ﴾ إن المسلم يطلب المغفرة دائماً أذن أول ذنب ، ولا معنى لطلب المغفرة لغير ذنب . إذن هناك ذنب عام لنوع الانسان وهو تجسده في هذه المادة والذنب هنا ليس بالمعنى المتعارف بل بمعنى آخر كالنقص أو الاحتجاب عن مقام الكمال أو البعد عن عالم الأرواح والصفاء والنور ولهذا المعنى تفسر كثير من الآيات كقوله تعالى - إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً \* ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - ولا ذنب لبنينا ﷺ متقدماً أو متأخراً من الذنوب المعروفة . كلا . وإنما الذنب هنا بمعنى الوجود في هذه المادة الجسمية التي هي أشبه بسجن يسجن فيه الناس ولكنهم بالعبادة والعلم والعمل يتخلصون من ذلك السجن ، فالذنب هنا يرجع الى معنى يقرب من هذا ، ولا جرم أن هذا المعنى ملازم لسلك حي في الأرض . إذن نبينا ﷺ أشبه بمن دخل السجن لا ليسجن ولكن دخله ليخلص المسجونين ولكنه في أثناء بقاءه في السجن قد حجز وأبعد عن مقره العالي الشريف فلما منع أن يسمى هذا ذنباً مجازاً . وهذا هو السر في طلب الاستغفار . هذا هو السؤال الأول

فقال أما ﴿ السؤال الثاني ﴾ فإني أقول انك لم تبين لنا ايضاح المسألة الثانية وهي أن الكون صائر لا زوال ومن الذي قال بهذا الرأي وما برهانه ؟ فقلت ان هذا الرأي رأي الدكتور (جوستاف لوبون) العالم الفيلسوف الفرنسي فان الناس يقولون ﴿ إن علم الطبيعة أساسه الجوهر الفرد ﴾ ولكنه هو يقول ﴿ إن المادة تنحل فعلاً ﴾ وجعل المادة أشبه بالنبات والحيوان والانسان ، فشكل نبات وكل حيوان تنحل وترجع الى المواد الأصلية والعناصر المألومة ، فهكذا المادة تسكون على الحال الأثيرية ثم تصير كواكب وأرضين ثم تنحل وترجع الى عالم الأثير فهي كحيوان أو كنبات ، وقد قرظ علماء أوروبا كتابته الذي شرح فيه هذه الآراء وسماه « نشوء المادة » أحسن تقرير ثم قالوا انه أعظم كتاب علمي ظهر بعد كتاب « أصل الأنواع » لداروين وملخص كلامه أن الرأي القديم القائل ان الكون مركب من مادة قابلة للوزن ومن قوة تحرك المادة ولا تقبل الوزن أيضاً وتسكون كهرباء وحرارة ونورا الخ ومن أمر لطيف يسمى أثيراً غير قابل للوزن أيضاً تسبح فيه الجواهر الفردة وهذه العوالم الثلاثة كل منها مستقل عن الآخر فهو يقول إن هذا الرأي القديم خطأ وان هذه العوالم الثلاثة لا فواصل بينها . فالمادة تتحول الى قوة والقوة تتحول الى أثير . يقول (جوستاف لوبون) لا نبات

هذه المسألة ﴿ إن الراديوم وما أشبهه يذهب هباء منثورا ويزول من الوجود بارسال ذرات صغيرة منه ذات سرعة عظيمة ﴾ ويقول إن جزءا من ألف من جرام (الراديوم) الذي هو أسرع المواد انحلالا يبقى دهرا وهو يشع ملايين الملايين من تلك الذرات الى أن تتحول مادته الى قوة أخيرا فعلا . إن جميع المادة لا فرق بينها وبين الراديوم غاية الأمر أن الراديوم أسرع انحلالا وانحلال الراديوم يكون بارسال ذرات صغيرة منه بسرعة تقرب من سرعة النور أى (٣٠٠.٠٠٠) كيلومتر فى الثانية وقد قاسوا تلك القوى التى تضع فى أثناء انحلال المادة فوجدوها أشد القوى فى هذا العالم وقد قالوا انهم لو قدروا أن يحولوا جراما من الحديد بحيث يهدم فى ثانية واحدة لتتحول هذا الجرام الى قوة تعادل قوة (٩) آلاف مليون و (٨٠٠) مليون حصان وهذا المقدار كاف أن يجرى قطارا حديديا حول الأرض (١) مرات ومن هذه القوة الكامنة فى المادة النور والكهرباء والحرارة والجاذبية ، فهذه تتحول بعضها الى بعض لأن أصلها واحد وما السكهربائية إلا نتيجة انحلال المادة وهكذا ضوء الشمس فهو نتاج من انحلال مستمر فى عناصر وهكذا

فهذا هو رأى الجديد لجوستاف لوبون القائل إن العالم المادى مصيره الزوال ككل حيوان وكل انسان وهذا هو تفسير الآية . يقول الله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - إذن أصبح الرأى الجديد هو المفسر لهذه الآية ، فكل شئ هالك إلا وجهه فلا فرق بين النحلة والنملة وبين نفس المادة العامة فكل منها له عمر محدود ثم ينعدم ، فإذا رجع الحيوان والنبات الى المادة الأرضية والهوائية رجعت المادة جميعها الى عالم الأثير وعالم الأثير عالم إلهى لا ندرى سره ... وأن الى ربك المنتهى -

ومعالم الأثير إلا كعالم الخيال الذى نعسه فى نفوسنا فإن الانسان متى أغض عينيه وهو مستيقظ أخذ يحول فى عوالم لانهاية لما يشاهدها بحاسة باطنية ثم ان العبر التى تبرزها فى الخارج لا تصنعها إلا بعد أن تصوورها فى خيالنا كما أن المادة الخارجية لا تظهر إلا من الأثير فعالم الأثير عالم مجهول لا يقرب لنا إلا هذا الخيال الذى نتخيله ولا نراه

فلتنظر أمة الاسلام بعدنا وليتأملوا هل أمكننا تفسير هذه الآية إلا بقراءة علوم الأمم حولنا ؟ ألسنا بهذا نعرف قوله تعالى ... ويقول الذين كفروا لست برسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - فالعلماء فى الأمم بعدنا هم الذين يفهمون أسرار النبوة ويعقلون معنى - كل شئ هالك إلا وجهه - ومعنى - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير - الخ

وهذا وأمثاله هو السبب فى أن القرآن يذكر فى الامور العظيمة العلم وأولى العلم ويقول الله - شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - إذن دين الاسلام فى المستقبل لا يحمله إلا أمم ارتقت بالعلم ودرست مناهل كل فن ، فويل بعدنا للمسلمين الجاهلين ، وويل ثم ويل لمن قرأ هذا التفسير ولم يكن نبهرا سائرا ونورا مشرقا للمسلمين فأعرض وتولى عنهم مع قدرته ولم يكن مصلحها لعقول المؤمنين . انتهى ما أردته فى تفسير هذه الآية عند الطبع يوم الاثنين أول يوليو سنة ١٩٢٩ م

﴿ جوهريان ﴾

(الأولى) فى بعض سر ... طسم -

(الثانية) فى الصلة بين السورتين

﴿ الجوهرة الأولى فى سر ... طسم - أى الطاء والسين والميم فى أول سورة القصص ﴾

فى ليلة الخميس ١٨ يوليو سنة ١٩٢٩ خطر لى وأنا ذاهب الى المنزل هذه المعانى فى سر ... طسم - فى أول هذه السورة . لقد جاء فى أول السور المتقدمة أن هذه الحروف قد خصت لتذكر المسلمين اليوم بأهم ما ينقصهم من السكال فى هذه الحياة وغيرها وهذه السورة طبعا بدئت بما يشير لذلك فيها . إن هذه السورة مبدوءة



بقصص فرعون محتومة بقصص قارون ، ولا جرم أن فرعون استضيف طائفة من الناس واستحيا نساءهم لأنه مفسد . ثم إن هذه الطائفة من الله عليها وفازت ، إذن أهمل ما في هذه السورة أن الطوائف الضعيفة المستعبدة يوما ما تنصر على أعدائها . وتلك الأيام نداؤها بين الناس . ومثل ذلك أصغر قارون فإنه أعطى المال ففرج وأفسد ثم ذهب هو وماله وكان الذين أوتوا العلم أرشد عن أوقى المال . هذا ملخص ما في السورة طوائف ذليلة ، سياسة ، أو مالا يكون ما لهم الفوز ، فالسياسة في أول السورة في قصص فرعون وموسى والمال في آخرها في قصص قارون ، فلما كانت هذه المعاني هي أهم ما يقصد في زماننا لرقى المسلمين كان ما فتح الله به في هذه الليلة مناسباً لذلك ، ألم تره أشار بالطاء لطائفة وبالسين لنداء واستعبادها وهذه السين مذكورة في - يستضعف - و - يستحي - وفي - المفسدين - فالسين في السكامتين الأوليين مذكورة مع الإذلال وفي الآخرة لتوجيه الفكر إلى صفة الظالمين وهو الفساد ، ولما كانت هذه الطوائف الضعيفة لا بد من نصرها أكثر ذكر الميم في هذه المعاني إذ قال - ونريد أن نبقي على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم - الخ فاليم في - طسم - تشير إلى جعلهم أئمة لأن الميم جاءت في السكامتين وفي جعلهم الوارثين وفي تمكنهم في الأرض . إذن - طسم - في هذه السورة فيها ملخص السورة ، ولعل قائل يقول هذه الحروف لم تأت في أول السكلمات غالباً بخلاف كثير من السور السابقة فأقول إن من فهم أسرار حروف أوائل السور فيما تقدم يسهل عليه استخراج خفي هذه السورة من الحروف في أولها ، إذن من عرف ما تقدم يعرف الحكمة الإلهية واذن يفقه ما ذكرناه هنا سر بها ، لذلك جعل الله هذه الحروف هنا موزعة على آيات كثيرة وليست أكثرها في أول السكلمات وظهور هذا السر الآن في هذا التفسير يرمي ﴿ لغرضين ﴾ الغرض الأول ﴿ هو ما تقدم وهو أن الطوائف الضعيفة لا بد من فوزها وأن الله رؤف بها ، فالطاء للطائفة والسين لنداء الميم لنصرها ، وهذا ملخص السورة كما تقدم ، فهذا الغرض اليوم يشير إلى رقي المسلمين كأنه يقال لهم أيها المسلمون كل دليل يعز بعد ذله فاقروا التاريخ ، فإياكم أن تقنطوا من رحمة الله فسيرجع لكم مجدهم فلستم أول أمة دلت بعد عزها ﴾ الغرض الثاني ﴿ أن تحترس الأمم الإسلامية وغير الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها من الغرور بالملك واستضعاف الأمم فإذا قويت أمة إسلامية فلتعلم أن الله لها بالمرصاد وإذا دلت أمة فإن الله يقتص للمظلوم من الظالم ، وكل هذا تشير له - طسم - فكأن هذه الحروف مبشرة لكثير من الأمم الأذلاء ومنذرة للأقوياء وأنهم لا بد أن الله ينصر الضعفاء يوما ما عليهم فيجب الاحسان للأمة الضعيفة والنصح لهم والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية في الكلام على الصلة بين آخر سورة القصص وأول سورة العنكبوت ﴾

اللهم إنا نحمدك على جمال العلم وبهاء الحكمة ، أريتنا يا الله في قصة قارون أنه غره المال والخزائن و - قال إنما أوتيته على علم عندي - ووبخته على أنه جهل تصرفك في الدول واهلاكك للأمة وشهد الذين أوتوا العلم أن هذا ظل زائل وقلت للناس في غضون ذلك أنك لا تحب الفرحين وانك لم تجعل العقوبة إلا للذين لا يفسدون في الأرض ولا يريدون العلو فيها ثم ختمت السورة بأن هذه المواد غير موجودة عند التحقيق وإنما هذه النفوس الأرضية قد حكم عليها أن يكون نظرها للوجودات نظرا يحبسها فيها ويجعل عقولها مشغولة بهذه المادة وفي الحقيقة لامادة وإنما تلك أشياء أقرب إلى الخيال منها إلى الحقائق ، فناسب أن تكون سورة العنكبوت مبتدأة بمسألة الفتنة وأن هذا النوع الانساني مبتلى كله كما ابتلى الأنبياء والعلماء وذلك ليجتهد الناس في أعمالهم ويصل كل منهم إلى درجته التي استهد لها ، ثم أخذ بعد ذلك يحرض على الجهاد وأن لقاء الله لا يكون إلا بهذا الجهاد . إن هذا الانسان كله مكبل بقيوده محبوس في سجنه حكم عليه حكما قاطعا أن يعيش في ظلمة الطبيعة ويقضى الضرورة الحيوانية ويتلبس بالطين ويزاول شهوات البهائم ونزوة السباع وضراوتها

فلست تراه إلا ساعيا جهده لكسرة يأكلها وشهوة يسدها وغضب يثيره فقواه موزعة وآراؤه مشتتة هذا هو الانسان أوله وآخره ، وما الدين ولا العلم ولا العمل إلا سعى للخلاص من هذه الطبيعة الطينية . واعلم أيها الذكي أن هذه المعاني لا تكشف إلا لمن أدرك ما عليه الناس الآن . إن الناس تراهم في هذه الأرض مجبورين مقهورين على أعمال كلها نصب ونهب وما أرضنا إلا جواهر نارية متكاثفة وباطنها مواد محرقة وكل نبات وكل حيوان أجسامها قابلة للاحتراق ونحن لاحياة لنا إلا بالحرارة التي هي من طبع النار ، وهانحن أولاء ننتقل من سجن الى سجن فاذا سجننا في سجن الجوع أو الشبق وهر بنا من هذين السجنين بتعاطي الطعام واجتماع الذكور بالاناث دخلنا في سجنين آخرين وهما سجن حوز المال وحب الترف وذلل المحافظة على ماملنا كنتم الحسد والبخل وما أشبه ذلك ، وسجن الذرية الذين نسمى ونسكت لآر بيتهم وتعليمهم ونحزن لمرضهم وجهلهم فنحن نخرج من سجن الى سجن ومن عذاب الى عذاب ونحن نطق انا سعداء فرحون ثم إن الأمم كالأفراد فهم متعادون منافقون مخادعون متحاربون - لقد خلقنا الانسان في كبد - قتل الانسان ما أكفره - إن الانسان لفي خسر - وكيف لا يكون في خسر وهو مشغول بما كفيته السودة وسعدت به حشرة أبي دقيق ، حشرة أبي دقيق دودها يأكل ورق القطن وتجده موفرا لها فهي به سعيدة ، ومانال الانسان من سعيه مثل مانالت تلك الحشرات الساكنات في قصور خضراء من ورق القطن فيها ثريات لامعات بهجات هي أزهار القطن ، وهذا الانسان كله أوله وآخره يسعى ليحصل سعادته في الدنيا فلم ينل ثم هو يخلو بنفسه ويفكر في أصل العالم ومنشئه وهذه النجوم والشموس ولماذا خلقنا في الأرض وهكذا فيججزه البحث فيرجع طرفه خاسئا وهو حسير

هذه هي مرتبة الانسان ولهذا أمر بالجهاد ليخرج من هذه المآزق وضربت له الأمثال تارة بقصة آدم وآونة بقصة قارون ، فاذا وجدنا قارون افتتن بالمال فذلك ليس خاصا به بل كل الناس بل الذي لامال عنده قد يكون قلبه معلقا به كقارون ، وكمن صعلوك لا يملك شروى نقيرا عمته الدنيا وأضلته ، وكمن غنى زهدا فهما كما قيل

علقتها عرضا وعلقت رجلا \* غيري وعلق أخرى ذلك الرجل

واعلم أن جميع الذنوب التي وردت في الشرائع السابقة واللاحقة كالزنا والسرقة والقتل ما هي إلا آثار أو نتائج لما كن في هذه النفوس من الشهوة والغضب ، فمثل تلك الصفات في النفوس إلا كمثل الأقداء في العيون ، وما مثل هذه الذنوب إلا كمثل الذباب يقع عليها فاولم تكن في العيون أقداء لم يقع الذباب عليها فوقع الذباب شبه به الذنوب والقذى في العين شبه به أساس تلك الذنوب ومن أزال الأساس فقد أزال ما بني عليها ولا تزال هذا الأساس إلا بالجد والاستغفار والتوبة والأعمال الصالحة والرجوع الى مبدع العالم واعلم أيها الذكي أن من عرف ماقلته لك الآن وأدركه حق الإدراك عرف أسرارا في الديانات وحلت له مشاكل كثيرة ﴿ مثال ذلك ﴾ أن المسلم يقول في الجاوس بين السجدين ﴿ رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني وعافني ﴾ فقول المسلم اغفر لي في كل ركعة ليس معناها انه قد أذنب فعلا فكم من المسلمين من يقول اغفر لي ولاذنب له وقد كان ﷺ يقولها وقد أجمع العلماء انه معصوم من الذنب فهو عفوان وكثير من المسلمين لا ذنوب لهم فكيف يطلب هؤلاء الطاهرون غفران ذنب لم يقع منهم . إذن طلب الغفران منصب على أساس الذنوب وهي الطبيعة الترابية التي شبهناها بقذى العين الذي هو السبب في وقوع الذباب عليها . إذن المسلم يطلب غفران الذنب سواء أذنب ذنبا أولم يذنب لأن هذه الطبيعة الطينية معرضة للذنوب فاذا كان المسلم مذنباً طلب غفران هذه الذنوب الفرعية وإن لم يكن مذنباً طلب إزالة أساس الذنب لاغير ، وبهذا نفهم قوله تعالى - إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - فالغفران

هنا منصب على تلك الأساس التي اقتضتها الطبيعة الانسانية في هذه الأرض

﴿ بيان ما يشير الى هذا المعنى عند الأمم السابقة ﴾

وإذا أنت أيها الذكي رجعت الى ما تقدم في آخر (سورة المائدة) وقرأت أن الدين المسيحي ماهو إلا صدى صوت ديانات تقدمت في مصر والهند والتبت والعراق عند الآشوريين والبابليين وأهل المكسيك القدماء وهكذا ترى بعضه في (سورة مريم) منقولاً عن علماء الألمان الكاشفين لهذا المعنى سنة ١٩٠٣ فيما وجدوه على الألواح في بلاد العراق ، أقول اذا رجعت الى ذلك كله وقرأته وفهمته حقاً فهمه أيقنت أن الصليب كان أمراً شائعاً في تلك الأمم على سبيل الخرافة وقد نقل الى الدين المسيحي نقلاً لاغير وأن هذا الصليب لابن الله البكر ليخلصهم من ذنوبهم بخروجه من هذه المادة وانهم جميعاً يغمسون أنفسهم في الماء (ماء المعمودية) وأيضاً قد شاع في أكثر الديانات وآخرها الاسلام أن آدم عصي وأنه هبط من الجنة الى الأرض وهكذا فكل ذلك من واد واحد ، نعم تلك الديانات منسوخة عندنا نحن المسلمين والمنسوخ لاحقاً له ، ولكن كلامنا الآن في شيوخ هذه الآراء في الأمم . ان العقول الانسانية لاتقل في فطرتها عن فطرة الحيوان بل فطرة الانسان أرقى وأرقى ولم نجد في الحيوان غرائز باطلة بل هي كلها غرائز شريفة أبدعها المبدع الحكيم ، فإذا كان هذا في الحيوان فكيف إذن بالانسان الذي جعله الله خليفة في الأرض وشرفه فكيف تم فيه خرافات الصليب وهذا الصليب لابن الله البكر ، وكيف تشيع عادة ماء المعمودية ، أقول إن هذا كله انما شاع في هذه الديانات وقبلته الفطر الانسانية وبقيت فيها دهوراً ودهوراً لأن هذا النوع الانساني كله يحس بأنه موضوع في طبيعة تبعده عن مقامه العالي وشرفه الرفيع فهو عاص وهو يحتاج الى التطهير من المعصية فماء المعمودية ماهو إلا رمز لطهارة النفس بالعلم والعمل والصليب خروج النفس من هذه المادة وارتقاؤها وتنزّتها عن شهوات أهل الأرض . كل هذه المعاني مجبوءة في عقول أهل الأرض فتارة تظهر بهذه الخرافات كالصليب وماء المعمودية وتارة تظهر بهيئة حقائق مثل انها ذنوب ويطلب من الله غفرانها ، ومثل ان أبانا آدم قد عصي وهبط من الجنة . كل ذلك يرجع الى تلك الأساس التي ذكرتها لك ، ولست أقول لك ان كل دين من تلك الأديان كان حقاً بل أقول ان هذه خرافات ابتدعتها الناس في الأمم وقبلتها نفوسهم ولكن لماذا قبلت النفوس هذه الخرافات ؟ انما قبلت هذه الخرافات لأنها تعبر عن فطرتها

ولما أراد الله انقاذ الانسان من الخرافات وعلم انه استعد لظهور بعض الحقائق أنزل دين الاسلام وعبر بالمغفرة والذنوب . هذا ثم انك اذا سمعت الله يقول في آخر القصص - فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون - فان هذا راجع الى الذنوب الفرعية ، وإذا سمعته يقول - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يردون علواً في الأرض ولا فساداً - الخ فهذا راجع الى طهارة تلك الأساس وتهذيبها ، وإذا سمعته يقول - نخرج على قومه في زينته - الخ فذلك لفروع تلك الأساس وإذا سمعت ذكر الجهاد والفتنة في أول العنكبوت فما هو إلا إتمام لما في آخر القصص وهكذا ذكر الأعمال الصالحة والسيئات والأفعال كل ذلك تكميل لما في آخر السورة قبلها . انتهى والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الجمعة ١٩ يوليو سنة ١٩٢٩ م

( تذييل )

( حكمة ألقاها الله على قلوب بعض عباده من الصوفية وهي ان من ادعى الاستغناء بالله عن الدنيا فهو جاهل

وهي من حكم قصة قارون قاتنها لتحدد الزهد في الدنيا )

هذه القصة كما دلت المال والدنيا حُرِّضت على عدم نسيانها بالكلية ، فالقصة أعطتنا طريقاً وسطاً فلا نكون عالة على الناس ولا نكون طماعين جاعين ، ولقد شاع في أيامنا هذه أن كثيراً من الشيوخ ورجال

الصوفية وجهالة الوعاظ يحقرون أمر الدنيا للناس فيبطل سعي كثير من العامة ويكون نفس أولئك الشيوخ عالة على الأمة يلتمسون منها الهدايا تقرباً إليهم مما هو شائع معروف وهذا إثم وضلال ، فالله ما خلق العقل والقدرة والأعضاء والحواس الظاهرة والباطنة ليعطلها ولكنه فصلها تفصيلاً لأعمال تقوم بها فتظهر مواهبها في الحياة الدنيا والآخرة ولقد رأيت في كتاب الشيخ الشعرائي المسمى « درر الفواص على فتاوى سيدى على الخواص » مانصه « سألت شيخنا رضى الله عنه عما استندنا إليه الزاهد في الدنيا من الأسماء والحضرات الإلهية فإنه لا بد لكل شئ في العالم من استناده الى حقيقة إلهية ونرى الحق تعالى رجح وجود العالم على عدمه فبخلق من تخلق هذا الزاهد ؟ فقال رضى الله عنه الزاهد في الدنيا هو هدى الأولين والآخرين المتبعين للأوامر الإلهية لأن الله تعالى قد عشق الخلق في الوجود وزينه لهم وجعل ذلك حجاباً عليه لا يصل أحد الى معرفته تعالى إلا بالاعراض عن زينة الكونين ، فن زهد في الدنيا والآخرة فقد تخلص لربه عز وجل ومن زهد في الدنيا فقد تخلص للآخرة ومن لم يزهد في الدنيا لم يتخلص بشئ وتعس وانتكس ، فالزاهدون قد تخلقوا بأخلاق الله تعالى في كون الله تعالى منذ خلق الدنيا لم ينظر إليها أعنى نظر محبة ورغبة والافهوتعالى ينظر إليها نظراً تديراً ليرى ما يشاء من أن يستغنى عنها فان من ادعى الاستغناء بالله عن الدنيا فهو جاهل إذ الغنى بالحق حقيقة لا يصح بالاستغناء عن الوجود نعمت خاص بالله عز وجل فما بقى مقصود القوم بالزهد في الدنيا إلا فراغ القلب وعدم التعمُّل في تحصيل ما زاد على ضرورات العبد لا غير عكس مرادهم بالرغبة فيها . فقلت له إن بعض الناس يزهد في الدنيا ويقول إنما أزهد فيها توسعة على اخواني في الرزق فما حكمه ؟ فقال رضى الله عنه هو زهد معلول . فقلت له فكيف ؟ فقال لأن في اعتقاده ان الذى تركه قسمه الحق له ثم أعطاه للخلق وهو باطل . فقلت له فما الخلاص في مقام الزهد ؟ فقال رضى الله عنه الخلاص أن يكون بما ضمنه الحق تعالى أوثق منه مما في يديه ثم يتصرف فيما في يده تصرف حكيم عليم إذ هو نائب الحق من حضرة اسميه المعطى والمانع فيمنع بحق ويعطى بحق والله غفور رحيم » انتهى وبهذا تم الكلام على (سورة القصص) والحمد لله رب العالمين

## ﴿سورة العنكبوت مكية﴾

إلا من أول السورة الى قوله تعالى - وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون - فغنية وآياتها ٢٩ - نزلت بعد الروم

﴿وهي قسمان﴾

﴿القسم الأول﴾ في تعليم الصبر والجهاد وطاعة الوالدين والمجاهدة في سبيل الله وفي برّهما ومجاهدة الأصحاب وعدم إطاعتهم اذا أرادوا فتنة المؤمن ، ثم قصص الأنبياء من أول السورة الى قوله - وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون -

﴿القسم الثاني﴾ في محاجة الكفار وأهل الكتاب واثبات النبوة من قوله - مثل الذين اتخذوا من دون الله - الى آخر السورة

### ( القسم الأول )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم \* أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ \* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ \* مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ \* وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ تَرْجِعُكُمْ فَأَنْتَبِّحُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ \* وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ \* وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ \* وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ \* فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ \* وَإِذْ زَاغَتْ فِي أَقْصَا الْأَرْضِ وَآدَمُ فِي الْأَرْضِ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ  
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا  
لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ  
الْمُبِينُ \* أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* قُلْ سِيرُوا  
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
\* يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ \* وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا  
فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ  
أُولَئِكَ يَلْعَنُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا  
أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* وَقَالَ إِنَّمَا  
اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ  
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ \* فَأَمِنْ لَهُ لُوطٌ  
وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا  
فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ \* وَلُوطًا  
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ \* أَلِإِنَّكُمْ  
لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا  
أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ  
\* وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا  
ظَالِمِينَ \* قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ  
الْغَابِرِينَ \* وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا  
تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ \* إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ  
الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ \* وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \*  
وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْمُوا فِي

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ \* وَعَادًا  
وَنَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ \* وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا  
فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ \* فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ  
مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ  
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ \*

### التفسير اللفظي

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الم) تقدم الكلام فيه في سورة آل عمران، وسيأتي بيان أثرها في هذه السورة، فانك ستري  
قريباً أن - الم - هنا تشير إلى قوله تعالى - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق - الخ ففيه - الم - وذلك  
ليحقق العلماء بالحكمة، ههنا أخذ الله عز وجل يصل هذه السورة بما قبلها، إن أواخر السورة السابقة كان  
في ذكر قارون وأهل العلم والجهلاء وكيف كانت الزينة القارونية تغر الجاهلين وكان أهل العلم غير مغترين بها  
ولاجزعين من فواتها ولا فرحين بنواها لاهلهم أن دوامها مستحيل وأن هناك ما هو أبهج منظراً وأبقى أثراً  
وهي الحكمة والعلم ونعيم الآخرة فكان ملخص ذلك المجاهدة في ترك هوى النفس فلا علو على الناس ولا  
فساد في الأرض، فهذه السورة ابتدئت بمحيط هذا الموضوع والتدقيق فيه فقال الله (أحسب الناس أن  
يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي أحسبوا تركهم غير مقتونين لقولهم - آمنا - كلا أنهم لا يتركون  
لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع  
المصائب في الأنفس والأموال والفقر والقيحط ومصابرة الكفار، ولقد فتن الله بعض الناس ببعض لتخلص  
نفوسهم من أسرار المادة وذلل الطبيعة لأن التهذيب والتأديب إما بالعلم والمعرفة والعبادة وإما بأنواع المصائب  
فكلاهما جعله الله في الأرض لتخلص الناس من أشراك هذه المادة

(١) فيجاهد المرء شهواته المذكورة في آخر القصص حينما يرى زينة المترفين والأغنياء كزينة قارون  
وهذا الجهاد إما بالعلم كما قص الله عن أهل العلم إذ قالوا - ويلكم ثواب الله خير - الخ وإما بالعبرة والنوازل  
كالجهلاء لما رأوا هلاك قارون فعرفوا معرفة سطحية وقولوا - ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر -  
(٢) ويجاهد أبويه ويكون معهما بوجهين فهو بارٌّ بهما عاصٍ لأمرهما إذا أمراه بالكفر كما سيأتي  
(٣) ويجاهد الأصحاب إذا أغروه أن يكفروا وسهوا له الأمر كأن يقولوا له «نحن نحمل عنك خطايك»  
وملخص ذلك كله جهاد الشهوات، رجاء الأصحاب، وجهاد الأعداء، وكل ذلك اختبار للناس وتهذيب  
واعلم أن كل ما رواه المفسرون في هذا المقام من أنها نزلت في عمار أو في مهجع أو غيرهما لم يرد له ذكر  
في الصحيح وفوق ذلك رواياتهم مناقضة للحقيقة لأنهم ذكروا أن بعضهم أودى في مكة والمؤمنون في المدينة  
وذلك يناقض كون السورة مكية وكثير من أحاديث النزول ليست في الصحيح فتقطن، ولم يرد في هذه السورة  
من الصحاح إلا حديث أم هانئ كما سيأتي رواية الترمذي وحديث ابن عباس رواية رزين وبقية الصحاح  
لا شيء فيها مما يخص هذه السورة، وسأتبع هذه الطريقة في بقية التفسير إن شاء الله تعالى، فلا ذكر بقية

تفسير هذا القسم فأقول

ههنا يقول الله أيها الناس لا تظنوا اني خلقتكم سدى انما خلقتكم لأرقيكم لعالم أرقى من عالمكم ولا يتم ذلك إلا بعلم وعمل ، ولما كان العلم والعمل وحدهما لا يقويان على ارتقائكم ساعدتكم بما يتأبى من النوازل والمصائب الطبيعية والأنفس والآفاق لأن هذا يرقى نفوسكم وان كنتم لا تشعرون ولم أدخل العبادات من ذلك فلقد أمرتكم بالتخلي عن بعض المال والشهوات والجوع في الصيام لأكمل بالعمل التهذيب الذي وضعته بالطبع في أرضكم كما أني كلفتكم بالزرع والكسب لاصلاح معاشكم فأكثر معاشكم بالطبيعة التي نظمها ولا يكمل إلا بعملكم هكذا المصائب والنوازل وتغير الأحوال التي لا تفترون عنها كل حين مهنات لنفوسكم فجاء الدين فأكملها تهذيبا وتأديبا بصرف النفس عن المال والولد الى الزكاة والحج والصلاة والجهاد وغيرها خياتكم كلها حياة شقاء شئتم أم أبيتم فان جاهدتم ارتقيتم والا كان العذاب واصبا عليكم في الدنيا و بعد الموت لأن الميت اذا لم يكن له أجنحة من العلم والعمل يطير بها هناك فكيف يعيش في تلك الأجواء النقية الحرة البهية فلذلك لم أدخلكم من الجهاد كما لم أدخل من قبلكم من الأمم البائدة (ولقد فتنا الذين من قبلهم) فذلك سنة قديمة قديمة شرعناها لكم كما شرعناها للأمم قبلكم فلا ينبغي أن يتوقع الناس خلاف ذلك (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أى فليظنن الله الصادقين والكاذبين وليميزنهما أوليجاز بينهما فالمراد بالعلم أثره ومن ظن خلاف ذلك من الناس فهو سىء الحكم جاهل (أم حسب الذين يعملون السيئات) كالشرك والمعاصي (أن يسبقونا) أى بل أحسب هؤلاء أن يفوتونا فلا تقدر أن نجازيهم (ساء ما يحكمون) أى بئس حكما يحكمونه حكمهم ، وكيف يحكمون هذا الحكم وأنا لم أخلق الخلق سدى ، أنا ربيتهم في عالم المادة وهذا بهم بأنواع التهذيب والتعذيب والرياضة والعلم عسى أن يلهجوا في هذا العالم نور جلالى وجمالى (من كان يرجوا لقاء الله) فى الجنة وأن يشاهده ويرى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فليفرح (فان أجل الله لآت) وكيف لا يفرح وكل مصيبة نزلت أو تكليف جاء به دين فانما جعلت ليقرب العبد من ذلك المقام ويبعده عن ظلمة المادة وليس الله بغافل عن المطيع والمعاصي (وهو السميع) لأقوال الفريقين (العليم) بما أكنته قلوبهم من كفر وجهل أو إيمان وعلم فيضع كلا في مركزه الخاص به ، فعلى المرء أن يجاهد حتى يبلغ تلك المرتبة العالية (ومن جاهد فأنمى بجاهد لنفسه) لأنه يريد أن يتخلص من عالم النقص حتى يستعد لمشاهدة العوالم اللطيفة ثم يصل الى الله ولا يكون ذلك إلا بتلطيف النفوس فليس ذلك الجهاد راجعا لله بل هو لنفس العبد (إن الله لغنى عن العالمين) فهم فى حاجة الى لقائه بتصفية نفوسهم لاهو فالجهاد إذن لهم لاله إذ لا معنى لعمل لا تعود فائدته على العامل نفسه فكل عبادة أو تكليف يراد بها ارتقاء النفس فقول العبد - إياك نعبد - ليس الله فى حاجة اليها بل تلك تاطف النفس بعض التلطيف بذلك التوجه فتتخلص شيئا فشيئا من المادة وهذا هو قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنسفرن عنهم سيئاتهم) كالكفر بالإيمان والمعاصي بالطاعات فترفع نفوسهم عن العالم المظلم (ولنعجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى أحسن جزاء أعمالهم والحسن فى الجزاء أن تكون الحسنة جزاؤها حسنة والأحسن أن تكون الحسنة جزاؤها عشر حسنات أو أكثر ثم أخذ يشرح بعض الجهاد فى الوالدين إذ قال (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أى وقلنا له أحسن بوالديك حسنا أو قلنا افعل بهما حسنا (وان جاهدك لتشرك بى ما ليس لك به علم) أى لاعلم لك بالهية بل هو منى أى لتشرك بى شيئا لا يصح أن يكون إلهها (فلا تطعهما) فى ذلك وكيف تطيعهما فى معصية خالقك وخالقهما (الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) فأجاز بكم على الخير والشر \* روى انها نزلت فى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وأن أمه حلفت لا تنتقل من الضحى ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبتت ثلاثة أيام كذلك ثم إن ابنها أوقع فى قلبها اليأس من اسلامه فرجعت فأكلت وان هذه الحادثة أيضا كما كانت سبب هذه كانت سبب



التي في لقمان والأحقاف وهذه الرواية لم ترد في الصحيحين ولا بقية الكتب الستة ، ثم قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أي في جنتهم فليستعدوا لذلك بالجهاد فالصلاح درجات وللعلم درجات وكل يوم القيامة يدخل فيمن هو أهل لهم ، وليس الصلاح مجرد دعوى لأدليل عليها بالعمل . إن الصلاح لا يكون إلا بالجهاد والصبر على الأذى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله) كما حصل من تعذيب الكفار المؤمنين (جعل فتنة الناس) أي ما يصيبه من أذيتهم في الدنيا ليصتدوه عن الإيمان (كعذاب الله) الذي قدره على الكافرين ليصرفهم عن الكفر ، فهؤلاء يجزعون من عذاب الناس ولا يصبرون عليه فيطيعون الناس في كفرهم كما يطيع المؤمن ربه خوفاً من عذابه وهل فتنة الناس كعذاب الله كلا . إن عذاب الله أشد وأبقى فهؤلاء لا يثبت لهم ولا صبر ولا مساعدة لأحد إلا بالصبر وإنما يروغون كما يروغ الثعلب ويتقلبون تقاب الحرباء وذلك التقلب لضعف قلوبهم ، ولذلك إذا جاء نصر أو غنمة قالوا إنا معكم وهذا قوله تعالى (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) في الدين فاشركونا فيه ، فهؤلاء هم المنافقون (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الاخلاص والفاق ثم أكد فقال (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) يقال إنها نزلت فيمن أخرجهم المشركون معهم إلى بدر وهم الذين نزل فيهم - الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم - ولذلك يقال إن هذه الآيات العشر من أول السورة إلى هنا مدنية وباقي السورة مكية وقد علمت أن الأحاديث ليست في الصحيح المعلوم.

هذا ولما تم الكلام على جهاد الوالدين وما بعده من المنافقين ذكر جهاد الأصحاب الذين يعرفون أصحابهم لتركوا الدين فقال (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبلنا) الذي نسلكه في ديننا (ولنحمل خطاياكم) فتركوا الاسلام واتبعوا ديننا القديم وعلينا أن نحمل خطاياكم وهذا قول صناديد قریش لمن آمن منهم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لسكاذبون) في قولهم نحمل خطاياكم (وليحملن أثقاهم) أثقال ما اقترفوه من الإثم (وأثقالا مع أثقاهم) أي وأثقالا آخر معها فان من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من وزر من اتبعه شيء (وليسأتق يوم القيامة) سؤال تقيع (عما كانوا يفترون) من الأباطيل التي أضلوا بها ، وههنا ابتداء سبحانه بذكر قصص الأنبياء ليتعظ المسلم بما يرى من جهاد المجاهدين شرحا لقوله - ولقد فتنا الذين من قبلهم - الخ فابتدأ بما فتى به نوح ومن معه حتى يصبر الناس كما صبروا وكذلك إبراهيم ولوط وشعيب وهود وصالح وموسى ، فهؤلاء كلهم صبروا هم وأتباعهم على ما أؤذوا فنجوا وهلك أعداؤهم

﴿ جوهرة في قوله تعالى - ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين - ﴾  
 اللهم إنيك خلقتنا في الأرض ونحن فيها أشبه بالغرق في بحر لحي ، أرواحنا قبسة من نورك فأنزلتها إلى الأرض ولبست كل روح جسمها ووقعت في حيص يبص فهي أبداً تجاهد لتنجو من الخطر الملازم لها وهي هذه الأجسام وشهواتها وأخلاقها وأحوالها ، وليس الجهاد قاصراً على أمر دون أمر فالجهاد يشمل كل عمل يرفع هذه النفس عن الدنایا ويقويها في سفرها وينشلها من غرقها ويخرجها من بحر هذه الحياة اللجي والجهاد ﴿ نوعان ﴾ جهاد داخلي وجهاد خارجي ، فالجهاد الداخلي لقتوى الشهوة والغضب فيعتدل الانسان في قوته الجسمية والعقلية ، وجهاد خارجي وهو دفاع الأعداء وبعض العبادات ومنها الحج فهو من أهم أنواع الجهاد بل الحج يذكرنا بسعادة نوع الانسان ويرمز إلى ﴿ فائدتين ﴾ منها صحة البدن واجتماع الأم بسلام ، إن الاسلام لو لم يكن فيه سوى الحج لكفى لسعادة الانسان ، فيه جهاد النفوس بترك الخيط من الثياب كما تقدم قريبا في (سورة القصص) عند الكلام على منافع الشمس في آية - قل رأيتم - الخ والاجتماع بالاخوان من سائر الأقطار ليشهدوا منافع لهم . واعلم أيديك الله أيها الذكي أن مسألة الحج يقصد بها إلى أمر عظيم وهو

نبت التعالى والتكبر وترك الترف والنعم اللذين يسببان هلاك الأمم فى هذه الدنيا ، ولقد فأتى فى سورة الحج وفى البقرة وغيرهما من السور التى ذكر فيها الحج أن أئين أكثرهما ذكرته هناك ولكن الله عز وجل يريد أن يمن على أمم الاسلام بالعلم والحكمة ، فأول ما خطر لى خاطر الحج من حيث الصحة العامة بتعرض الجسم لضوء الشمس كان بسبب محادثة شاب معى أخذ يذكر مناسك الحج وأن أوروبا قد أخذت تنبت القصور والدور وتذهب الى أعالى الجبال ليعرضوا أجسامهم لحرارة الشمس تبعاً لأوامر الصحة ، هنالك حضر لى هذا الخاطر فكتبت بعض ذلك فى (سورة القصص) كما قلت لك آنفا ولكن انظر . ان الانسان يعيش ويموت وهو لا يزال فى حاجة الى الاطلاع ليعلم ما لم يكن يعلم فأتى فى هذا اليوم صباح ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٩ اطلعت على هذا الموضوع فى ﴿ الرحلة الحجازية ﴾ لصديقى محمد لبيب بك البنونى فرأيت وفى الموضوع حق فسلخصه هنا تلبية لنداء الوجدان واتماماً للكلام على الجهاد لأن جهاد النفوس الانسانية فى الحياة الدنيا يجب أن يشمل الجهاد الجسمى والجهاد الروحى وجهاد الأجسام بصفائها وخلوها من الأمراض بترك الاكثار من الماء كل وباستخلاص أنفها فى الحياة والصحة وبتترك الاكثار من الملابس التى تضر بالصحة فى كل أمة بحسبها . والجهاد الروحى بحب الاخوان بل بحب جميع الأمم ولن يكون ذلك إلا بترك الترف والتنعيم والحرص ومد يد المساعدة العامة فلامترف فى الأرض مساعد لآخوانه ولاضعيف جسم يقوم بأود محتاج . إن الحياة جميعها جهاد . وما كان يهيج بالى ويزيد بلبالى أمر الملابس فأتى وجدت الأم قد اختطت لأنفسها خطة ضيق الملابس والتصاقها بالجسم ولم أجد فى هذا الانسان إلا مقلدا . الناس جميعا مقلدون وقليل فيهم المفكرون وهذا القليل لا قوة له على اخضاع هذه الجوع ، ولطالما وقفت أمام صورة فى المتحف المصرى يقال انها صورة (شيخ البلد) فكنت أجد الجسم ليس عليه إلا إزار واحد فجميت وصرت أقول ياليت شعرى ، أليست هذه مصر ، أليس هذا منها وأنا منها ، فلماذا اكتفى هذا الرئيس ومروءوه بالازار ونحن لبسنا ملابس وماهى إلا حل ثقل علينا . هذا الموضوع وغيره حررت وجدانى فبحثت فلم أجد لى سبيلا لإلانسك الحج وفهم بعض أسرارها فعرفت أن الله فرضه ليقول للناس هاهوذا وصف رقى الانسان ليقرا الناس علم الصحة فيعرفوا أن صحتهم لا تتم إلا بالتجرد فى بعض الأوقات من الثياب وتعرض أجسامهم للشمس وليكونوا بزى واحد تقر بياحتى يتحابوا فتكون مدارس الغرب ومدارس الشرق على وتيرة واحدة ، هنالك يتعاونون جميعا وهنالك تقدم لهم الأرض خيراتها وكنوزها . ولم أجد كتابا يشرح هذا الموضوع مثل ما جاء فى تلك (الرحلة) وهذا نص ما جاء فيها تحت العنوان التالى وهاهوذا

### ﴿ لباس الاحرام ﴾

كان الناس قديما يصنعون ملابسهم من القطن أو الكتان أو جلود الحيوان بحال بسيطة جدا والمصريون كانوا يستعملون فى أول أمرهم المتزتم البرنس وهو قطعة من القماش تلقى على الأكتاف وتربط بحزام وترسل الى الركبتين فى العامة أو الى أسفل منهما فى الخاصة حتى اذا ترقى السولة فى عمرانها أطالوا من ذلك البرنس الى السكعين ولبسوا من تحته قيصا لا أكمام له أخذوه عن الأنبييين (١) وكانوا فى مبدل أمرهم يلقون ثيابهم بلون واحد (أخضر أو أزرق أو أحر) ثم انتهوا باستعمال كثير من الألوان فى ثيابهم مع ما كانوا يوشون به دائر ملابسهم بالأشرطة المنقوشة . أما الاشوريون فقد كانوا يشتعلون بقطعة كبيرة من القماش ويمرونها من تحت ابطنهم الأيمن ويعطون بها الصدر ثم يرسلونها على الكتف الأيسر حيث يثبت طرفها إما بعقدة أو بمشبك

(١) هم سكان أنيوىيا وهى مملكة قديمة كانت فى جنوب مصر فى المنطقة التى بها الحبشة وما والاها شرقا الى الصومال وشمالا وغربا الى جزء عظيم من السودان المصرى

(انظر سطر عشرين من صفحة ١١٥٣ من الجزء الثاني من دائرة المعارف الفرنسية الكبرى) ثم غيروا هذا الزي بأن لبسوا قيصا صغيرا ومن فوقه شئ يشبه العباءة والأحجام كانوا يزيدون على ذلك سراويل واسعة . وأهل اليونان كانوا يلبسون رداء طويلا واسعا ويمرّونه من تحت إبطهم الأيمن بعد أن يلفوا به وسطهم ثم يرسلونه على ظهرهم بعد أن يغطوا به كتفهم الآخر ثم صاروا يشملون بهذا الرداء الجسم جميعه . ذلك بأنهم كانوا يأتون بهذا الرداء الطويل ويربطون طرفيه ثم يدخلون ذراعهم الأيمن مع الرأس من فتحة ما بينهما بحيث تكون العقدة على الكتف الأيسر ثم يلف الجسم بباقي هذه الشملة ويسموننها (شيون) كما تراه الى اليوم في عرب البادية المصريين خصوصا عرب الغرب منهم . ولاشك في أنهم أخذوا هذا الزي من الرومانيين أو القرطاجيين ولبث فيهم على بداوته الأولى الى الآن وهذا الشكل يوجد منه صور كثيرة على الآثار الرومانية وقد شاهدت شيا مماثلة تماما على قاعدة المسلة التي في القسطنطينية في ميدان السلطان أحمد وعلى بعض النواويس الموجودة في متحف الاستانة بل وفي النقوش الموجودة في سقف جامع القهرية (القهرية) وهو أول كنيسة بنيت في الاستانة وحولت الى مسجد بعد الفتح . أما أتكخاتنا المصرية فقد شاهدت فيها أن ملابس المصريين في قديم الزمان كانت تنحصر في لبس المئزر وهو فوطة يلف بها النصف الأسفل من الجسم على هيئة ما يكون الرجل في أيامنا هذه داخل الحامات العمومية (١)

وأخص بالذكر ما رأيته على هذه الصورة تمثال « كفرين » المشهور بشيخ البلد في القاعة حرف ( ٨ ) من الدور الأول نمرة ٧٤ وهو باقى هرم الحيزة الثاني ومن ملوك العائلة الرابعة المصرية التي كانت توجد في القرن الحسین قبل المسيح ، ثم تمثال (رعنفر) من العائلة الخامسة في القاعة حرف ( ٥ ) ثم تمثال (امور وأمون) وهما من معبودات المصريين ، ثم صورة للمسيح بالدخلة الصغيرة للطريقة المني تملئه بمئزر بسيط ولا يمكن تحقيق ما على نصفه العلوى لأن يد الزمن قد تحت ما عليه ، ويوجد غير ذلك كثير من التماثيل البرنزية والنحاسية التي في دواليب المتحف لابسة شبه احرام كامل وقد شاهدت من بينها تمثالا من الفخار للعدراء وهي ملتحفة بشملة تغطي جميع جسمها وابنها على يدها

أما القاعات الرومانية واليونانية التي على يمين صحن المتحف من الدور الأول ففيها مثال الاحرام بأشكاله الناقصة فترى في وسط القاعة حرف ( ١ ) امرأة رومانية من الرخام الأبيض الوردى بهيئة احرام كامل أعنى انها ملتحفة برداء أبيض يغطي كل جسمها ماعدا رأسها ، ويقرب منها مثال رجل من الجرانيت الاسود ملتحف برداء قد انحسر عن ذراعه الأيمن وهو يسمونه في الاحرام بالاضطباع وفي رجله نعال لا تغطي ظاهرا القدم اللهم إلا عروة يدخل فيها الإبهام ويخرج منها سيران رفاعان يتصالبان على مادون الكعبين ويربطان فيما دون العقب وهو يسمونه في الحجاز بالنعال الشرقية التي أجمعت المذاهب الأربع على صحة الاحرام بها وهذه النعال تراها أيضا في قدم منفصلة عن جسمها موضوعة على يسار الداخل في القاعة حرف ( ٨ ) ومتاحف الفنون الجميلة في جميع أنحاء الدنيا خاصة بصور الناس في العهد القديم وهم في لباسهم البسيط الذي يماثل لباس الاحرام بل هو هو بعينه والقوم يمثلونه تماما في تشخيص الروايات التي تمثل الزمن القديم الروماني أو اليوناني وخصوصا في تمثيل صور الأنبياء والحكماء . ويقال ان اليهود كانوا يستعملون في معابدهم لبس غير المحيط . أما الآن فيكتفون بوضع رداء على أكتافهم من الصوف يسمونه (تليت) أو (تيسوت) ليتشبهوا بموسى عليه السلام في بساطة لباسه . ومن هذا ترى أن ملابس الناس في الزمن القديم بل في جميع أدوار الأمم الخالية حتى في إبان الحضارة كانت على هذه البساطة ، وليس هذا بعريب فان آلة الحياطة ما كانت معروفة في تلك

(١) هذا اللباس شائع لآن في أغلب بلاد السودان وغيرها من البلاد التي لا تزال على فطرتها الأولى ونشاهده على كثير من أعراب البادية في احرامهم وفي غير احرامهم

الأزمان ، ولقد كان الناس يستعمون أولا في خياطة ملابسهم شوك الأسماك وسل النخل ثم توصلوا الى استعمال الابر الحديدية ، أما الإبر التي من الصلب فانها لم تخترع إلا في القرن الرابع عشر للمسيح ولم يذع استعمالها في أوروبا إلا في القرن السادس عشر ، وكان أبسط تلك الملابس شكلا ونوعا ملابس الاشوريين الذين هم اخوان السكديانيين الذين خرج منهم ابراهيم لأن كليهما من الجنس السامي ، وعليه فلباس الاحرام كان هو هو بذاته ذلك اللباس البسيط الذي كان يلبسه ابراهيم عليه السلام حين أمره الله تعالى بالحج قائلا - وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وما زالت هذه السنة قائمة في حج البيت الى الآن ، وأما كونه أبيض فلأن لون البياض شمسار الطهارة والنظافة والا فالغرض من الاحرام لبس غير المخيط مطلقا اشارة الى أن الانسان خرج الى ربه من زخارف الدنيا وما فيها الى بساطة الوجود وبدائته ، خرج الى ربه من أبهة الحياة ورفهها وتمثل بين يديه تعالى بحال رجع فيها الى طبيعة الوجود البشرية من حيث البساطة التامة التي كان مظهرها ذلك الزي الذي يمثل الاشتراكية الحققة بكل معانيها فيستوى فيه الصعالك والملوك . هذا الزي الذي يستقبل الانسان في مهدده ويشيعه الى لحده حتى كأنه يقول الى ربه « اللهم إني قد نزعت عن نفسي ظاهرها وباطنها رداء قد وشته الأباطيل وموّهته الأضاليل وخرجت اليك وقد جردت نفسي لك مما أملك طامعا في نيل ما لا أملك من نعم إن عشت أعود بها الى حياة جديدة كلها فضيلة وخير وبركة أو أقضى بها إن مت في سبيلك ومحبتك وطاعتك وأنتقل بها الى دار السعادة الحقيقية فأحشر في زمرة المقبولين والصادقين زمرة الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

وهل رأيت ذلك اللباس الاكثيروي البسيط « لباس الرهبان » الذي رسم عليه كل من تمثال (غليوم الثاني) امبراطور ألمانيا والأمبراطورة قرينته وأرسل بهما ليوضعا في الملعب الألماني الذي بني في بيت المقدس وسافر البرنس (ايتل) لافتتاحه رسميا بالنياحة عن والده الأمبراطور في شهر ابريل سنة ١٩١٠ على أنه لا يعزب عن فطنتك وينبوع فكرك أنك أن الأطباء وجدوا أخيرا أن الانسان لا بد له من تعرض جسمه الى الهواء المطلق ومؤثرات الجو نحو شهر من كل سنة يسترجع فيه الجسم قوته ويستعيد نشاطه بفضل ملاصقة أوكسوجين الهواء لجميع مسام جثثانه ، وبهذه العملية يحترق ما في الدم من الكربون الذي تشبع به أثناء دورته من الفضلات التي تخلفت في الجسم فيعود الى القلب دما نقيا ركيكا صالحا لتغذية الحياة بمادة القوة التي تكون بها العافية التامة والصحة العامة التي هي قوام الوجود بل الحياة بجميع معانيها . لذلك ترى الاوروبيين وعلى الخصوص الانجليز (لاعتنائهم بصحتهم أكثر من غيرهم) يعمدون كل سنة الى الجبال أو الى شواطئ البحار فيخلعون ثيابهم إلا مايسترعورتهم ويقيمون على هذه الحال شهرا أو أكثر يستعيدون فيه ما فقدوه من قواهم في سبيل العمل طول سنتهم ، وكثيرا ما رأيت الفرنجة في هذه الأماكن الصحية على شاطئ البحر حفاة عراة معرضين بكل جسمهم للهواء وبرودة الجو أو حرارة الشمس جلة ساعات وليس عليهم إلا تلك العانة المستعارة التي يعطون بها السبيلين ويسمون ذلك بعلاج الطبيعة أو علاج الهواء ولا غرابة اذا رجعت بنا المدينة الحديثة الى كثير مما كان عليه القدماء في بدائتهم الذي يسميه الجاهل خشونة وتوحشا . انتهى ما أردته من تلك الرحلة والمجد لله رب العالمين

واعلم أيها الذكي كما قدمت لك أن الحياة كلها جهاد وانما أطلت الكلام على الحج لأن فيه أصول سعادة الأمم جسما وروحا فهو نموذج الجهاد العام وأي جهاد يفوق توافق الأمم وارتباطها واتحادها وأول من قام بذلك رسول الله ﷺ فهو الذي حرك الأمم شرقا وغربا وهاهي هذه الموجة التي أرسلها فيها قد سكنت في الشرق ثم تحركت في الغرب ثم رجعت الى الشرق ثانيا ، كل ذلك لم يقصد منه إلا اجتماع جميع الأمم شرقا وغربا ورمز لذلك بالوقوف بعرفة والتجرد من الخيط وغير ذلك من المزاي والاحكام وصرح بذلك فقال - حتى تضع

الحرب أوزارها - هنالك قال العلماء إن ذلك يوم يصبح أهل الأرض ﴿قسمين﴾ قسم مسلم وقسم مسلم اه  
﴿خطابى للمسلمين﴾

أيها الأمم الإسلامية ، حكمة الجهاد عامة تشمل العبادات والأعمال المدنية كلها والصناعات والسياسات ،  
إن ذلك كله إما فرض عين وإما فرض كفاية ، فالصلاة والصيام ونحوها فروض عين والعلوم ونظام المدن  
والصناعات وفروض كفايات وتحتاج الى جموع كثيرة حتى تكفى الأمة ، فالنجارة والحداة والكهرباء وصناعات  
السفن والطيارات ونظم المدن كلها فروض كفايات واجب على الأمة أن تتعاون عليها طوعاً أو كرهاً ، وليس  
عمل من هذه الأعمال يكفي فيه الفرد الواحد فالجموع هي التي تتعاون على كل ذلك

أيها المسلمون ، لقد أودع الله في عقول الأمم وفي أديانها بذور السعادات ، هاهو ذالم يذر العباد يتخبطون  
ويغرقون في بحر الحياة اللجج بل أسعفهم بأصول العلم وغرسها في أفئدتهم وفي عاداتهم وفي دياناتهم ، لك  
الحمد يا الله على نعمك العاتمة ، أنت الذي ألهمت القدماء ألا يبنوا بناء ولا يعملوا عملاً إلا نقشوه على الأحجار  
وكتبوه في الطوامير وأبقاه الأولون للآخرين ، أنت يارب أبقيت آثار الأولين ليتبعها الآخرون ، هذه مصر  
والعراق والشام وبلاد الهند وأمريكا والصين وأوروبا يظهر كل يوم فيها كنوز مدفونة وأجسام مطمورة ونقوش  
مفهومة أبقاها الأولون للآخرين ، أنت الذي دفنت الفصحى الحجرى قديماً ثم أبرزته لأهل الأرض الآن ليكون من  
أكبر أساس السعادة في العالمين ، فالأرض ملأتها بالنخائر والفنائس والنقوش وأودعت فيها وفي الجو كهرباء  
تصل الناس بعضهم ببعض وهم يتعجبون ، ولما كانت الديانات في الأرض من وحيك ونزلت بأمرك وقبل  
الناس دعوة الرسل بأهلهم كنزت فيها علوماً وخزنت فيها حكماً كما كنزتها في الأرض والهواء والماء والسماء  
ألهمت الأنعام والحشرات وكل حيوان إلهامات كلها نافعات لها وأنزلت للإنسان ديانات وجعلتها هدى  
للعالمين في كل زمان بحسبه ، وهذا ديننا كنزت فيه علوماً وعلوماً وهذه العلوم لا يثيرها إلا البحث والتقيب ،  
التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج التي هي أركان الإسلام قد كنزت فيها سعادات الأمم ، هذه الصلاة  
التي هي بعض الجهاد المذكور في هذه الآية قد جعلتها مذكرة بجميع الحكمة والفلسفة وما الحكمة ولا الفلسفة  
إلا ما أجنسه السماء وأقلته الأرض ونظام هذا العالم ، المؤمن صباحاً ومساءً يقول ﴿ربنا لك الحمد ملء السموات  
وملء الأرض وملء ما بينهما الخ﴾ كما قدمناه مراراً ، وهل جميع الطبيعيات والرياضيات إلا ما في السموات  
والأرض . الله أكبر . لقد أنعم الله على بنعمة هذا التفسير وما هو إلا سر الصلاة التي هي ركن من أركان  
الجهاد المذكور في هذه السورة وسيأتي فيها - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - ، فهنا يقول تعالى - ومن  
جاهد فاعلم بما يجاهد لنفسه - وفي أواخر السورة يبين أهم أركان الجهاد وهو الصلاة الخ

### ﴿رؤى المؤلف الكثيرة بالفتوح﴾

اعلم أيها الذكي اننى من إبان شبابه كنت أرى رؤى كثيرة جداً كلها تدل على ما أعمله الآن وبشرت  
بأن هناك عملاً نافعا لا بد منه ، ولما بلغت سنى نحو (٥٩) سنة رأيت وقت الصباح كأنى أقول أنا يارب قائم  
بأعمالى ولا تقصير عندى فأين إذن ما بشرت به فسمعت قائلاً يقول كذبت انك لا تحضر قلبك في الصلاة فلما  
استيقظت أخذت أحضر قلبى في الصلاة بقدر الامكان فانفتح الباب لهذا التفسير . ومن عجب أن كثيراً من  
المسائل تحضر لى بعد الصلاة أو فى أثناءها ، وبسبب هذا الاستحضار عرفت أن الصلاة ملخص العلوم أو مفتاح  
لأصولها وهكذا سميت الفاتحة فعلمت إذن أن المسلمين بتأملهم في الصلاة يصبحون أمة غير هذه الأمة .  
الصلاة عبادة ولكن إذا كنا نرى الناس يشربون الماء ويأكلون الفاكهة ومع ذلك يحلونهم ويدرسونهم  
حتى يتم الانتفاع بهما ، فإذا كان الماء والهواء والتراب لا يتم الانتفاع بهما إلا بتحليلها فكيف بالصلاة والصيام  
والزكاة والحج ، أفليس انتفاع الجهال بها في العبادة كانتفاعهم بشرب الماء ، أو ليس الانتفاع بكشف أسرارها

وماترعى اليه كانتفاع الأمم الآن بتحليل الماء والهواء الخ أليس هذا سرّ قوله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فالدرجات لأولى العلم أما الجهلاء فلا حظ لهم من العبادة إلا لحظ الشارب من الماء . هذا ما أقوله في الصلاة وسيتم الكلام عليها في آية - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - الخ ولأذكر الحج بعد الصلاة لأنه هو الذي أفضنا فيه الكلام قريبا وقد ظهر أن الله كنز فيه آثار الأمم وأصبحت الأمم العريقة في المجد ترجع الى حال البساطة وسهولة الحياة فيسعدون سعادة لم يحلم بها أولئك المترفون الغافلون إذن الحج الذي هو من أركان الاسلام قد حل في طياته بذور السعادة والمدنية المستقبلية التي يرجع فيها الانسان الى الاجتماع العام والصحة التامة

فانظروا أيها المسلمون ، صلاة تحث على الفلسفة وحج يحث على الصحة العامة ونظام الاجتماع العام . وههنا جاء دور الزكاة ذكر فيها الامام الغزالي انها مساعدة للفقراء ومذهبة لشح النفس فان الانسان اذا ملك حب المال قلبه أقلقه وأحزنه بعده عنه بموته هو أو بأخذه منه ظمأ أو بالقضاء والقدر . ويقول ﴿ إن المقصود من ذلك راحة النفوس ﴾ ونقول نحن فكما أن الصلاة مذكرة بالعلوم والحج بالاجتماع العام وصحة الأبدان هكذا الزكاة يراد بها أن يكون الناس جميعا اخوة كما نقلته عن الامام الغزالي في أواخر (سورة البقرة) فانه يقول ﴿ إن مال الانسان للأمة كلها عند الخواص أما الزكاة فانما تؤخذ من البخلاء ﴾ فتبين إذن أن انفاق المال بالزكاة متمم لنظام الاجتماع الذي فهمناه من الحج فالحج يعطينا درس الاجتماع العام والصحة والزكاة تسكمل ذلك بالمساعدة . وههنا جاء دور الكلام على الصيام

الكلام على لصيام معروف في الكتب ولكن نحن الآن في تفسير القرآن وتفسير القرآن انما يكتب لأجل الأمم كلها لأن القرآن كتاب الله والناس عباده والصوم درس من أهم مظاهر منه اليوم في الأمم علم الصحة ، نعم هو قرى الى الله ولكن فيه فوائد أخرى ، إن علم الصحة اليوم قد تطوّر وأخذ الناس يهجر المداواة بالعقاقير ويكتفون بالرياضة البدنية والجوع ، يصوم المسلم ويصلي المسلم ويحج المسلم ولكني أقول إن من أكبر العار أن لا تظهر أسرار هذا الدين إلا على يد الأمم لا على يد المسلمين . يحج الناس ويكتفون من الحج بظواهره ويقف العلماء في الأمم الاسلامية عن دراسة الحقائق الاجتماعية

الله أكبر . بعد هذا التفسير سيقوم في الاسلام فطاحل العلماء ويدرسون كل شيء في الوجود وبعد ذلك يدرسون أركان الاسلام ومتى درسوا عرفوا انها يراد بها اجتماع جميع الأمم شرقا وغربا على الصحة والتعاون العام . هذا الصيام درسته الأمم في زماننا وعرفوا بعض سرّه ففتح لهم بابا واسعا من علوم الصحة والمداواة الله أكبر . وهأنذا أسمعك ﴿ مقالين ﴾ أحدهما ﴿ مقال عن حال زعيم الهندوس الأكبر مهاتما غاندي ﴾ والثاني ﴿ ما جاء في مجلة « كل شيء » تحت عنوان (العالجة بالصوم) فهناك ما قاله معرّب كتابه المسمى ﴿ كتاب الصحة ﴾ ومعرّبه الاستاذ الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي وهذا نص ما قاله في مقدمة التعريب

إن من سوء حظ الشرق أنه لم يفقد استقلاله السياسي فحسب بل قد فقد استقلاله الفكري أيضا ولذلك نراه يقلد الغرب في كل شيء حتى إنه أصبح لا يتفكر في نفسه ولا يقيم للأشياء وزنا ولا يميز بين الحق والباطل بل لا يزال نظره الى الغرب فان رآه يقول لشيء إنه حق قال هذا أيضا إنه حق وبالعكس أنا لا أكره الغرب ولأنكر فضله في العلم والمدنية ولا أحرّم الاقتباس والاستفادة منه ولكن الذي أقبحه وأشمئز منه هو الاستعباد الفكري للغرب لأن هذا الاستعباد اذا تمكن من نفوسنا لن نستردّ حريتنا السياسية المغصوبة وان نجدّد أسس قوميتنا المنهدة . أقول هذا لأنني أخشى أن يندب فريق من القراء هذا الكتاب قبل أن يطلع عليه ، لا لأنه يستحق النبد بل لأنه جاء من مصدر شرقي بحث فيحسبه سخافة شرقية ، فلذلك أرجو من هوعلى هذه الشاكلة أن يتمهل في الحكم عليه ليقراه بامعان فان لم يحجبه فايرمه إن شاء ،

وانى تطينا هؤلاء أقول إن هذه الآراء ليست خاصة بفاندى وحده بل هناك فى أوروبا وأمريكا أيضا ثورة كبيرة على الطب وأساليبه وأدويته بل إن تقدم العلوم أخذ يهدم أركان هذا الطب الذى نسميه (الحديث) ويسمونه هنالك (القديم)

الى أن قال « إن هذا الزعيم كذلك يدعو الناس الى المعيشة الفطرية الساذجة ونبدالبدخ والترف والى التخلص بالأخلاق الفاضلة والمحبة الشاملة العامة والتمسك بجميع مافى الأديان من الخير والنقوى وخشية الله والرافقة بالبشر . ليت شهرى كيف يكون عجب المغترين بالمدينة الغربية اذا رأوا هذا الزعيم الهندى بأعينهم ، انهم ليرونه عاريا حافيا حاسرا قد تجرد من الملابس قائلا لا يصح لى أن أتجمل بالملابس والملايين الكثيرة من بنى جلدتى لا يجدون ما يسترون به عوراتهم ويقون به أجسادهم من الحر والبرد ، قراه الآن متجردا ليس على جسده لباس اللهم إلا إزار صغير يستر به عورته . وكذلك شأنه فى مأكله ، لا يأكل المشتهيات والمملذات والأطعمة الشائقة ، ليس ذلك لأنه يرى رأى المتقشفين الغفل الذين يحرمون أنفسهم من الطيبات ويحسبون ذلك قربا الى الله بل يرى ذلك مضرا بالصحة البدنية والعقلية فلذلك نراه لا يأكل الملح ولا اللحم ولا العدس ولا الحبوب ماعدا خبز القمح نادرا وقد حصر غذاءه فى الفواكه وهو يكثر من أكل البرتقال والموز ويفضلهما على غيرهما من الفواكه »

الى أن قال « وأكبر دليل على قوته انه صام أربعين يوما متتابعة لم يذق فيها أى شئ ومع ذلك لا أغشى عليه ولا أحس بضعف بل مازال يكتب جرائده المقالات ويفزل كل يوم من القطن المقدار الذى قرره لنفسه ومن أعجب ما رأيته أنه بينما كان ثقله قد قل كثيرا فى الاسبوع الأول من الصوم حتى خافوا على نفسه أخذ يزداد وزنا بعد ذلك وقد تحير الأطباء فى تعليل ذلك . ثم انه فوق ذلك قد ملك زمام نفسه فيعيش كما قرر لنفسه أن يعيش فلا ينام إلا القدر الذى قرر أن ينام ويقوم بجميع أعماله بنظم تام بدون أن يطرأ عليه أى خلل ثم انه لا يغضب أبدا ولا يستجمل ولا يفرع بل يبقى دائما هادئا مطمئنا كأنه مالك نفسه سخرها فأصبحت له أطوع من بناته . ومن عجيب أمره انه يعيش مع زوجته ولكنه يحسبها كأخته أو أمه كما صرح بذلك فى إحدى خطبه فقال « أنا وزوجتى قد اتفقنا على أن نعيش كالأخ والأخت أو كالابن والأب أو البنت والأم فأننا لها كأب وهى لى كأم » وكلامه هذا لا يرتاب فيه لأن عيشته مفتوحة وليست بسر وهو لا يكذب أبدا مهما اضطرت له الأحوال اه » هذا ما أردت نقله من ذلك الكتاب المذكور والحمد لله رب العالمين

وأقول ، إن هذا الزعيم الهندى قد جمع بين فضيلة الصيام وفضيلة الحج فاستفاد منهما صحة وقوة . هاهوذا تجرد من أكثر الثياب . وهاهوذا قلل الطعام فنال الصحة والعافية . ولست أقول ان هذا عبادة ولا انه يثاب عليها . كلا . لأن الصيام لا يصح إلا من مسلم وكذا الحج وأيضا الحج انما يكون بمكة لا بالهند ولكن ليس المقام فى خصوص التدين بل المقام فى أن منافع الصوم ومنافع بعض مناسك الحج فى حد ذاتها مقوية لصحة الانسان كما قررناه . فهذه فى الحقيقة دراسة للحج والصيام من بعض الوجوه . وعلى المسامحين بعدنا أن يتولوا هذه الدراسة ليمتوا ما نقص فى أمم الاسلام . انتهى الكلام على المقال الأول

(المقال الثانى) ماجاء فى مجلة « كل شئ » بتاريخ ١٨ يوليو سنة ١٩٣٧ تحت العنوان الآتى

### ( الصوم للمعالجة )

كان الناس ولا يزالون للآن يصومون للأغراض الدينية وقد يكون صومهم كلياً أو جزئياً ، فى الهند يعتمد الصالحون الى الكف عن الطعام كلية جلة أيام ، ولا يزال بعض الأقباط فى مصر يصومون عن الطعام والشراب كلية ثلاثة أيام فى ذكرى يونس الذى بلعه الحوت ، أما الصوم الجزئى فى الامتناع عن اللحم كما يفعل بعض



## المسيحيين الى الآن

وجميع الذين يصابون بكثرة الزلال في الدم أو بتصلب الشرايين ينصح لهم الأطباء بالامتناع عن اللحم وخاصة ذلك اللحم الأحمر والامتناع أيضا عن تناول زلال البيض ونحو ذلك بل من الأطباء من ينصح لكل من جاوز سن الأربعين أو الخمسين أن يمتنع كلية عن اللحم والاعتصام على الأغذية النباتية ، وقد فشت عادة الصوم في هذه الأيام حتى ان طبيبا فرنسيا يشير على كل انسان جاوز الأربعين أن يصوم صياما كاملا يوما في الاسبوع ، ويشير أيضا بأن يتعاطى مسهلا في الصباح حتى تبقى أمعاؤه فارغة لا يشغلها شغل يوما كل أسبوع ، ومن الأطباء من ينصح بالامتناع عن العشاء للسنين

ولكن فائدة الصوم ليست للأمعاء وحدها بل هي أيضا للجسم كله وذلك لأن الجسم اذا لم يحمل الدم الى خلاياه طعاما جديدا انكفأ على نفسه تأكل منه الخلايا القوية الخلايا الضعيفة وفي الوقت نفسه بزوال الشحم من الجسم تظهر المسالك وتحمل معها فضلات كانت تعوق الدورة الدموية فاذا انتهى الصيام بعد ثلاثين أو أربعين يوما لم يبق بالجسم سوى خلايا قوية . وللجسم عقل يهتدى به أيام الصيام فهو يتخلى عما لا فائدة فيه الى ما فائدته صغيرة ، أما الأنسجة التي لا يمكن للجسم العمل بدونها فلا تنفك من الصيام . فاذا شرعنا في الصوم فاننا نفقد أولا الشحم ثم اللحم ، أما الأعصاب ومادة الدماغ فلا تنقص درهما واحدا بعد صيام ثلاثين أو أربعين يوما وذلك لأن مادة الأعصاب ثمينة وعليها ميزان الجسم كله وعقله وهي اذا فقدت شيئا لم تستعص . أما اللحم والشحم فيمكن استعادتهما بعد فقدهما . والصيام الذي يمارسه الناس للعلاج الآن هو عن الطعام فقط . أما الماء فان الصائم يشرب كما يحب ويشتهي لأنه في حاجة اليه حتى يغسل خلاياه جسمه وأنسجته ويحمل معه الفضلات ويطهرها منها ، وبعض الصائمين الآن يضع قطرات من عصارة الليمون أو الفاكهة أو الخضراوات الطازجة على الماء حتى لا يحرم الجسم من الفيتامين لأن جسم الانسان قد يستطيع أن يعيش بلا طعام نحو خمسين أو ستين يوما ولكنه لا يمكنه أن يبقى هذه المدة بلا فيتامين

ويمكن كل انسان أن يمارس الصيام ولكن يجب الحذر من الإفطار لأن الصائم اذا بقي نحو عشرين يوما بلا طعام رقت جدران معدته وأمعائه واعتاد جسمه حالة الصوم فاذا فاجأ قنائه الهضمية بطعام جامد فقد يؤذي نفسه بذلك أذى كبيرا إذ قد يغنى عليه من هذه الصدمة وقد ينخرق جدار الأمعاء أو المعدة ، فالإفطار يجب أن يكون رويدا رويدا حيث يتمصص الصائم جرعة بعد جرعة

ونحن نذكر فيما يلي تجارب المستر (ارفنج) وهو رجل انجليزي صام خمسين يوما بغية التخلص من ضعف المعدة وضعف الأعصاب الناشئ عن تراكم الفضلات في الجسم ، فقد قال انه ابتدأ أول يوم من الصيام بأن شرب ستة أكواب من عصارة البرتقال وفي اليوم الثاني شرب أقل من ذلك من هذه العصارة أيضا وفي اليوم الثالث لم يشرب سوى الماء القراح وبقى على ذلك عدة أسابيع وكان أحيانا يمزج الماء بقطرات من عصارة الليمون . وبعد الاسبوع الأول من الصيام زالت الشهوة للأكل فكان يتريض بالمشي ميلين أو ثلاثة في اليوم على مهل وفي غير مشقة وكان لسانه قد اكتسى بفرو أبيض يكاد ينفصل عنه اذا مسح . ويقول الراسخون في فن الصوم إن الصحة لا تعود الى الجسد حتى يزول الفرو الكاسي للسان ولكن الواقع انه لا يزول تماما وإنما عند اقتراب نهاية الصوم يتحسن اللسان ويرق هذا الكساء من الفرو ، وكان المستر (ارفنج) قد هبط وزنه واستمر الهبوط الى الاسبوع الرابع حين وقف الجسم فلم يفقد في الأسبوعين سوى رطلين فقط . وفي اليوم الثامن والأربعين جلس في الشمس فنام نومًا طويلا استيقظ منه وهو في غاية الضعف وقضى اليوم التاسع والأربعين وهو في الفراش . وفي اليوم الخمسين عاد اليه نشاطه فنهض وزال عن لسانه بعض فروه فقمم بهذه المدة وخاصة عند ما رأى أن الآلام التي كان يشكو منها قد زالت كلها



أما كيفية رجوعه فانه شرب في اليوم الحسین نصف كوب من اللبن تمصه كما يمص الانسان الليمونة .  
وفي اليوم التالي صار يشرب كوبا من اللبن كل ساعتين فيمتصها أيضا وبعد ذلك يتناول كوبا من اللبن كل  
نصف ساعة واستمر على ذلك أربعة أسابيع تناول في نهايتها (عجة) وكان قد فقد في صيامه ٩٠ رطلا استعادها  
وزاد عليها ، ومن غريب ما رأى انه كان يلبس نظارات لقصر نظره فلما صام عاد اليه نظره كله سليما اه  
﴿ ضرب مثل لحال العابدين الذين يفكرون في العبادة بحال قراء القرآن بلا تعقل ﴾

اعلم أن مثل العباد الذين يعبدون ولا يفكرون في عبادتهم ولا يعرفون مقصودها كمثل من يقرأ القرآن  
بلا فهم ولا عقل فكلاهما له ثواب على مقدار نيته ولكنهما في مرتبة ضعيفة ، هذا في القراءة وهذا في العبادة  
فاذا فكر العابد وأدرك معاني الكلمات التي يقرأها في الصلاة التي يقيمها ومقاصد الزكاة التي يؤتيها ومناسك  
الحج التي يؤديها وعبادة الصوم التي يتقرب بها كان هؤلاء كلهم أشبه بمن يفهم معاني القرآن ويعمل به ، فاذا  
ارتقى العابد عن هذه الدرجة أدرك السر المصون والجوهر المكنون كالذي ذكرناه هنا في أسرار كان الاسلام  
وانها بدور لسعادة انسانية عامة في الطب وفي الاجتماع والتعاون العام كان ذلك خليفة الله في أرضه وكان أشبه  
بمن ارتقى عقله في القرآن وأدرك أن علوم الحكمة كلها وأسرارها موافقة للقرآن وأن هذه العلوم كلها لا تخالف  
بينها وبين القرآن الذي أنزله الله بالوحي وانه كلما كان الانسان أضعف منزلة وأقل فهما وأضعف رأيا تباعدت  
مسافة الخلف بين دينه وبين العلوم عند عقله ، وكلما ارتقت نفسه منزلة وازداد عقله كمالا تقارب العلم والدين  
عنده على مقدار ارتقاء علومه وعقله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الجهاد على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ جهاد بالفرية . جهاد بالعقل . جهاد بالوحي . والأخيران أفضل من  
الأول . إن الجهاد بالفرية لا يعوزه عقل ولا فكر ولا روية فهو أضعف رتبة وأقل قيمة ، فأما الجهاد بالعقل  
وبالوحي فهما أرقى منزلة وأكمل شرفا وأعظم قدرا

ألا ترى رعاك الله أن هذا الانسان فطر على ألا يجب إلا بممنوع وألا يفرح إلا بما تباعدت أقطاره وصعب نواله  
وعز مطلبه وتمنع وتولى بركنه كما نرى أن الماس والياقوت والزبرجد وأمثالها من الأحجار الثمينة يحرص عليها  
الناس كل الحرص لغلاء ثمنها وصعوبة مطلبها ووعورة طرقها وهم يشاهدون أمامهم في منازلهم وحقولهم  
وسمائهم زهرا جيلا وكوكبا مشرقا متلائلا أجمل من الياقوت والماس والزبرجد وأبهج وأعلى ولكن الزهر  
والسكواكب مبدولات والماس والياقوت ممنوعان ، لذلك رغب الناس في الممنوع وزهدوا في المبدول ولذلك  
نجد السكواكب في السماء لا يفرح بها الجهلاء وانما يفرح بها المفكرون من العلماء ويحقرون الأحجار الثمينة  
أنواع الزينة في هذه الأرض اذا وازنوها بما عرفوا من جلال السكواكب وسيرها في مداراتها ودقة حسابها  
وبهجة نظامها ، فالجاهل وقف عقله عند الزبرجد والياقوت والعالم ارتقى فخرهما ولكنه سعى سعيا حثيثا  
وجد حتى ارتقى الى الأفلاك . كلاهما لا سعادة له إلا بالجهاد . فالجاهل جاهد بالمال حتى نال الماس والزبرجد  
والياقوت . هنالك وقف عقله وحط رحله وأنشد

فألقت عصاها واستقر بها النوى \* كما قرّ عينا بالإياب المسافر

والعالم جاهد جهاد الأبطال في ارتقاء عقله وبذل ثمن ذلك النوال بالسهر والنصب والتعب والجد وأنشد

على قدر أهل العزم تأتي العزائم \* وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغیر صغارها \* وتصغر في عين العظيم العظائم

وقال آخر ومن تكن العلياء أكبر همه \* فكل الذي يلقاه فيها محب

وقال غيره فالنار ولا الدنيا خير \* من ركوب الخنا ركوب المنايا

وقال غيره لا تحسب المجد تمرا أنت آكله \* لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

إذا عرفت هذا فهناك نبذة في الجهاد بالفريزة ثم أتبعها بنبذة في الجهاد بالعقل ثم أذكر تأييد الوحي للعقل في الجهاد وذلك في ﴿ثلاثة فصول﴾

### ﴿الفصل الأول في الجهاد بالفريزة﴾

إن من قرأ هذا الكتاب أوجلة صالحة منه عرف كثيرا من غرائز الحيوان فإنه يراه مفرقا في سور كثيرة فانظر رعاك الله في (سورة النحل) وأعجب من نظامه ونظام الأرضة فانك تراها مرسومة هناك في جانب رسم ملكة النحل وجنودها المحيطين بها . فهاتان دولتان عظيمتان دولة الأرضة ودولة النحل ومثلها دولة النمل . الله أكبر . جلّ الله . إنك يا الله رحيم لطيف حكيم عليم ألهمت الأرضة فجعلت لها دولة لاتضرعها في أرضها دولة من دول الانسان ولا الحشرات ولا الطيور وعدد كل دولة من دول الأرضة لا يعرف منتهاه فهي أعظم من ملكة النمل والنحل . وإذا كان الناس الآن وجدوا أن أعظم دولة للنمل عرفوها قد بلغت (٥٠٠) خمسة مليون نملة ولا نظير لها في الممالك الأرضية إلا الدولة الصناعية المتكيفة التي هي انكثرا بل هي لم تصل لهذا العدد مع ملحقاتها التي ليست ملتزمة بها إلتمام رعايا النمل . أقول عرف الناس ذلك كما تقدم فانهم لم يقدرُوا أن يحصوا مملكة واحدة من ممالك الأرضة كما تقدم شرحه في سورة النحل وسيأتي تمام الكلام على ذلك في (سورة سبأ) عند آية - ماد لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته -

هأنذا أيها الذي ذكرت لك ممالك ثلاث أنت عرفتُها في هذا التفسير مشروحة فافقروا في سورة النحل وفي سورة النمل وفي سورة سبأ واقتصر لك عليها في بيان الجهاد بالفريزة . فهذه وغيرها من الطيور والحشرات وحيوانات البر والبحر نرى جهادها جهادا اجتماعيا لافرديا فأيقنا بهذا أن الجهاد كلما كان من جمع كان أقوى وأعظم وكلما كان فرديا كان أضعف وأقل فائدة . والعبرة في هذا أن الناس كلما كانوا أكثر عددا في العمل والجهاد كانت الثمرة أضعافا مضاعفة على مقدار كثرة العدد على شرط أن تكون الجماعة مهما كثرت على رأى واحد ومشرب واحد وفكرة واحدة ونظام قوى متين . فاذا كان الجهاد بالفريزة الذي أثبتنا أنه أقل مرتبة من الجهاد بالعقل وبالوحي لم يكمل إلا بالاجتماع فليكن ذلك الاجتماع فيما هو أكمل منه أكثر وجوبا وأولى بالعناية . انتهى الكلام على الجهاد بالفريزة

### ﴿الفصل الثاني في الجهاد بالعقل﴾

أيها الذي ، إن العلم سعادة وهناء ، وأي سعادة وأي هناء من أن نجد في هذا المقام أن غرائز الحيوان في اجتماعها قد اتصلت بأراء الحكماء والفلاسفة

أيها الذي ، اننا بالبحث في العلم كلما أوغلنا ازددنا بهجة وسعادة ، وأي بهجة وأي سعادة أعلى وأدوم من اتفاق الغرائز في الحيوان مع عقول الحكماء في الشرق والغرب ﴿وبعبارة أخرى﴾ ان عقول الناس كلها انما تسعى لترجع العلم كله والحياة كلها الى مبدأ واحد وقاعدة واحدة ، فكما وصلوا لهذا التوحيد في عمل ما أحسوا بالهناء والسعادة وكلما تباعدت القواعد واختلفت الاصول كانت العقول أقرب الى الشقاء وأبعد من السعادة لما تجد من التناقض والاختلاف في هذا الوجود

هذه الحشرات وهذه الطيور وهذه الأنعام نرى أكثرها كنوت لها ممالك منتظمة أيما نظام متقنة أيما اقتنان ، فهل تحب أن أثبتك بأعقول الحكماء والعلماء ، انظر كيف ضربوا الأمثال للاجتماع ، انما ضربوا الأمثال بنفس الحيوانات واجتماعها واتلافها واتحادها في طلب النافع والفرار من الضار ، وانما ضربوا هذه الأمثال بالحيوانات لأنهم أيقنوا بعقولهم انها لو فهم المقروء وكتبهم -م المفتوح ومدرستهم العاتية ، فالأهم قديما قبل نزول الانجيل والفرقان كانوا يضربون الأمثال بالحيوان للاجتماع وان كان ذلك ضربا من الصور على طريق الخيال لأنه أقرب الى الأفهام وأدعى الى الاقبال . يقصدون بذلك أن الجهاد يكون أتم كلما كان عدد

المجاهدين أوفر ونظامهم أتم . فانظر الى أمثال ﴿ كائلة ودمنة ﴾ الذى ألفه بيدبا الفيلسوف وترجه عبد الله ابن المقفع الى العربية بعد أن ترجمه (برزديه) الطبيب الفارسي الذى كان أبوه من المقاتلة وأمه من عظماء بيوت الزمازمة من الهندية الى الفارسية فان من الأمثال هناك ما جاء فى باب الأسد والثور من تمثيل (بيدبا) الفيلسوف رأس البراهمة للمتجابين يقطع بينهما الكذب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء ثم لا يلبثان أن يتقاطعا ويتدبرا بالأسد والثور اللذين تحابا وحصلت بينهما المودة والمحبة . ثم جاء (دمنة) وأخذ يشي بينهما ويقول للثور يا ثور إن الأسد يريد أكلك وقال للأسد إن الثور يريد مقاتلتك وعلامة ذلك أنك إذا توجهت اليه وجدت سركات غريبة فلما رأى الأسد الثور خاف الثور واضطرب فظن أنه يريد مقاتلته ففتك بالثور الأسد ثم ظهرت الحقيقة بعد ذلك وحكم على (دمنة) جزاء كذبه

ومن تلك الأمثال مثل الحمامة المطوقة فقد ضربها ذلك الفيلسوف ليعلم الناس انهم يقدرون على الاتحاد سواء أكانوا من وطن واحد وأمة واحدة أم من أوطان مختلفة وأمم كثيرة . ذلك أن ديشليم الملك قال لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مشل المتجابين يقطع بينهما الكذب والى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك فحدثني ان رأيت عن اخوان الصفاء كيف يبدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض فذكر الحمامة المطوقة وهى سيدة الحمام إذ وقعت هى وهن فى الشبكة فخطبتن خطبة قالت « لا تخاذلن فى المعالجة ولا تكن نفس إحداكن أحب اليها من نفس صاحبته ولكن تتعاون جيعا فترفع الشبكة » فلما علت الحمامات فى الجوّ استعانت المطوقة بجرد كان صاحبها قديما يسمى (زيرك) فنزلت معهن بالشبكة عنده فقرض الشبكة حتى فرغ منها ففجعت المطوقة وأخواتها . فلما رأى الغراب صنع الجرذ مع الحمام أحب مصاحبته وانضم اليهما السلحفاة والظبي . فكما تعاون الحمام الذى هو من نوع واحد تعاون الغراب والظبي والجرذ على نجاة السلحفاة حين جاءها الصيد ليقنصها . هذه أساليب تلك الأمثال التى ضربها حكيم الهند لجهد الانسان المؤيد بالجماعة انتهاجا لخطة الحيوان بغريزته وبهذا انتهى الكلام على الفصل الثانى

### ﴿ الفصل الثالث فى الجهاد بالوحى الذى هو أعلى من سابقه ﴾

قد ذكرنا آنفا أن الهدى ﴿ ثلاث طرق ﴾ طريق الغريزة ، وطريق العقل ، وطريق الوحى ، وكل مرتبة أرقى مما قبلها وأقل مما بعدها ، وربما يظن قوم أن غريزة الحيوان كوحى الأنبياء وربما يستدلون بقوله تعالى - وأوحى ربك الى النحل - وهذا خطأ فان الغريزة فطرية ساذجة وان كانت صادقة والوحى أمر علوى يحكم العقل ويصقله ويرقيه ، فالوحى جاء لتنظيم العقول والغريزة لنظام العمل فى الحيوان والعقول الانسانية أرقى من الأعمال الحيوانية ومنظم الأعلى أرقى من منظم الأدنى

هأنت ذا رأيت غرائز الحيوان فهى بها مجاهدات وعقول الحكماء وتعليمهم للناس فقد جاء على مقتضى غريزة الحيوان ، فهل لك أن أسمعك ما جاء بالوحى فافقرا ما تستمعه وأعجب من هذا الوجود ، حيوان ذوا اجتماع بغريزته وانسان يتعلم الاجتماع بتعليم حكمائه ثم أنبياء نراهم ينظمون اجتماع الانسان على نسق غرائز الحيوان وحكمة الحكماء فى الانسان بحيث يصفى تلك العقول ويهيئها

فاسمع ما أقصه عليك من جهاد رسول الله ﷺ عسى أن ننهج نهجه . فانظر كيف كاتب الأمراء والملوك وحملهم على التآلف والتآزر والمودة والاخلاص حتى اتحدوا والتأموا وصاروا أمة واحدة يشار اليها بالبنان . فيها هوذا جهاد الغريزة وجهاد العقل اللذان بدأهما الله فى الحيوان والانسان أكملهما بما هو أعلى فأرسل نبينا ﷺ يذكر العقول بما اختبأ فيها من الكمال الفطرى - انما أنت مذكر - إنا نحن نزلنا الذكر - فما الوحى إلا تذكير للناس بما سترته عاداتهم وتقاليدهم عن فطرهم الشريفة الالهية المستمدة من سماء الكمال وكمال الجبال

## ( خير مناهج الجهاد )

اعلم أن للجهاد مناهج وطرقا مذلة عبدها (بتشديد الباء) أناس مضوا قبلنا وخير المجاهدين من درس سير العظماء والعلماء والحكماء ، فلتقرأ أيها الذكي سير أولى العلم والحكمة واعلم أن الله ما خلقنا في الأرض إلا لنمحي كل قوانا التي خلقها فينا وفصلها تفصيلا . أما والله ليس أن كل امرئ عن هذه الأعضاء المفصلة وهذه الحواس المكملة وهذه العقول المحكمة وعما أعطيت من نعم وما أتيت لها من قوى وقدر

واعلم أنك مسؤول عما أودع فيك من هذه العطايا والنعم فجاهد أمد الحياة ولتبدأ بجهاد نفسك ، فإذا رأيت منها خورا أضعف عزيمته فاستعن بالله وأدم الدعاء وثق به فإنه يحجب دعاءك لاسيما إذا كان هذا الدعاء عن شدة ولوع بما تدعوا إليه فتسكون أشبه بالمضطرب فنهنا الاجابة محقة لاشك فيها

وخير من تقتدى بهم في جهاد نفسك وفي ارشاد غيرك رسول الله ﷺ فإذا أمنت بك حاجة فادع كما دعا رسول الله ﷺ إذ يقول « اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرّي وعلانتي لا تخفى عليك شئ من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير والوجل المشفق المعترف بذنوبي أسألك مسألة المسكين وأتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضعير من خضعت لك رقبته وقاضت لك عيناه وذلل جسده ورغم أفنه لك ، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن في رؤف رحما يا خير المسؤولين ويا خير المعطين »

ومن دعائه ﷺ في الاستسقاء « اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثا مغيا مرييا (١) نافعا غير ضار عاجلا غير آجل » ومن دعائه « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام (٢) والجبال والظراب (٣) وبطون الأودية ومنابت الشجر » ومن دعائه « اللهم اسقنا غيثا مغيا مرييا غدا بمجلا (٤) عاما طبقا (٥) سحيا (٦) دائما ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم إن بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللاؤاء والجهد (٧) ما لا نشكوه إلا اليك ، اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض ، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا »

وإذا أصابك هم أو دين فقل ما أمر به رسول الله ﷺ « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » فإذا دعوت به وداومت فإن الله يحجب دعاءك كما روى في الحديث وهكذا من الأدعية التي وردت في الصحاح ، فإذا قويت نفسك وهذبت ورأيت فيها ميلا قويا الى الارشاد والنفع العام فاعلم انه لا يقف أمامها ما يمنعه ولا يصدها أحد في العالمين . وإياك أن يصيبك خور أو ضعف واسمع ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شئ فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل

(١) المرى الطيب السائغ والمربع المنصب وكلاهما بوزن كريم

(٢) جمع أكمة وهي الراية

(٣) الجبال الصغار واحدها ظرب ككتف

(٤) الغدق المطر السكبار القطر ، والمجلل الذي يجلل الأرض ويعمها بمائه أوبانه

(٥) مائلا للأرض مغطيا لها

(٦) قوله سحيا بفتح السين وتشديد الحاء أى دائم النزول

(٧) اللاؤاء الشدة والجهد المشقة كقف

الشیطان » واعلم علما ليس بالظن أن الله لما خلق هذه النفوس الانسانية جعل قواها موزعة على ما يحتاج اليه النظام . واعلم انك اذا منحت منحة إفاضة الخبر والارشاد والتعليم فان تأثيرك على سامعك حاضرا وعلى قارئ كلامك غائبا لن يكون إلا على مقتضى ما تملى به نفسك فعلى مقدار الأحوال المضمرة في نفسك تكون نتائج كلامك . اننا نرى النار تحرق بجوهرها وكذلك الماء يحيى بنفس جوهره لا بعوارض فيه وهكذا السم السم في الإهلاك والدواء في الشفاء . كل هذه مؤثرات بأنفسها وطبائعها هكذا شأن التعليم والارشاد ، فاذا رأيت نفسك متجهة وطال الأمد على هذا الاتجاه فاعلم انك رجل قد أذن لك وقد اصطفيت لترقية العقول واصلاحها فشمع عن ساعد الجدة وادرس سيرة رسول الله ﷺ وسير اصحابه وعظماء الأمة وحكماءها واقنف آثاره ﷺ في وعظه وارشاده لأفراد وللجماعات الذين كانوا معه ولمن بعدهوا عنه ، فاذا رأيت هذا كله مفروسا في نفسك من غير تكاف ولا تصنع فاعلم انك منصور مقبول الوعظ والارشاد فجاهد في الله بعد أن تقرأ أمثال ما قاله ابن شهاب « بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول اذا خطب ، كل ما هوأت قريب لا بعد لما هوأت ولا يجعل الله لهجلة أحد ولا يخف لأمر الناس ، ما شاء الله لا ما شاء الناس ، يريد الله شيئا ويريد الناس شيئا ما شاء الله كان ولو كره الناس ، ولا يبعد لما قرب الله ولا يقرب لما بعد الله ولا يكون شيء إلا باذن الله » وهكذا تقرأ خطبته ﷺ لما قدم المدينة \* قال ابن اسحق « كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ فيها بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ونعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل . انه قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال (أما بعد) أيها الناس فقد تموا لأنفسكم تعاقب (١) والله ليصعقن (٢) أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي ذباغك وأتيتك مالا وأنضت عليك فاقدمت لنفسك ؟ فليظرن عينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدماه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يتق بوجهه من النار ولو بشق من تمره فليفعل ومن لم يجد فبكمالة طيبة فانها تجزي الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

قال ابن اسحق . ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال « إن الحمد لله ، أحمده وأستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زين به الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر فاختره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا ما أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تمأوا كلام الله وذكره ولا تنس عنه قلوبكم فانه قد سماه خيرته من الأعمال فاعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئا واتقوه حق تقاته وأصدقوا الله صالحا ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم . إن الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٣) »

وتقرأ ما ورد عن أحمد بن حنبل أنه ﷺ قال « أما بعد فان رجالا يزعمون أن كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض وانهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات الله تبارك وتعالى يعتبر بها عباده فينظرون فيحدث منهم توبة الخ » وتقرأ خطبة حجة الوداع . لما زالت الشمس يوم عرفة أمر ﷺ بناقته القصواء (٤) فرحلت ثم سار حتى أتى بطن الوادي فخطب الناس خطبة عظيمة نذكر لك نصها من رواية ابن هشام في سيرته وهاهي ذه

(١) بنون التوكيد

(٢) من باب علم

(٣) روى ذلك هناد وعن أبي سامة مرسل

(٤) القصواء لقب ناقة رسول الله ﷺ ولم تكن قصواء أى مقطوعة طرف الأذن

« الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره وتوب اليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير ، أيها الناس اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وأن كل ربا موضوع ولكن لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظالمون ، قضى الله أنه لا ربا وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع وأن أول دماءكم أضع دم بن ربيعة بن الحارث (وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل) فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية (أما بعد) أيها الناس . إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . أيها الناس إن النسى (١) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليه (٢) ورجب مضر الذي بين جدادى وشعبان . (أما بعد) أيها الناس فان لكم على نساءكم حقا وهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تسكرهونه . وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان (٣) لا يمكن لأنفسهن شيئا وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولي فاني قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وستة نبيه . أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين اخوة فلا يحل لمسلم من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم ، ألاهل بلغت ؟ فقال الناس اللهم نعم فقال رسول الله ﷺ اللهم اشهد »

فاذا قرأت هذه الخطب وأماها علمت أن لكل مقام مقالا وانتهزت فرص الحوادث والوقائع وهناك يسمع قولك ويهش السامعون له ويبدشون . فانظر كيف اتميز ﷺ فرصة كسوف الشمس وجعلها موضوع وعظ . فهكذا فليكن تعليمك على حسب الوقائع والأحوال ولتكن أنت نبراس زمانك باجتهادك أنت نفسك واذا رأيت ظالما عمّ وفتنا طمت فتفكر في قوله ﷺ في بعض خطبه « أما بعد فان الدنيا خضرة حلوة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء ، ألا إن الغضب جرة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه (٤) فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالأرض الأرض ، ألا ان خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا ، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا . فاذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الرضا وسريع الغضب سريع الرضا فانها بها . ألا إن خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب وشر التجار من كان سيئ القضاء سيئ الطلب . فاذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فانها بها ،

(١) النسى التأخير في الوقت . كان العرب يؤخرون بعض الأشهر الحرم الى شهر آخر

(٢) ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم

(٣) عوان بالفتح معينات لأزواجهن أو عوار كما في رواية أي أمانات عندكم

(٤) الأوداج عروق السم في العنق

الإن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته . ألا وكبرالغدر غدر أمير عاتمة . ألا لا يمنعن رجلا مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه . ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر . ألا إن مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه ﴿

وهي نفسك لذ كبر الناس بأمثاله . ومتى علمت قبول جهادك فيمن يليك ورأيت النفوس مشرقة لما تقول متبعة طريقتك في جهادك وأن عواطفك قد أشربت قلوب من حولك بتأثير وعظمتك وهديك فهناك يجب عليك أن تخاطب من بعد عنك كما فعل رسول الله ﷺ . قد كان رسول الله ﷺ يريد أن يجعل الناس كلهم في الأرض أمة واحدة فلذ نسج نحن على منواله ولنوقف العقول الاسلامية لتتجه لصلاح الأرض مع الأمم . أفلا تعجب منه ﷺ إذ أخذ يدعو الأمم أمة مة فاقراً ما كتبه ﷺ الى صاحب اليمامة

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى هوزة (١) بن علي . سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخلف والحافر (٢) فأسلم تسلم واجعل لك ماتحت يديك (وكان الحامل لهذا الكتاب سليط (٣) بن عمرو العاصري فأكرم هوزة وفادته) وكتب الى النبي ﷺ يقول ما أحسن ما تدعوا اليه وأجله والعرب تهاب مكافئ فاجعل الى بعض الأمر أتبعك وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر فتقدم بذلك كله الى النبي ﷺ فأخبره وقرأ النبي ﷺ كتابه فقال لوسائلي سبابة من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه . وقد مات هوزة مرجع رسول الله ﷺ من الفتح »

ثم اقرأ ما كتبه الى ملك عمان « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى جعفر (٤) وعبد الله بن الجندى (٥) سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوكم بدعاية الاسلام أسلمها تسلماً فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحقق القول على الكافرين وأنكما إن أقررتما بالاسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرّا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيل تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما وقد بعث بالكتاب مع عمرو بن العاص نخرج به حتى وافى عمان ، قال عمرو فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقاً فقلت إني رسول رسول الله ﷺ اليك والى أخيك فقال أخى المقدم على بالسب والملك وأنا أوصاك اليه حتى يقرأ كتابك ، ثم قال وما تدعو اليه ؟ قلت أدعوك الى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فان لنا فيه قدوة . قلت مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ووددت انه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام قال فمتى تبعته ؟ قلت قريباً فسألني أين كان اسلامك ؟ قلت عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال فكيف صنع قومه بملكه ؟ فقلت أقرّوه واتبعوه . قال والأساقفة والرهبان تبعوه ؟ قلت نعم . قال انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب . قلت ما كذبت وما نستحل في ديننا . ثم قال ما أرى هرقل علم بالاسلام النجاشي . قلت بلى . قال بأي شيء علمت ذلك ؟ قلت كان النجاشي يخرج له خراجاً فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال لا والله لوسائلي درهمها واحداً ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له النياق أخوه أئدع عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين بدين غيرك ديناً محدثاً . قال هرقل ، رجل رغب في دين فاختره لنفسه ما أضع به ؟ والله لولا الضن بملكى لصنعت كما صنع . قال أنظر ما تقول يا عمرو . قلت والله صدقتك قال عبد فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه . قلت يأمر بدعاة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر

(١) هوزة بوزن جوزة

(٢) الخلف للبعير والحافر للفرس ويطلقان عليهما

(٣) سليط بوزن جيل

(٤) بوزن جعفر (٥) بضم ففتح فسكون وهو مقصور



وصلة الرحم و ينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنى وعن الخروج عن عبادة الحجر والوثن والصليب . قال ما أحسن هذا الذى يدعو اليه لو كان أخى يتابعنى عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا . قلت إنه إن أسلم ملكه (بتشديد اللام) رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فبردها على فقيرهم . قال إن هذا خلق حسن وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ في الصدقات في الأموال حتى انتهيت الى الإبل قال يا عمرو وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه . فقلت نعم . فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا قال فسكت ببابه أياما وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبرى ثم إنه دعانى يوما فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي<sup>(١)</sup> فقال دعوه (٢) فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت اليه قال تسكلم بحاجتك فدفعته اليه الكتاب مختوما ففرض خاتمه وقرأ حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقراه مثل قراءته إلا أنى رأيت أخاه ارق منه قال ألا تخبرنى عن قریش كيف صنعت . فقلت تبعوه إما راغب في الدين وأما مقهور بالسيف . قال ومن معه ؟ قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة وأنت إن لم تسلم اليوم وتبعه توطئك<sup>(٣)</sup> الخيل وتبيد خضراك فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال . قال دعنى يومى هذا وارجع الى غدا فرجعت الى أخيه فقال يا عمرو إني لأرجو أن يسلم إن لم يضمن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت اليه فأبى أن يأذن لى فانصرفت الى أخيه فأخبرته أنى لم أصل اليه فأوصلنى اليه . فقال إني فكرت فيما دعوتنى اليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدي وهو لا تبلغ خيله هنا وإن بلغت خيله ألفيت قتالا ليس كقتال من لاقى . قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه . فقال ما نحن فيما ظهر عليه ؟ وكل من أرسل اليه قد أجابه فأصبح فأرسل الى<sup>(٤)</sup> فأجاب الى الاسلام هو وأخوه جميعا وصدقنا النبي ﷺ وخليا (بتشديد اللام) بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا الى عونا على من خالفنى »

وهكذا تامل كتابه ﷺ الى المنذر بن ساوى . بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي الى المنذر ابن ساوى وكتب اليه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، أسلم أنت فاني أجد اليك الله الذى لا إله إلا هو (أما بعد) فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول ، من أحب ذلك من الجوس فانه آمن ومن أبى فعلية الجزية فأسلم ، وكتب الى رسول الله ﷺ (أما بعد) يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبهم ومنهم من كرهه ، وبأرضى بجوس ويهود فأحدث الى في ذلك أمرك ، فكتب اليه رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى ، سلام عليك فاني أجد اليك الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله (أما بعد) فاني أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح إنما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وإن رسلى قد أثنوا عليك خيرا واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أساموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعتلك عن عمالك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية ﴾

وبعد ذلك تنظر مكاتبة ﷺ الى ملك الحبشة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة ، أسلم أنت فاني أجد اليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلته أنفاها الى مريم البتول<sup>(٤)</sup> الطيبة الحصينة فحملت بعيسى نخلته الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى

(١) الضبع وسط العضد أو ماتحت الابط وقوله بضبعي<sup>(١)</sup> مثنى ضبع بوزن قلب

(٢) بالبناء لا مجهول (٣) بتشديد الطاء (٤) البتول أى العابدة



جاءني فاني رسول الله واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى . وقد بعث النبي ﷺ بكتابه هذا مع عمرو بن أمية الضمري (١) فقال للنجاشي يا أحممة إن عليّ القول وعليك الاستماع إنك كأنك في الرقة علينا وكأننا في الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من فيك . الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك الموقع الجزاء واصابة المفصل والا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي ﷺ رساله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما أخافهم عليه بخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشي أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشاره موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأن العيان ليس بأشفي من الخبر . ثم كتب النجاشي كتاب جواب النبي ﷺ الى محمد رسول الله من النجاشي أحممة ، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو (أما بعد) فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فوبرّ السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقا (الغلافة بين النواة والقشر) إنه كما ذكرت وقد عرفت ما بعثت إلينا وقد عرفنا ابن عمك وأصحابك فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ﴿

وهكذا تفكر في كتابه ﷺ الى كسرى ملك الفرس ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة - ليسنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين - أسلم تسلّم فإن آيت فعليك إثم المجوس . فلما قرئ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال مزّق الله ملكه وقد كان ﴿

ثم نقرأ كتابه ﷺ الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية وهذا نصه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فاني أدعوك بدعاية الاسلام (٢) أسلم تسلّم وأسلم يؤثك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط - يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم - الآية ، وقد بعث به ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة فلما دخل على المقوقس قال له إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال (٣) الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك . فقال إن لنا ديننا لن ندعه إلا لما هو خير منه . فقال له حاطب ندعوك الى دين الاسلام الكافي به الله فقد ماسواه . إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقرهم منه النصارى ، ولعمري ما بشاره موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا إياك الى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه وأنت ممن أدركه هذا النبي ولسنا نهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به . فقال المقوقس إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة باخراج الحب (٤) والابحار بالنجوى (٥) وسأناظر وأخذ كتاب النبي ﷺ بفعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتباه ليكتب بالعربية فكتب الى رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك (أما بعد) فقد قرأت كتابك

(١) بفتح الأول

(٢) دعوته وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل

(٣) النكال العقاب الذي يزجر الغير (٤) الخبيء (٥) السر

وفهمت ماذا كرت فيه وماتدعوا اليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يسلم ﴿ وهكذا تقرأ كتابه ﷺ الى هرقل ملك الروم وهذا نصه ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتلك الله أجر كمرتين فان توليت فان عليك إثم الأريسيين (١) - يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون - ولما قرأ هرقل الكتاب فكر في الأمر ثم جمع عظماء الروم في قصر له بمصر (بمسرح الحاء) ثم أطل عليهم فقال « يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبي فخاصوا (٢) حيصة جمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم على وقال إني قلت مقالتي آتفا (٣) أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيته » فسجدوا له ورضوا عنه ﴿ فاذا تنبعت أمثال هذه المكاتبات والخطب ألفتها ﷺ يخاطب الأمراء في بلاد العرب بأسلوب غير الذي يخاطب به الملوك ويعطى كل ذي حق حقه . ألا تراهم يقولون لملك الحبشة ﴿ وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلته ألقاها الى مريم ﴾ ولكنه يقول لملك عمان وأخيه ﴿ وانكما إن أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتا أن تقررا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيل تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما ﴾ فانظر الفرق بين الكتابين اللذين اختلفا على مقتضى الحالين

فاذا قرأت هذا وأمثاله هنالك تعرف كيف ترقى الأمم الاسلامية الآن وكيف تتحد مع غيرها في الأعمال النافعة وانظر تلطف حاطب بن أبى بلتعة مع المقوقس وقوله له ﴿ لسا نتهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به ﴾ وهذا أمر عجيب ووازن بين هذه المعاملة ومعاملة ملك عمان . إن هذه الأحاديث والأخبار تعطينا فكرة عامة وهي أن نلبس لكل حال لبوسها ونجد في رقي الأمم الاسلامية ونكلم كل امرئ بما يصلح له ولا تنفرا من إذن دين الاسلام في مستقبل الزمان سيقوم به قوم أرقى وأعلى من رجال تقدمونا بعد العصر الأول الذي هو خير العصور والعصرين بعده وسيكون اصلاحا لجميع الأمم والحمد لله رب العالمين

### ( بيان عام في أمر الجهاد )

للك الحمد اللهم على نعمة العلم وبهجة الحكمة . رأينا جبال صنعك وحكمك البالغة التي نظمت بها الأفلاك في علاها والحيوانات في فلالها والأهم في هداها

يقف المصلي ذا كرا رحمتك بسم الله الرحمن الرحيم يكررّها كل حين ويعترف بأنك أنت ربيت جميع العوالم مع رحمتك التامة وحكمتك الشاملة وقيامك بالقسط فيها وعدلك في الحكم وهو قد شاهد نظامك في حركات الأفلاك ومداب الأسماك فيطلب إذ ذاك هدايتك لصراطك وماصراطك لإشمول الرحمة وعموم الحكمة والنظام - مامن دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فصراط ربي تألف الطيور في الهواء والأنعام في العراء وعيشها بسعادة وهناء وصراط ربي أن يلهم أمثال (بيدبا) كما ذكرناه آنفا أن يصوغ الحكم ويعلم الناس الاتحاد تشبها بالجلمات وبالجمامة المطوقة مع الفار والسلحفاة والغراب وصراط ربي أن يتحد الناس على المنافع العامة . اللهم إنك أنت الذي ألهمت النمل فأحكمت نظامها وعلمت النحل فهديتها طرقها ورسمت للحكماء رسما في عقولهم فنسجوا على منوالك في إلهامك الحيوان ، ولعمري ما مكاتبه رسول الله ﷺ

(١) جمع أريسي نسبة الى أريس كنعيل وهو الفلاح

(٢) نفروا (٣) قريبا

الى ملك عمان والحبشة ومصر والروم والفرس إلا على نهج صراط الله في الهداية فهناك هداية بالغاثر أولًا  
وبالعقول ثانياً وهنا هداية بالوحى الذى نزل ليصقل العقول ويجمع الشتات ويؤلف بين القلوب ، سبحانه  
اللهم وبمحمدك لإله إلا أنت الحكيم العليم

### ﴿ زيادة ايضاح ﴾

أنت يا الله جعلت صلاة المصلى شاملة معاني عامة إذ يلحظ نظام السكواكب وتجاذبها ونظام الجسم الانساني  
في دعاء الركوع والسجود فيرى انتظام الوضع بين السكواكب وانتظام الحركات في سيرها وجمال الترتيب  
والتنسيق والجنردة والاتساق في السمع والبصر والمخ والعظم والعصب وما استقلت به القدم فلا يسهه إلا أن  
يطلب أن يكون الناس في اتحادهم على مقتضى ما شاهد في الآفاق وفي جسمه وهنالك يرى أن الهداية للصرط  
المستقيم هي صراط الله الذي له مافى السموات ومافى الأرض كما انها هداية الله الذي - مامن دابة إلا هو آخذ  
بناصيتها - واذن يرى المصلى أن الصراط المستقيم في الفاتحة هو صراط المنعم عليهم لا صراط المغضوب عليهم ولا  
صرط الضالين فان هاتين الطائفتين لم يخلقوا للنظام العام وسعادة الأمم فان أهل الغضب والضلال متساكسان  
وهل يجمعهما إلا المهديون الى الصراط المستقيم وهذا هو الذى حصل أيام النبوة ﷺ فانه ﷺ ما كاد يسمع آية  
- قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً  
أرباباً من دون الله - حتى أرسل رساله الى الأمصار وخطب الملوك يريد أن يكون النوع الانساني على وتيرة  
واحدة من حيث نظام السياسة ويجهل أولئك الذين على صراط مستقيم مسيطرين على أولئك المغضوب عليهم  
والضالين . أرسل ﷺ رسله وقواده وجيوشه وكان ذلك كله بلذة روحية فكان الصحابة والتابعون لا يريدون  
إلا وجه الله وان من قرأ سير الصحابة والتابعين ودرس محاورات هؤلاء مع الملوك والأمراء كما تقدمت في  
محاوره حاطب بن أبى بلتعقة مع من أرسل اليه من الملوك ومحاوره عمرو بن العاص كذلك وقرأ ما تقدمت في  
(سورة الكهف) محاورات عبادة بن الصامت مع المقوقس وكيف كانوا يفحمونهم في الخطاب ويدعون للحق  
فالحق والحق أقول لولا هذه اللذة الروحية ما توغل المسلمون في بلاد الله شرقاً وغرباً . إن الله جعلهم  
رسل نظام عام على شريطة أن يكونوا رجة للأمم على مقدار ما تتحملة هذه الطبيعة الطينية . ياسبحان الله  
بقيت هذه الخصلة (٣٠) سنة كما قال ﷺ **﴿ الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكاً عضواً خلف من بعد**  
**الخلافة ملوك لم يكونوا كاخلفاء ﴾** . إن الاخلفاء كانوا يعلمون مقصود النبوة فخرموا على أنفسهم مال المسلمين  
علما منهم أن الأمة اذا انعمت في الشهوات زال ملكها في الدنيا وعذبت في الآخرة . ناهيك ما تقدمت في  
آخر (سورة القصص) من حكاية الربيع بن زياد لما وفد على عمر رضى الله عنه فقرأه تجد أنه خاف من قوله  
تعالى - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون  
في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - ماذا كان يخاف عمر ؟ خاف عذاب الهون وخاف عذاب الخزي  
في الحياة الدنيا اذا استمتع بالذات ولذاتكم لم يبيع لنفسه أن يتخذ ما كل لمجرد اللذة

هذا هو رأى أكابر الصحابة ، حرم عمر على ابنته أن يضمخ ثوبها بطيب المسامين ونظيره في ذلك أبو بكر  
وبقية الاخلفاء الراشدين ، خلف من بعدهم خلف بعضهم أضعوا النخوة والعزة وتلهوا بالتفنن في اقتناء  
الجوارى والانعماس في اللذات بعد الغزوات فكانوا لا يبالون باذلال الأمم ولا باذلال المسلمين وأخذوا ببعض  
الدين وتركوا بعضه . ذلك ان الله أباح الأسر ولكنه يقول - فلا اقتحم العقبة \* وما أدراك ما العقبة \* فك  
رقبة \* أوطاعهم في يوم ذى مسغبة \* يتماذا مقربة \* أومسكينا ذا متربة \* ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا  
بالصبر وتواصوا بالمرجة \* أولئك أصحاب الميمنة - فالة أول ما ذكر في هذه الآية قال - فك رقية - إذن  
فك الرقية أهم مابه تقتحم العقبة وذكر بعدها الإطعام ثم ذكر الايمان مع الصبر والمرجة . إذن هنا فك الرقية

أولاً والمرجة آخرها وهكذا دخل العتق في أكثر أبواب الفقه

إنه ﷺ أرسل لمنفعة الأمم ولما وجد النوع الانساني قد تأصلت فيه عادة الأسر أصبح له أن يأسر كما تأسر الأمم فلوانه حرم أسرهم على المسلمين لا تقرضوا فانهم في الحرب يأسرهم غيرهم اذا غلبهم واذا غلبوا غيرهم لا يأسرونهم وهذا هو هلاك الأمم الاسلامية وظلمهم ، لذلك أباح أخذ الاسرى ورغب في العتق وجعل بين المعتق والعتيق ولاء ومودة حتى ان المعتق يرث من أعتق كالقريب . ومعنى هذا كله أن يكون الأعداء أصدقاء ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ تصبح الأمم المتقاربة مندججة في الأمم الغالبة بطريق الولاء الذي هو كالنسب هذه الأحكام لا مندوحة عنها ، فالمسلمون يأسرون غيرهم ثم يعتقونهم وخير من هذا أن يمنوا عليهم فلا أسروا ولا فداء . وكل هذا كان موكولا للملك والمالوك كانوا يستبدون بالأمر ، ثم تغاضى المسلمون بعد ذلك عما يسمعون من أخلاق أبي بكر وعمر وعلى وأمثالهم فاستباح الملوكة لأنفسهم كل أنواع الزينة والفسوق وجهلوا تلك الأخلاق الفاضلة ، واذا سمعوا قوله تعالى ... فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ... أو سمعوا الآية المتقدمة التي أخافت عمر رضي الله عنه وهي - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - الخ يقولون هذه وردت في الكفار فأصبح فهم المتأخرين غير فهم المتقدمين فانغمسوا في اللذات فذهبت نخوتهم ودولهم وعزهم والله لا يظلم الناس شيئا

إن رسول الله ﷺ كان هو الذي يقتبس منه الصحابة الحقائق ثم انكمش المسلمون وتركوا هذه الفضائل واقتصروا على الفقه وظنوا أن الحرام والحلال كافيان في الاسلام وتركوا آيات كثيرة جدا ظنوها نزلت في الكفار أوفى المنافقين ، فبهذا صار الاسلام غريبا وكيف لا يكون غريبا وآيات العبر ونظام الأمم قد تركت وجعلت خاصة بقوم غيرنا . إذن بعض المسلمين صدق عليهم قوله تعالى - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول - فالترفون في الآية هم أنفسهم الذين قال الله فيهم - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا - الخ . سر في بلاد الاسلام شرقا وغربا فانك لا تجد لهذه المباحث العامة رواجا اللهم إلا في هذا الزمان فان النهضة قد سرت بين المسلمين وسينم أمرها ، واعلم أن المسلمين في زماننا لاملجأ لهم إلا أن يقوم فيهم مجددون مصلحون ينبرون السبل ويوضحون الطرق ، وإنى أجد الله عز وجل أن يكون هذا التفسير قد جعل فيه روح الإصلاح ، وهناك كتاب في بلاد الاسلام معروفون يسبرون على منهج الإصلاح وهذا زمان النهضة وسيأخذ حظه ويرقى الأمم التي تدين به ان شاء الله

﴿ جهاد بعض المتأخرين من الأمم الاسلامية السابقة جهاد خذلان وانكسار ﴾

لقد طال الأمد على أئمة الاسلام فقست القلوب وكثر الفسق والفجور فأين الجهاد ؟ والجهاد يراد منه الإصلاح ، وكيف تصلح أمة انغمست في الشهوات وقبّل فيها المصلحون بعد العصور الأولى وكلما تعادى الزمان ازداد العصيان بسبب الترف والجهل العميم . فوازن رعاك الله بين أزمان النبوة إذ أريد جعل أهل الأرض أمة واحدة وبين أيام انحطاط دولة العرب باسبانيا وطردهم منها في كلام العلامة (سديو) الفرنسي وهذا نصه ﴿ الباب الرابع في انحطاط دولة العرب باسبانيا وطردهم منها ، وفيه « خمسة مباحث » المبحث الأول ﴾

﴿ الأول ﴾ في وقوع عدة ممالك اسلامية من اسبانيا تحت حكم ملوك النصارى

نعود الآن الى ما سلف من تاريخ عرب اسبانيا فقول ﴿ لما أغارت الأهالي على عساكر الموحدين المحافظين باسبانيا أوقعوا بهم أول نكبة وأخطبها لكنهم أماطوا عنهم جورا يلزمهم أن يستعدوا عقبه لصدا النصارى بتجديدهم للحكومة مركزا عموميا تنبئ عليه المصالح العامة لكنهم عدلوا عن ذلك وأخذ كل ينظر في مصالحه الخاصة ، ولذا انقسمت الحكومة الاسلامية الى عدة دول صغيرة مستقلة عن بعضها لم يكن منها ذات شوكة في الجلبة إلا مملكتنا (والنسة) و (الجرو) ومملكتنا (ابن هود) و (محمد الحمار) وكان ذلك التفرق مساعدا

للفرنج على أخذهم عدة ممالك واحدة بعد أخرى ﴿

ثم قال ﴿وسلك (فرينند) مسلك السياسة بتوليته محمدًا الجمار على جميع بلاده الرحبة المستدة من حدود الجزيرة الى المرية بين جبل طارق وهو يسقه بشرط أن يؤدى له جزية كل سنة وجنودا زمن الحرب ويذهب الى المشورة التي تنعقد في (قسطاية) ثم حاصر فرينند ومعه محمد الجمار مدينة اشبيلية التي كانت كرسى سلطنة المرابطة والموحدين فقاومه أهلها زمنا طويلا لورود مدد اليهم من الوادى الكبير وعبورهم قنطرة من سفن على هذا النهر الى مدينة تريانة المشتملة على لوازمهم فجوز (فرينند) في جون بسقاية ومينيات اقليم جالسة سفنا صغيرة استولى بها على مصب نهر الوادى الكبير ثم ألقى سفنا كبيرة كسرت تلك القنطرة بشرائعها فكان لأهل اشبيلية جماعة سلموا بها المدينة الى فرينند سنة ١٢٤٨ بشروط توافقتهم لبيع أملاكهم ميعادها أطول من ميعاد أهل (والنسة) وقد تيسر لهم بأخذ (مدينة اشبيلية) سرعة انقياد جميع البلاد التي على ميمنة نهر الوادى الكبير وجالوا حين استيلاء البرتغال على مدينتي لولة وأيامنتة سنة ١٢٤٩ بسواحل البحر التي بين نهر الوادى الكبير والوادى اليناع جولة منتصر مؤيد فأخذوا مدنا بعضها للمسلمين ﴿

فانظر كيف ترى (فرينند) مع محمد الجمار يحاربان (أشبيلية) وقد ساعدت لفرينند أى ان الأمير المسلم يساعد الفرنجى على أن يملك بلاده اسلامية ، ذلك لأن الترف والنعيم هما اللذان يقعدان بالأم عن المعالي ثم تأمل ما تقدم في المجلد الثالث عشر في (سورة الشعراء والنمل) فانك تجد تاريخ القوم وانحما وانهم غرقوا في بحار الفسوق والفجور ولله عاقبة الامور

ولأختم هذا المقال بما لم أذكره فيما مضى مما أتيته التخاذل الذى سببه الانغماس في الشهوات وشيوع الغزل والتفنى والتفاخر بالخر وانحراف الأمة عن العاوم والمعارف ورضاها بالقشور فترقت وذاق بعضها بأس بعض ، ذلك عبرة لمعتبر وتبصرة للمذكر

جاء في تاريخ (زبني دحلان) صفحة (٣٠١) مانصه ﴿من الممالك التي في شرقى الأندلس بر بشتري وسرقسطة والشعر الأعلى ومدينة طايطة ومرسية وبلنسية وغير ذلك والمتغلبون عليها من ملوك الطوائف بنو سليمان ابن محمد بن هود الجذامى من سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وكان قبلهم متغلبا عليها بنو منذر بن مطرق التجيبى فافترعها منهم بنو هود في السنة المذكورة فلما كانت سنة ست وخمسين وأربعمائة نازها جيش الاردميلش وحاصرها وقصر الأمير يوسف بن سليمان بن هود في حيايتها ووكل أهلها الى نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوات لقلته واتصل الخبر بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها ، وكان لها مدينتان فدخل المدينة الأولى خمسة آلاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة افرنجى ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من أنهر الى المدينة تحت الأرض في سرب موزون فانهارت القناة وفسدت ووقع فيها صخرة عظيمة سدت السرب بأسره فانقطع الماء عن المدينة ويس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الأمان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فأعطاهم العدو الأمان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع إلا القائد ابن الطويل والقاضى ابن عيسى وبعدهما نفر من الوجوه وحصل للعدو من الأموال مالا يحصى حتى إن الذى خص بعض مقدمى العدو ألف وخمسمائة جارية أبكارا ومن وقار الحلى والسكوة ما يحتمل خمسمائة رجل وقدر القتلى والأسرى مائة ألف نفس . ومن نوادر ماجرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادى من كان بالقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أولولدها فيقول لها اعطني مامعك فتعطيه ما معها من كسوة وحلى وغيرها ، وكان السبب في قتلهم أنه خاف من وصول أحد انجدهتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع في قتلهم ، فلما قتل منهم نيفا على ستة آلاف نادى الملاك بتأمين من بقى ، وأمر أن يخرج من بقى بالبلد فازدحوا على الباب الى

أن مات منهم خلق كثير ونزلوا من الأسوار بالحبال خشية الازدحام في الأبواب ومبادرة الى شرب الماء وقد كان تحيز في المدينة جماعة ولم يخرجوا وكانوا مقدار سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت من أسر وقتل وأخرج من الأبواب والأسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية أن يبادر كل منهم الى داره بأهله وله الأمان وأرهبوا وأزعجوا فلما حصل كل منهم بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم الا فرنج بأسر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها وكان جماعة من أهل المدينة قد نفروا ولادوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فأمنهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صورة الهلكى من العطش فأطلق سبيلهم فيديهم في الطريق إذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلواهم إلا القليل من بقي أهله ، وكان الفرنج لما استولوا على المدينة يفتضون البكر بحضرة أيها والثيب بحضرة زوجها وأهلها ، وجرى من هذه الامور والأحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يطاء بعض النساء ذوات المهنة أنشطهن خدمه وغلماهن يعيشون فيهن وبلغ الكثرة منهم ما لا يمكن أن يوصف على الحقيقة ، ولما عزم ملكهم على القبول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجوارى الأ بكر والثيبات ذوات الجبال ومن صديانهم ألوفا جلهم معه ليهديهم الى من فوقه من ملكهم وترك من رابطة خيله ببر بشر ألفا وخمسمائة ومن الرجال ألفين

وما كان في هذه الواقعة الشنعاء أن بعض تجار اليهود جاء (بر بشر) بعد الحادثة ملتصقا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجوا كن حصان في سهم قومس منهم كان يعرفه قال فذهبت الى منزله واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نفيس ثيابه والجاس والسريركا خلفهما رهما يوم محنته لم يغير شئ من ريشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعوب قائمات على رأسه ساعيات في خدمته فرحب بي وسألني عن قصدي فعرفته وجهه وأشرت الى وفور ما أبذل له في بعض اللواتي كنت واقفات على رأسه وفيها كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضاه لك أعرض عنهن وتعرض لمن شئت ممن صيرته حصني من سبي وأسرى من أقاربك فقلت له أما الدخول الى الحصن فلا رأى لي فيه وبقربك أنست وبكفك اطمأنت فاعطني بعض من هنا فاني أعطيك رغبتك قال وما عندك فقلت العين الكثير الطيب والبرزال رفيع الغريب فقال كأنك تشبهني ما ليس عندى ، يا باجه ينادى بعض أولئك الوصائف (يريد يابهجة فغيره بهجته) قومي فأعرضى عليه ما في ذلك الصندوق فقامت اليه وأقبلت ببدر الدنانير وأكياس الدراهم وأسفاط الخلى فكشف وجعل بين يدي العلاج حتى كانت توارى شخصه ثم قال لها أدنى الى من تلك التخت فأدنت منه قطعة من قطع الوشى والخز والسباح الفاخر حتى حارلناك ناظري وبهت واسترذت ما عندى ثم قال لي لقد كثرتنا عندى كل شئ حتى ما ألتذبه ثم حلف لي أنه لو لم يكن عنده شئ من ذلك ثم بذل لي أحدمثل ذلك ماسخت بهذه الجارية التي تطلبها نسي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه واصطفيتها لنفسى لمزيد جلالها لأجل أن تلد لي وفعلنا هذا مثل ما كان قومها يصنعون بنسائنا اذا ملكونا حين كانت دولتهم وقد ردت الله لنا السكره عليهم فصرنا فيما تراه وأزيدك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار الى جارية أخرى كانت مغنية لوالدها ثم قال لها يا فلانة خذى عودك فأخذت العود وقعدت تسويه وأنا أنامل دمعها يقطر على خدتها فتسارع العلاج ومسحح يديه واندفعت تفنى بشعر ما فهمته أنا فضلا عن العلاج وأظهر الطارب فلما ينست مما عنده قت منطلقا واطلعت على كثرة ما بأيديهم من السبي والمغنم فطال تهجى قال في نفح الطيب فهذا مقنع لمن تدبره وتذكره لمن تذكره - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فان أهل الأندلس لما توات عليهم النعم انهم مكوا في اللذات والشهوات وحل بهم داء التقاطع وقد أمروا بالتواصل والألفة فأصبحوا على شفا جرف يؤدى الى الهلكة لا محالة وأنهم كانوا يعالون أنفسهم بالباطل ويفترون بالنعيم الزائل وقد بسوا

عن طاعة خالقهم ورفضوا وصية نبيهم وغفلوا عن سد ثغورهم حتى جاس عدوهم بخلال ديارهم ثم سرى الباقى اليهم جميعا فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿ اه

وانما سقت هذه الحادثة لترى أيها الذكى كيف كان اتباع الشهوات سببا فى التخاذل والتخاذل سبب فى انتهاك العدو حرمة البلاد وضياع المال والعرض والشرف والجاه ، وانظر كيف أصبحت الفتاة بهجة مملوكة للعلاج فى نفس منزل أبيها ، وكيف يأمر تلك الفتاة التى كانت مغنية لأبيها أن تغنى له ، أوليس مما يؤسف له أن يجعل الرجل ابنته مغنية له . كل ذلك دليل على ضياع الأمم . نعم هذه المدينة فى السنة التى بعدها استرجعها المسلمون كما فى نفس التاريخ وفعلا بالفرنجية مافعله الفرنجية بالمسلمين ولكن ليس المدار على الانتصار الموقت فى بلدة من البلاد بل المدار على استقامة القلوب وارتقاء النفوس فهو النصر الحقيقى

واذا أراد الله ذل قبيلة \* رماها بقتلت الهوى والتواكل

﴿ كيف أثمر الجهاد لتحرير أوروبا بعد خلود أم الاسلام ﴾

لقد ذكرت لك أيها الذكى فيما تقدم كيف تميزت الوحدة الاسلامية بعد القرون الأولى ، وكيف انغمس المسلمون فى الشهوات والمعاصى وفسقوا فسوقا أدوا ثمنه وهو الأسر والذل والفتك والضعف ، وكيف دخل العدو الدار وفسقوا بالبنات والنساء أمام الأزواج والآباء ، وانظر الى الفتاة (بهجة) كيف اصطفاهم العلاج لنفسه بحجة انها كانت ابنة رجل عظيم وقد استخدمها فى نفس منزل أبيها على فراشه ، وانظر كيف وكل الأمير الأندلسى يوسف بن سليمان أمر أهل بر بشترا إلى أنفسهم وقال لهم دافعوا عن أنفسكم

إن أعظم سبب فى فشل الأمم ومنها الأمة الاسلامية أن الأمر يوكل الى أناس يظن فيهم الخير فاذا مات الآباء ونشأ الأبناء على الترف والنعيم بقى الناس مسحورين بالابن كما سحرنا بالآب فيطبع ذلك الابن وابن الابن الشعب بطابعهم فهو يرتفع فى ملاهيته ولذاته وهم يقلدونه ، ولما رأت الأمم الحاضرة ذلك استبدلت مجالس النواب والشيوخ بذلك النظام العتيق . فاذا كان الملك فاسقا جاهلا لم يضرهم شئ فلهم الحل والعقد وعليه التصديق فليكن كما شاء جاهلا أو علما . هذا هو الذى عليه الأمم الآن ولستهم لم يصلوا الى هذا إلا بعد جهاد وجهاد وصبر طويل وتجارب هداهم اليها الاسلام ، وانما قلت هداهم اليها الاسلام لأنك اذا رجعت الى تفسير (سورة التوبة) عند آية - يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار - الخ رأيت هناك أن الانقلاب الاوروبى ما حدث إلا بما قرأه أمثال (فولتير) و(روسو) من كتب المسلمين المنهوبة من الأندلس أو المأخوذة من مصر (اقرأ مذكرات سيدة أوروبية أسلمت) تحت عنوان « الحضارة الاسلامية والحضارة الاوروبية » فلقد أثبتت هناك ذلك بأجل العبارات ، وقرأ قبيل ذلك كيف كان ظلم القسيسين والبابوات ، ولعمري لم يكن ذلك إلا للخضوع القبيح الذى يخضعه الانسان لغيره جهلا بقوله تعالى - وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله - وبقوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكانا مؤمنين \* قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين \* وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأسرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون \* وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون \* وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعدين -

وفى القرآن من أنواع المحاورات بين الرؤساء والمروسين مالا يدع عذرا لمعتذر وقد غفل عن هذا المسلمون واستيقظ له الاوروبيون ، ولقد تقدم فى هذا التفسير أمثلة كثيرة لاستيقاظ الاوروبيين والموازنة بينهم وبين المسلمين ، ولاكتف الآن بأمر عجيب نشر فى جرائدنا فى وقت طبع هذا المقال لاسعاد هذا التفسير والعناية



الإلهية به يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٣٩ فقد جاء في جريدة الاهرام مانصه

### ﴿ ٤ أغسطس ﴾

( أو يوم اعلان حقوق الانسان )

عند ما تشرق شمس هذا النهار ويستقبل الناس يوما جديدا يتم انقضاء مائة وأربعين سنة كاملة على اليوم الذى أتحدث عنه الآن

ففي يوم (٤) أغسطس من عام ١٧٨٩ ذكرى قيمة بالخلود في نفوس الشعوب المجيدة التى تعتر بالحرية والأمم الناهضة التى تنشد لها ، وحقيق بالفرنسيين خاصة أن يجالوه تبجيلهم ليوم (١٤ يوليو) الذى جعلوه عيدهم القومى وهو لا يمتاز في الواقع إلا بهدم حصن الباستيل وقتل حراسه القلائل والتمثيل بهم أشنع تمثيل وأخراج بضعة نفر من أقييته المظلمة لاهم في العير ولاهم في النفير

أما في يوم ٤ أغسطس سنة ١٧٨٩ وان شئت الدقة ففي مساء ذلك اليوم فقد نال الشعب الفرنسى ما كان يصبو اليه ويجاهد في سبيله وهو اعلان حقوق الانسان على أساس المبادئ التى نادى بها (جان جاك روسو) ومحو الامتيازات التى كانت للأشراف ورجال الدين الذين ظلموا أنقلوا كاهل الشعب ودفنوا به في قرار سحيق من الفقر المدقع والضر المفعج واليك البيان

في مثل يومنا هذا منذ قرن وأربعين سنة بالتمام كان الناس في باريس في هرج ومرج على أثر الظفر الذى عقد لهم لواءه بهدم الباستيل في (١٤ يولييه) من العام ذاته والفلاحون في الأقاليم يمعنون هدما وسلبا في قصور الأشراف التى تمثل الباستيل بينهم حتى لا يكونوا وراء أهل باريس في ميدان المجد والفخر والبلاد من أقصاها الى أقصاها في ثورة مروعته انكمش أمامها رجال الادارة خشية أن يحل بهم ماحل بحاكم الباستيل وزادت الحالة سوءا حين امتنع التجار عن عرض ما لديهم من الأقوات خوفا من السلب والنهب ، واذ أدرك الغوغاء مقدار قوتهم صاروا يشورون لأقل شئ وينقضون على كل من توهموا فيه العدا لهم ، فتارة يصلونهم وطورا يقطعونهم إربا وكانت سفليات النساء في الأسواق في مقدمة أولئك الفتاك وأكثرهم شرا . ووقف مجلس الأمة (وكان مؤلفا من الهيئات الثلاث الأشراف والقساوسة والعامة) يراقب الحوادث في حيرة ووجل خوف سوء العقبى وكل ما تبينه أعضاؤه من الموقف انه لا يرجى لذلك الحال من هدوء إلا اذا جرد الأشراف والكنيسة من امتيازاتهم ، على أن ذلك لم يكن محتمل الوقوع إذ وقف الملك لويس السادس عشر يشد أزر هؤلاء وينصاع اليهم بتأثير زوجه الملكة (مارى انتوانت) فظل خطر الموقف مسلطا فوق الرقاب جميعها الى أن كان يوم (٤) أغسطس سنة ١٧٨٩ واذا المعجزة تقع من تلقاء نفسها ، ففي مساء ذلك اليوم وقف في مجلس الأمة أحد الأشراف وكان فقيرا واقترح النزول عن امتيازات الأملاك ، فهاهى اللحظة حتى دب ديب الغيرة في النفوس وتبارى الناس في تنفيذ هذا الرأى ، وما انقضت الليلة حتى كان الأشراف قد نزلوا عن كل امتيازاتهم وكذلك أعلنت حقوق الانسان في تلك الليلة على أساس المبادئ التى نادى بها (روسو) ومجملها أن الناس ولدوا أحرارا متساوين في الحقوق وأن الغرض من الحكومات ضمان الحرية والأملاك الشخصية وصيانة الحقوق وحماية الأرواح ومنع المظالم وأن لكل أمة الحق في وضع القوانين وتقرير الضرائب ولها وحدها السلطة العليا في البلاد وليس لأحد أن يستعمل هذه السلطة إلا بإرادتها . وحين أعلنت هذه المبادئ أخذ الناس بها وجاءت الجمعية الأهلية بعدد فادخاتها في صلب الدستور وهكذا تقوّضت مظالم العهد القديم وأشرف العالم على عصر جديد ملؤه العدل والحرية والمساواة

ذلك هو يوم (٤) أغسطس سنة ١٧٨٩ الذى يتم بانبلاج شمس هذا الصباح مهوور ١٤ سنة عليه ، واذا



كانت حادثات كبار وخطوب جلل أتت بعده في إبان الثورة الفرنسية حتى شاهد القرن التاسع عشر أياما سوداء ملوؤها الدم والسمار فان ذلك كله لا يججب عن الناس نعمة ذلك اليوم المجيد انتهى

### ( قصة نوح عليه السلام )

قال تعالى (واقعد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) وقد كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وفي ذكر الألف تخيل لطول المدة الى السامع لأن القصص من القصة تسلية النبي ﷺ وتثبيته ومجاهدته لما يكابده من الكفرة ، وإياك أن يصدك عن هذه القصة ماتراه من طول الأعمار التي لم نعهدها ولم يظهر في التاريخ المعروف نظيرها فان التاريخ القديم مجهول جهلا تاما ، وليس المقصود من مثل هذه أن نبهت في السنين كيف كانت وأمثال ذلك فانك اذا ظننت أن ذلك هو المقصود لم تنفع بالقصة . إن الانسان اذا قرأ أن قوما قاسوا شدايد وطالت المدة عليهم وهو يعلم أن مدته قصيرة اطمأن وصبر وجاهد لينجو ويهلك عدوه كما هلك أعداء نوح (فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) أى طوفان الماء وهو يطلق على كل ما طاف بكثرة من سيل أو ظلام وما أشبه ذلك فلتعتبر بهذا ولا تضع وقتك فتقول كما يقول البعض ﴿ إن السنة عبارة عن دورة الأرض حول الشمس مرة ﴾ فربما عبر هؤلاء في أيامهم بالسنين عن دورة القمر حول الأرض وهو شهر عندنا واذن يكون عمر نوح كالأعمار المعتادة التي لا تبلغ مائة سنة ، أقول لك لاتضيع وقتك في هذا فانا نلجأ اليه عند القطع بعدم حصول ذلك والمقام ليس مقام تاريخ بل المقام مقام جهاد وصبر وأدب ولم ينل أحد السعادة إلا بالاجتهاد والجهاد ومقارعة الخصوم ، فاذا طالت المدة كان ذلك أدعى الى التأسى والاعتداء (فأنجيناه وأصحاب السفينة) أى أنجيننا نوحا ومن ركب السفينة معه (وجعلناها) أى السفينة أو الحادثة (آية للعالمين) يتعظون بها ويستدلون بها

### ﴿ جوهرة في قصة نوح وسفينته ﴾

إقرأ ما تقدم في (سورة هود) وفيه بيان أن الطوفان في القرآن جزئي لا كلي وهناك تقرأ المقام مفصلا على مقتضى الكشف الحديث ولكن اطلعت بعد ذلك على تفصيل أوفى في كتب حديثة مختلفة ، فمن ذلك ما جاء في بعض المجلات العلمية بتاريخ يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ١٣٤٨ - ٢٢ يولييه سنة ١٩٢٩ وهذا ملخصه « يرى بعض العلماء اليوم أن قارة تسمى (ليوريا) كانت في الاوقيانوس الجنوبي وتتصل بآسيا من جهة وبافريقيا من جهة أخرى وان قارة أخرى تسمى (اتلنتس) كانت وراء جبل طارق وكانت قد أفرقيا وآسيا معا ثم غطاها ماء الاوقيانوس ففرقت . وأن قارة أخرى كانت في الاوقيانوس الباسفيكي على بعد ألفي ميل وأربع مائة ميل غربى سواحل أمريكا الجنوبية وقد أغرقها الماء وذهبت كأمس الدابر ، فهذا طوفان أغرق قارات في أزمان قديمة لا يعيها التاريخ وهناك قصص للطوفان بعضها في التوراة وبعضها جاء في مجموعة ﴿ سجلات جلجميش ﴾ في النصوص البابلية وبعضها عن أهل الصين وبعضها عن أهل الهند ، أما قارة (ليوريا) فهذا ملخص ما جاء عنها في هذا المقال بذلك التاريخ وهذا نصه

### ﴿ جغرافية العالم القديم . القارات الضائعة وكيف اختفت . الحيوانات الباقية والمنقرضة ﴾

تذهب الى (جزيرة مدغشقر) بعثة علمية لدرس حيوانات هذه الجزيرة وأحافيرها ولتعليل بعض الظواهر البيولوجية الغربية فيها ومن جللتها قلة الارتباط النسبي بين الحيوانات التي فيها والتي يختلف بعضها عن بعض الى حد مدهش ، ومع ان هذه الجزيرة لاتبعد عن سواحل افريقيا أكثر من ثلثائة ميل فان بينها وبين حيوانات القارة الافريقية بونا شاسعا ، من ذلك انها خلو من ذوات القوائم الأربعة الكبيرة الأجسام ماعدا

بقرماء (فرس البحر) ولكنها موطن حيوانات كثيرة لم توجد في موضع آخر من العالم ، وليس ذلك فقط بل ان أحافير الجزيرة تدل على انها كانت في الأزمنة الغابرة موطن حيوانات وطيور وزحافات لا وجود لها إلا في الخرافات ، من ذلك طير (ايورنيس) ولعله أكبر الطيور التي حلقت في جواء الكرة الأرضية وكان يضع بيضا هائل الحجم يبلغ طول محوره ثلاث عشرة بوصة وثلاثها عشر بوصات أى بحجم بطيخة كبيرة مستطيلة وكان هذا الطير أكبر كثيرا من النعامة ويشبه طير (الموا) من طيور نيوزيلندا المنقرضة ويزعم الكثيرون أن طير (ايورنيس) المذكور هو طير الرخ الذي ورد ذكره في روايات « ألف ليلة وليلة » وأن واضع تلك الروايات نقلا وصف الرخ عما سمعوه من العرب الذين ساحوا في أفريقيا ووصلوا الى (مدغشقر) ورأوا طير (ايورنيس) وفي مدغشقر أيضا طائفة من الزحافات الهائلة من فصيلة الضب والعظاية وكان فيها قديما عظايات يبلغ طول كل منها ستين أو سبعين قدما وكان ذلك في الزمن الذي كانت فيه الزحافات سيدة جميع المحاولات على الأرض ، ومن الظواهر البيولوجية الغريبة أنه مع قرب جزيرة مدغشقر من الساحل الأفريقي فان حيواناتها تختلف عن حيوانات أفريقيا كل الاختلاف حالة كونها تشبه حيوانات آسيا مع بعد الشقة بينهما ، وقد حاول بعضهم تحليل ذلك بقوله « انه كان في الحقب الغابرة قارة في الاوقيانوس الجنوبي تتصل بكلتا آسيا وأفريقيا وقد أطلقوا عليها اسم (ليوريا) أى بلاد الليمور وفيها نشأ هذا الحيوان ثم انتقل الى مدغشقر وبتأدي الأحقاب غارت (ليوريا) في قاع الاوقيانوس وبقيت فصيلة الليمور في جزيرة مدغشقر »

﴿ قارة اتلنتس وقارة أخرى كانت في الاوقيانوس الباسفيكي ﴾

وعلى ذكر هذه القارة المزعومة نقول إن كثيرين من الكتاب والمؤرخين يعتقدون أن جغرافية العالم القديم كانت تختلف عن جغرافية هذا الزمن وأنه كان ثمة غارات وبلاد ضاعت لأن مياه البحار طغت عليها ، من ذلك قارة (اتلنتس) وقد أشار اليها أفلاطون قديما وكان الأقدمون يقولون بوجودها وراء أعمدة هرقل (جبل طارق) ويزعمون أنها أكبر من آسيا وأفريقيا معا ولا يزال بعضهم يقول بوجودها قريبا حتى هذا اليوم ، بل إن بعض علماء الجغرافيا يزعمون انه كان في الاوقيانوس الباسفيكي أيضا قارة غارت بطنان البحر عليها ، وهم يؤيدون زعمهم هذا بعدة براهين من جللتها وجود نقوش على بعض صخور (جزيرة يستر) وهي جزيرة من الاوقيانوس الباسفيكي على بعد ألفين وأربعمائة ميل غربى سواحل أمريكا الجنوبية ، وفي الواقع أن في هذه الجزيرة مئات من النقوش والتماثيل المتقنة الصنع ومعظمها تمثل رؤسا بشرية لا يفوقها في دقة الصنع أجمل تماثيل اليونان القدماء ، وفي تلك الجزيرة الصغيرة أيضا دلائل كثيرة على حضارة بائنة وأهالى هذه الجزيرة لا يجاوزون بضع مئات يتناقلون قصة الطوفان أبا عن جد ، ومن المحتمل جدا أن تشير هذه القصة الى طغيان مياه الباسفيك على القارة المذكورة

واذا أنكرنا قصتي (اتلنتس) والقارة الباسفيكية الضائعة كان لابد لنا من الالتجاء الى نظريات أخرى لتحليل بعض الظواهر البيولوجية غير المفهومة ، ومن جملة تلك النظريات ما يزعم بعض العلماء من أن القارات المعروفة في الوقت الحاضر هي عائمة على وجه المياه وأن قارتي أفريقيا وأمريكا الجنوبية كانتا متصلتين معا في العصور الغابرة ، وفي الواقع اننا لو أمكننا زخخة هاتين القارتين ووصلهما معا لكان الاتصال تاما ومتينا من الوجه الطبوغرافي ، ولو أمكننا أيضا زخخة (مدغشقر) والهند وأستراليا ووصلهما معا لكان لنا منها قارة (ليوريا) التي سبقت الإشارة اليها ولحلت هذه النظرية كثيرا من المشاكل التي يصعب اليوم فهمها

وأما ماجاء في التوراة فهذا نصه « ورأى الرب أن شر الانسان قد كثرت في الأرض فخن انه عمل الانسان في الأرض وتأسف في قلبه وقال « المحوا عن وجه الأرض الانسان الذي خلقته . الانسان والبهائم والديابيات وطيور السماء لأنني خزنت انى عملتهم » وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب فقال الرب لنوح نهاية كل بشر

أماي لأن الأرض امتلأت ظلما منهم ، اصنع لنفسك فلكا من خشب مساكن سفلية ومتوسطة وعالية تجعلها فيها أنا أت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، كل مافي الأرض يموت ولكن أقيم عهدي معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك ونساء بنيك ، من كل حي تدخل الى الفلك اثنين لاستبقائها ، ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض فدخل نوح ومن معه الفلك وانفجرت ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة فكان الفلك يسير على وجه الماء ، وبعد مائة وخمسين يوما نقصت المياه واستقر الفلك على جبال اراراط ﴿ القصة البابلية والصينية والهندية ﴾

هذه هي القصة كما وردت في التوراة ، أما جبل اراراط فهو في الشمال الشرقي من أرمينيا فكان أعلى الجبال المعروفة في العالم اليهودي في ذلك العهد ، قصة الطوفان هذه لا يمكن أن تؤخذ بمعناها الحرفي والأرجح أن الطوفان الذي نشير اليه كان طوفانا محليا ، وإذا رجعنا الى علوم الأقدمين نجد عن الطوفان قصصا كثيرة أقربها الى نص التوراة القصة البابلية كما وردت في مجموعة ﴿ سجلات جلجميش ﴾ فقد جاء فيها أن جلجميش (وهو من الجبابرة) زار أحد أسلافه ليسأله كيف نجا من الموت بالطوفان فأخبره سلفه بقصة بناء الفلك وهي القصة السومرية بعينها ويقال انها أقدم قصة في هذا الموضوع ، وقد اقتبسها البابليون وعندهم أخذها اليهود لما كانوا في الأسر ، ومن أشهر قصص الطوفان أيضا القصة الصينية والقصة الهندية وكتاها تشير الى طوفان محلي نشأ عن فيضان الأنهر وهطل الأمطار ، ولاشك أن القصة البابلية أيضا نشأت عن فيضان دجلة والفرات وغمرها البلاد المحيطة بهما ، وفي بلاد (اور) شمالي العراق بعثة انجليزية تنقب عن الآثار وتبحث عما ثبت قصة الطوفان ، وقد كانت (اور) منذ أربعة آلاف سنة مركز حضارة راقية ، والأرجح أن مدينة (اور) نفسها (وهي مسقط رأس الخليل) بلغت أوج ثروتها ورخائها في سنة (٣٥٠٠) قبل التاريخ المسيحي وكان أهلها ماهرين في صناعة الادوات المعدنية ولاسيما الفضية والذهبية ، وتقلبت على (اور) أزمنة مختلفة فبعد أن بلغت أوج حضارتها ثار الطمع في قلوب حسادها فغزوها ونهبوا معابدها وهياكلها وبعد ذلك التهمتها النيران ثم أعيد بناؤها ثم أخرجها الغزاة مرة أخرى ثم أعيد بناؤها الى أن طغى عليها نهر الفرات فأغرقها وأهلك أهلها ، ومنذ ذلك الحين أصبحت (اور) قفرا يابا ، ومن المحتمل جدا أن الطوفان الذي أهلكها هو الطوفان الوارد قصته في التوراة . ومما يجدر بالذكر أن بعثة الآثار التي تنقب اليوم في أنحاء المدينة قد استطاعت ازالة التراب عن جانب كبير من خرائبها فظهر أن بيوتها كانت مبنية على هندسة تكاد تكون حديثة فقد كانت مبنية من الحجر والآجر (الطوب) ومعظمها ذو طبقتين ولكل منها حوش أو فناء ، كذلك كانت هندسة هذه المدينة في أيام ابراهيم الخليل وكانت كما سبق القول مسقط رأسه وفيها نشأ وترعرع

ويظهر أن جميع الأمم التي نشأت في وادي دجلة والفرات كانت تتناقل قصة الطوفان على وجوه شتى ، وليس في ذلك ما يدهش اذا تذكرنا أن أولئك الناس كانوا يعيشون مهتدين دائما بخاطر طوفان النهرين العظيمين وقد كانت مخيلتهم بتكرهم دائما قصة بطل نجا من الطوفان بأعجوبة إما لفصلية فيه أو لسبب آخر فجعلهم عند البابليين ونوح عند اليهود و(مان) عند الهنود و(ايتان) عند غيرهم وهلم جرا . انتهى ملخصا مع تغيير يسير جدا لتسهيل الفهم

أقول ، اعلم أن ما تأتي به الكتب السماوية ينزل لكل أمة بحسب مزاجها وعقلها وما جاء في التوراة يقبله اليهود وما جاء في القرآن مقبول عندنا ، أما البحث العام فذلك يعوزه دراسة علوم كثيرة كاللغز والجغرافيا وعلوم الآثار وعلوم طبقات الأرض ، وكما ان الانسان ينظر الطعام ويشمه ويذوقه وقد يسمع حركته كما يفعل الناس اذا أرادوا معرفة البطيخة أهى ناضجة أم لا ، هكذا اذا زاولوا مسألة وجب بحثها من وجوه عدة ، فانظر

الى مسألة الطوفان كيف تعددت رواياتها ثم انظر الى علم طبقات الأرض اليوم ، ألا ترى انهم وجدوا خفا في الأقطار القطبية وقد تقدم في هذا التفسير حتى إن بعض المهندسين يريد أن يصنع هناك محطة للطائرات لأجل امدادها بالفحم من هناك وبسبب الفحم يمكن تكوين الكهرباء . إن مسألة القطبين وأن فيهما الفحم هذا أمر مجمع عليه وهل يكون الفحم إلا في أرض حارة . إذن كانت هذه خط استواء ثم تغيرت الحال في أزمان مجهولة فصارت قطبا ولما صارت قطبا دفنت فيها غاباتها وحيواناتها وطموت وبقيت الى الآن . ومن المسلم به أيضا أن الأنهار وهي تجري من اليابسة الى البحار تجرف معها مواد وتقذفها في البحر وهذه المواد تنراكم جيلا جيلا ثم يأتي زمن تصير قارة جديدة إذ يحصل هناك انقلاب عام فيصير البرّ بحرا والبحر برا بحادث غفائي عظيم لأن الأرض ملتهبة نارا في باطنها . وانظر ماجاء في كتاب ﴿ اخوان الصفا ﴾ تحت عنوان ﴿ الأدوار والأكوار ﴾

إذ ذكر أن البرّ يصير بحرا والبحر يصير برا في أزمان وعين لها نحو (٣٩) ألف سنة وأن ذلك تبع تقدم الاعتدالين ولكن أقول إن هذا ظنّ دليله ضعيف وانما المعروف هو ما قدمته لك . إذن هذه الأرض تتقلب كما يتقلب الليل والنهار وهذه القارات يوما ما تذهب ويحل محلها قارات أخرى تتخلق الآن في قاع البحر وستظهر بزللة عظيمة ، فقصصة نوح ونحوها ما هي إلا فتح باب لهذه المفاجآت العظيمة التي أعرب عنها الله بقوله - وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معدّبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا - ألا ترى رعاك الله أن البراكين اليوم ( كما ستقرؤه في أول سورة طه عند قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - ) تأتي لنا من باطن الأرض بمادة بركانية تكون أصلح للزرع من جميع التربة فوق الأرض ، فكذلك البراكين والزلازل من منافع فإذا أتمت قارة عملها خسف بها الأرض هي وأهلها وأظهر قارة أخرى أحسن منها . فالقارات والمدن والأمم أشبه بالأشخاص لكل أجل محدود لمنافع هو يعلمها ولا يعلمها سواه ، وهلاك قارة أو أمة كهلاك فرد واحد لافرق بين الفرد والأمة والقارة والمدينة اهـ

#### ﴿ قصة ابراهيم عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) اذ كر قصة (ابراهيم إذ قال لقومه) أي حين كمل عقله وتمّ نظره (اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم) مما أتم عليه (إن كنتم تعلمون) الخير والشر وتميزانهما (إنما تعبدون من دون الله آوثانا وتخلقون إفكا) أي تصنعون أصناما بأيديكم تسمونها آلهة (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) فكيف تعبدونهم إذن (فاتبعوا عند الله الرزق) فانه المالك (واعبدوه واشكروا له) لأنه المنعم عليكم بالرزق والشكر يستلزم العلم بما يجب الشكر عليه والذي يشكر عليه كل ما في السموات والأرض مما خلق الله فيجب النظر فيه ومعرفة كل على مقدار طاقته وذلك هو قوله - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده - الخ فذلك هو مفتاح الشكر الذي سيذكر بعد اتمام هذا المقام وهو قوله (اليه ترجعون) في الآخرة (وان تكذبوا) أي تكذبوني (فقد كذب أئم من قبلكم) من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما كان ضررهم على أنفسهم (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) الذي يزول معه الشك فأما كونه يصدق ويتبع فليس عليه ، ثم أخذ يشرح مبادئ الشكر الذي هو خلاص بالقلب لساكن الناس وثناء باللسان على الله وصرف كل نعمة فيما خلقت له وتلك المبادئ هي المعرفة والعلم فقال (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) من مادة ومن غيرها (ثم يعيده) كما بدأه لأن من قدر على البدء فهو قادر على الاعادة (إن ذلك) أي الاعادة أو ما ذكر من الأمور (على الله يسير) لأنه اذا قال للشئ كن فيكون (قل) يا محمد أويا ابراهيم (سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) على اختلاف الأجناس والأحوال وسيأتى شرحه (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الأولى التي هي الابداء ومن عرف النشأة الأولى عرف أن الأخرى أهون (إن الله على

كل شئ قدير) والممكنات كلها تتعلق بها قدرته (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته على مقتضى درجته التي استحقها ، ولا معنى للعدل إلا وضع كل شئ في موضعه (واليه تقلبون) تردون (وما أتم بمجهزين) ربكم عن أن يدرككم (في الأرض ولا في السماء) إن فررتم من قضائه بالتواري في الأرض أو التحصن في السماء أو القلاع الذاهبة فيها لأنه خلقكم ليربيكم فيهما ويدبر عليكم دوائر النجس والسعد والعذاب والنعيم . كل ذلك لتمحيصكم وتربيتكم وتخليصكم من المادة ورجوعكم الى عالم الأرواح فتلاقوه إن استحققتم وترددون الى العذاب إن نقصت تربيتكم فأين تذهبون إذن (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) فلاولي يمنعكم ولا نصير ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) دلائله الدالة عليه عقلية ونقلية (ولقائه) بالبعث (أولئك يؤسوا من رحتي) أى يؤسوا منها في الدنيا لأنهم ظنوا أن الله خلق هذه الأرواح فأحيائها ثم أماتها بلا فائدة ولا حياة بعد الموت وهذا عمل من لارحمة عنده ولا رافة كما قال تعالى - قل لمن مافى السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه - فجعل من موجبات الرحمة التي كتبها على نفسه أنه يجمعنا يوم القيامة ويقول هنا إن هؤلاء يؤسوا من رحمة الله فهذه هى الرحمة حقا ، فأما خلق الناس ثم هدم بنيتهم هدمًا تاما واعداد أرواحهم لارجعة لها فهذا لارحمة فيه ، ولذلك تجد أكثر الآيات يقرن فيها ذكر الله بذكر اليوم الآخر ، وقوله (وأولئك لهم عذاب أليم) أى بكفرهم (فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم له (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) أى قال الرؤساء ذلك ورضى به الأتباع فأسند الى كلهم فقد قوه في النار (فأنجاه الله من النار) فصارت بردا وسلاما (إن فى ذلك) أى فى انجائه منها (آيات) كحفظة من أذى النار وانجادهها مع عظمها فى زمان يسير وانشاء روض مكانها (لقوم يؤمنون) لأنهم المنتفعون بها (وقال انما اتخذتم من دون الله آثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا) أى اتخذتم آثانا سبب مودة بينكم فتكون - مودة بينكم - مفعولا ثانيا بتقدير مضاف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) فيتناكر الأتباع والمتبعون ويلعن بعضهم بعضا شأن اللصوص وقطاع الطرق اذا وقعوا فى قبضة القضاء (وما أواكم النار) يعنى العابدين والمعبودين (وما لكم من ناصرين) مانعين من العذاب (فأمن له لوط) وهوابن أخيه وأول من آمن به لما رأى النار لم تحرقه (وقال إني مهاجر الى ربى) من قومي إذ أمرنى بذلك فهاجر من قرية « كوثى » وهى من سواد الكوفة مع لوط وأسرته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم . ويقال انه هاجر وهوابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) الذى لا يغلب وهو الذى يمنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى إلا بمصلحة لى (وهيئا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) يقال انه لم يبعث نبي بعد ابراهيم إلا من نسله (وآتيناه أجره فى الدنيا) وهو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يحبونه ويصلون عليه والثرية الطيبة والأنبياء من نسله ، هذا له فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى فى زميرتهم مثل آدم ونوح وادريس

﴿ قصة لوط عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) أرسلنا (لوطا) إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) لم يفعلها أحد قبلكم وفسرها فقال (أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتعرضون للسبالة بالقتل وأخذ الأموال حتى انقطعت الطرق وكذلك تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن مكان الحرث (وتأتون فى ناديك المنكر) وذلك انهم كانوا يحرقون فيه وكانوا يستعملون الخذف والسخرية كما فى حديث الترمذى ومعنى الحلق الضرب ومعنى الخذف بالمهجمة رعى الحصة من طرف الأصبع (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) فى استقباح ذلك وفى دعوة النبوة (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها لمن بعدهم (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشارة بالولد النافلة

(قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية) قرية سدوم (إن أهلها كانوا ظالمين) بتماديهم في المعاصي وكفرهم بلوط (قال إنا فيها لوطا) فكيف تهلكونها فيها مع أهلها الكين (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيهن وأهلها إلا امرأته كانت من الغابرين) الباقين في العذاب أو القرية (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) جاءت المساءة وانهم بسببهم مخافة أن يقصدتهم قومه بسوء (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدير أمرهم طاقته كما يقال ضاقت يده في مقابلة ربح ذرعه بكذا إذا كان مطيقا له لأن طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع (وقالوا لا تخف ولا تحزن) علينا (إنا منجوك وأهلك) أي إنا مهلكوهم ومنجوك وأهلك ونصب أهل باضمار فعل (إلا امرأتك كانت من الغابرين \* إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء) عذابا منها (عما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية ينة) وهي حكايتها المشهورة وآثار الديار الخربة (لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار ، هذا واعلم أن الكلام على قرى قوم لوط وأين مقرها تقدم في المجلد الثالث عشر عند ذكر القصة في القرآن فارجع إليه إن شئت تجد هناك للكشف الحديث مجالا واسعا ﴿ قصة شعيب عليه السلام ﴾

قال تعالى (والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) افعلوا ما ترجون به نوابه (ولا تمشوا فى الأرض مفسدين \* فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى فى دورهم باركين على الركب ميتين

﴿ قصة عاد وثمود إذ أرسل لهم هود وصالح عليهما السلام ﴾  
قال تعالى (و) أهلكنا (عادا وثمودا) وقد تبين لكم من مساكنهم) يا أهل مكة إذا نظرتم إليها عند سروركم بها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) وهي المعاصي وعبادة غير الله (فصدتهم عن السبيل) السوى (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستبصار ولم يعقلوا ﴿ قصة موسى عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) أهلكنا (قارون وفرعون وهامان) ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين) أى فائتين بل أدركهم أمر الله (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالخصباء وهي الحصا الصغار كما كانوا يرمونها بأصابعهم وهم يأتون فى ناديهم المنكر (ومنهم من أخذته الصيحة) يعنى ثمود ومدين (ومنهم من خسفنا به الأرض) وهوقارون (ومنهم من أغرقنا) وهم قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إذ تعرضوا للعذاب باستعداد نفوسهم له على مقتضى النظام الذى نظمناه فى سر الخليفة . انتهى التفسير اللفظى للقسم الأول من السورة

﴿ لطيفة فى قوله تعالى - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير \*

قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة - ﴾

لقد مضى الكلام على هذه الآية فى ضمن الكلام على قوله تعالى - إن فى خلق السموات والأرض - الخ (فى سورة البقرة) بطريق الاستطراد فلنفضل الكلام عليها تفصيلا الآن يقول الله - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق - الخ ثم يقول - قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - وهذا أمر صريح يوجب علينا معاشر المسلمين التشمير والجد والطلب الحثيث فى معرفة كيف بدأ الله الخلق . أمرنا الله بالسير فى الأرض والسير ﴿ قسمان ﴾ سير جسمى وسير عقلى ، فالأول يحتم على الجهلاء والتلاميذ ، والثانى يحتم على العلماء والحكماء ولا يكون الثانى عادة إلا بعد الأول ولا معنى للسير الثانى إلا الدراسة فأما مجرد النظر الظاهرى كنظر العامة ونظر البهايم فهذا ليس بنظر وليس بسير

واعلم أيها الذكي اني في مبدأ أمرى كنت أقول في نفسى هذا العالم إمامنظم واما مبعض لا نظام فيه ولا ترتيب فان كان الأول فله إله وان كان الثانى فلا إله له لأنها عبارة عن اجتماع واقتراق بلاضابط ولا رابط ولا نظام ، ولقد ذكرت هذه القصة في كتابى ﴿ التاج المرصع ﴾ وقلت ما معناه « انى توجهت الى مبدع هذا الوجود وطلبت منه أن يوقفنى على نظامه ولطالما سألته سبحانه فى الخلاوات ودعوته فى الحقول وعلى شطوط الأنهار وبين الأشجار وفى الليالى والأسحار أن يفهمنى ذلك حتى يكون اليقين داخل نفسى لا يؤثر خارجى وأصبحت بهذه الفكرة مغرما وعليها معولا وكنت اذا نظرت الطيور فى وكسائها وهن يغردن طربات ويطرن فرحات ويرين أولادهن صبرات . أقول اذا كان صانع هذا العالم قد أعد للطير عدته وأبان له محبته أفلا يكون لهذا الانسان سبيل الى مايتفهمه وطريق الى ماله حاجة فيه وكان ذلك مبدأ فكرى فى هذه الدنيا وكنت اذا عثرت على شاطئ النهر على بعض حشرات ذات خطوط منظومات وذات زوايا مهندسة وأشكال بهجة أقول ياليتنى أرى هذه الدنيا كلها على هذا النمط فأقر بالله نظمها وحكيم أبداعها ولكنى أرى الجبل والقفور والبر والبحر والشجر والحجر والأرض والسماء لا نظام فيها مقبول ولا عمل فيها محسوب

أليست هذه المرأة تضع حب النرة فى الأرض التى شقها المحراث وزوجها واضع يده على قائمة ذلك المحراث يسوق دابتين فأين النظام ؟ بهائم ليست مستقيمت الرأس الى أعلى وانسان رأسه مشرئب الى العلا وماء يجرى فى الحقول وحب ينزر فى الطين ، أمور غير مضبوطة وأحوال ليس لها قانون ولا نظام مسنون ثم توجهت وتوجهت ودعوت ودعوت وقلت لوأن صانع هذا الكون علمنى نظامه لأودعت ذلك بطون الكتب وتركته لمن بعدى من الخائرين وخلفته للأذكياء المفكرين كيلا يشكوا كما شككت ولا يهنوا كما هنت ولا يضلوا كما ضللت ، ثم صنفت كتباً مختلفة المقاصد والمجد لله إذ وفقنى لهذا التفسير . إن هذا غاية مطلبى من هذه الحياة ونهاية مأربى من هذه الدنيا ، فهل تحب أن أريك جلال الوجود والنظام المشهود لتعرف قوله تعالى - قل سبروا فى الأرض فانظروا - ، فانظر مأسأضعه بين يديك واعجب من حكم عالية وجواهر غالية ووجوه باسمة وعيون ساحرة وشموس ساطعة وأنوار باهرة فهالك مبادئ الوجود وأوائل العالم المشهود ولنبدأ بالعوالم العلوية ونقبه بالعوالم السفلية

(١) فترى أولا نظام الكواكب  
(٢) ثم نظام العوالم الأربعة الانسان والحيوان والنبات والمعادن  
(٣) ثم نظام العناصر  
(٤) ثم بيان أن الانسان خاصة دعى الى معرفتها  
(٥) وبيان ذلك فى أدعية الصلاة نفسها وكيف كان المسلم فى صلاته وأدعيته يكرر صباحا ومساء نفس هذه المبادئ ويتلوها وهو غافل عن معانيها وهو بتلك التلاوة وبتلك الأدعية مأمور أن يبحث فى هذا العالم وكيف بدأ الله الخلق

(٦) ثم بيان أن الله ماترك الناس سدى بل أعطى الجهلاء ظلال هذا النظام وألقاه على ألسنتهم وفى أعمالهم بصورة مصغرة

ومتى قرأت هذه الصور اوضح لك العالم ورأيت كقلادة الحسناء أو كنزل نظم بانيه وأحكم نظامه أو كحديقة غناء ربت أشجارها وانتظمت مزارعها ، أو كمدينة أحكمت طرقها ويوتها أو كبيوت الشطرنج انتظمت طولاً وعرضا وفيها أمهر اللاعبين وأذكي الحاسبين

### (١) ﴿ نظام السموات ﴾

سأتلو عليك من نبأ السموات ما يناسب المقام ولأوضحه على قدر الامكان لتعرف كيف وضعت الكواكب

وضعا محكما بحيث كان بينها مسافات منتظمة وكان يكفيني أن أحيلك على ما كتبت لك في (سورة البقرة) وغيرها مثل (الأنعام) ولكن سأعيد هنا ما فيه الكفاية

إن في علم الحساب متواليات هندسية ومتواليات عديدة ، فالأولى مثل قولك (١ - ٢ - ٤ - ٨ - ١٦) وهكذا و (٣ - ٦ - ١٢ - ٢٤ - ٤٨ الخ) والثانية مثل (٢ - ٤ - ٦ - ٨ - ١٠ الخ) فانظر كيف وضع الله الكواكب وجعل نظامها بالنسبة للشمس على الطريقة الأولى بحيث إذا فرضنا بعد الزهرة (٣) يكون بعد الأرض (٦) والمريخ (١٢) وكوكب مهشم بقيت آثاره تجرى كما كان يجري وقد كشفه العلماء (٣٤) والمشتري (٤٨) وزحل (٩٦) وأورانوس (١٩٢) ونبتون (٣٨٤)

هذا هو القانون الذي استخرجه العلماء في العصر الحاضر لأبعاد الكواكب السيارة عن الشمس بحيث يكون بعد كل كوكب ضعف بعد الكوكب الذي قبله ، فكأن هذه الكواكب مصابيح وضعها صاحب البيت على أوضاع لا خلل فيها ناطقة بلسان الحال - وما كنا عن الخلق غافلين - إنا كل شيء خلقناه بقدر - وكل شيء عنده بمقدار - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - إن الله سريع الحساب - أليس من السار للذيذ أني حيت في هذه الدنيا حتى كتبت هذا ، اللهم أني أجدك على نعمة العلم والحكمة أيها الذكي ، أنا لا أريد في هذا المقام كثرة العلم لأن المقام يقتضي الأمثلة السهلة المقبولة فكيف ماذكرته في الفلك وأما تحقيق تلك الأعداد فارجع اليه في نفس هذا التفسير في سورة البقرة والأنعام فان ماذكرته اجال وهناك تفصيل ومساحة بالآلاف بالآلاف من الأميال

#### (٢) نظام الانسان والحيوان والنبات والمعادن

هأنت ذا رأيت نظام الكواكب من حيث وضعها ، فهل نظام هذه الموالييد على الأرض كنظام الكواكب في الابعاد . كلا . وانما نظامها بحال مخالفة لتلك ، إن هذه الموالييد سلسلة واحدة متصل أعلاها بأدناها

- (١) التراب
- (٢) الجص . الزاج . الشب . أدنى المعادن
- (٣) الذهب . الياقوت . والجواهر النفيسة كلها أعلى المعادن
- (٤) خضراء الدمن والكمأة وهي أدنى النبات
- (٥) النخل والكشوثي وهما من أعلى النبات
- (٦) أنبوبة تنبت على الصخور في سواحل البحار فيها دودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوبة الحلزونية . هذا أدنى الحيوان

- (٧) القرد . الحصان . الفيل . هذه متصلة بعالم الانسان
- (٨) أدنى الانسان سكان أطراف المعمورة لامعرفة لهم ولا علم
- (٩) أعلاه الأنبياء فالحكماء
- (١٠) الملائكة
- (١١) الله فوق الجميع

هذه هي السلسلة التي شرحها القدماء ولقد شرحتها مرارا في هذا التفسير بطرق شتى ، فترى الجص والشب والزاج معادن أقرب الى التراب ليست شريفة كالذهب ولا الياقوت ولا تنال المعادن في ارتقاء حتى تصل الى الفضة التي هي أرقى من النحاس ثم الذهب ، فهذا الأعلى من المعادن يابيه أدنى النبات وهو اللاصق بالأرض ينبت صباحا ويذبل نحيي يراه الناس كل يوم في الغدوات أيام الربيع ثم ينتهي نحيي وهكذا كل يوم ويرتقى النبات



الى أن يصل الى النخل والكشوفى ، أما النخل فقد امتاز الذكرفيه عن الأنثى كأنه حيوان ، وأما الكشوفى فهو نبات يعيش على غيره من النباتات ويمتص منه فكأنه حيوان ، فالنخل قارب الحيوان فى انفصال الذكر عن الأنثى والكشوفى فى استقلاله وعيشه عيشة حيوانية على النبات لأعلى التراب والماء والعناصر الأرضية ثم بلى ذلك تودة الحنزون التى تكون على شاطئ النهر والبحر إذ لها حاسة اللمس وليس لها حاسة غيرها فهى قريبة من النبات . انه يحس بالضوء فيميل اليه باحساس ضعيف جدا ويرفع غصنه الى أعلى ويمد فروعه فى الأرض نحو المواضع النسيبة ويتجافى عن المواضع اليابسة ، فإذا بين النبات وبين أدنى الحيوان مناسبة والحيوان يرتقى من الأدنى الى الأعلى وهو الانسان وهو درجات من أدنى الى أعلى وأعلاه الأنبياء ومن نالوا حكمة وعلماء و بعد هؤلاء عالم الملائكة وفوق ذلك الله فهو منزّه عن هذه المادّة والمخلوقات . فهنا إذن نسبة كاملة والعالم سلسلة منتظمة

### (٣) النظر فى المعادن

إن المعادن كثيرة منها الاسفيداج والاسرب والاسفندرى والتنكار والجص والتوتيا والذر والذهب والرصاص والرماد والزاج والزنجار والزئبق والزرنيع والزربرد والزنجفر والزمرد والشب والعقيق والعنبر والفضة والفيروزج والقيرو الكبريت والسكحل وملح الطعام والمرجان والمغنطيس والموميا والنورة والنوشادر والنحاس والنفط والياقوت \* قال العلماء ﴿ إن من المعادن الألماس وهو لا يمتدحك بجسم من الأحجار المعدنية إلا هشمه إلا جنسا من الاسرب فانه يؤثر فيه ويكسره ويفتته مع رخاوته ولينه وتتن رائحته ﴾ ومماثل تأثير هذا الحجر الضعيف المهيّن فى هذا الجوهر الشريف إلا كمثل (البقة) تسلطت على الفيل القوى فأذته ، فالألماس قام فى المعادن مقام الحديد فى الخشب والياقوت مسلط على أكثر المعادن . ثم إن الماس يتكوّن فى معدن الياقوت وتخرجه الرياح والسيول من معدنه وهو ضربان أبيض كالبلور ويسمى البلورى وأبيض يخالط بياضه صفرة ومن خواصه انه يقطع كل حجر يمرّ عليه واذا وضع على الحديد ودق بالمطرقة لم ينكسر وغاص فى وجه السندان والمطرقة . والياقوت لا تعمل فيه المبادر لشدة صلابته إلا الألماس والسنباذج بالحك فى الماء . والمغنطيس يجذب الحديد . فانظر كيف كان الياقوت يعمل فى أكثر المعادن وهو مسلط عليها والألماس مسلط على الياقوت وعلى سائر المعادن والاسرب الذى هو جنس من الرصاص ولكنه غير ناضج مسلط على الألماس المسلط على الياقوت وعلى سائر المعادن . ثم إن هذه المعادن تجمع من أقطار المسكونة فى أماكن مختلفة ومع ذلك نراها متحدة الوجهة بحيث تتحد على المنافع العامة ولها نظام فمنها الجاذب ومنها المجذوب ومنها الحاكم على الجميع ومنها ما هو مائتته . وهذا الحاكم وهو الألماس له مؤدب من رعيته وهو الاسرب وكأنه قاض يحكم على الملك واذا رأينا العلماء والحكام فى الناس على مقدار الحاجة هكذا نرى المعادن لا يحكم فيها بالقطع إلا القليل على قدر الحاجة ونرى ما كان منها نافعا فى أكثر الأحوال يكثر كالجص والنوشادر وما كان متوسط النفع يكون متوسط الوجود كالنحاس والرصاص وما كان للزينة أو للتعامل كان وجوده أقل كالذهب وما كان لجزء الزينة والجمال ندر وجوده كالألماس والياقوت . فهذا نظام يشبه نظام الكواكب فيما تقدم فتلك نظمت أوضاعها وكلوايد الثلاثة فانها متنسق نظامها متقارب وضعها . وهذه أيضا رتبت على مقدار الحاجة اليها وهى وان دخلت فيما قبلها أردت أن أفضل الكلام فيها تفصيلا توطئة لما سيأتى فى القسم الرابع وهى

### (٤) العناصر عند علماء العصر الحاضر

إنى أجد الله إذ وصلت الى هذا المقام فأريد أن أطلعك على نظام بديع فى العناصر التى عرفها علماء العصر الحاضر وهو فوق السبعين عدا . قد كان القدماء يقولون إن العناصر (٤) وهى الماء والتراب والنار والهواء ولكن علماء العصر حللوا هذه فأصبحت فوق السبعين وسأوضح بعضها ولكن ليس المقام مقام علم العناصر

ولامقام تحليلها وانما المقام مقام نظام وحساب . إن هذا الأمر أعجب ما رأيت في العلم ولكنى لا أقدر أن أشرحه كما يجب . إن معرفة الدقة في الحساب والنظام بين العناصر والنسب بينها لا يعرفها إلا أكابر العلماء في هذا الفن وهم لم يعرفوها إلا بعد ما عرفوا الخواص الطبيعية والكيميائية وبعد تلك الخواص يعرفون النسبة والجمال فكيف يمكن أن نفهم ذلك ونحن في تفسير القرآن ونخرج عن جبال موضوعنا الى مجاهل مقفرة وطرق يضل فيها السارون . أقول إن الله يضرب الأمثال للناس فلا أقدم لك ضرب مثل يشرح صدرك وتعرف به هذا المقام الجليل ، تصوّر رجلا مريا عنده نحو ثمانين رجلا يزرعون في حقوله فأقبل عليه علماء بلاده ضيوفا فأحب أن يريهم عجيبه فقال إن هؤلاء الرجال إذا أوقفتمهم صفوفا في أماكن معينة من هذه الأرض بحيث يتكوّن منهم صفوف طويلة و صفوف عرضية فان كل رجل أرتبه مع ما بعده بحسب الوزن فكل رجل يزيد عما قبله و قيتين في الصف الأول الأفقي وهكذا الصف الثاني والثالث الى الصف الرابع عشر وذلك من اليمين الى الشمال بحيث يكون آخر واحد أكثر من أول واحد بعدد الرجال مرتين من الوقيات ، وهنا يكون الحبب الحبب تجدد كل واحد من كل صف أفقي أعني من اليمين الى اليسار أكثر مما قبله وقيتين وأقلّ مما بعده وقيتين كما قدّمنا اجالا وأيضا يكون هو نفسه بالنسبة لمن هو فوقه أقل (١٦) وقية وبالنسبة لمن تحته أكبر (١٦) وقية في الخط الرأسى ومع هذا كله تجد كل صف أفقي قد اتحدت أفراده في ثمانية أشياء كالعرض والطول وطول الشعر بحسب الطبيعة ومقدار ما ياكلون بالوزن ومقدار ما يشربون كذلك والمرض يكون في وقت واحد والنوم في وقت واحد والفرح والحزن كذلك لا يختلفون البتة .

هذا من جهة الصف الأفقي . أما من جهة الصف الرأسى فان الرجل مع من خلفه ومن أمامه يتفقون في الصفات الباطنة فيعرف الصف الواحد علوما متفقة فتى عرف واحد منهم علم النحو والصرف والفقه والتفسير والشعر والعروض والأدب وعلم الموسيقى تجد الصف كله يعرف تلك العلوم . إذن لكل واحد خصال يشترك فيها مع الصف الأفقي وخصال يشترك فيها مع الصف الرأسى ، وإذا مات واحد من هؤلاء فان صفاته معلومة لأن صفاته الحسمية بالنسبة للخط الأفقي وصفاته العقلية بالنسبة للخط الرأسى مفهومة معلومة فيمكننا أن نعرف صفاته ونوقن بأننا نجد في قريننا أطفالا يولدون بهذه الصفات فلو مات ثلاثة من صفوف مختلفة فأننا نوقن أنه سيولد أطفال يحلون محل الذين ماتوا بشرط أن كل طفل يخلق متصفا بتلك الصفات المعروفة عندنا ويحل محل من مات بصفاته التى لا تداخل فيها . ولقد مات عشرون رجلا وصفاتهم معروفة وهانحن أولاء نرتقب المولودين حثيثا ونضع كل مولود في مرتبة ومتى كبر رأيناه بهذه الصفات في الأماكن الحالية . هذا هو المثل الذى أردت ضربه ليقرب لنا موضوع النظام في العناصر فصاحب الضيعة جعل رقعة من أرضها وقسمها مربعات وجعل المربعات صفوفا منتظمة وأوقف كل رجل في مكان مرتين بترتيب الوزن من اليمين الى اليسار وهذا الترتيب بعده تظهر خواص عجيبة حتى ان كل رجل يشارك صفه الأفقي في صفات نحو ثمانية وهكذا هو مع من أمامه ومن خلفه تكون له صفات اخرى خلقية وكلما مات واحد يولد آخر ويكون له نفس تلك الصفات وإذا مات منهم عدد جاء بدله ويمكنهم أن يصفوا كل من يخلق قبيل وجوده . فاذا رأينا وجودا على هذا النمط كان في غاية النظام . وإذا تصوّرنا أن هنا موجودات على هذه النسبة كما ستراه الآن في العناصر فان العقل يدعش لذلك أشدّ دهش وتصبح هذه العناصر في أوزانها وأوصافها أشبه بالجدول الآتى في الصفحة التالية

١١	٢٤	٧	٢٠	٣
٤	١٢	٢٥	٨	١٦
١٧	٥	١٣	٢١	٩
١٠	١٨	١	١٤	٢٢
٢٣	٦	١٩	٢	١٥

فإذا صعب عليك التمثيل بالرجال في الضيقة فيما قدمناه فانظر هذا الجدول فهو يقرّب لك المقام . فكل صف من صفوفه الرأسية و صفوفه الأفقية وهكذا القطران عدد (٦٥) فاجمع أى صف تجده على هذا النمط وهذه الأعداد من (١) الى (٢٥) وضعت على هذا النظام فكان هذا الاتحاد في الجمع . اذا عرفت هذا فقس عليه نظام العناصر الآتى ولكن هذا تقريبي إذ نظام العناصر الآتى يكون نسبة كل عنصر الى صفه الأفقى غير نسبه الى صفه الرأسى كما رأيت وأيضا الصفات هناك كثيرة ولكنها هنا في الجدول ليست متعددة ، ولقد أطلت ليسهل عليك ما سأذكره (انظر الجدول الآتى في الصفحة التالية)



ألمت أيها الذكي تتعجب من هذا النظام البديع ، كيف رتب العناصر اثنين اثنين عند وزنها بمعنى أن الايدروجين وهو أخفها جعل وحدة يقاس بها كما يقاس الناس بالذراع ، وهذه العناصر كلها أثقل منه بعدد (٢-٣-٤) الى آخرها ثم وجد بينها تناسب في الخطوط الرأسية ، إذن هي تفاوتت باثنين أفقياً وتفاوتت رأسياً بمضاعف اثنين وهو (١٦) وهو العدد المسمى بزواج الزوج الذي هو عدد الشطرنج المعروف وكان هذه رقعة شطرنج والله وضع العناصر فيها ورتبها ليرينا كيف بدأ الخلق بنظام ، وهل كان يدور بخلدك قبل هذا أن هذا العالم الذي خلقنا فيه قد جعلت أصوله التي يحلل اليها الانسان والحيوان والنبات بينها تناسب في أوزانها كتناسب مسألة الشطرنج إذ أن الملك الهندي لما اخترع الفيلسوف الشطرنج طلب منه أن يتنى شيئاً ليكون كالمسكافة فقال اعطني قمحاً بحيث لو جعل في البيت الأول من الأربعة والستين بيتاً من الشطرنج حبة يكون في الثاني (٢) وفي الثالث (٤) وفي الرابع (٨) الى آخره فلما حسبه لم يكفه التمتع الذي في الديامئات السنين وقد كتبها في كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وتقدم في سورة مريم . هذا نظام العناصر حسابياً

### ﴿ نظام العناصر الطبيعي والكميائي ﴾

انك ترى أن كل صف رأسى تشترك أفراده في الخواص الطبيعية (١) كاللون (٢) والطعم (٣) والرائحة (٤) والذوبان (٥) والانصهار (٦) والغليان (٧) والحرارة النوعية (٨) والكثافة فأما الصفوف الأفقية كالهليوم مع الليثيوم فانها تشترك في الصفات الكيميائية مثل (١) الاستراق وكونه فلزاً أو غير فلز (٢) وهل يتفاعل مع الاودروجين (٣) والوزن الذرى (٤) والوزن المكافئ بالنسبة للأودروجين ومعنى ذلك أن يقال هذا العنصر اذا حل محل الاودروجين في التفاعل مع الاكسوجين مثلاً فكم درهما تقوم مقام الايدروجين فتطرد الايدروجين وتحل محله (٦) ثم مع أى عنصر يركب (٧) وخواص المركبات وتركيبها (٨) وتأثيره في الأجسام ﴿ مثال ذلك ﴾ الألومنيوم تأمل تجد أن له نسبة عددية الى ما قبله وما بعده ونسبة هندسية الى ما فوقه وماتحته فهنا اجتمعت النسبة العددية والنسبة الهندسية وهذا هو عين الموسيقى والنغمات والشعر ، فهذا العالم كله موسيقى وشعر ونظم وتجده يشترك في خواصه الطبيعية المذكورة مع ما فوقه وهو البورون وماتحته وهو انكليديوم وخواصه الكيميائية يشترك فيها مع ما قبله في الخط الأفقى وهو المغنيسيوم وما بعده فيه وهو السليكون فاذن تكون الصفات (١٨) صفة منها اثنتان عدديتان و (١٦) طبيعية وكيميائية ﴿ معجزات العلم في هذا الجدول وعجائب القرآن وفهم قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - إن الله سريع الحساب - وهو كله معنى قوله - قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - ﴾

إذن يسهل عليك أيها الذكي أن تفهم كيف أخبر (مندلييف الروسى) سنة ١٨٦٩ مخترع هذا الجدول بما سيحدث وهو أن الطبيعة تحتوى على معدن جاليوم وجرمانيوم ومعدن آخر وهين في هذا الجدول محلها الذى رأيتوه ذكر الخواص الطبيعية والكيميائية ونسبها الحسابية التى هى من الصفات الكيميائية أيضاً ثم جاء العلماء بعده فكشفوا هذه المعادن الثلاثة على وزن ما قرره هو فتأمل وتعجب ، وعليه سيكشف الناس كل عنصر وضع في مربعه شرطه سوداء أو نقط في هذا الجدول وقد عينوا مواضعها وخواصها كإفعل (مندلييف) سنة ١٨٦٩ فهنا أحد وعشرون عنصراً قد عينها الناس متربعين كشفها في الزمان المستقبل والعناصر التى كشفت الى الآن (٨٦) والباقي المنتظر (٣٤) تقريباً فتكون العناصر كلها (١٢٠)

ولعمري أى فرق إذن بين نظام السكواكب ونظام العناصر ، فهنا (مندلييف الروسى) أخبر بعناصر قبل وجودها وأبان أوصافها فكانت كما ذكرنا وكذلك في علم الفلك فانهم كشفوا أيضاً ان بعد كل كوكب سيار مضاعف لبعده ما قبله عن الشمس وبهذه الطريقة قالوا إن بين المريخ والمشتري فراغاً كان يجب أن يكون فيه سيار في المسافة (٢٤) ثلاثاً تحتل النسبة المحفوظة ، فانظر الجدول في (سورة البقرة) وقد ذكرناه في هذا

للقال اجالا قريبا ، وقد كشف العلماء كواكب كثيرة في نفس ذلك المكان الذي عينه العلماء وهي عبارة عن قطع صغيرة من ذلك الكوكب الذي كان في ذلك البعد ثم جاء أجله وقامت قيامته فصار هشيما وهامى الكواكب الصغيرة التي اشتقت منه تدور حول الشمس ولكن لا يعرفها إلا العلماء الرصد ومن أجزائه سيريس

﴿ الكلام على الروديوم وعلى الذهب وأمثالها ﴾

لقد عرفت كيف كانت العناصر منظمة تنظيما بديعا بهيجا وهذا النظم فيها أبدع وأبهج من نظام الجدول الخامس الذي رأيته آنفا وإنى أجد الله عز وجل إذ كنت أيام التعلم أبحث في هذا العالم عن نظامه وقد اطلعت على أوافق كذلك الوفاق الخمس فكنت أقول ياليت شعري إن الله كان يقدر أن يجعل العالم منظما كنظام هذا الجدول ، إذن يكون هذا العالم بديعا ويستبدل الإنسان به على ربه ، أما الآن فاني أقول إن هذا الترتيب أعجب وأبدع من ذلك الجدول الذي يعجب منه المبتدئون ، ما كان ليخطر ببالي أن يكون هذا العالم على هذا النظام ، وما كان يخيل لي أنه حق كما رأيته الآن ، يا عجبا كل العجب ، كواكب منظمة أبعادها حيوانات ونباتات ومعادن سلسلة صفاتها منظمة متتالية عناصر مرمومة مرصوفة محسوبة منظومة ، هذا هو الشعر ، هذا هو النظم ، هذه هي القصائد ، هذه هي الأغاني ، لا ، بل هذه هي السعادة والنعمة وبهجة جنان الخلد ، إن أهل الجنة إذا لم يتعلموا يودون لو يعرفون هذا معرفة أجل من معرفتنا ، جلّ الله ، ما أبدع هذه الجواهر وأقرّها للنواظر وأسرها للنواظر وأشرحها لصدور الأكابر

### ﴿ نظام النفوس الانسانية والملائكة ﴾

إن في هذه الجواهر عجائب أخرى . ألا ترى إلى الذهب والحديد والرصاص وأمثالها كيف نظمت كما قدّمناه في وجودها بحيث تكثر النافعة للعموم وتقل غيرها كما شرحناه في الكلام على المعادن . ألم يقلّ الذهب لأن فائدته يجب أن يكون هو على مقتضاها . ألم يكن الروديوم الذي قد كشف حديثا قد قلّ وجوده جدا جدا بحيث أن الذي كشف منه لا يصل إلا إلى دراهم معدودة . ألم تر أن هذه القلّة تناسبه حتما ، لماذا ؟ لأنه هو الحاكم على المعادن . انظر كيف كان الألماس فيما قدّمنا يحكم على المعادن ويسلط عليها ويكسرها أما هو فلا يحكم عليه إلا الأسرب كما علمت فأما هنا فإن الروديوم تسلط أشعته على بعض المعادن فيحيلها إلى البعض الآخر حتى أصبح الناس يرون أن العناصر من أصل واحد بسبب هذا التأثير . أليست ترى أن هذه الأشعة قد أثرت في العلم تأثيرا كبيرا . أليست ترى أن قلّة هذا المعدن لا بد منها ولو كثيرا أحدث تغيرا في عالمنا الأرضي . أليست ترى أن الذهب كالحكماء والنحاس والحديد والاكسوجين والادروجين وغيرها كبقية الناس . أليست ترى أن هذا المقام هو الذي شرّحه أفلاطون في جمهوريته إذ جعل الناس قسما كالذهب وقسما كالفضة وقسما كبقية المعادن وهم الحكام والجيش وبقية الأمة . أليست ترى معي أن الأنبياء أشبه بالروديوم . أليست ترى أن هذا هو قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة يخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ﴾ أليست ترى معي أن هذا النظام في العناصر يخيل للإنسان أن هناك نظاما أدق منه في عالم الأرواح الانسانية وانهار بما كان بينها نظام كهذا النظام أو أدق بحيث لو بحث الناس في عقولهم المختلفة لوجدوا هناك نظاما تتفق وتختلف بنظام بحيث تقوم تلك القوى الكامنة بحاجة البشر . أليست ترى أن الناس يجهلون نظام عقولهم وانهم لا يزالون أشقياء حتى يعرفوا نظام عقولهم . أليست ترى أن نظام عقولهم يكون أدق من حيث نسبة من نظام النرات لأن الأرواح أرقى من المادة والأرقى تسكون فيه النسب أدق . أليست ترى أن الناس سيبحثون عن هذه الغرائز في طباعهم ولكن لا أدري هل ينالونها في المستقبل على هذه الأرض أم ذلك مؤجل ليعرفوه بعد موتهم في العوالم التي سيمرون بها في عوالم البرزخ وهناك يدرسون أنفسهم دراسة أدق من دراسة هذا الجدول . أليست ترى أن هذا يناسب قوله تعالى - وما منا إلا له مقام معلوم - وإذا كان المقام المعلوم بالنسبة

للذرات عجيبا فبالك بالمقام المعالوم للملائكة . أوليس هذا كله يناسب نظام الشمس والسكراب في شروقها وغروبها الآن لها جسد اول لا خلل فيها . يا الله عجبت من صنعك وابداعك وفهمنا على قدر طاقتنا قولك - أولم يروا كيف يسدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - . هذا هو بدء الخلق وهو عجيب جد عجيب

﴿ اللطيفة الخامسة في أن حاجة الناس دفعتهم الى هذه العلوم ﴾

أيها الذكي ها أنت ذا اطلعت على نظام هذه العوالم وعلى بدء الخلق ورأيت كيف حصص عليها القرآن أفلا تنظرمي كيف اتفق الشرع والحاجة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انظركيف أمر الله بأن نعرف كيف بدأ الخلق ولم يكتف بذلك بل أحوج الانسان وحكم عليه أن يبحث في ذلك كله لأجل أموره المعاشية . انظركيف ترى العالم الروسي يبحث عن نسبة العناصر وهو لم يبحث عنها إلا وهو محبذ في طب علوم الدنيا لأجل الحياة الحاضرة والله يقول لنا أيضا انظروا ، ايه ، ما أجهل الانسان ، ما أجهل أمة الاسلام ، أبعد هذا يا أمة محمد ﷺ تنامون ، أمركم ربكم ودعت الحاجة الى معرفة حقائق الدنيا وأتم نامون ، أستم أتم الذين وعدتم وأمرتم أن تكونوا خير أمة أخرجت للناس وأن تكونوا رحمة للعالمين وتخرجوا الناس من الظلمات الى النور ، أأتم ورثة السلف الصالح . كلا . كلا . والله أتم ورثتهم ولكن في تحمل الشريعة وستصيرون ورثتهم في هداية الأمم بعد ظهور هذه الحقائق في هذا التفسير وغيره وستقودون نوع الانسان بعد الآن . افاتكم أن هذه الحقائق والدقائق والنظم البديعة استخرجها الناس لأجل حياتهم الدنيا ولم يفعل الله ذلك معهم إلا لأن طباع أهل الأرض لا تتحرك إلا بمحرك قاسر قاهر وهو الامور الحيوية ليدافعوا عن أنفسهم الأعداء ويجلبوا لأنفسهم الغذاء ولعمري لم يجعل الله هذا فيهم إلا ليكمل نفوسهم بقدر الامكان فان علاج الصناعات وممارسة الزراعات والتجارات ونظم السياسات وما أشبه ذلك وكذلك أعمال الحرب كلها مما تدعوا لرق العقول والاطلاع على العجائب ، وأهل الأرض لولا ما ابتلاهم الله به من ذلك ما اطلعوا فهم مقهورون مأمورون بالاطلاع والمسلمون قد دعاهم دينهم للاطلاع فناموا لأنهم لم يعلموا أنهم مأمورون بالتدقيق لهذا الحد فعلمهم من الآن أن يبحثوا ويقرأوا العلوم التي عرفها الناس ثم يسيطروا على سائر العلوم

﴿ ذكر البارود والعناصر التي ركب منها الأمم ﴾

قلنا إن الله حكم على الأمم بالحرب وغيره لتعرف دقائق العلوم وقلنا إن المسلمين جهلواها ففوقوا بأن الفرنجة دخاوا بلادهم وأذلوههم بالأسلحة والقازات الخائفة ، وأقول الآن إن النوع الانساني الذي خلقه الله على هذه الأرض ركب تركيبا مناسبا وليس يتحرك للمعارف غالبا إلا بمؤثرات بليغة والمؤثرات كما قدما ﴿ قسما ﴾ دينية وديوية ، والديوية إما جلب رزق كالزراعة والتجارة والصناعة ومنها الطب ولاجرم أن العناصر وتحليلها ومعرفة ذراتها ومعيارها لابد منها للأدوية الطبية والزراعة والتجارة وهذا أمر معلوم ، فهذا جعل جلب المنفعة ماعدا العقاقير الطبيعية فانها لدفع مضرة المرض . ولما لدفع ضرر وذلك أن علم صناعة الحرب تقتم تقتما عظيما ومعرفة العناصر ومقاديرها أمر واجب لذلك

انظر الى صنع البارود فهو مخلوط من ملح البارود والكبريت والفحم ، فن الأول (٧٥) ومن الثاني (١٢٥٠) ومن الثالث (١٢٥٠) وهذا عند الفرنسيين و(٧٤) و(١٠) و(١٦) على هذا الترتيب عند الألمانين و(٧٦) و(١٠) و(١٤) عند الانجليز على الترتيب ومن أراد تلوين السوارج بالياض فليأت بنحو (١٦) من ملح البارود و(٤) من الكبريت و(٣) من البارود الناعم

(نيران زرقاء) كلورات بوتاسيوم (٢٦) كبريت (١) أو كوسى كلورور النحاس (١٤) وهناك مقادير

للنار الحمراء والبنفسجية

وللنيران الخضراء كلورات بوتاسيوم (٢٨) أزوتات باريوم (٣٥) أو كسي كاورور النحاس (١) صمغ لك (١٠) كاورور الرصاص

لون الصفرة (٥) كلورات بوتاسيوم (١) صمغ لك (٢) أو كسلات صوديوم  
هذه نبذة من التركيب وفوائده وكيف كان وزن العناصر أصبح ضروريا لنوع الانسان حتى في دفاعه  
عن نفسه وكيف استطاع أن يركب من الكبريت والفحم وملح البارود أنواعا ثم كيف قدر على التلويح بالخضرة  
والصفرة والحرارة وغيرها ، ذلك كله بوزن وحساب كما صنع الله عز وجل في نباته وحيوانه إذ استخرج من  
أجزاء معلومة ما لا يتناهى من أشكال بدیعة وصور عجيبة وبدائع وغرائب . إن الانسان خليفة الله في الأرض  
فتراه يسير على سنان حكمته وإن لم يعلم . سلط الله الناس بعضهم على بعض بالقتال والحرب فاضطروا لمعرفة  
المادة وتحليلها وحسابها كما اضطروا لذلك في أمور معاشهم فهم مضطرون للعلم والتحليل وللتركيب في الحالين  
حال جلب المنفعة وحال دفع المضرة . فهذه العلوم تقوى أجسامهم وترقى نفوسهم ويسرون في الأرض  
ويركبون السفن الحربية وبحار بون في الجو ويمزقون الأجسام فتتشتت الأسم وتبقى أطلهم وتدفن الرمم  
ويبقى الأحياء محيدين . إن الله بالحرب والضرب يريح أرواحا من هذه الأرض فتخرج منها الى عالم البرزخ  
والأرواح الباقية تستفيد عبرة واختبارا . أيها الذي لا تظن أني أبيع الحرب . كلا . وإنما كلامي في الحكم الكونية  
التي فهمتها من عمل الله في الأرض . انه سلط بعضهم على بعض لأن هذه الأرض ليست محل إقامة بل هي دار  
صناعة وتعليم وتنشيط . جهلت هذه الأرواح الأرضية التي تمر بأرضنا علوما ومعارف فأنزله في الأرض وسلط  
عليها هذه الأخلاق وأرسل لها أنبياء وحكماء ثم قال افعالوا فكل ميسر لما خلق له ففتطاعونا وتصار بواوتقاتلوا  
كل ذلك ليستيقظوا للنتيجة وهي أن تعرف نفوسهم نظام هذا العالم وتصل الى الجبال فاذا وصلوا الى  
الجبال وعرفوا الحقائق يدخلون في دار أخرى تكون العلوم فيها بالشوق لا بالحرب والضرب والفقر ومبادئ  
العلوم هناك ماتوا هنا من الجبال . ولعلك تقول أي جبال هنا

### ﴿ الجبال في هذا العالم ﴾

اعلم أن نهاية هذا العالم الجبال ولا يمكن ادراكه إلا بالحكمة والناس يفهمون الجبال العادى في الوجوه  
وجبال الوجوه في ﴿ أربعة أشياء ﴾ الخدين والعينين والأنف والفم . هذه الأربعة متى كانت منتظمة سائرة  
على النسب الصادقة فانها تكون جميلة ومتى تنافرت قبحت وظهرت مكروهة الطلعة . وليس في الأرض انسان  
إلا وهو يدرك هذا الجبال اجبالا ولكنه لا يدرك سببه والسبب هو النسب التي قرررها العلماء لأعضاء الانسان  
وليس هذا مقام بيانها ، ومرجع الجبال في الزهر والنبات والحيوان هو النسب العديدة والهندسية ، وليس في  
الأرض ولا في السماء جبال إلا بهذه النسب ، وترى الناس يطربون للشعر والموسيقى وليس ذلك إلا للنسبة  
العديدة والموسيقية والشعر والموسيقى من راد واحد فان السبب والوترد والفاصلة المشروحة في ذيك العلمين ترجع  
كلها الى حركة وسكون في علم الموسيقى وحرف ساكن وحرف متحرك في علم الشعر ، فالشعر والموسيقى يرجعان  
الى هذين ، فترى الأبحر الستة عشر التي جعل لها التحليل دوائر حسابية منتظمة لم تخرج عن النسبة الحسابية  
والهندسية وهكذا جميع الأغاني وضروب الموسيقى على هذا النمط كما ترى في الماخورى من علم الموسيقى مثل  
بحر البسيط من علم الشعر وكلاهما (٤٨) ما بين ساكن ومتحرك ففي كل منهما (١٢) سببا و (٨) أوتاد ومعلوم  
أن السبب متحرك وساكن والوترد متحرك وساكن فتكون الأسباب (٢٤) حروفا والأوتاد (٢٤) وهناك  
تظهر النسب الهندسية والنسب العديدة كما هو واضح في ذيك العلمين . إذن ظهر لك أن الناس لا يفهمون  
بالجبال المحسوس إلا للحساب والنسبة وإن كانوا لا يلمهون ذلك وكلما كان التناسب أتم كان السرور أعظم ،



هكذا في الجبال العسقلى الذى لامعنى له إلا تلك النسبة ، ومن وازن ماذكرناه في الجبال الظاهرى وفي الشعر بما أبناه هناك في الجدول الذى اخترعه العالم الروسى يرى فرقاً عظيماً ، يرى التناسب هناك أبداع ، إذ يرى الخواص الطبيعية والخواص السماوية مضافة الى الأوزان الذرية ، فالشعر والموسيقى والجبال الظاهرى لم يدخل فيها شئ سوى الحساب ، أما في أوزان الذرات فهناك (١٦) صفة تزيد على النسبة المذكورة ولذلك نرى لذة العلماء والحكماء أضعاف أضعاف لذة الجهلاء لأن الجاهل لا يعرف إلا ما أحس به والعالم ترقى وأدرك ما لا يفهمه الجاهلون - لمثل هذا فليعمل العامون -

أقول وكأن هذا الجبال الذى يظهر في هذه الذرات وأمثالها هو مبدأ لنظام أجل تدركه النفوس اذا خرجت من هذا العالم والشوق هنا يؤهلها للرقى هناك ، لذلك تجدد النفوس الانسانية محمّدة على الأرض في طلب العلم للجلب وللدفع \* والدليل على ذلك ما تراه في تعريف حكماء الشرق للتربية قديماً وحديثاً (١) قال ابن المقفع « ما نحن الى ما نتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا الى الأدب الذى هو لقاخ عقولنا »

(٢) قال أفلاطون « الغرض من التربية هو امداد كل من الجسم والعقل بما يمكن من السكّال والجبال ومن رأيه أن يربى قليل من أبناء الخاصة لأجل نظام الحكومة »

(٣) وقال ملتون « التربية الصحيحة السكّالة هي ما تؤهل المرء للقيام بأى عمل خاصا كان أو عاماً بمهارة وإخلاص تام أثناء السلم والحرب » وهذا التعريف يقرب مما قرّرناه

(٤) وقال جيمس مل « التربية تؤهل المرء لأن يكون عاملاً من عوامل السعادة لنفسه أولاً وللسائر مخلوقات الله ثانياً »

(٥) وقال جون استوارت مل « التربية تشمل كل ما يفعل المرء أو يفعله غيره له لغرض تقريره من درجة السكّال »

(٦) وقال هربرت سبنسر « مهمة التربية هي اعدادنا لحياة كاملة »  
(٧) وقال بعض علماء بروسيا « التربية لإنماء جميع القوى الانسانية لإنماء تتعادل فيه جميع القوى ولكن ميول البشر واستعدادهم مختلفات فقد يكون من الحكمة الاهتمام ببعض القوى في انسان أكثر منه في آخر » ولهذا زاد بعضهم على التعريف المتقدم فقال بطريقة مبينة على طبيعة العقل « فشكل قوى العقل يجب أن تفحص ثم تقوى وتمنى على حسب طبيعتها »

(٨) « القرآن » ألسنت ترى أن هذه التعاريف كلها جاءت في هذه الآية ، وهل ترى انى الآن أنقلها لغير فائدة التفسير ، انى نقلنا لأنها في نفس الآية ، فقوله تعالى - قل سبروا في الأرض - والسير حركة وهي ترجع للقوة الجسمية ، وقوله - فانظروا - راجع للقوة العقلية فكأن الله بهذه الآية يأمرنا بنظام الجسم ونظام العقل وبهذا دخلت التعاريف السابقة كلها في الآية والآية شامتها ، فالحركة للتجارة وللحج وللقتال واطلب العلم والسياسة كلها سير في الأرض وكل حركة للتمرين وللأعمال الهامة تقرب من السير لأنها حركة على وجه العموم ، وكل صناعة فبدونها بالعلم ونهايتها بالعمل فهي مشتركة بين الجسم والعقل ، فصناعة البارود مثلاً مبدؤها العقل في المعامل والمدارس ونهايتها السير في الأرض واطلاق النار ، فأولها عقل وآخرها عمل وجميع القوى العقلية تنمو بالنظر . إن الآية قرنت بين التمرين الجسمي والتمرين العقلي فهي تعطى الجسم حظه والعقل حظه وهذه كانت صفة نبينا ﷺ فانه كان في أثناء الجهاد يوحى اليه ويعطى الناس ويعلمهم . فحركة العقل وحركة الجسم متقارنتان . ومتى تذكرت ماجاء في (سورة التوبة) من أن كثيراً من آياتها أوحى بها في سفره الى غزوة تبوك عرفت تفسير قوله تعالى - قل سبروا في الأرض فانظروا - الخ وكذلك غزوة أحد

وغزوة بدر . فكان الجسم والعقل مشتركين في تنمية العقول . إن الاسلام لم يقف عند هذا الحد في تربية النفوس بل ان أدعية الصلاة مؤيدة لذلك

﴿ اللطيفة السادسة . مقاصد الصلاة في الاسلام السالم والحكم وارتقاء العقول بها ﴾

ذكرت لك أن ديننا يأمر بالعلوم وأن الفطر الانسانية والحاجة الدافعة اضطرت الناس الى العلوم وأذكر هنا أن الصلاة تبعث على العلوم ، فكما أن القرآن كله حث على النظر في هذه الدنيا نجد المؤمن في أقطار الأرض يقرأ كلمات تحثه على العلوم وأكثر الناس لا يعلمون ، انظر الى الفاتحة فهي مبدوءة بالحمد ثم الدعاء بالهداية الى الصراط المستقيم وتقدم هذا . وانظر الى الأدعية في الركوع والسجود والجلوس بين السجدين والتشهد وأنواع المحامد والثناء ، إن المحامد عند الرفع من الركوع تحث على معرفة العوالم العالوية والسفلية عامة والمحامد في الركوع والسجود تحث على علوم الطبيعة بأجمعها ، انظر الى هذه المحامد في العبادات ، انظر الى دين جاء لأمر أرقى من الأمم الحاضرة . يا الله إنك أمرت المسلم أن يقول عند رفع رأسه من الركوع « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد » وهل للحمد اللفظي معنى إلا بالعلم بالمحمود عليه وما المحمود عليه إلا هذه العوالم التي ذكرناها ودخلت في قوله تعالى هنا - فانظروا كيف بدأ الخلق - أي معنى للحمد بدون علم . إن المسلم يصلي ولا يعلم أن الصلاة تدعوه للعلوم . إن المسلم اذا صلى وقلبه غافل لاصلاة له واذا صلى وقلبه حاضر وعرف المعنى فلما أن يقف عند الألفاظ وهو متجه لله فيشتاق اليه ثم يموت فيرجع اليه وهو عابد في درجة خاصة ولكنه لا يرتقي الى درجات رفيعة ، فأما اذا فهم المقصود من الصلاة فانه يتفغل في العلوم إذ يعلم أن الصلاة تحث على الجد في معاني هذه الكلمات ومعانيها هي جميع العلوم . يرفع المسلم رأسه قائلاً « ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض الخ » فكأنه يشير الى علم الفلك وما يحتاجه وبقية العلوم اجالا ، أما في الركوع فانه أولا ينزه الله أن يكون الخالق فيقول « سبحان ربى العظيم » فكأنه قبل أن يخاطبه ينزهه أن يكون كمن يخاطبهم ثم يقول « اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت » وهذا اقرار بالايان وهي أول مرتبة ولكن الوقوف عند جهالة وكسل ثم يقول « خضع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين » وهذا عبارة عن علم التشريح وأن المسلم عليه أن يعرف شيأ من التشريح حتى يدرك السمع والبصر والمخ الخ وقد تقدم بعض ذلك في هذا التفسير وكذا السمع والبصر في (سورة آل عمران) والمؤمنين ويقول في السجود بعد التسبيح « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين » ففي السجود ذكر الايمان والتسليم كما في الركوع ولكن المصلي يتوغل هنا فيقول « سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره » فالتعبير بالخلق والتصوير وشق السمع والبصر يقتضي زيادة العلم بالتصوير وبمخائبات طبقات العين وعجائب الأذن وغرائب المخ وذلك يدعو الى علم التشريح ويقرب منه معرفة أنواع الحيوان والنبات والعناصر التي خلقت هذه منها . ولست أقول ان المصلي اذا لم يدرس تكون صلاته باطلة ولا أخالف مانص عليه الفقهاء - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - ولكن المقام مقام عزاي الاسلام في الترتية ، فانظر كيف دعانا الى معرفة العوالم العالوية عند رفع رؤسنا الى أعلى ودعانا لمعرفة أجسامنا ويقاس عليها ما هو تأثيرها في التغذية والتركيب وهو الحيوان والنبات وهكذا العناصر المركبة هي منها . ولما كان العبد وهو ساجد أقرب الى ربه كما في الحديث وكفى الآية كما قال تعالى - واسجد واقرب - رأينا الدعاء في السجود يوضح تشريح الجسم ويشير الى الجد في مسائل الجسم الانساني . واذا ضمنا ذلك الى ذكر الحمد على جميع النعم في الصلاة ومبادئ النعم كلها ما ذكرناه في تفسير هذه الآية وكذلك قول المسلم في قنوت الصبح فانه يدعو بطلب الهداية ويحمد الله ويشكره في آخر الدعاء . ولا معنى للحمد ولا للشكر إلا هذه العلوم وكذلك

الشاهد فان المسلم يقول « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » وهذا في معنى الحمد ويختتم ذلك بقوله « إنك جيد مجيد » والحمد لأمعنى له كما قلنا إلا بمعرفة العلوم المتقدمة والا كان جدا ناقصا . أقول اذا ضمننا ذلك كله الى ما ذكرناه ظهر أن الصلاة في جميع أحوالها عبارة عن درس لهذه العلوم وحث عليها ومجرد أدعية الصلاة كاملة كافية لشوق المسلم الى هذه العلوم وان لم يسمع من القرآن حرفا ، وسيأتي في هذه الأمة من يعرف الناس مقاصد الصلاة ويعرف الناس مقاصد القرآن ويعرف الناس حكمة الله في خلق الناس على الأرض ويعرف الناس أن الله لم يدع وسيلة لتنمية العقول إلا وضعها في هذا العالم الأرضي وأن المسلمين لما جهلوا جماله ونظامه ولم يعرفوا ما في القرآن وأن الرسول ﷺ شكوا من طائفة فقال - يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - ولم يعرفوا ما ترمى اليه الصلاة أرسل سبحانه الفرنجة ليكون هذا آخر سهم يرمى به المسلمين حتى يرجعوا الى رشدهم ويتعلموا وعسى أن يقوم فيهم من يفهمهم أن الاسلام أرقى مما أتم عليه وأن هذه هي العلوم التي يرضاها الله فهي خير من ضياع الوقت في فروع فقهية ينقض الدهر ولا يسأل عنها أحد . اللهم إني نصحت وأفرغت جهدي في النصيح ، وإني أسألك أن تلهم هذه الأمة الرشيد وتسعد بالها وتلهم الأذكىاء منها أن يرفعوا من شأنها ويسعوا لصلاحها ويهدوها الصراط المستقيم

سيعلم الدعاة والمصلحون في الاسلام أن ما ذكرناه في هذا المقام ترمز اليه الصلاة على الترتيب الذي سطرناه . فالثناء في الرفع والاعتدال وفي الفاتحة والدعاء بالهداية فيها وفي القنوت وفي الجلوس بين السجدين موجه لعموم العلوم فإذا نيت المتعلم بقراءة العلوم كما في المدارس الابتدائية والثانوية في الأمم الراقية ثم يأخذ في علوم التخصص حتى يتقن فنا خاصا كما قررناه مرارا . فالثناء في حال الرفع والاعتدال ومأمعه غير ما يذكر في الركوع وفي السجود من ذكر نوع خاص كالسمع والبصر والمخ والعصب فهذا خاص والمذكور في الاعتدال عام . فالصلاة نسخة من صفحات العلوم أوحى الله بها الى نبيه ليقرأها الناس صباحا ومساء وقد اهتدى بهذه الصحيفة البيضاء قوم وسيهتدى به أكثر المسلمين في مستقبل الزمان

### ﴿ اللطيفة السابعة ﴾

اعلم أن الله عز وجل كما حث المسلمين في صلاتهم وفي دينهم وفي جميع أحوالهم على العلوم ثم سلط علينا الفرنجة لما سبق في علمه اننا جامدون حث الأمم الأخرى التي سبقتنا على ذلك فيما كانوا يتعبدون به لأنه ربح عام الجود . ولأذكر لك ما كان يصنعه قدماء المصريين للتقرب الى الكواكب التي كانت معظمة عندهم كما ذكره أستاذنا العلامة علي باشا مبارك في كتابه ﴿ خواص الأعداد ﴾ قال ماملخصه

« كان المصريون يعتنون بالارفاق وأخذ عنهم فيثاغورس وجاعته وسميت بالارفاق لأنهم نسبوها الى الكواكب السبعة فانهم كانوا يجعلون الجداول المذكورة في صور مختلفة وكانوا ينقشونها على صفائح من المهدن الموافق للكوكب الذي يريدونه وكانوا يجعلون جدول الوفق المذكور على شكل كثير الأضلاع منتظم مرسوم داخل دائرة عدد أضلاعه بقدر ما يشتمل عليه ضلع المربع ومكتوب عليه أسماء الملائكة الموكلين بالكوكب المطاوب ومرسوم عليه أيضا فيما بين أضلاع الشكل ومحيط الدائرة اشارات منطقة فلك البروج وكانوا يزعمون أنه ينفع من يحمله معه . وكيفية انتساب تلك الجداول الى الكواكب هو انهم كانوا يجعلون لزحل المربع المنقسم الى تسع خانات جذر عددها (٣) ومجموع أعداد صفه (١٥) والى المشتري المربع المكون من (١٦) خانة جذرها (٤) ومجموع أعداد صفه (٣٤) والى المريخ المربع المركب من (٢٥) خانة وضلعه (٥) ومجموع أرقام صفه (٦٥) وقد تقدم قريبا والى الشمس المربع المكون من (٣٦) خانة وضلعه (٦) ومجموع أعداد صفه (١١١) والى الزهرة المربع المشتمل على (٤٩) خانة وضلعه (٧) ومجموع أعداد صفه (١٧٥) والى عطارد المربع المشتمل على (٦٤) خانة وضلعه (٨) ومجموع أعداد صفه (٢٦٠) والى القمر المربع المشتمل على (٨١) خانة

وضلعه (٩) ومجموع أعداده (٣٦٩) وكانوا يجعلون للمادة الأولى المربع المشتمل على (٤) خانات وضلعه (٢) والله الواحد الأحد المربع المكوّن من خانة واحدة وضلعه (١) بحيث أنه لو ضرب في نفسه لا يتغير أبداً . وقد تقدم الوفق الخمس . ولأرك شكلا واحدا آخر وهو المسبع ثم أذكر الحكمة في وجود هذا في العالم الانساني ( المسبع )

٢٢	٤٧	١٦	٤٩	١٠	٣٥	٤
٥	٢٣	٤٨	١٧	٤٢	١١	٢٩
٣٠	٦	٢٤	٤٩	١٨	٣٦	١٢
١٣	٣١	٧	٢٥	٤٣	١٩	٣٧
٣٨	١٤	٣٢	١	٢٦	٤٤	٢٠
٢١	٣٩	٨	٣٣	٢	٢٧	٤٥
٤٦	١٥	٤٠	٩	٣٤	٣	٢٨

ولأكتف بهذا المسبع وبالمخمس الذي ذكرته سابقا وأشرح موضوع هذه الأوفاق . إن هذه الأوفاق كانوا يعتنون بها ويدعون أدعية للكواكب وكان ذلك على مقتضى ما عندهم من العلم . ولا جرم أن دين قدماء المصريين كان دخله التحريف فصاروا يتقربون بهذه الأوفاق . والسرّ في التقرب بها أن أعدادها منتظمة تحير فكر الذي يتلو العزيمه إذ يجد أعدادا منتظمة تحير العقل وتدهش اللب وتدخل في عقل الناظر للأعداد نوعا من الحيرة وحب الاتقان فأصل وضعها كان لارشاد الشعب الى حبّ الجمال وهو النظام وذلك يدعو للبحث في السموات والأرض على ذلك النظام في عالم السموات والأرض وربما كان ذلك من رجال الدين ثم تمادى الناس فيه فعملوه لطلب قضاء الحاجات من الأصنام التي كانوا يزعمون أنها ملائمة للكواكب التي تحفظها الملائكة لأن دين القدماء هكذا ﴿ الله خلق العالم . الملك موكل بالكوكب . الصنم سبيل للكوكب الأوفاق تقرب العابد من الكوكب الذي هو يمثل الملك المقرب من الله ﴾ فهذه سلسلة طويلة أملاها عليهم رجال الدين تحصيل عند طول الأمد بعد نزول الأديان فيحصل الانقطاع الى الامور المادية ويترك الأصل الذي قصده الأولون فعكف الناس على الاستغاثه والاستعانة بهذه الأوفاق ونسوا ما لأجله وضعت الأوفاق عند الكهنة ورجال الدين وان كانوا هم أيضا غير موقنين بتطاول الزمن عليهم فتطاول الزمن على رجال الدين وعلى العامة جعل تلك الأوفاق أدعية للرزق والجاه والشهوات كما أن كثيرا من جهلة الأمة الاسلامية وبعض الخواص يجعلون القرآن في أكثر الاوقات لطلب أمور الدنيا لغرض الدنيا وهذا انتكاس على الرأس . والمقصود الأول من ديننا ارتقاء النفوس بالعمل والعلم فاتجه كثير من الناس الى جعل الدين مفتاحا لباب الشهوات . وأصل الأوفاق عند قدماء المصريين تذكير النفوس بالعلم والحكمة وجمال الله فجعلها المتأخرون منهم باب مرتزق وتبعهم على ذلك جهلة المسلمين الى الآن ، فانظر كيف جعل الله في القدماء قبلنا من وجهوا الهمم الى معرفة حسن النظام في العالم بطريق الدين ثم نسيه أهله فذهبت دولتهم فأصبحوا خاسرين ، ذلك أن الله عز وجل لم ينس عباده ولم يترك أحدا من خلقه بل هو عليهم مهيم يذكّرهم كل حين ولا ينال العز إلا من سبقته له الحسنى . وما ينبغي ذكره في هذا المقام أن ( فيثاغورس ) كان مغرما بعلم العدد ويقول إن العالم مركب من العدد وهذا لشدة ولوعه بالله تعالى لأن هذه الأوفاق التي نقلها عن المصريين قد قرأها وعرف أسرارها وراءها لانعلمها نحن ففنى في الخالق واشترأت نفسه الى ذلك الجمال الأسنى . وأن الى ربك المنتهى -

ويقرب من ذلك جدول العناصر المتقدم بل هو مدهش ومدهش لأنه يعرف جمال الله في صنعه بأبلغ

حجة وأقطع برهان . واعلم أن قداماء المصريين لما جعلوا المقصود من دينهم نسخة الله هكذا المسلمون لما نسوا مقصود القرآن سلط الله علينا الفرنجة وسيجعل الله بعد عشرين سنة ويرتقى الاسلام - وما توفيق إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب - انتهى الكلام على القسم الأول من السورة

### ( الْقِسْمُ الثَّانِي )

مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ \* إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّئَلَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ \* خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ \* أَتُلُّ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ \* وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكِتَابُ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ \* وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخِطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابُ الْمُبْطِلُونَ \* بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ \* وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ \* أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَخَبِيرَةٌ بِالْكَافِرِينَ \* يَوْمَ يَمْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ قُدُومِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ \* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ \* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \*

وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ \* اللَّهُ  
يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ  
نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يَعْقِلُونَ \* وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَهْبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا  
يَعْلَمُونَ \* فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ  
يُشْرِكُونَ \* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ \* أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا  
حَرَمًا بَيْنَنَا وَمَنْ يَنْتَظِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ \* وَمَنْ  
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ  
\* وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ \*

#### التفسير اللفظي

قال تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أى الأصنام يتسكون عليها فى نصرهم (كمثل  
العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) أى مثل المشرك الذى يعبد الوثن  
بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبنى بيتا باجر وجص أو ينحته  
من صخر وكما ان أوهن البيوت اذا استقرت بيتا يبنى بيت العنكبوت كذلك أضف الأديان اذا استقرت بيتا  
دينا ديننا عبادة الأوثان - لو كانوا يعلمون - أى لو كانوا يرجعون الى علم لعلموا أن هذا مثلهم (إن الله يعلم  
ما يدعون من دونه من شئ) هذا توكيد للثبوت أى ان الله يعلم أن الأصنام التى يدعونها ليست شيا فنانافية ومن  
زائدة وشئ المجرور عن الزائدة مفعول تدعون (وهو العزيز) الغالب الذى لا شريك له (الحكيم) فكيف  
يعبد الناس ما ليس شيا ويدعون عبادة العزيز الحكيم (وتلك الأمثال) الأمثال بدل (نصربها) نبينها خبر  
(للناس) وان فحك من هذا المثل سفهاء قریش وقالوا محمد يضرب المثل بالنباب والعنكبوت (وما يعقلها إلا  
العالمون) ورد « العالم من عقل عن الله فعلم بطاعته واجتنب سخطه » (خلق الله السموات والأرض  
بالحق) محققا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير وإيجاد كل ممكن تعلق به العلم (إن  
فى ذلك لآية للمؤمنين) لأنهم يستدلون بالآثار على مؤثرها (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) تهبطا وحفظا  
وفهما لمعانيه واستكشافا لغوامض ما فيه (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وذلك لأنها  
حال الاشتغال بها تشغل المصلى عن الاشتغال بغيرها ، وأيضاً تورث النفس خشية من الله \* روى أن فتي من  
الأنصار كان يصلى مع رسول الله ﷺ ولا يدع شيا من الفواحش إلا ركب فوصف له فقال إن صلاته ستناه  
فلم يلبث أن تاب (ولذكر الله أكبر) أى ولذكر الله إياكم برحمة أكبر من ذكركم إياه بطاعته أو والصلاة  
أكبر من غيرها من الطاعات وسميت ذكرا لأنها مشتملة على ذكره تعالى وهو العمدة فى كونها منفصلة على  
الحسنات (والله يعلم ما تصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيحاز بكم بها أحسن المجازاة (ولا تجادلوا أهل الكتاب  
إلا بالتي هى أحسن) بالخصلة التى هى أحسن كقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح (إلا

الذين ظلموا منهم) بالافراط في العناد كأن يتبنوا الولد أو يقولوا يد الله مغاولة أو يبنوا العهد ، وإذا استعمل السيف في بعض الأحوال فذلك انه كالسكى آخر البواء فالمدار في نشر الدين أصالة على إقامة الحجّة لاسيما في هذا الزمان ، ثم أبان طرفا من تلك المجادلة فقال (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون له خاصة وفيه تعريض بأنهم اتخذوا آحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله \* وروى عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقاً لم تكذبوهم ﴾ وقوله (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب) أى وكما أنزلنا الكتب الى من قبلك أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) كعبد الله بن سلام وأحزابه (ومن هؤلاء) ومن العرب وأهل مكة ومن في عهد النبي ﷺ من أهل الكتاب (من يؤمن به) بالقرآن (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وقبام الحجّة عليها (إلا الكافرون) أى المتوغلون في الكفر كاليهود عرفوه ﷺ وكفروا به وكفرهم هو عين الجحود إذ الجحود بعد المعرفة (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) فان ظهور كتاب جامع لهذه المزايا يستحيل أن يأتي به أى فإذن هي مهجزة (إذا لارتاب المبطلون) أى لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي اليك لارتاب أهل مكة واليهود فقال الأولون إنه يقرأ من كتب الأولين وقال الآخرون إن صفته في التوراة انه لا يقرأ (بل هو آيات بينات) أى القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يحفظونه لا يقدر أحد على تحريفه (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) المتوغلون في الظلم المكابرون (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) مثل العصا وناقة صالح (قل إنما الآيات عند الله) ينزلها كما يشاء لست مالكها (وانما أنا نذير مبين) ليس من شأنى إلا الانذار (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فهو معجزة دائمة على مدى الزمان وليست كالعصا لأنها لا تدوم ، وقد جاء في ﴿سورة طه﴾ أن أمثال هذه الآيات الحسية تلبس ولذلك كفر بنو اسرائيل لما رأوا عجل السامرى وقد تقدّم ايضاح هذا هناك (إن في ذلك) الكتاب الذى هو حجة دائمة (لرحمة) لنعمة (وذكرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون) دون المتعنتين (قل كفى بالله ببنى وينسكم شهيدا) يشهد لى أى رسول الله ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه (يعلم ما فى السموات والأرض) فلا تخفى عليه حالى وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما بعد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفتهم لأنهم اشتروا الكفر بالايمان (ويستجاونك بالعذاب) كالنضرب الحث لما قال فاطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) وهو ما وعدتكم انى لا أعذب قومك ولا أستأصلهم (لجاءهم العذاب وليأتينهم) العذاب (بغثة وهم لا يشعرون) باتياناه (يستجاونك بالعذاب) أعيدت الجملة تأكيداً (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط بهم وتجمعهم جميعاً (يوم يغشاهم العذاب) يصيبهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاءه (يا عبادى الذين آمنوا إن أراضى واسعة فإياى فاعبدون) أى اذا لم تسهل لكم العبادة فى بلد ولم يمتش فيه أمر دينكم فلتهاجروا عنه الى بلد تكونون فيه أصح ديناً وأكثر عبادة \* وعن سهل « اذا ظهرت المعاصى والبديع فى أرض فاحرجوا منها الى أرض المطيعين » ويقال أيضاً « إن لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها » (كل نفس ذائقة الموت) يريد بذلك تهوين الهجرة من بلد المعاصى ويقول اذا كانت النفوس تجد مرارة الموت وكرهه فكيف يهملها المهاجرة من الوطن (ثم إلينا ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوتنهم) لنزلنهم (من الجنة غرفاً) عللى (تجربى من تحتها الأنهار) الذين فيها نعم أجزا العالمين (أى أجزهم) (الذين صبروا) على أذية المشركين والهجرة للدين والمحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) فلا يتوكلون إلا على الله (وكأين من دابة لاتحمل رزقها) لاتطبق حمله لضعفها أولاندخره فتصبح ولا معيشة عندها (الله يرزقها وإياكم) فأنتم مع قوتكم وهى مع



ضعفها سواء في أن الله يرزقكم جميعا فهو المسبب لها فلا تخافوا على رزقكم من الهجرة إذ قال بعضكم كيف تقدم على بلديس لنا فيها مرتزق (وهو السميع) لقولكم (العليم) بنيانكم (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر) أي ولئن سألت أهل مكة ذلك (ليقولن الله) لأن العوالم منتهية إليه (فأني يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيدهم بعد إقرارهم بذلك (الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي لمن يشاء أي يوسع ويضيق لواحد في وقتين مختلفين ويوسع لزيد ويضيق لعمر (إن الله بكل شيء عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم \* وروى « إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك » (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) أي هم مقرّون بذلك (قل الحمد لله) على عصمتك من مثل هذه الضلالات وعلى تصديقك وإظهار حجتك (بل أكثرهم لا يعقلون) فيناقضون فأنهم يقولون إنه خالق كل شيء ثم يشركون به سواء (وما هذه الحياة الدنيا) الإشارة للتحقير (إلا هلو) اشتغال بما لا يعنى وتمتع باللذات وفرح (ولعب) عبث وباطل لا يبقى (وإن الدار الآخرة هلي الحيوان) أي الحياة أي ليس فيها إلا الحياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة ، وأصل حيوان حيوان من حي على وزن غليان فقلت الياء الثانية واوا (لو كانوا يعلمون) حقيقة الدارين ما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي ثم قال إن هؤلاء دائبون على ما وصفوا به من الشرك (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) فهم والحالة هذه لافرق بينهم وبين المؤمنين في صورة الاخلاص لله لعلمهم أنه لا يدفع الشدائد سواء (فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون) أي فاجؤا المعاودة الى الشرك والمؤمنون ثابتون على إيمانهم (ليكفروا بما آتيناهم) أي يشركون حتى يكفروا بما آتيناهم من النعمة (وليتمتعوا) أي سبتمتعون بهذه العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم وهذا تهديد ويصح أن تكون اللام للأمر في ليكفروا وليتمتعوا (أولم يروا) أي أهل مكة (أنا جعلنا حرمنا آمنا) أي جعلنا بلدهم ممنوعا مصونا يأمن داخله (ويتخطف الناس من حوهم) يستلبون قتلا وسبيا (أفبالباطل يؤمنون) أي أبالشیطان والأصنام يؤمنون (وبنعمة الله) المذكورة الواضحة (يكفرون) \* ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن زعم أن له شريكا (أو كذب بالحق لما جاءه) يعني الرسول أو الكتاب وفي التعبير بلما إيذان بسفاهتهم إذ سارعوا الى التكذيب بلاترو لجرّد السماع (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي أما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم ، ولما كان أول هذه السورة مسوقا للجهاد العام كجهاد النفس والجهاد مع الوالدين والجهاد مع الأعداء ومع الأصحاب ختم السورة كما ابتدأها وبشر المجاهدين بالهداية فقال (والذين جاهدوا فينا) أي في حقنا سواء أكان جهاد الأعداء الظاهرة أم الباطنة فيشمل سائر المعاصي حتى جهاد الكبر والحسد والحرص وكل مرض قلبي (لنهديهم سبلنا) لأننا خلقنا السموات والأرض بالحق (وإن الله لمع المحسنين) بالنصرة والاعانة . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني من السورة

### ﴿ لطائف هذا القسم ﴾

( اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت - )

لأذكر لك ما كتبت في كتابي ﴿ جمال العالم ﴾ من عجائب العنكبوت تحت العنوان الآتي ونصه

### ﴿ العنكبوت ﴾

خلق العنكبوت ذا ثمانية أرجل وعلمه الله بالإلهام من الصغر في إبان حياته حتى انه ينسج بحيث تتساوى كبارها وصغارها والأمهات وأولادها في الغزل والنسج ، فلا عنكبوت إلا وقد أوتى هذه الصنعة بلا تعلم



ولا تعليم ولا مدرسة كأهماتها ولا تخرج ولا درس ولا تنقيب كما فطرت صفار البط على العوم في الماء عقب كسر بيضها وهكذا جميع الطيور والحشرات ، ولما كان هذا التعليم غريزيا إلهيا لم يدخله الغلط ولا السهو بخلاف النوع الانساني ولذلك احتجنا الى قول نبينا ﷺ « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان » فلا يقع من العنكبوت في نسجه ولا غزله غلط بل تراه يحكمها باتقان مع الثاني والثالث ، فترى خيوطا متينة وشبكاتها محكمة الوضع هندسية الشكل ، وقد قال علماء العصر الحاضر ﴿ لواجتمع كل نساك وغزال في الدنيا وقوبلت صناعتهم بصناعات العنكبوت لفاق الثاني الأولين والآخرين وغلب الحيوان الأعجم هذا الانسان - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور \* ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير -

### ﴿ العنكبوت البناء ﴾

كل عنكبوت في الدنيا غزال ونساج وبعض الأنواع بناء يبنى منازل يشاهدها الناس في أماكن كثيرة في حجم (الكسبان) يقفلها من الداخل بقفل لم يقف أحد من علماء الحشرات على كنهه حتى يأمن من دخول عدو مهاجم أو سارق فتأمل كيف أعطى قوة وحكمة عجز عنها الانسان في البناء كما أوتي النحل في بناء مسكنه فوق الأرض وأحكم المنافذ للنور وأقفلها عند الرطوبة أو البرد ، كل هذا يدلنا على أن هذا العالم يشمله تدبير عجيب من أدنى ذرة الى أكبر كوكب ، وما ألد النظر في هذه العوالم والعلوم ، وما أجل الحكمة وأبهجها - إن ربك هو الخلاق العليم - ألا فليتهج بهذا العالمون وليفرح الحكماء المدققون

### ﴿ عنكبوت البساتين ﴾

وهناك نوع يسكن البساتين وماشبهها ، تراه مضطرا الى الانتقال من شجرة الى شجرة ومن غصن الى غصن ، فإذا يصنع ياترى ؟ ألهمة الله أن يبنى قنطرة بين الشجرتين أو ممشى بين الغصنين كما يصنع نوع من القروذ في أمريكا قنطرة كما تقدم ، ولكن طريقة العنكبوت في قنطرتها أعجب ، فتلك بالأجسام وهذه بخيط واحد يخرج من فمه مخلوقا من اهابه اذا لامس الهواء جمد فيمتد فيه بعد تثبيت أحد طرفيه ولا يزال الطرف الآخر يغدو ويحى حتى يمسك بورقة أو غصن فتمر عليه العنكبوت ، وبهذه الطريقة نجا عنكبوت من الموت في حكاية واليك بيانها

حكى أنه وضع حيوان العنكبوت عنكبوت على عود في ماء قريب من شاطئ جزيرة فنزل من أعلى العود الى أسفله فوجد الماء محيطا به فرجع الى أعلى ثم أخذ يفكر في حيلة اهتدى بها الى أن غزل خيطا وأثبت أحد طرفيه في رأس العود ولازال الطرف يغدو وروح حتى أمسك بغصن من الشاطئ الآخر فسار عليه حتى نجا سالما ، وهذا النوع البستاني ينسج على الأغصان والأوراق شبكة عجيبة يقتنص بها الذباب وغيره فيتخذ بها مركزا يقيم فيه ويمد خيوطه الى جميع الجوانب ، فشكل أطرافها محيط ذلك على الأوراق والأغصان وتلك الخيوط أقطارها والعنكبوت رسامها وغازلها وناسجها ومهندسها والصائد بها ، وما أشبه تلك الخيوط بأعمدة المجلة (البسكيت) فاذا أحكمت تلك الأعمدة بخيوطها المجدولة أخذت العنكبوت تجدل خيوطا أخرى فأدارتها على هذه ور بطاتها ربطا وثيقا محكما عليها مع التناسب في الوضع والاحكام والهندسة بحيث ترى بين كل خيطين من تلك الأعمدة وآخرين من الملفت عليها مسافات متساويات هندسية ومنها تكون شبكة للصيد عجيبة الصنع جيلة الوضع - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين - وهذه الشبكة قلدها الانسان في صيد السمك للقوت وفي صنع زينة منسوجة من الحرير منقوشة بالذهب مرصعة بالخلي اهتدى لها الانسان المتمددين بعد الآلاف من الدهور والعصور والسنين فتفخر به الفتيات الافرنجيات في اتقان الصنعة وحسنها فانظر كيف كانت نهاية الانسان بداية الحيوان . اعلاه يهولك غرائب العنكبوت اذا عاينت أثرها وانها تنسج ما تنسج بمؤخر أرجلها فلا تحتاج الى النظر بعينها ، فاذا قطعت خيطانها قبل الغروب ثم نظرت لها عند شروق

الشمس في اليوم الثاني رأيت شبكتها نسجت كما كانت مع صبره وتؤدته وثبته وأنه يأتي بقطع صغيرة من الحجارة والخشب يضعها على نسجه ليثبت حافظا له من التكسر واطاعة الرياح الهابّة والأعاصير والزاعزاع وأنه يبحث عن صمغ وغراء من أماكنها في أشجارها و يلطخ بها خيطاته وشبكته ليكسبها الزوجة فلا تمزق إذا فاجأتها الرياح وهاجت عليها الأعاصير وإذا مرت بها الذباب التقطته بمادتها اللازجة ولم يؤثر على الشبكة حركته ، فتأمل كيف صلحت بالغراء ﴿لأمرين﴾ إمساك الذباب والتمدد بالزوجة لئلا تقطع ، ومتى أمسكت النجاسة بالشبكة التي صنعت لهذه الغاية أسرع العنكبوت في الحال إليها فعضها وجرى السم فيها فماتت فأكلها ، ومنه نوع يقرب من اليمام في الحجم يصطاد الطيور كما يصطاد الصغير من الذباب والحشرات وقد تمر النحل بشبكته فيرجو أكلها ويخاف لسعها فيصبر عليها حتى تنعب ثم يأخذ في أن يديرها بحيث يلفه عليها ويدور سريرا سريرا حتى لا يبقى بها حراك ثم يقتلها بسمه ويأكلها

فهذه عجائب العنكبوت غفل عنها أكثر الناس وهم لا يشعرون . انتهى ماجاء في كتابي ﴿جمال العالم﴾ ولأذكر لك ماجاء في كتابي ﴿القرآن والعلوم العصرية﴾

### ( العنكبوت أيضا )

ومن الحشرات العنكبوت ذات النسيج الجليل والغزل الرقيق والريق الذي اذا تعرض للهواء انقلب الى مادة أشبه بالقطن أو الحرير فيغزلها خيطا دقيقا وينسج تلك الخيوط نسيجاً محكما متقنا حتى قال علماء الحشرات ﴿إن هندستها التي رسمتها في نسيجها ونظامها البديع الذي توخه في عملها أدق ماصنعه المهندسون وأبرع منظمه البارعون حتى انها لم تخطئ يوما في نظمها ولم تغلط يوما في نسجها وإن أبرع المهندسين وأعظم المحكيين الذين درسوا في المدارس العالية وتخرجوا على أعلم علماء الهندسة يخطئون في تقديرهم ويشذون في عملهم ويحيدون عن سواء السبيل﴾ وهذه الحشرات لا تخطئ في نظمها ولا تفضل في هندستها ولا تخيب في احكامها ذلك لأن معلم المهندسين من المخاوقين ومعلم العنكبوت خالق المهندسين ، فتأميد الله ان يخطئ وتلميذ المخاوق قد يضل مع الضالين ، ولقد شاهد الناس صغارها وصغار الحيوانات تخرج عالة بفنونها محكمة لعملها كأمهاتها بلاتعليم ولا تدرى ولا تهذيب ولا تدريس ولا مدارس ولا معلمين بل الغريزة الإلهية والحكمة الصمدانية التي أبدعت المخاوقات ونظمت الكائنات - فتبارك الله أحسن الخالقين -

ولقد ذكر الله العنكبوت فقال - وإن أو هن البيوت ليت العنكبوت لو كانوا يعلمون - فإذا كان أو هن البيوت على نظام أتمّ وحكمة أبهج فما بالك بأمته بناء وأحسنها نظاما - وما كنا عن الخلق غافلين -

### ﴿ لطيفة ﴾

إن العلماء بحثوا في تجزئة المادة حتى وصلوا الى ما يدعش العقول ويحير الأفسكار فقروا أو بعض العناكب تنسج خيوطا رقيقة جدا فانها تنسج بيتها من خيوط كل خيط منها مؤلف من أربعة خيوط أدق منه ، وكل واحد من هذه الأربعة مؤلف من ألف خيط وكل واحد من الألف يخرج من قناة مخصوصة في جسم العنكبوت ، فانظر كيف كان الخيط الواحد مؤلفا من (٤) في (١٠٠٠) يساوي (٤٠٠٠) ومن عجب أن بعض علماء الالمان قال انه اذا ضم أربعة بلايين خيط (٤٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠) الى بعضها لم تكن أغلظ من شعرة واحدة من شعر لحيته . ولقد علمت أن كل خيط من تلك الخيوط مؤلف من أربعة آلاف خيط ، فكل خيط إذن من هذه الخيوط الدقيقة يساوي غلظه ١٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠ واحدا من ستة عشر ترليوناً ثم تعجب كيف كان كل واحد من الألف يخرج من قناة مخصوصة في جسم العنكبوت وكيف يسبح جسم العنكبوت ألف ثقب فيها ألف خيط ، أليس ذلك من العجب ، أو ليس من أعجب الحكم أن العنكبوت في هذا تمثل نظام العالم الجليل يخرج الخيط الدقيق من ثقبه

فيخيل للرأى انه خرج بالاحكمة فاذا انضمت الخيوط الى بعضها كوّنت خيطا والخيوط الأربعة أنتجت خيطا أكبر وباجتماع الخيوط أنشأت بيتا وكان مسكنا ومحل صيد للعنكبوت ومع ذلك تسمع القرآن يقول - وان أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون - وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ثم أردفه بقوله - لو كانوا يعلمون - فانظر كيف ذكر العلم المقرون بلو بعد مسألة العنكبوت ، أفليس هذا الوهن قد ظهر في التحليل والتجزئة فقد جاوزت خيوط العنكبوت الحد المعروف في الدقة وتناهت في التجزئة ، فذكر الوهن هنا اشارة الى قبول التجزئة قبولاً مطرداً بحيث لا يمتنع عنها وهو متماسك ، ذلك هو السر في قوله - لو كانوا يعلمون - فليس يدرك الناس تلك التجزئة التي أشار لها الوهن مجرد اشارة إلا بعلم الطبيعة ، ولا يدري المسلمون ما السر في تسمية سورة باسم العنكبوت إلا بالتفرغ لدراسة الحشرات واذن يعرفون لماذا سميت سورة في القرآن باسم العنكبوت وأخرى باسم النمل وأخرى باسم النحل وهى حشرات وسورة باسم البقرة وسورة باسم الأنعام وهذه من ذوات الأربع ، والذي أراه أن الجيل الحاضر ومن كانوا قبله من المسلمين في الأعصر المتأخرة إنما خلقوا ليحفظوا القرآن والشرعة حتى يتفكر فيهما الأجيال المقبلة التي سيوقظها أمثال هذا التفسير ويخرج جيل اسلامي لم تحلم به العصور ولم تلده سوائف الدهور وهم خلفاء الله والنبي ﷺ وهذا سيكون وأنا به من المؤمنين

ومماثل العنكبوت في ذلك النظام البديع إلا كمثل النحل إذ نظم بيوتاً مستديرات ذات أضلاع متساوية متقنة ، ومن العجيب أن الأشكال المستديرة كل ضلع يساوي القطر المارّ ما بين ضلعين من أضلاعها كما قرره علماء الهندسة ، ولقد أبنا الحكمة في اختيار المستديرة دون باقي الأشكال ولم يكن دائرة فيما كتبناه في كتبنا السابقة وأوضحنا عجائب هذه الحشرات وغيرها أيضاً أتم وبياناً أكمل في كتابنا ﴿ جلال العالم ﴾ وكذا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وغيرها وهذا التفسير إنما جعلناه تذكرة عامة للأمة الاسلامية ليستيقظوا من غفلتهم وليفقهوا من سباتهم وليعلموا أن الله عز وجل ما وصف هذه الحشرات ولا ذكر هذه الآيات ولا أخذ نصف الأنهار والجبال والكواكب والشمس والقمر والنجوم إلا ليسوقنا اليها وليحسنا عليها فانظر مسألة النمل الذي تقدم الكلام عليها فانها فضلاً عما فيها من بدائع الصنعة الالهية والحكمة الصمدانية دلالة على حكمة الخالق واتقانه ونظامه وعجيب صنعه فان لها أثراً عظيماً في الزراعة . إن تربية النحل في البساتين النضرة موجب للثروة بالعسل الكثير الذي يربو اذا كانت الخللا في وسط الأزهار ويقل بل يموت النحل اذا كانت الأرض المحيطة به مقفرة ، ولها فوق ذلك شروط وأحوال خاصة يعرفها الدارسون لمستقراتها ومستودعها من علماء الزراعة الساهرين على مصالح الأمم الناظرين فيما جادت به يد الخالق من العجائب والبدائع

ولما كانت هذه الحشرات الضعيفة ربما غفل الناس عن أمرها وصغروا من شأنها وجهلوا صنعها سمي الله عز وجل سوراً من القرآن باسمها فسمى النمل والنحل والعنكبوت . أفليس ذلك نهراً ساهمتدى به المسلمون فيرقون صناعاتهم وينجون مجدهم ويدرسون كل مآدب وكل مآطار وكل حيوان ونبات - إن في ذلك لعلبة لأولى الأبصار - كما قررناه . انتهى ماجاء في كتابي ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ والحمد لله رب العالمين هذا ما أردته عند تأليف هذا التفسير ثم إنى وجدت بعد ذلك أثناء تقديمه للطبع في الكتب الفرنجية عجائب وبدائع في العنكبوت والذباب ونحوه فآثرت ذكرها هنا تبصرة وذكرى للمسلمين

مامن امرئ إلا رأى نسج العنكبوت . إن العنكبوت ليست من الحشرات وان كان ظاهرها يوهم أنها منها . إن نوع العنكبوت ونوع الحشرات يتفقان في أن كلا منهما له آلتان في مقدمه يستعملهما كما نستعمل نحن أصابعنا وهو بهما يتفاهم كما يتفاهم الأصم الأبكم من الناس بحاسة البصر ولكن العنكبوت لها ثمانية أرجل والحشرات جميعها لها ستة أرجل . إن الحشرات والعنكبوت كلاهما تضع بيضاً وانما الفرق بينهما أن

الحشرات يتحوّل بيضها الى دودة والدودة تنقلب الى (فيلجة) أى شرنقة والشرنقة تنقلب حشرة تامة كما في مسألة دودة القز ففيها هذه الصفات والنحل والنمل وأشباهها وقد تقدّم في سورة النمل ، ومن الحشرات ما تعنى بنسلها كالنمل والنحل ومنها ما لا تعرفه كحشرة أُنّى دقيق إذ تموت ولا ترى أولادها وهكذا الجراد ولكن هذا النوع يعنى بوضع البيض في مكان صالح بنسله . أما العنكبوت فمثله كمثل الدجاج فان بيضها متى فقسّت خرج ولدها صورة طبق الأم كما في السمك والضفادع

### ﴿ كيف تعيش العنكبوت ﴾

إن العناكب تعيش على الحشرات ، إنها نافعة جدا ومفيدة للفلاح ولصاحب البستان لأنها تقتل الآلاف من الحشرات اللاتي تقتك بالزرع في الأرض

### ﴿ نسج العنكبوت ﴾

إن العنكبوت تغزل خيوطا دقيقة حريرية آتية من (مقر الغزل) في جسمها الذي فيه مسام دقيقة جدا وهذه المسام الدقيقة تخرج منها خيوط تجتمع وتكون خيطا والخيوط تجعلها العنكبوت نسيجا . إن هذه الخيوط لزجة وأى ذبابة وصلت اليها تلتصق بها

### ﴿ أنواع المصنوعات العنكبوتية ﴾

إن العنكبوت لا تقتصر على جعل خيوطها أشبه بالخيمة : كلا . بل انها تجعلها قنطرة تمرّ عليها من مكان الى مكان وتارة تجعلها عشا تضع فيه بيضها ومسكنا نظيفا لها يسر الساكنين . إن من العنكبوت نوعا تغزل الخيوط الحريرية المذكورة وتجعلها أشبه بسحاب وتطير عليه في الهواء . ويرى الناس مئات من هذا النوع طائرات في الهواء على هذه الطريقة في يوم نائر الهواء . وهناك نوع من العناكب يحرق على سطح الماء ، وكيف ذلك ؟ انه يؤلف بعض الأوراق الجافة مع خيوط حريرية من جسمه ويجعلها (قاربا) يعوم فيه على وجه الماء ويسبح به وهو قير العين وهذا القارب جعله للصيد فلهما لاحت له ذبابة أسرع بقاربه اليها وأخذها الى فيه فأكلها

ولما وصلت الى هذا المقام جاء صاحبي العالم الذي حادثني في (سورة النمل) فاطلع على ما كتبت هنا فقال ، لقد قرأت كتبك كلها فسلني كما تشاء في ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وفي ﴿ النظام والاسلام ﴾ وفي ﴿ جواهر العلوم ﴾ وفي ﴿ ميزان الجواهر ﴾ وفي ﴿ جلال العالم ﴾ قرأتها وفهمتها وقرأت هذا التفسير الى هذه السورة فاسمح لي أن أسأل هنا ماعن لي في قولك غير لك أن أحاورك من أن أدع هذا لقرائك والمطالعين على هذا التفسير . فقلت ذلك بسرّتي . فقال أوضح الفرق بين الحشرات والعنكبوت ، ولماذا أراك تشرح هذه الحيوانات هنا حتى جعلتني أسألك المزيد ؟ وهل هذا يوافق مساق الآية ومساق الآية لا يقتضى هذا الشرح فقلت أما الفرق بين العنكبوت والحشرات فقد ذكرت بعضه الآن وهو تعداد الأرجل وطريقته نحو الذرة وأزيد عليه أن جسم العنكبوت مركب من ﴿ قسمين ﴾ وأجسام الحشرات مركبة من ﴿ ثلاثة أجزاء ﴾ كما تقدم في (سورة النمل) وأيضا لغالب الحشرات أجنحة والعنكبوت لا أجنحة لها ، ثم ان القسم الأعلى من العنكبوت فيه العيون والفكان وهذان في الرأس وفيه الأرجل الثمانية وهي في الصدر ، أما القسم الأسفل ففيه البطن والمؤخر ، وأما أقسام جسم الحشرات فأقرأها في (سورة النمل) كما قلت لك . فقال النمل من الحشرات وهل لها أجنحة ؟ فقلت تخلق لها أجنحة ولكن عند ما تكبر وتزاول الأعمال تكسرها لتتفرغ للأعمال . قال فما تقول في عدد العيون . فقلت عيون العنكبوت تختلف من زوج واحد الى ستة أزواج موضوعة مثنى في مقدم الرأس وتتحركان من اليمين الى اليسار وبها يفترس الذباب ، أما الحشرات فانها لها أعين تقدم شرحها في سورة النمل وأن بعضها قد بلغت العين الواحدة فيه (٢٧) ألف عين أى ان العين

الواحدة مكوّنة من عيون مستقلة تبلغ هذا المقدار ولولت واحدة منها لم تتلف البقية كما شرّح علماء الفسفا والمينا في هذا القرن فأقرّاه هناك وانظر كيف ذكرت لك هناك أن أصدقائي أهل العلم في مدارسنا المصرية عارضوني في ذلك وفيهم من كانوا في أوروبا بل بعض الأطباء أنكروه في أول الأمر ، ولما ألفت الرسالة التي تقدّمت في (سورة النمل) أقرّوا وصدّقوا ، والسبب في ذلك أن أمتنا المصرية قد كانت تعرف هذه العلوم قبل هذه الأيام في القرن التاسع عشر ثم لما دخل الفرنجة بلادنا حذفوا تلك العلوم الطبيعية من بلادنا فصار المتعلمون يكرهونها وكثير من ذهبوا إلى أوروبا لا يقرّونها ، أما الآن وأنا أكتب هذا التفسير فإن هذه العلوم أخذت ترجع تدريجاً وصار الأطفال اليوم يقرّون ما كان يجهله آباؤهم منذ خمس سنين وهذا يدلّك أن العلوم الطبيعية مرفقة للأئم ولولا ذلك ما حذفها الفرنج قبل استقلالنا الظاهري بمصر ، هذا ثم إن الفلمة كما قدّمت العين الواحدة من عينيها مركبة من مائتي عين والذباب عينا الواحدة مركبة من أربعة آلاف عين ، فقال صاحبي أربعة آلاف . قلت نعم . قال أنكرو ذلك . قلت له هذا يدرس في جميع مدارس العالم ، وهل تريد أن تفعل معي ما فعله المدرسون منذ سنين كما أخبرتك ؟ قال لا ، قلت فدعني أتمّ لك الحديث ، فقال يا عجبا كل العجب ، أتكون الذبابة أكثر عيوناً ويصطادها العنكبوت مع أن عيونه محدودة ، فقلت له لا تعجب وكيف تعجب من آية الله في الأرض ، فقال وأي آية ، قلت إن كثرة الآلات والقوى لاتمنع من الهلاك ، ألا ترى إلى قيصر الروس وغيره من ملوك الأرض فانهم مع كثرة جيوشهم وعددهم وآلاتهم قد سلط الله عليهم من طردوهم من ملكهم بل قتلوا بعضهم ، وهو قيصر الروس الذي أثار الحرب الكبرى في زماننا واتحد مع انكلترا وفرنسا ، قام للحرب بعد أن دبر المكائد فإذا جرى ؟ كانت هذه الحرب شؤماً عليه ويتبعه نحو (١١٠) مليون من الناس ومن هؤلاء (٢٠) مليوناً يعملون في حقوله ، فهذا كان من ضحايا الحرب فعزل ثم قتل . إذن كثرة العدد والآلات لاتدل على البقاء ، فهذا الذباب كثرت عيونه التي تعدّ بالآلاف ولكن نوع العنكبوت الذي لاتزيد عيونه على ستة أزواج قام فافترس الذباب على كثرة عيونه

إن الله حكيم في صنعه ، ألا ترى أن هذا الذباب (وإن كان ينظف جوّنا بابتلاعه الرطوبات التي فيها أنواع الحيوانات الذرية الصغيرة الفاتكة بنا القائلة بأنواع الحيات والوباء) يرجع هو نفسه مهلكاً لنا فينقل الأمراض ويأتي بالوباء ، فهو نفسه لما تغذى من المواد الضارة بنا ليصلح جوّنا أصبح هو ضرراً لنا ، نخلق الله العنكبوت لتصطاده وتصطاد غيره من الحشرات الفاتكات بنا وبزرعنا ، فالذباب بأحداث العدوى وغير الذباب بأكل الزرع ، فجعل الله هذه العناكب مساعدة لنا فن جهل بعض المساميين انهم لا يعلمون أن هذا مساعدهم ونافع لزرعهم وحافظ لهم ولقوتهم

يعيش المسلم ويموت وهو لا يعلم أن الله أنعم عليه بالعنكبوت ، يعيش المسلم ويموت وهو لا يعلم أن الطيور من القنابر والعصافير والغربان وأبى قردان والبوم تساعده في أكل الدود والحشرات الفاتكات بزراعته وقد أوضحت أكثر هذا في هذا التفسير فراجع بعضه في (سورة المائدة)

انه ليحزنني والله أن تكون أمتنا أجهل الأمم بهذه العلوم التي تمتعت بها أوروبا ونحن عنها غافلون ، أذكر أنني وأنا مدرّس بدار العلوم كنت أرقب نسج العنكبوت في حديقة المدرسة وأنظر له كل يوم فلحظ ذلك وكيل المدرسة وهو من المتعلمين فقال ما هذا الذي تحافظ عليه قلت إن هذا النسج فيه عجائب فهو نسج محكم يدل على حكمة بالغة أبدعها صانع هذا العالم فتبسّم ضاحكاً وقال لاقيمة له وهذا لأن المعلمين لا يشوّقون التلاميذ إلى الجبال وهذه أكبر مصيبة في الاسلام وقد ابتدأت تزول وهذا التفسير من دلائل النهضة ومن أوائلها

فقال صاحبي كم عدد الحشرات على وجه الأرض . فقلت إن الحشرات التي من بعضها غذاء العنكبوت قد بلغت في تعداد أنواعها أكثر مما بلغت سائر الحيوانات ، وإذا كانت الخنافس وحدها تبلغ (٨٠٠٠٠)

نوع فبالك بغيرها من الحشرات وأنواع الحشرات المعروفة (٢٠٠٠٠) ويتوقعون انها تبلغ ألف ألف فقال هذا مدهش ، إني قرأت في كلام أسلافنا أن في البحر (٤٠٠٠) أمة وفي البر كذلك . فقلت له الأمر فوق ما قالوا والله يقول - ويخلق ما لا تعلمون - ويقول - سعيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وآيات الله في الآفاق وفي الأنفس ابتداء ظهورها الآن وهذا التفسير من المنبهات لها وأن المسلمين بعدنا لا ينصبون ولا يتعبون في تحصيل العلم وسيقوم فيهم هداة ومصلحون ينشرون هذه العلوم بين الناس فلا يكون فيهم من يقاسى ما قاسيت مما ذكرته في كتابي ﴿ التاج المرصع ﴾ فاني ذكرت هناك اني كنت أقرأ في كلام (الامام الغزالي) أن عجائب الله تعالى في نسيج العنكبوت وأعمال النمل لا تنتهي . فأما عجائب النمل فقد كانت واضحة لي وأما العنكبوت فقد كنت أود أن أرى شكلا منظما في الكتب لأرى حسن النسق والنظام فيه فلم أوفق لذلك حتى قرأت الكتب الانجليزية فوجدت الرسم فيها فحجبت كل العجب من أمة نائمة لاتعرف نعمة الله ولا تسير على خطوات علمائها ، فلا جبال الله أدركوا ولا آراء علمائهم اتبعوا

﴿ هل يجوز رسم الحيوان في التفسير ﴾

فقال لي صاحبي ، ههنا قامت عليك الحجة ، فقلت وأي حجة ، فقال أذكرك بأنك في سورة النمل وعدت أن ترسم أشكال الحيوان الذي يحتاج للايضاح ، فلم لاترسم لنا العنكبوت حتى نطلع على الوصف الذي وصفته ولم لم ترسم لنا الغملة التي وصفتها هناك ولم ترسمها ، ألم تقل ان رسم ذلك ليس مباحا فقط بل هو واجب لأن التعليم واجب ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان هذا التأليف واجب عليك وجوبا عينيا ويجب قراءة هذا على من احتاج اليه وهو قادر إما شكر الله وإما لزيادة التوحيد ، وقد يجب وجوبا كفائيا كما أوضحته أنت في سورة المائدة عند مسألة الغراب وفي غيرها . فقلت له سأرسم شكل نسيج العنكبوت . فقال لا يكفي لابد من رسم نفس العنكبوت ونفس الغملة والا عد هذا منك خوفا من صغار العلماء . فقلت لا أقدر أن أرسم ذلك إلا بعد شرح المقام في السنة حتى يوقن كل مطلع على التفسير أن النبي ﷺ يجيز ذلك . فقال يا عجباً . إن التصوير الشمسي لم يرد تحريره في كتاب ولا في ستة وما ورد في التصوير من تحرير أو تحليل راجع لفعل الانسان إما مجسما وإما غير مجسم بالرسم المعروف . قلت هذا حق . قال واذا كان حقا فلماذا تريد أن تطيل المقام أو تراوغ فلا ترسم هذه الأشكال ، وإني أذكرك بأنك في كتاب ﴿ جبال العالم ﴾ قلت مامعناه ان العنكبوت لها ستة أرجل كسائر الحشرات مع ان العنكبوت غير الحشرات ولها ثمانية أرجل ، فاذا رسمت الصورة لم يحصل هذا اللبس . فقلت فلنورد الأحاديث حتى لا يقع لبس في المقام وتنقطع المعاذير وهالك بيانها

(١) روى قتادة قال كنا عند ابن عباس رضي الله عنه وهم يسألونه ولم يذكر النبي ﷺ حتى سئل فقال سمعت محمدا ﷺ يقول « من صور صورة في الدنيا كف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » اهـ

(٢) روى الأعمش عن مسلم قال كنا مع مسروق في دار يسارين فمير فرأى في صفته (بشديد الفاء) تمائيل قال سمعت عبد الله قال سمعت النبي ﷺ يقول « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » (٣) روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم » هذه الأحاديث ونحوها وردت في فعل التصوير بمعنى إيجاد الصورة ، أما ما كانت رقفا في ثوب أو ورق فهناك ما ورد فيها

(١) روى زيد بن خالد رضي الله عنه أن أبا طلحة حدثه أن النبي ﷺ قال « لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة » قال بسر فرض زيد بن خالد فعدهاه فاذا نحن في بيته بستر فيه تصاوير فقلت لعبد الله الخولاني ألم يحدثنا في التصاوير فقال انه قال إلا رقفا في ثوب ألا سمعته قال لا قال بلى فذكره اهـ

(٢) روى الترمذى بسنده عن عتبة انه دخل على أبي طلحة الأنصارى يعودده فوجد عنده سهل بن حنيف قال فدعا أبو طلحة انسانا ينزع نمطا تحته فقال له سهل لم تنزعه قال لأن فيه تصاوير وقال النبي ﷺ ما قد علمت قال سهل أولم يقل « إلا ما كان رقعا في ثوب » فقال بلى واسكنه أطييب لنفسى ، وقال الترمذى

حسن صحيح

(٣) روى أنس رضى الله عنه « كان قرام لعائشة رضى الله عنها سترت به جانب بيتها فقال ﷺ أميطى عنى فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى » اهـ

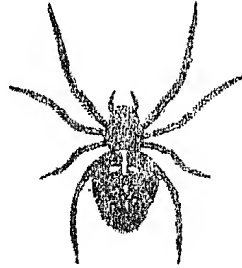
هذه الأحاديث تدل على إباحة الرقم ، فأما الفوتوغراف فشيء آخر وانما هو صور جاءت من ضوء الشمس وضوء الشمس ماهو إلا تصوير الله ومن ذا يقدر أن يحرم تصوير الله \* وقال الخطابى « إن المصور الذى يصور شكل الحيوان فأنى أرجو ألا يدخل فى هذا الوعيد لأنه ليس إلا رقعا »

فبين بهذا أن رسم الصور بيد الانسان ليس محرما بنفس نص الحديث الحسن الصحيح وكلامنا أيضا ليس فيه بل إن الصور الشمسية كلها من تصوير الله ، فاذا رأيت دورا فى هذا التفسير فانها كصور الشمس والقمر والكواكب والحيوان والنبات

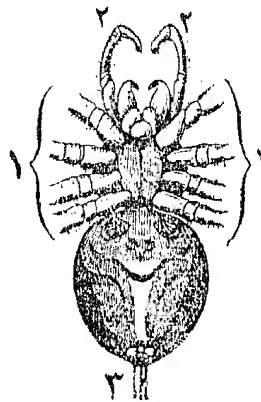
فلما سمع ذلك صاحبى قال هذا حسن جدا وواضح لجميع المسلمين وانما سقط المسلمون فى مثل هذا للجهل الذى غشى على العقول فبدل أن يسيروا فى رقى الأئمة رجعوا القهقرى وفتحوا باب الكفر والنوم والجهل وأقفلوا أبواب جلال الله تعالى ومعرفة عجائبه التى لانهاية لها جهلوا علوم الكائنات ولما أردتم إيضا حياختم من الجهلاء فأوردتم الأحاديث خيفة أن يقولوا أبواب العلم فى وجوه القارئ

﴿ تذكرة ﴾

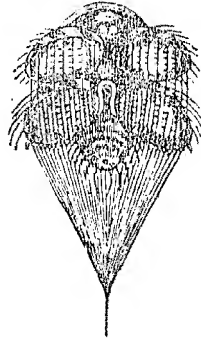
ثم إن هذا الموضوع قد كتبته أثناء التأليف ولكن أثناء الطبع كتبت ما هو أجل هناك من هذا فى (سورة يونس) فاقرأه (انظر الأشكال الآتية)



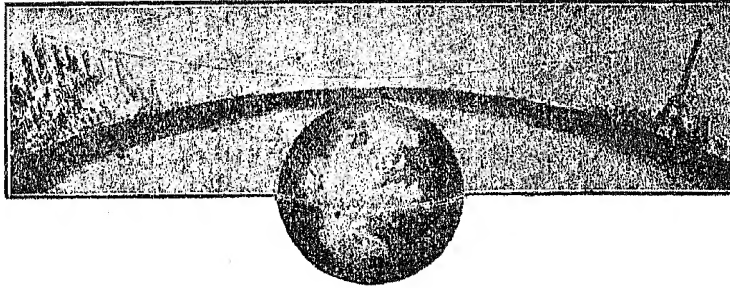
( شكل ٦ - صورة العنكبوت واضحة )



( شكل ٧ - صورة أصول الأرجل والفكين ومخرج النسيج )

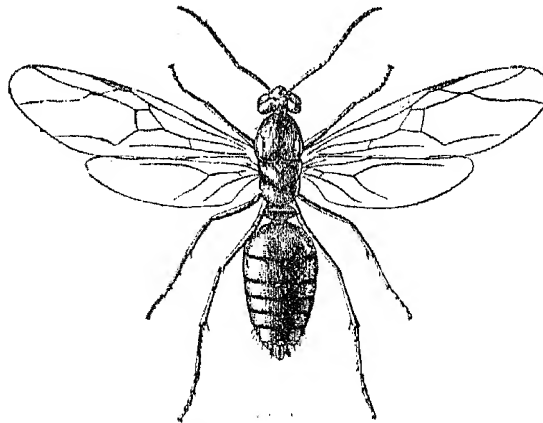


( شكل ٨ - صورة جهاز الغزل )



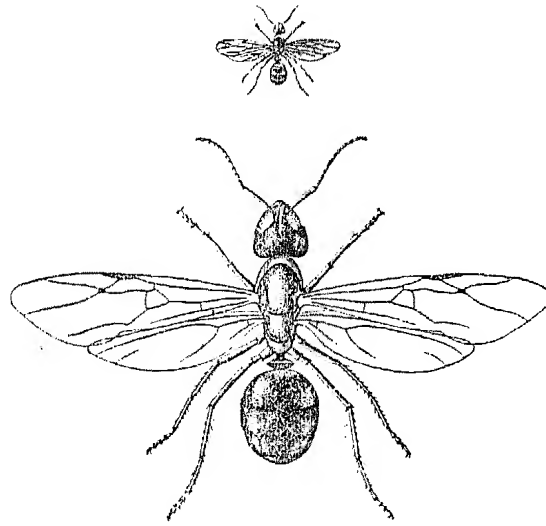
( شكل ٩ - صورة نسيج العنكبوت مع بيان حسن لها )

( يفرز العنكبوت مادة سائلة تجف بمجرد ظهورها في الهواء وتكون على شكل خيوط رفيعة ويستعملها العنكبوت كجباله لاقتناص فريسته من الذباب أو غيره من الحشرات الصغيرة ولينزل بواسطتها من المحال المرتفعة كي لا يسقط فيتأثر بالسقوط ، ومادة هذه الخيوط خفيفة للغاية من حيث الوزن حتى ان ما يبلغ وزنه أوقية واحدة من هذه الخيوط يمكن أن يصل بين نيويورك في أمريكا وباريس في أوروبا أى بين عمارة ولورث في الأولى وبرج ايفل في الثانية ، واذا أخذ من خيوط العنكبوت ما يزن رطلاً أمكن أن تطوق به الكرة الأرضية مرتين )

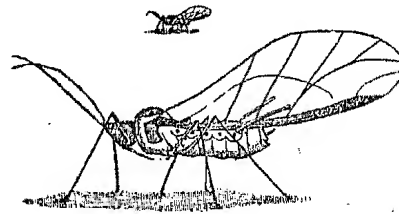


( شكل ١٠ - صورة ذكر النمل الحقيقي . صورته مكبرة جداً لموازنتها بصورة العنكبوت )

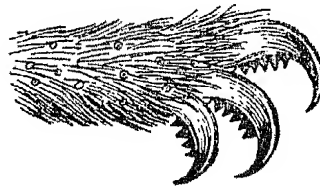




( شكل ١١ - صورة أُنثى النمل . صورة الأُنثى على حقيقتها . صورتها مكبرة )



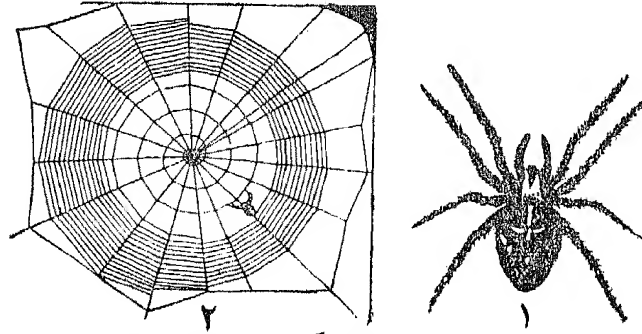
( شكل ١٢ - صورة بقرة النمل المسمى « افيز » )



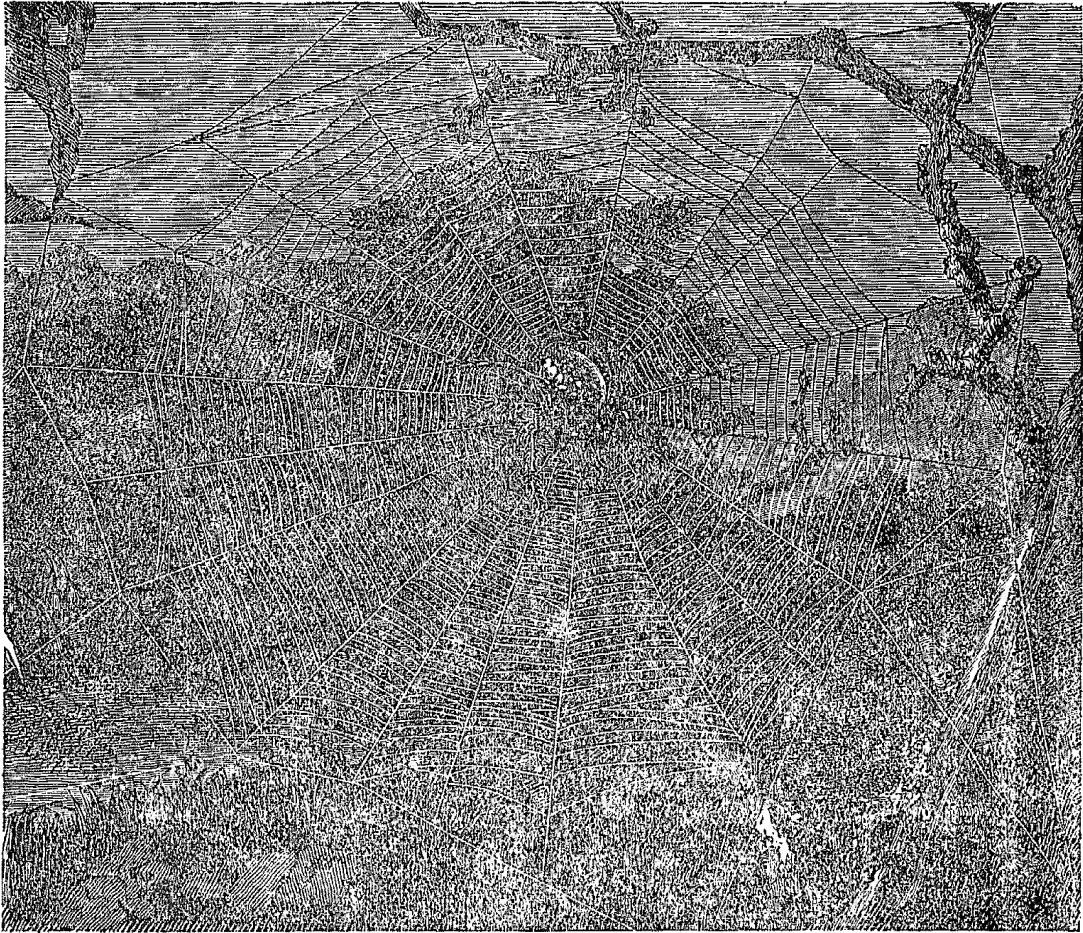
( شكل ١٣ - صورة مخب العنكبوت )



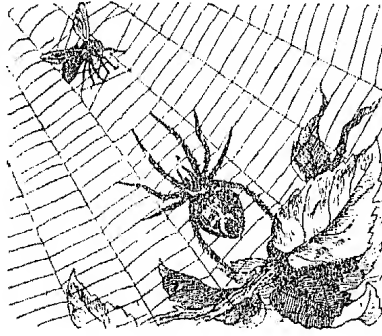
( شكل ١٤ - صورة اجتماع الخيط )



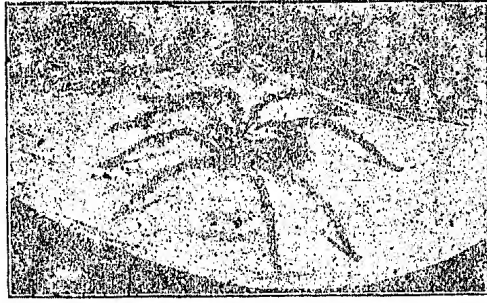
( شكل ١٥ - صورة عنكبوت الحديقة وبينها )



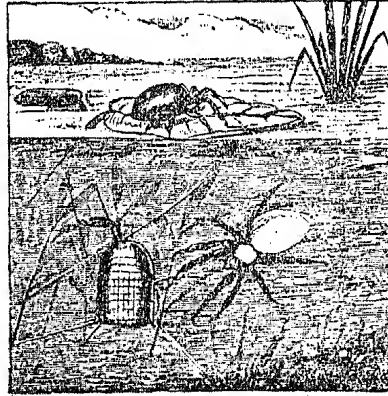
( شكل ١٦ - صورة أكبر بيت للعنكبوت )



( شكل ١٧ - صورة عنكبوت الحديقة صائدة )



( شكل ١٨ - صورة عنكبوت المنازل )



( شكل ١٩ - صورة العنكبوت المائي )

فلما اطلع صاحبي على هذه الأشكال سرّ غاية السرور وانشرح صدره وقال لقد قت بما وجب عليك وهذا أصلح ما وقع في كتبك من الخطأ فانك ذكرت عن المتقدمين أن ريق العنكبوت اذا لامس الهواء صار خيطا فظهر الآن أن الكشف الحديث أبان أن هناك غدة ظهرت في الشكل أخرجت لنا هذا النسيج الذي صار تارة طيارة كطيارات الناس في هذا العصر وتارة سفينة في بحر لجي وتارة تكون عشا ومنزلا وشبكة صيد فهذه القوّة المرسومة أمامنا منبع عجيب جدا لاسفن العنكبوتية ومنازلها ومهد أولادها وشبكات صيدها وسفنها وطياراتها وقناطرها التي تعبر عليها واذا كانت هذه حال العنكبوت التي بيتها أضعف البيوت فكيف

استحالت حال المسامين اليوم من القوة الى الضعف فيها واكل شئ ونسوا نعمة ربهم في صغيرات الامور وكبارها  
﴿ لطيفة ﴾

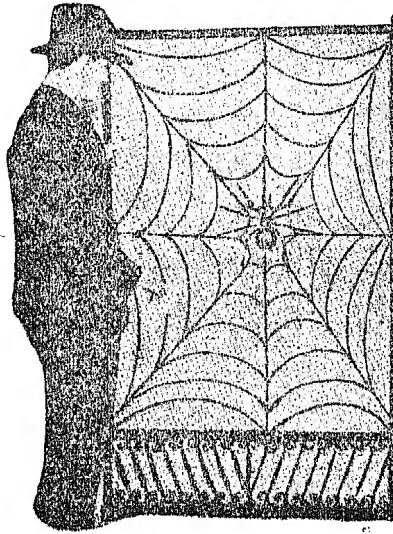
لما اطلع على هذا أحد النضلاء قال . لقد مرّ على الأمم الاسلامية قرون وقرون ولم يظفروا في تعاليمهم  
بأمثال هذه الصور ولكن هذا الزمان هو الذي ظهرت فيه العلوم وتقدّمت الفنون فساعدت على ظهور هذا  
التفسير بهيئة جديدة ولكن ليس معنى هذه الصور انها تصدنا عن المباحث العامة . فقلت سل ما بدا لك .  
فقال إن الله ضرب العنكبوت مثلاً لما يهد الكافرون من الأصنام وقرّر أن أوهن البيوت بيت العنكبوت  
فكيف يكون بيت العنكبوت أوهن البيوت وقد رأينا من الاتقان فيه والابداع ملاحظه ؟ فهذا عجب كيف  
اجتمع نهاية الابداع مع نهاية الوهن ، إن الوهن لا يجتمع الاتقان . فقلت اذا كان بيت العنكبوت أوهن  
البيوت مع انه عجيب الصنع بديع الاتقان فان هذا هو المعروف في هذا العالم ، فأنت ترى فيما تقدّم في آخرة  
الثل في تفسير قوله تعالى - - - وقال الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - - - أن مقدار الماء الذي يملأ ملعقة الشاي  
يحتوي على مقدار من الهيدروجين وهذا المقدار فيه كهرباء لو استخرجها العلماء في المستقبل لأصبح عندنا  
منه مائة ألف كيلو من السكر بائنة وقوتها تساوي (١٣٣) ألف حصان وما هذا كله إلا من الهيدروجين الذي  
في ملعقة الشاي ، ما هو الهيدروجين في تلك الملعقة ؟ إن هو إلا جزء من (٩) من الماء وذلك أن الماء مركب  
من الاكسوجين والادروجين والادروجين في الوزن لا يساوي أكثر من واحد من (٩) من الاكسوجين  
إذن تسع ملعقة الشاي هو الذي يعطينا قوّة (١٣٣) ألف حصان ، فهذا الماء في الملعقة شئ لا يؤبه له فضلاً  
عن جزء من تسعة من هذا المقدار . إذن الله أتقن القليل وأدهشنا من اتقانه ، واذا كان هذا عمله في القليل  
فما بالك بالكثير ؟ وهذا قوله تعالى - - - الذي أحسن كل شئ خلقه - - - فالقلة لا تمنع الاتقان لأن القدرة والعلم  
لاحد لهما وهذا على حد قول الشاعر

له همم لا منتهى لكبارها \* وهمته الصغرى أجل من الدهر

فما قاله الشاعر في ممدوحه يقال هنا إن جميع البيوت في العالم سواء أكانت انسانية كبيوتنا أم كانت  
للحيوان والطيور أم تن من بيت العنكبوت ، ألا ترى منازل الناس وأججار الضب والغزال والذئب وأضرابها  
ثم الى أعشاش الطيور التي تبنيها في الأشجار ، فهذه كلها أقوى من بيت العنكبوت ، فهكذا الأصنام وإن  
كانت ماثلة أمام الناس يرونها بأعينهم - - - لا قوّة ولا عمل لها ونسبة الأصنام من حيث عبادتها الى خالق العالم  
الحكيم كنسبة بيت العنكبوت الى بيوت الانسان ونحوه ، فبيت العنكبوت اذا نسبناه الى بيوتنا وبيوت  
حيواننا كان أوهن البيوت هكذا عبادة الأصنام يتوهم الناس أنها تنفعهم وما هي بنافعة وإنما يتخيل عبادها  
بهمهم نفعها لهم ، فهذا التخيل الذي لا يرى أشبه ببيت العنكبوت من حيث ضعفه لا من حيث حسن اتقانه  
فهذا مقام وذلك مقام آخر بل اذا تمادينا في الفهم ونظرنا بعين الحقيقة رأينا هذه الدنيا كلها أشبه بالأصنام  
بل المعبود حقيقة عند كثير من الناس إنما هو الهوى ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ الناس يحبون الدنيا كاللذات والولد  
حبا جماً وهذا الحب هو العبادة الحقيقية ، واذا كانت الدنيا لا ثبات لها بل هي زائلة بل ظهر كما تقدّم في سورة  
النور عند قوله تعالى - - - الله نور السموات والأرض - - - أن قطرة الماء فيها جواهر صغيرة تكاد تصل في العت  
نجوم السماء التي عرفت في الكشف الحديث ، ومع هذا كله نرى هذا العدد لا يملأ من فراغ تلك القطرة إلا  
جزءاً واحداً من مئات آلاف آلاف و بناء عليه أصبح هذا العالم عند العلماء عالماً أجوف والمادة فيه تكاد  
تكون متوهمة . إذن هذا العالم عالم الوهم فليس الحكم على المادة بأنها كبيت العنكبوت خاصاً بالأصنام  
بل هذا الحكم يعم المادة كلها والحياة فيها وهذا هو قوله تعالى - - - وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو - - - وقوله تعالى  
وان الدار الآخرة هي الحيوان - - - وقوله - - - كل شئ هالك إلا وجهه - - -

وأهم ما تقدّم أن بيت العنكبوت من حيث اتقانه له حكم غيره من حيث ضعفه فضرب المثل به جاء من حيث ضعفه لا من حيث اتقانه وهذا الضعف له نظير في المادة كلها وفي الأصنام فالمادة أشبه بالوهم والخيال كما وضع في قطرة الماء في (سورة النور) ولا جرم أن هذا الايضاح ليس يعقله جميع الناس بل يعوزه علم وحكمة لهذا قال تعالى - لو كانوا يعلمون - وقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - فالجاهل يظن أن ضرب المثل بالعنكبوت أمر سهل لأنه مفهوم والعالم يدرسه دراسة نامة ويفهم ما كتبتناه فقال لقد أجبت بما شفي صدري ولكنني أريد أن أسألك سؤالاً آخر ، هل قلد الناس نسيج العنكبوت لجلاله وابداعه واتقانه وهندسته . فقلت نعم فقد جاء في محلة « كل شيء » مانصه (شكل ٢٠)

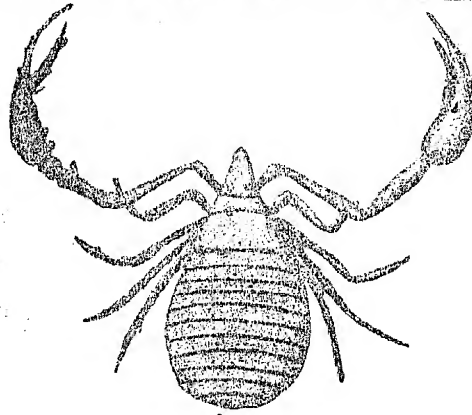
### ﴿ محاكاة الطبيعة ﴾



( شكل ٢٠ - باب من حديد مصنوع بهيئة نسيج العنكبوت )  
« كل منا يعرف نسيج العنكبوت ويحب به كما أننا نضرب المثل به في الضعف والوهن ولكن أحد الصناع الانجليز رأى أن يقلده فصنع باباً من الحديد بهيئة نسيج العنكبوت وعرضه حديثاً في لندن فنال إعجاب كل من رآه »

### ﴿ لطيفة ﴾

لقد تقدّم في (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - أن العنكبوت تأكل الذباب وبهذا يتخلو الجو للإنسان والحيوان . إذن العنكبوت نافع للزراعة لأنه آكل الحشرات ذباباً وغيره فاقراً هذا الموضوع هناك ، وإنّي أزيد المقام حكمة بما رأيته اليوم من أن العقارب التي شاركت العنكبوت في أرجلها الثمانية وفي الهيئة شاركتها أيضاً في قتل الحشرات فانظر (شكل ٢١ في الصفحة التالية)



( شكل ٢١ - صورة عقرب تأكل العث والسوس )

« هذه عقرب صغيرة تعيش بين الأوراق والكتب والأخشاب في البيوت القديمة وتقتات بالعث والسوس وسائر الحشرات التي تأكل الثياب والأقشة والأوراق لها ثمانية أرجل مثل سائر العقارب ولها كلابتان اذا قبضت بهما على الحشرة أزهدتها ، وهي تبيض نحو ( ٢٠ ) بيضة تحملها في طية من طيات بطنها حتى ينقف البيض وتخرج الصغار - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - »

والى هنا انتهى القول في السؤال الأول وما ترتب عليه من الشروح في الحشرات والعنكبوت فقد اكتفيت أما جوابي لك أيها الأخ عن السؤال الثاني وهو لماذا أراك تشرح هذه الحيوانات هنا وهل هذا يوافق مساق الآية ؟ فإني أقول لك ما الذي دعاك الى هذا السؤال ؟ فقال غيرتي عليك لأنني رأيت أن هذه العلوم أنت مغرم بها ومساق الآية لا يعطى ذلك ، إنما مساقها لنم عباد الأصنام وأن عقولهم وقفت عند أمر ضعيف كضعف نسج العنكبوت ، ومما شك في هذا إلا كما جاء في ﴿ الاتقان في علوم القرآن ﴾ للعلامة السيوطي أن العلامة الرازي غلب عليه أقوال الفلاسفة فأكثر منها وقال أبو حيان في ﴿ البحر ﴾ جمع الرازي كل شيء إلا التفسير وهكذا أبو حيان نفسه وقع فيما وقع فيه الرازي فقد غلب عليه قواعد النحو ومسائله فأكثر من ذلك كالواحدى في البسيط والزجاج ، ثم إن الثعلبي غلبت عليه الأخبار ، والنقبة يكاد يجعل القرآن كله للفقهاء كالمقطبي ، فإني أخاف أن تفسيرك يكون بحسب ما غلب عليك واشتهر عنك في كتبك . فقلت له أما من ذكرت من الشيوخ فهم أساتذتنا ولولا هم ما علمت شيئا . وأما قولك ان تفسيري خارج عن مساق الآية فهذا هو الذي أجيبك عنه وستعلم أن هذا زمان ظهور الحقائق القرآنية ، فاعلم أيديك الله أن مساق الآية كما ذكرت أنت إنما هو تشبيه هؤلاء الكفار من حيث أنهم اتخذوا غير الله إلهًا بالعنكبوت اتخذت بيتا ، ولا جرم أن بيت العنكبوت بالنسبة لبيوتنا كعدم لوجوده ، ومماثل العنكبوت بالنسبة للنازل في القرى والمدن أوللاهرام بمصر الذي يقارع الأجيال وهو باق على كماله لا كنسبة العدم للوجود ، وإذا كان نور الشمس لما وازناه في سورة الأنعام بنور أضعف الكواكب بلغ مئات ألوف ألوف الألوف فهكذا هنا نسبة الهرم الى بيت العنكبوت أبعد وأبعد جدا ، إذن عقول هؤلاء الكافرين بعبادتهم الأصنام أصبحت نسبتها الى من يعرف الله ويدرك مصنوعاته كنسبة بيوت العنكبوت الى أهرام الجيزة بمصر ﴿ وبعبارة أوضح ﴾ ان عقول الكفار لما وقفت عند المحسوسات وانحصرت فيها وعبدت الأجسام وانحصرت وانحصرت في صور محدودة وهياكل معدودة كانت نسبتها الى عقول الأنبياء والحكماء والأولياء كنسبة بيوت العنكبوت الى أقوى الأبنية أو كنسبة أضعف كوكب الى ضوء الشمس الذي شبه به الرسول ﷺ فليل في القرآن - وسراجا منيرا - فإذن تكون المسألة راجعة الى قوله تعالى في سورة أخرى - أتعبدون ما تنسجون والله خلقكم وما تعملون - فأول الآية يمثل انحصار العقول وغفلتها بالوقوف على ما تحته الناس وآخرها يمثل انطلاق العقول الى باحات الجبال وإشراقها بإدراك سر هذا

الوجود بتدبير الطاقة البشرية . إذن أصبح هذا التمثيل داعيا الى انطلاق العقول وعدم حبسها في أشياء خاصة بل يراد بذلك درس هذه الموجودات لمعرفة مبدعها وارتقاء العقول في هذه الدنيا ونظام المدن ، فاذن هذا المثل حوى ﴿ أمرين ﴾ - صنع الله الذى أتقن كل شئ - وصنع المخلوق الضعيف ، فصنع الله هو الذى يجب البحث فيه ووقوف العقل عند حد مخصوص هو الذى يذم ، فالنفوس التى وقفت عند عبادة الأصنام نفوس ضعيفة فأرواها أشبه بيت العنكبوت بالنسبة لأقوى الأبنية فهى لا محالة واهية ذاهبة \* والدليل على ذلك أن كفار مكة لما جاء الاسلام خضعوا له طوعا لقلايلهم وكرها لأكثرهم فهم اتخذوا ما يشبه بيت العنكبوت فلم يحفظهم بل غلبهم المسلمون في الحرب وهكذا يوم القيامة يعذبون ، وهكذا ترى المسلمين في الأعصر المتأخرة ناموا وعكفوا وجهوا كل شئ في الدين فغلبهم الفرنجة في السياسة وفي الحروب

والحاصل أن كل من وقفت عقولهم وجدوا فانهم لا محالة مقهورون فالمدار على العلم في كل موطن في الدين والدنيا ، فاذا رأينا العلوم في هذا الزمان قد جلت الناس وألبستهم وأطعمتهم فمن ترك ذلك فهو كالعنكبوت اتخذت بيتا ، واذا رأينا المسلم يقرأ في علم التوحيد كلمات جدلية ويقتصر على الفقه ويترك مواهبه وعقله وتفكيره ونعمته ربه في سمواته وأرضه وحيوانه وحشراته وعنكبوته وهو أنه وهو يرى الأثم تحيط به وتعلم هذا كله ثم هو لا يفكر قلنا إن مثله كمثل العنكبوت وهو أثم لأنه ترك ما يجب عليه إما وجوبا عينيا أو وجوبا كفايا إن هذا المثل عجيب جدا وكيف لا يكون عجيبا وهو قد ذكر بيت العنكبوت والعنكبوت فبيت العنكبوت شبه به الأصنام المعبودة والعنكبوت نفسها من صنع الله وصنع الله يطلب النظر فيه شكر الله وتوحيده له ، ومن أعجب وأبدع ما صنع الله خلق العنكبوت ، فانظر فها أنت ذا رأيت عجائبها ، رأيت مراكبها وطياراتها ومسكنها وقناطرها فكيف كان هذا الحيوان الضعيف قد أتم الله خلقه وأكمل صنعه وجعله آية للعالمين وكيف كان أعجوبة الدهر ومثال الجبال والسموات وكيف اخترق الآفاق في الهواء بصناعاته وأبدع منسوجا خيوطه خارجات من جسمه بلا إرشاد مرشدين ولا تعليم معلمين فسبح في الهواء وجرى على الماء وبنى القناطر وربى النرية وطارد الجيوش الجرارة من الحشرات فاقتنصها وأراح منها زرعا اللهم أشهد

إني أسجل على المسلمين جهاهم بهذه المصنوعات التى صنعها والمجائب التى أبدعتها والطرق التى لنا أهديتها . اللهم إنك أنت الجليل الذى أبدعت الجبال وأظهرته في هذه الحشرة التى أتقنت الصنعة وأحكمها والمسلمون لا يعلمون . اللهم إني أذكر بهذا التفسير كل من أطلع عليه أن يبين للمسلمين حكمة ربهم وصنعه ويفهمهم انه لا معنى لشكر الله ولا حب الله ولا للاهتمام بآيات الله إلا بهذه العلوم ومعرفتها

انظر كيف كان المثل مضروبا لسخافة عقول الكافرين المحصورة فجاء فيه الأمران بيت العنكبوت ونفس العنكبوت . ولما كان النظر في أمر العنكبوت نفسها لا يخطر بالبال بل يقول الانسان إنه خارج عن الموضوع أفاد ذلك فقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام ، فهو يقول إن العلماء هم الذين يفهمون هذه الأمثال ، ومعنى هذا أن العلماء بهذه العلوم كالخشرات مع ما ينضم اليها هم الذين يعقلون هذا المثل والافلاذا يأتي بهذه الجملة بعدمسألة العنكبوت ، ولماذا يختص هذا المكان بأن هذا لا يعقله إلا العالمون ( بكسر اللام )

اللهم إن المثل من حيث انه يراد به أن الأصنام كبيت العنكبوت واضح للصبيان والمجانز لا يحتاج الى علماء ولا حكماء ، ثم زاده أيضا فقال - خلق الله السموات والأرض بالحق - وأتبعه بذكر انه آية للمؤمنين ثم تلاه بأمره بتلاوة القرآن وبالصلاة لماذا يصلى لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والمفسد بمنع القلب من معرفة جمال هذه المصنوعات الإلهية وأعقبه بقوله - ولذكر الله أكبر - ومعلوم أن التفكير في الصنعة أشرف الذكر وهو الذى رمز له بالعنكبوت ونسجه



هنا تبين الأمر وظهور فسكائه يقول هذه الأصنام المعبودة تشبه بيت العنكبوت لاثبات لها والذي ينفع الناس هو النظر في السموات والأرض ويمثل ذلك كله نفس الحشرة ، فالحشرة العنكبوتية في المثل من أبداع ما خلق الله في السموات والأرض ودقة نسجها وعجائب صيدها وقنصها واتقان الغدق التي في جسمها حتى تخرج خيوطا وغير ذلك دال على جلال الصانع وحكمته ، فالمثل فيه ضعف الصنعة واتقانها ، ضعفها من حيث مقارنتها ببيت الناس واتقانها وقوتها من حيث نظام الله العام ، ولا جرم أن هذا لا يعقله إلا العلماء والجهلاء يكتبون بظواهر القول

الله أكبر ، الله أكبر ، جلّ العلم الذي أرانا أن هذه الحشرة خلقت لتأكل الحشرات الضارة بزرعنا وهي تكون نموذجا لما يفعله الله في الأمم ، إن الأمم التي تقلّ فائدتها في الوجود وإن كثرت سلاحها وصحت أجسامها لا بد من سقوطها كدولة الرومان وكدولة الأندلس الإسلامية التي غاب عنها عقلها وعلمها وعشقت الشعر وحده وكان الرومان قد شرعوا وقتلهم الترف والبطنة فأخذتهم الأمم وإن كانت عندهم الأسلحة وافرة وهانحن أولاء نرى الأمة العربية كيف فتحت مصر بالآلاف تعدت على الأصابع مع قلة العدد والعدد وقد كان في مصر مائة ألف من الجند الروماني فضلا عن جنود القبط بمصر مع وفرة العدد ، إن الله جعل الأمم التي يقلّ نفعها أشبه بالذباب فهي مهما كثرت جيوشها وعددها مقهورة مصروعة مخدولة بأقلّ منها سلاحا كما ترى في العنكبوت الذي قات عيونته وفي الذباب الذي تعدت عيونته بالآلاف

فلما سمع صاحبي هذا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، أمأنا الآن فاني أعتقد أن هذا من أسرار القرآن التي كانت مخبوءة لهذا الزمان و يظهر لي أن هناك ما لا يتناهى وقد حجب عنا لقوم بعدنا ، لقد ذكرني هذا ما في ﴿ كتاب الايقان ﴾ للسيوطي الذي حدثتكم عنه آنفا فانه جاء فيه ما يأتي في النوع الرابع والستين « إن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وأما عقلية وأكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية لقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لأن هذه الشريعة باقية نخصت بالمعجزة العقلية ليراها ذوا البصائر كما قال ﷺ ﴿ ما من نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله اليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا ﴾ أخرجه البخاري \* قيل ان معناه أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة وخرقة العادة في أسلوبه وبلاغته واخباره بالغيبيات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون بدل على صحة دعواه » انتهى من كتاب الايقان

قال صاحبي بعد أن قصّ ما تقدم ، فأنا أرى أن ما ذكره أنت في التفسير من الذي لم يظهر إلا في العصر الحاضر ، كيف لا ونحن نرى أن مثل العنكبوت ما كان ليحتمل هذا كله ويدخل في أبواب العلوم والزراعة والسياسة وفوق ذلك . يستبين في هذا التفسير أن المثل مقصود به ذلك بدليل انه قال - وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام وهذا بلا شك يفيدنا أن ما ذكرته أنت من العلم في تفسير الآية كله مقصود القرآن ، فقلت الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات اهـ

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - ﴾

قد مرّ الكلام عليها في (سورة البقرة) عند قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى - ولكن أذكر هنا جوهره وهي

﴿ جوهره في قوله تعالى - وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - وفي حكم

خطرت لي في الصلاة صباحا يوم السبت ، ٢ يوليو سنة ١٩٢٩ ﴾

إن هيئة الصلاة في ديننا الاسلامي موافقة أعما موافقة لهذه الدنيا فاننا نرى ليلا ونهارا وشروقا وغروبا



فإذا كان النهار سعى الناس لمعاشهم وترددوا في مهامهم ، وإذا كان الليل استراحت أجسامهم وسكنت حركاتهم فهكذا في الصلاة يقول المصلي - إياك نعبد وإياك نستعين - وهذا الصراط المستقيم - الخ إذن المصلي يعبد ويستقيم بربه في كل شيء فهذا أشبه به أثناء النهار وهكذا يقول ﴿ رب اغفر لي وارحمني الخ ﴾ وذلك بين السجدين فهو في هاتين الحالتين عامل كعامل الناس نهارا ولستكنك تسمعه يقول في الرفع والاعتدال ﴿ اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا أراد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم ﴾ ويقول في الركوع ﴿ خشع لك سمعي وبصري الخ ﴾ وفي السجود ﴿ سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ فهو في هاتين الحالتين مابين واصف للنظام الجليل في جسمه وساكن خاشع لاطلب له ولاعمل ، ففي الأحوال الثلاثة للمصلي قد سكن لعمل ربه في سمواته وأرضه وفي أعضاء جسمه ، إذن هو مستغرق في ذلك الجلال فهو يلاحظ الفاعل في فعله فإن رفع رأسه من الركوع تذكر النعم العامة في السموات والأرض فنطق بالحمد عليها وقال ﴿ لك الحمد ملء السموات وملء الأرض الخ ﴾ وليس ينطق بهذا إلا بعد أن بهره جلالها فلم يبق بعد ذلك إلا أن يغيب عن شهود نفسه ويشهد صانع هذه العوالم فيقول ﴿ لا مانع لما أعطيت الخ ﴾ ذلك لأنني لما رأيت أن جسمي ماهو إلا ذرة من السموات والأرض ونعمك قد شملتهما سكنت اليك لأنك ترى بي في الدنيا تربية ألهمت المرأة نظيرها في تربية ولدها والاستاذ كذلك في تعليم تلميذه فبينما المرأة تعلم ولدها الجلوس تارة والقيام أخرى إذا هي تلقمه ثديها تارة وتنبه في المهسد أخرى . وهكذا الاستاذ بينما هو يعطي التلميذ دروسه ويلقنها له من تلقاء نفسه إذا به يقول له ففكر فيما لقنتك واكتب عليه موضوعا انشائيا . إن نظام الله واحد نهار وليل وحركات الطفل بتعليم أمه ثم انامته وراحته وعمل التلميذ بنفسه في التعلم ثم إلقاء المعلم له الدرس وراحته عقب الدرس هكذا في الصلاة تسليم لله في الرفع والاعتدال ودھش من نظام السموات والأرض وهكذا تهج من نظام الجسم في الركوع والسجود واستغرق في ذلك الجلال ثم الاجتهاد في العبادة وطلب الهداية وطلب المغفرة والرحمة في حالي القيام وفي الجلوس بين السجدين وملخص هذا كله أن هذه التربية في الصلاة موافقة كل الموافقة لنظام هذا العالم ولنظام التعليم في مدارس العالم قاطبة فترية الانسان في صلاته كالتربية المدرسية ، فليجعل المساهمون الدروس منتظمة وقتا للجد ووقتا للراحة كما تفعل الأمم وكما يفعل المصلي إذ يستغرق تارة في جلال الله وتارة يفكر بنفسه ويطلب منه الاعانة ، فإذا وجدنا رجلا ترك العمل وقال اني مستغرق في حب الله وجب تأديبه لأن هذا ينافي التربية ، وإذا وجدنا آخر لا يفكر في نظام هذه الدنيا وجمال خالقها بل أصبح مكبا على عمله قلنا له قد أخطأت ان هنا ليل وان هنا نهار وأنت جعلت حياتك كلها نهارا وقد خالفت نظام الصلاة الذي يجعلك تارة مستغرقا في نظام السموات والأرض ونظام جسمك ، وآونة تستفيق فتطلب المعونة والهداية تارة والمغفرة تارة أخرى ، وهذه نفسها حال رسول الله ﷺ ونظام القرآن ، فكان ﷺ يعمل جميع الأعمال ويكمل نتائج العمل لله ، هكذا فليفكر المساهمون وليجدوا في أعمالهم على شريطة ألا يذروا عاما ولا نظاما ولا كمالا إلا أتقنوه ثم يطمئنون لما تجرى به المقادير ، وهذا هو التوكل بعينه عمل تام واطمئنان قلب لكل ما تأتي به المقادير انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ إيضاح الكلام على الصلاة وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾

اعلم أن العلم الذي ينزله الله على القلوب كالماء الذي ينزل من السماء على الأرض فكما أن الماء لا تظهر أنواع تصرفاته ولا فنون أعاجيبه إلا باختلاطه بأجسام النبات والحيوان ونحوهما ، فهكذا الوحي الحق الذي ينزل على الأنبياء لا تظهر فنون أعاجيبه ولا صنوف حكمه إلا بأن تتناولوه عقول العقلاء وتفكر في معانيه . إذن تظهر أعاجيبه وتتهج بها القلوب . ومسألة الصلاة في الآيات وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر يعوزها البحث والتنقيب في آراء حكماء الأمم المختلفة من اليونانيين والاوروبيين وحكماء الهند وحكماء الاسلام . فإذا درسنا

ماقاله هؤلاء في هذا الموضوع استخرجنا منها خلاصة انتفعنا بها في فهم هذه الآية . ومتى تم ذلك لنأذكر كنه سرّ نهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر لأن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . وعليه تكون آراء الفلاسفة في جميع الأمم أشبه بتفسير للقرآن لأنه آيات بينات في صدورهم . وعليه يجب على المسلمين أن يفوقوا الأمم في الفلسفة حتى يظهر سرّ هذا الدين الذي لا تظهر عمرته حتى ظهورها إلا بدراسة علوم الأمم المعبر عنها بالآيات البينات في صدور الذين أوتوا العلم واذن فلنبدأ بدراسة حكماء اليونان فنقول . اقرأ ماتقدم في (سورة الشعراء) عند قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - إذ ذكرت هناك عن طبياوس الحكيم أمراض البدن وأمراض النفس وأن الثانية تابعة للأولى وأن أمراض النفس ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ فمنها ما يتبع إفراط اللذة وما يتبع إفراط الألم وما يتبع إفراط الأخلاط كالمرارة والبلغم لأنها تعطل سر بيان النفس في البدن فيكون ذلك سببا للتهوّر والجبن وجود القريحة والنسيان وهكذا

وملخص كلامه أن الشرّ غير اختياري وله ﴿ علتان ﴾ فساد المزاج وسوء التأديب ولا سبيل للخروج من هذه المآزق إلا بحفظ النفس والبدن معا وذلك برياضتهما معا ورياضة البدن بالحركات البدنية ورياضة النفس بالموسيقى . هذا ملخصه ، فاقراءه هناك

وإذا أشرت الى آراء علماء اليونان فلا تتبعه بآراء علماء أوروبا وهو ماتقدم في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - ولا تقر بوهن حتى يطهرن - وهذا نص ما ذكره العلامة (بنّام) الانجليزى في أصول الشرائع ﴿ ان هناك علاقة بين نظافة الجسم واعتدال الملكات النفسية وهذا الارتباط لاحظته كثير من المؤلفين فان النظافة تبعد الكسل وتحمل المرء على التحرز في أفعاله والتمسك بالوقار في أطواره والرابطة بين نظافة الجسم وطهارة النفس شديدة جدا حتى إن شرائع المسلمين حثت عليها حثا كليا وجعلتها من الواجبات الأولية وقد ذكر في نفس كتابه أن هذا من محاسن الدين الاسلامي وقد رتب على هذا ﴿ أمرين ﴾ وجوب نظافة المسجونين وجوب وضعهم في عمل من الأعمال لأن المذنبين عنده هم القذرون أجساما الذين لا عمل لهم ، فتي نظفوا وعملوا قلت جرائمهم . انتهى ما نقلته عن بنّام الانجليزى

وأما ماقاله علماء الهند فذلك انى قرأت في كتاب ﴿ راجا يوقا ﴾ المترجم من الهندية الى الانجليزية سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٩٦ أن الانسان يجب عليه أن تكون له رياضة خيالية بحيث يتذكر في كثير من الأوقات الصور الجميلة التي لا تثير شهوة يريد بذلك الأزهار والكواكب وجمال الابداع والنظام وأن ذلك يقوى النفس ويرقيها . وأما ما قاله علماء الاسلام فهو ما ذكره العلامة ابن سينا في أواخر كتاب الاشارات أن الذي يرقى بالنفس الى معاليها الصوت اللطيف والعشق العفيف والعبادة مع الفكر ، ومعنى العشق العفيف عشق الصفات والكمال والأخلاق لا عشق الصور . هذا ما أردت نقله لأشرحه فأقول

تبين من هذه الأقوال أن هذه النفس مع الجسم لا يتركان سدى ، ذلك انهما تتجا من عوالم كلها متحركة فالملائكة المحركات للعوالم العالوية لا تفتر لحظة والسموات المرسلات أنوارها لا تنام والعالم كله حركة ونظام ، فهنا نفس وههنا جسم يطلبان كاهلما ، فأولا لابد من النظافة كما قال (بنّام) وهذه النظافة قد أصبحت ركنا في تربية الأمم وتعليم المسجونين لتدفع عنهم الكسل وسوء الخلق وبها تقل الجرائم والذنوب وهذا السر ظهر في قوله تعالى - إن الله يحب المتطهرين - لأن بين التوبة والطهارة علاقة متينة كما تقدم ، ثم إن الصلاة أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير مختمة بالتسليم وهذه الأفعال حركات وهذه الأقوال دالة على معان . فهنا رياضتان لطيفتان رياضة جسمية ورياضة عقلية . وإذا وضعت قول ابن سينا مع قول طبياوس الحكيم نتج لنا أن رياضة النفس لا تقتصر على الموسيقى كما قاله طبياوس بل تشمل الفكر الذي نحويه العبادة كما قاله ابن سينا وتشمل الصور البهجة السماوية كما قاله علماء الهند وعليه تكون الصلاة مبدءا

﴿لأمرين﴾ رياضة البدن ورياضة النفس فشكل منهما لا بد له من حركات والصلاة اشتملت على مبادئهما فإذا أتمَّ المسلم الصلاة فليتمَّ رياضة الجسم بكسب المعاش أو فليمش نحو ساعتين كل يوم كما يقول الأطباء في زماننا . فإذا كان الطبيب يأمرنا بالمشي الذي لا تعقل فيه فهذه هي هذه الصلاة اجتمع فيها حركة الفكر وحركة الجسم وهذا أفضل . ألا ترى إلى ما يقوله علماء الطب وقد تقدم في هذا التفسير أن التمارين الجسمية والألعاب الرياضية التي شاعت في الأمم الآن أدنى مراتب الرياضة البدنية لأنها لا تفكر معها . فأما العمل في البساتين والحقول فإنه أعظم الرياضات ويليه المشي وأسفل الجميع تلك الألعاب

إذن ظهر أن الصلاة أعطيتنا ﴿درسين﴾ درس رياضة الجسم ودرس رياضة النفس ومتى انتظم هذان الأمران أصبح الإنسان قليل الذنوب قليل الشرور فإن الشرور لا تنجم إلا من قذورات الأجسام والطهارة في الصلاة تمنع ذلك ومن عدم الرياضة البدنية والرياضة النفسية كما قاله طيماوس وهاتان الرياضتان اشتملت عليهما الصلاة بحركات الجسم وحركات النفس إذ يقف المصلي يفكر في السموات والأرض حين يقرأ - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - الخ فهنا تحضر في نفسه تلك العوالم الجيلة فتقوى روحه وتشرح صدره وهكذا يفكر في العوالم العلية والسفلية عند آية - الحمد لله رب العالمين - ويتعجب من الرحمة الواسعة عند قوله - الرحمن الرحيم - وهذه الرحمة لا حد لها في كل حشرة وطيور وأنعام . وهكذا يفكر في خلق جسمه وأعضائه وسمعه وبصره عند الذكر في الركوع والسجود إذ يقول ﴿خشع لك سمعي وبصري الخ﴾ ويقول ﴿سجد وجهي الخ﴾ فإذا أتمَّ المسلم صلاته اتجه للأعمال في حياته الدنيوية فتكون على منوال ما في الصلاة وتنصرف نفسه للعمل الجسمي والعمل العقلي وهنالك تنصرف عن الشر إلى الخير

#### ﴿بهجة هذا المقال﴾

اعلم أن أفلاطون في جمهوريته يقول ﴿إن حكام الجمهورية لا يكونون عادلين إلا إذا افتتحت عيون بصائرهم ولا يتم ذلك إلا بعشق العلوم والمعارف لأن النفوس مفرمة بالشهوات البدنية أولاً وبالذات كالمطاعم والملابس والمشارب والشهوات الغضبية كالفتك بالأعداء ، فهاتان القوتان هما المسيطرتان على نفوس الناس فإذا لم يفتح للحكام باب اللذة العقلية بعشق العلوم فانهم لا محالة ينصرفون إلى اللذتين السابقتين فيشاركون المحكومين لهم في أعراضهم وأموالهم ، ولا خروج للحكام من ذلك الظلم إلا بتلك الخلعة الشريفة﴾ هذا ملخص كلامه في جمهوريته

وأنا أقول ﴿إن ملخص الصلاة مفتاح لجميع العلوم فاقرأه فيما كتبناه في (سورة آل عمران) فإن المسلم في الرفع والاعتدال يذكر السموات فيقول «مل السموات ومل الأرض ومل ما بينهما الخ» وعند الركوع والسجود يفكر في أمر جسمه وتشرجه . فإذا كان المسلم في كل يوم يتذكر هذه العوالم فليس لهذا معنى إلا حب البحث فيها وهذا هو الذي يخرج نفسه من حبس الشهوتين إلى حب العلم وهو صفة القوة العاقلة كما يقوله أفلاطون الله أكبر . ظهر سر هذه الآية الآن . فالنظافة تمنع الذنوب وأذكار الصلاة تفتح أبواب العلم المانعة من الشهوة والغضب وهكذا ، فظهر إذن قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - أي بنظافتها وحركاتها الجسمية وحركاتها العقلية

#### ﴿تطبيق على ما تقدم﴾

( سبب اسلام الاستاذ عبد الله كويل الانجليزى )

لقد كان لإسلامه تاريخ وضعه هو في كتاب وقد ذكر لي بعض الأصحاب ملخص ذلك الكتاب . قال «لقد عتراني مرض فعرضت نفسي على الأطباء فقاتلوا لي لا بد من أنك تسافر إلى أقطار حارة كبلاد الجزائر فتوجه إليها وخالط أهلها فوجدتهم يتوضؤون ويصاؤون فسألهم ما هذا ؟ فقالوا هذا أمر واجب شرعاً فترك العاتة

وأخذ يسأل العلماء عما يفعل المسلمون فهاهو قواعد الدين الاسلامي فدهش وقال يا عجبا ، إن هذا الوضوء خمس مرات في اليوم انما هو نصف اغتسال لأنه غسل أطراف الجسم ولم يبق من الانسان بلاغسل إلا الجذع هنالك أخذ يدرس هذا الدين وقال ان هذه النظافة هي الصحة بعينها وسلامة الجسم بعينه والأطباء يجعلون هذا أول علامة على قوة الأجسام وسلامة العقول ، وما كاد يرجع الى بلاده حتى أخبر زوجته وأفهمها حقيقة الاسلام وبين لها فوائد الاغتسال والوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحج وقال ان هذا صالح لرقى الانسانية جمعاء فأسمعت معه ، ثم قال لها لنعرض هذا الرأي على فلان وفلانة من أصحابهما فعرضه عليهما فقبلا وهكذا اجتمع له من أصحابه طائفة وأعلنوا اسلامهم ، فلما سمع بهم الخبر ان سطا عليهم الغوغاء وصاروا يقذفونهم بالحجارة ويعبرونهم بأنهم مسلمون ، ولما كان هو من رجال القانون المشهورين رفع دعوى على الملكة فكتوريا يقول فيها أنت ملكة انكلترا ، فهل ملكك خاص بالنصارى أم هو شامل لأهل جميع الأديان ؟ فما كادت الدعوى ترفع في المحكمة ويصل الخبر الى الحكومة حتى بادرت الشرطة خافطوا عليه وعلى أصحابه ومنعوا الغوغاء عنهم »

ثم قال « وبعد ذلك سمع بنا أم الاسلام فأخذوا يرموننا بالنفاق والرياء وانما أسامنا لنفث المسلمين باسلامنا فندخلهم تحت حكم دولتنا ، قال فقلنا لهم ، أيها المسلمون . نحن لم ندخلكم تحت حكمنا بنفاقنا بل حكمنا كم بمدافعنا وجيوشنا »

هذا ما عرفته من ملخص سيرة الاستاذ (عبد الله كويل) الذي يعتبره الناس شيخ الاسلام في بلاد الانجليز وقد كان اسلامه قبل اسلام صديقنا (الورد هيدلي) الذي كان سبب اسلامه انه قرأ الاسلام والديانات فراه خيرها فأسلم ونشر اسلامه في أوروبا ودعاها الى الاسلام . وقد نقلت من كتابه قطعة في سورة مريم قد ذكر فيها أن الألمان كشفوا سنة ١٩٠٣ كتابة في بلاد العراق ملخصها أن الكشف الحديث أثبت أن الصلب وابن الله البكر وأمثال ذلك ماهي إلا خرافات سرت للأئمة المسيحية من ديانات كانت في العراق وهكذا فاقرأه هناك والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد ٢١ يوليو سنة ١٩٢٩

### ( الصلاة اليوم في بلاد الاسلام )

لأقص اليوم أيها الذكي عليك قصص ما علمته من الصلاة في بلاد الاسلام وسأجعل ذلك فصولا وهاك بيانها

(١) فأولا أذكر مدار من الحديث بيني وبين التلاميذ بالمدرسة الخديوية

(٢) أذكر ما كتبه كاتب انجليزى أيام النهضة المصرية ومطالبة البلاد المصرية بالدستور أيام الخديوي

السابق عباس حلمي باشا

(٣) وحكاية معلم ولّى عهد البلاد المصرية أيام كانت تحت حكم الخديويين

(٤) وما قصه على أستاذي الشيخ حسن الطويل

(٥) حديث عن أهل سيلان

(٦) وما ذكره (هنري الفرنسي)

(٧) وصدق العلم في الجامع الأزهر ومخالفة العادات في بلادنا لهذا الدين

(٨) وطريقة الوهابية ببلاد نجد والحجاز

الفصل الأول في ذكر مدار من الحديث عن الصلاة بيني وبين تلاميذ المدرسة الخديوية وأنا مدرّس لهم

ذلك أتى يوما ما سمعت أن وزير المعارف جمع المدرسين وأخذ يكلمهم في أمور عامة فتصادف أن

أحد المدرّسين قام ليصلي المغرب إذ حان وقت صلاة المغرب فقال ما هذا ؟ أريد أيها الاستاذ أن تظهر أنك أنت

المتدين ونحن لادين لنا ، ماهذا ؟ ولماذا لا تؤخرها . وقال في مجلس آخر « إن الصالحين في الاسلام يسهرون الليل ليصلوا وهو مخالف للصحة » فلما سمعت هذا القول خطر لي أن أحداث التلاميذ في هذا الموضوع فقلت « أيها الأبناء اننا اليوم أرقى من قبلنا فالحمد لله الذي رفع عنا الاصر وأزال عنا الضر فأصبحنا بفضل المدينة الحاضرة أعلى كعبا في المدينة وأعز ناصرا وأكثر عددا ومالا وولدا ، كيف لا ونحن نحافظ على صحتنا وننام طول الليل كما يقتضيه علم الصحة ، أما تلك الطائفة القديمة من أمم الاسلام فانهم كانوا لا يحافظون على صحتهم ويسهرون طول الليل تعبدا وبأكون ما خشن من الطعام ولا يسعدون سعادتنا التي نلناها على يد الاوربيين المتدنيين أولئك الذين فتحوا لنا المطاعم والمشارب وأنواع اللذات فأكلنا وشربنا وتمتعنا بكل لذة وأصبح النابغون وغير النابغين في بلادنا يكرعون الجرنهارا جهارا وهم في فرح وسرور ولا ينهي أحد أحدا ولا ينجعل الشارب ولا الزاني ولا غيرهما ، كل ذلك للعصرية الواسعة النطاق بفضل هذه المدينة المباركة »

كل هذا وهم سكوت كأنما على رؤسهم الطير ، ثم قلت ولست عندي مسألة واحدة وهي كيف نكون نحن على هذا المقام من العظمة والأبهة ونرى اننا عبيد لكل الأمم فان جميع أوروبا لها امتيازات عندنا ومن قتل منا لاديه له لأن محاكمهم هي التي تحكم ولا راد لحكمها لضعفنا وقوة تلك الأمم ، أما هؤلاء فقد حكموا أكثر تلك الأمم وهابها الجميع . أما أنا الآن فاني متحير في المسألة . أما الرقي فنحن والحمد لله راقون وأما الذل فهو نصيبنا والعز نصيبهم . ههنا يا أبنائي حار فكري . نحن لا نتقيد بقيد من شرع ولادين ثم نذل وهم لا يتمتعون مثلنا ولستهم أعزاء فما قولكم ؟ فقام شاب فيهم يسمى (بهنساوى) فقال إنك قد فتحت هذا الباب وقد أثرت في نفوسنا تأثيرا عظيما ولكن هل تظن أن مجلسا واحدا كهذا يغير أخلاقا وعادات ورثاها عن الآباء والأمهات والمدرسين ونظار المدارس . نحن تعلمنا في الابتدائي والاصلا هناك ثم تعلمنا في التجهيزي الآن وهانحن أولاء معك والاصلا أيضا . وكيف نصلى والصلاة عندنا عار . إن التلميذ الذي يصلى يسخر منه اخوانه ألا وان النساء في المنازل يفعلن ما نفعل تماما . فالمرأة المصلية يعتدونها أقلهن كمالا وشرفا لانتسابها للدين هنالك نظر اليه التلاميذ جميعا نظر الشمر وردوا عليه وقالوا اسكت لقد كذبت في قولك . فقال لهم وهل تظنون أن الاستاذ لا يعلم ذلك ؟ ألم يرهو المصلى هنا وقت الظهر لا يصلى فيها عدد الأصابع من التلاميذ والمدرسة فيها مئات ومئات . فقلت دعوه فمد نطقى بالواقع وما قاله هو الذي أعرفه في بلادى

هذا ماجرى بيني وبين التلاميذ بالمدرسة الخديوية في حصة يسمونها المحادثة (أو الانشاء الشفهى) الذى يذكر الاستاذ موضوعا يجعله حديثا بينه وبينهم . وبهذا تعرف أيها الذكى حال بلادنا المصرية في هذا الزمان ولقد كان هذا قبل كتابة هذه الأسطر بشحو (١٤) سنة . أما الآن فقد تحولت الحال قليلا حتى ان الشبان جعلوا لهم ناديا سموه « جمعية الشبان المسلمين » وانتشرت هذه الفكرة من مصر الى بلاد الاسلام وأنا والحمد لله صليت معهم وقد أصبح رقيبها بمصر من أحد تلاميذى بالمدرسة الخديوية . ومن عجب انه موقن بالاسلام ومحب للصالح ويصلى بالليل والناس نيام وله حكم عجيبة واسمه (يحيى السردير) وقد مكث في ألمانيا (١٢) سنة يكرع من موارد العلم ورجع مغرما بالاسلام غراما لا حد له . انتهى الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثانى فيما كتبه كاتب انجليزى أيام مطالبة بلادنا المصرية بالدستور ﴾

ذلك أن البلاد من أقصاها الى أقصاها في أول القرن العشرين تحركت لطالب الحرية الداخلية وأخذت الجرائد في انكاثرا تنقل عن جرائدنا ما يقوله المصريون فكتب كاتب انجليزى يقول « لا يصح للانجليز أن يخرجوا من مصر إلا اذا أصبح الخاصة والسياسيون وأهل الرأى في البلاد فى الأخلاق والعواطف كالفلاحين انى جبت هذه البلاد فرأيت طبقة الفلاحين والجهلاء والخدم عندهم عطف على الأرحام والمساكين وذوى الحاجة ويوقنون بالعقيدة ويخافون ربهم ، أما هذه الطبقة المتعلمة بمصر فانها تذر الدين وتتركه والتلاميذ

دائماً يقلدون أساتذتهم والأساتذة ﴿قسمان﴾ قسم من شيوخ دارالعلوم ، وقسم من متعلمي المدارس الأخرى أما الشيوخ فاتهم حين يلقون الدرس الديني لا يلتفت إليهم التلاميذ لأنهم يرون ناظر المدرسة لا يبالي بهذه الأمور والعبادات ويضرب بها عرض الحائط وهو لها من السكرهين فكيف نسلم البلاد لأقوام لا خلق لهم ولا كمال » أقول وهذا مغالطة فإن هذا التحول عن الفضائل إنما جاء لمجاراتهم واتباع نضائهم وكيف يصلي الوزير أو الأمير أمام حاكم إذا رآه كذلك حقره وأضرله سوء طول الحياة . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في ذكر ما قصه عليّ والد أحد المعلمين لوليّ عهد الخديوي عباس ﴾

قال إن وليّ قد اختاره الخديوي مرييا لوليّ العهد وقد قصّ عليّ حديثاً فقال « كنت يوماً جالسا مع فيلسوف بوذي عند ناظر مدرسة فرنسي فقدم لنا ذلك الفرنسي القهوة فلم أشرب فسأني ناظر المدرسة قائلا لماذا ؟ فقلت لأنّي صائم . فقال وهل أتم لا تزالون خاضعين لهذه الأوهام . أيّ صيام وأيّ صلاة . دعوا هذه الأوهام ليرتقي الشرق والشرقيون وما أضرت أهل الشرق إلا الأديان ومثلك راق مهذب فعليك أن تنصح أهل بلادك بنبذ هذه الترهات وانظروا إلى أوروبا تركت الدين فملكك رقاب العالمين . فلما أراد القيام قال له الفيلسوف البوذي قابلي ياسيد أفندي يوم الأحد عند كنيسة كندا . فلما قابله يوم الأحد دخل الكنيسة فرأى قوما يصلون وبقياً هناك نحو ساعة فلما خرجا معا قال له الفيلسوف البوذي قد لاحظت هنا شيئاً فقال من أيّ وجه قال ألم تر ناظر المدرسة يصلي مع المصلين فقال إيّ وربي إنه لحق فقال أليس هو القائل لك دعوا هذه الخرافات فقال السيد أفندي له نعم فقال أتدري لم قال لك ذلك قال من فك أحلى فقال إن هؤلاء القوم يريدون أن يذمّوا لنا أديان الشرق لنتركها ومتى تركناها انحلت قوانا وذهبت رابطتنا وحينئذ يحتلون بلادنا فهؤلاء القوم عقدوا الخناصر على هذا فهم له أبدا ساعون . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فيما قصه عليّ أستاذي الشيخ حسن الطويل في هذا المقام ﴾

وقبل أن أذكر حديثه رحمه الله تعالى أقدم مقدمة فأقول

إن البلاد المصرية قد حكمها المرحوم محمد علي باشا ولم يكن في البلاد أكثر من ثلاث ملايين وهؤلاء كانوا يصلون ويصومون وكانت المدارس كلها أستاذاً أو تلميذاً قائمين بشعائر الدين في بلادنا وفي أوروبا وأمكنه بهذا العدد القليل أن يملك بلاد الحجاز ونجد وأكثر بلاد العرب وهكذا بلاد السودان وزحف بجيوشه على بلاد الترك لولا توسط أوروبا ، فلما مات المرحوم محمد علي باشا وإبراهيم ابنه ملك البلاد بعده بعض عقبه فغيروا الأوضاع وترك بعضهم الصلاة واتبعوا الشهوات فانحلت العصبة وكان هذا تمهيداً لاحتلال الانجليز هذه البلاد . فانظروا حدثني به أستاذي الشيخ حسن الطويل

قال رحمه الله تعالى ﴿ لقد كانوا أدخلوني في زمرة الجند وارتقيت إلى جاويش وقد كان أستاذي بالأزهر علمني دعاء أدعوه لتفريج الكرب ، قال فلما كنت بالجيش في الاسكندرية أخذت أقرأ هذا الدعاء وأدعو الله أن يخرجني من زمرة هذا الجيش . قال وكانت هناك أوامر من الخديوي أن كل من صلى أو أظهر العبادة يعاقب فلما علموا بأنّي أدعو الله بهذا الدعاء أنزلوني درجة وعاقبوني بأن أحلّ سلاحى وعتادى وأرجع من الاسكندرية إلى مصر ثم رفتوني ، قال رحمه الله وقد جهل هؤلاء أن هذا الرفق هو مطلوب الدعاء الذي كنت أدعوه ﴾

أقول هذه حال الجيش وحال المصريين بعد أيام المرحوم محمد علي باشا فكان ذلك توطئة لما نحن فيه الآن وقد كانت هذه الفكرة آتية لهم من أهل فرنسا إذ قالوا لهم إن الديانات تؤخر الأمم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون - انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس في حديث محمد بك عرابي نجل المرحوم أحمد عرابي باشا عن أهل سيلان ﴾  
لما رجع المرحوم أحمد عرابي باشا الى مصر بعد النفي وقد هرع اليه الناس يسلمون عليه قابلت ابنه ودار  
الحديث بيننا على أهل سيلان فقال ﴿ إن صلاة الجماعة أمر حتم على كل مسلم والرئيس الديني هناك يتفقد  
كل مسلم في صلاة الجماعة فاذا تأخر شاب عن الصلاة أحضره أكابر البلد وأنذروه أول مرة فان عاد عادوا  
الى الانذار فاذا كانت الثالثة حكموا عليه بالاعدام . قلت وهل ينفذ . قال نعم . قلت وماذا يفعل الانجليز ؟  
قال لودخل عند (الملسكة فسكتوريا) واحتجى بها لأخرجوه وقتلوه ولا يردون أمر الشرع ﴾ فهجبت وكنت  
أظن أن بلادنا اذا تركت الصلاة فما هو إلا بحجارة للأدور وبين واذن تمثلت بقول من قال  
دواؤك فيك وما تشعر به دواؤك منك وما تبصر

﴿ الفصل السادس فيما قرأته في كتاب «خواطرو سوانح في الاسلام» للعلامة (هنري  
الفرنسي) الذي ترجمه المرحوم الاستاذ فتحى باشا زغلول ﴾

قال كنت ضابطا على جنود من أهل الجزائر وكنا يوما مسافرين لأعمال الدولة ، قال فيينا الجندي راكبون  
وهم يغنون غناء عربيا ويشيرون نحوى بالحجة والاحلال في أثناء النغمات اذا أنا بالعصر قد حضرت صلاته  
فترجلوا عن خيولهم ونزلوا واستقبلوا القبلة وقالوا بلسان واحد ﴿ الله أكبر ﴾ فسمعت كأن الخيل والجبال  
والأودية والأنهار والرمال كلها تقول ﴿ الله أكبر ﴾ واعترانى الخجل أن أسمع قوما كهؤلاء يعظمون الله  
ويقولون في أنفسهم اننى كافر بالله فكذبت أنطق وأقول لهم يا قوم أنا أيضا أعبد الله . قال وهناك تغيرت حالى  
وأخذت أبحث في دين الاسلام وتوجهت الى المساجد فوجدت عليها نورا وبهجة وجالا وبسطة تشرح الصدر  
فأخذت أدرس هذا الدين فراغنى جماله وبهجته ، ولولا ضيق المقام لنقلت منه فصولا لتليق بالمقام ولكن عسى  
أن أذكره في مقام آخر . انتهى الفصل السادس

﴿ الفصل السابع والثامن في صدق العلم في الجامع الأزهر ومخالفة العادات لحقائق الدين في  
زماننا وفي طريقة الوهاية ببلاد الحجاز وبعض بلاد الاسلام ﴾

اعلم أن ماسمعه الآن عن بلاد (سيلان) له نظير في بلاد (بلوخستان) فلقد قرأت في بعض الجرائد  
عن سائح ألماني قال ﴿ لم أجد سعادة أوفى ، ولا عزاء أبهى ، ولا كمالا أرفع ، ولاراحة أعظم ، مما رأيته في  
بلاد (بلوخستان) قال فهؤلاء يعبدون الله على مذهب الامام الشافعى ، فاذا كانت صلاة الصبح حضر الرجال  
والنساء والصبيان الصلاة وأخذ الاستاذ يلقي النصائح الدينية ثم اذا طلعت الشمس رجعوا وهم مستبشرون ﴾  
قال ﴿ والمرأة هناك مكبة على عملها قائمة بالواجب عليها بيتها نظيف وعرضها نظيف وزوجها عفيف ولم نسمع  
بالزنا في بلادهم سنين وسنين بخلافنا نحن فقد يجد الرجل منا أن ابنه يشبه جاره ولا يقدر أن ينبس بنت  
شقة . وأقول ثم إن الوهايين بنجد والحجاز اليوم يقيمون الصلاة في أوقاتها وهم بالدين موقنون ، واعلم أن هذه  
كلها تدرس في الجامع الأزهر الشريف ، ولكن الطالب الذى يقرأ هذا في درسه يخرج فيجد عادات بلاده  
تخالفها في زماننا فلا يقدر على تغيير الأحوال فيصبح على طبع أهل بلاده ﴾

هذا ما أردت ذكره في هذا المقام تبصرة وذكرى لأولى الألباب والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم  
الخميس ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٩

( الأحاديث النبوية في فضائل الصلاة )

جاء في كتاب « إحياء علوم الدين » للامام الغزالي ما نصه

﴿ فضيلة المكتوبة ﴾

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا - وقال ﷺ ﴿ خمس صلوات كتبهن



الله على العباد فمن جاء بهنّ ولم يضع منهنّ شيئاً استخفافاً بحقهنّ كان له عند الله عيّد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهنّ فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة ﴿ وقال ﷺ ﴾ مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فباترون ذلك يبقى من درنه قالوا لا شيء قال ﷺ فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن ﴿ وقال ﷺ ﴾ إن الصلوات كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر ﴿ وقال ﷺ ﴾ بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما ﴿ وقال ﷺ ﴾ من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعأ الله بشئ من حسناته ﴿ وقال ﷺ ﴾ الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين ﴿ وسئل ﷺ أي الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها \* وقال ﷺ ﴾ من حافظ على الخمس بكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان ﴿ وقال ﷺ ﴾ مفتاح الجنة الصلاة ﴿ وقال ﷺ ﴾ ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شئ أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكم ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد ﴿ وقال النبي ﷺ ﴾ من ترك صلاة متعمداً فقد كفر ﴿ أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة أنه بلغها ودخلها \* وقال ﷺ ﴾ من ترك صلاة متعمداً فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام ﴿ وقال أبوهريرة رضي الله عنه « من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى الصلاة فانه في صلاة ما كان يعتمد إلى الصلاة وانه يكتب له بأحدى خطوتيهِ حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة ، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً ، قالوا لم يا أبا هريرة قال من أجل كثرة الخطأ » \* وروى أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله \* وقال ﷺ ﴾ يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب \* وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة \* وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول « اذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فاطفئوها »

### ﴿ فضيلة إتمام الأركان ﴾

قال ﷺ ﴿ مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ﴾ وقال يزيد الرقاشي « كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة » وقال ﷺ ﴿ إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض وأشار إلى الخشوع \* وقال ﷺ ﴾ لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده ﴿ وقال ﷺ ﴾ أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه حمار ﴿ وقال ﷺ ﴾ من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ، ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه ﴿ وقال ﷺ ﴾ أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته \* وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه « الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين »

### ﴿ فضيلة الجماعة ﴾

قال ﷺ ﴿ صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ﴾ وروى أبوهريرة أنه ﷺ فقد ناساً في بعض الصلوات فقال لقد هممت أن آمر رجلاً يصل بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم \* وفي رواية أخرى ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم ثم يحرم



الخطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سميئا أو صرمانين لشهدها يعنى صلاة العشاء \* وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا ﴿ من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة ﴾ وقال عليه السلام ﴿ من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة ﴾ \* وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد \* وقال محمد بن واسع ﴿ ما شتهى من الدنيا إلا ثلاثة ، أذا إن تعوجت قومي ، وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة ، وصلاة في جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها ﴾ \* وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما صرة فلما انصرف قال مازال الشيطان فى أنفا حتى أريت أن لى فضلا على غيرى لأؤم أبدا \* وقال الحسن ﴿ لاتصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء ﴾ وقال النخعي ﴿ مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه ﴾ وقال حاتم الأصم « فاتنى الصلاة فى الجماعة فعزأتى أبو اسحق البخارى وحده ولومات لى ولد لهزأتى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا » وقال ابن عباس رضى الله عنهما « من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير » وقال أبو هريرة رضى الله عنه « لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب » \* وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقبل له إن الناس قد انصرفوا فقال - إنا لله وإنا اليه راجعون - لفضل هذه الصلاة أحب الى من ولاية العراق \* وقال عليه السلام ﴿ من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لاتفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ﴾ ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالشجر الذى ترى فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم ؟ فيقولون كنا اذا سمعنا الأذان قمنا الى الطهارة لانشغلنا غيرها ، ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ، ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان فى المسجد \* وروى أن السلف الصالح كانوا يعزّون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزّون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

### ﴿ فضيلة السجود ﴾

قال رسول الله ﷺ « ما تقرب العبد الى الله بشئ أفضل من سجود خفى » وقال رسول الله ﷺ « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة » وروى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال ﷺ أعنى بكثرة السجود \* وقيل ﴿ أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا ﴾ وهو معنى قوله عز وجل - واسجد واقرب - وقال عز وجل - سيأهم فى وجوههم من أثر السجود - فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود \* وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح \* وقيل هى الغرراتى تكون فى وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء \* وقال عليه السلام « اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان بيكى ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فى النار » وروى عن على بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجدة \* وروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب ، وكان يوسف بن اسباط يقول ﴿ يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فابق أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى وبين ذلك ﴾ \* وقال سعيد بن جبيرة ما آسى على شئ من الدنيا إلا على السجود \* وقال عتبة بن مسلم ﴿ ما من خصلة فى العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل ، وما من ساعة العبد فيها أقرب الى الله عز وجل منه حيث يخرّ ساجدا ﴾ وقال أبو هريرة رضى الله عنه ﴿ أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك ﴾

هذا نص ماجاء في ﴿ الإحياء ﴾ ومهاوم أن في الإحياء أحاديث ضعيفة ولكن أجاز العلماء إيراد الضعيف في فضائل الأعمال اهـ

### ﴿ الفاتحة وعلوم الحكمة ﴾

( سائحة يوم السبت ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٩ هـ )

لم يكن ليخيل الى يوما ما أن تصبح الفاتحة بالنسبة للقرآن وعلوم أهل الأرض أشبه بفن المقولات بالنسبة لعلوم الحكمة ولكن هذا الخاطر فاجأني اليوم مفاجأة بهجوم عقلي أوجب عليّ أن أشرحه فأقول  
إني لأعلم أن النادر من قراء هذا التفسير يعرفون المقولات لأن المقولات انما جاءت في الفلسفة القديمة والفلسفة القديمة مهجورة بل الذين درسوها من المسلمين ينظرون للمقولات المذكورة نظره إلى مستصعب الامور فهي غامضة المعنى ولكنني قد شرحتها في كتابي المسمى ﴿ بهجة العلوم ﴾ في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم الحديثة وهذا الكتاب تحت الطبع الآن ، وليس هذا المقام مقام الأطناب فيها ولكنني سأريها لك الآن بطريق سهل ثم أقفي بعدها بمقاصد الفاتحة وهناك يتجلى لك أن الفاتحة لها حظ من اسمها فهي فاتحة القرآن والعلوم وهكذا المقولات فيها ملخص علوم الحكمة باجتماع - كماء الشرق والغرب وهي الآن تدرس في جميع أنحاء أوروبا وللخواص هناك بلغاتهم المختلفة . المقولات هي كلمات عشر وتلك الكلمات العشر يرجع اليها كل علم من علوم الرياضة والطبيعة وسائر العلوم وهي الجوهر والكيف والاضافة والمكان والزمان والوضع والملك والفعل والانفعال

(١) فالجوهر يشمل كل مائزاه من المادة كالانسان والحيوان والجماد والكواكب وهكذا  
(٢) والكيف يشمل علوم المقادير من الحساب والهندسة والجبر والفلك وعلوم المساحة وهكذا كما أن الجوهر يشمل العلوم الطبيعية جميعها ، فعلم المعدن والنبات والحيوان وطبقات الأرض كلها ترجع للجوهر  
(٣) والكيف يرجع الى كل ما نحسه بحواسنا الخمس من الألوان والأصوات والمذوقات والمشعومات والملموسات وهكذا كل ما نحس به في نفوسنا من الجوع والشبع والحزن والفرح والعلم والجهل والأخلاق الفاضلة والأخلاق النازلة وهكذا

(٤) والاضافة كل شيئين يلزم أحدهما الآخر كالأبوة والنبوة وهكذا  
(٥) و (٦) والمكان والزمان يشملان علوم الجغرافيا وحساب السنين والأشهر والدهور  
(٧) والوضع مثل هيئة الانسان في جلوسه ونومه وهيئة الهواء والضوء والماء والأرض وانتساب كل واحد منها الى الآخر بهيئة خاصة

(٨) والملك مثل كل ما يملكه الانسان  
(٩ - ١٠) والفعل يشمل كل مؤثر في غيره كاحراق النار وتبريد الثلج والماء وهكذا والانفعال كاحتراق الخشب وبرودة الماء وهكذا

هذه هي المقولات التي شرحت معناها شرحا وجيزا وقد علمت انهم أجعوا أنه لا علم من العلوم إلا وهو مندرج فيها ويقولون انها أشبه بالرياض الزاهرات ذات الفصوص والأزهار والأنمار  
كلمات عشر عبر بها الحكماء عن جميع العلوم حتى ان الصناعات كلها ترجع الى مقولة الفعل والأمراض والفرح والحزن ترجع الى مقولة الانفعال وهكذا ، فهذه المقولات العشر نظايرها سورة الفاتحة ، وأنت خير أن معاني الفاتحة قد تقدمت عند تفسيرها ، وهناك قد دخلت كل علوم الأمم مثل ان (العالمين) يشمل العالم العلوي والسفلي ولفظ (رب) من - رب العالمين - يشمل كل علوم التربة في العالم كله وهكذا فالرجع الى تفسيرها هناك فانك تجد الفاتحة أشمل لجميع العلوم من فن المقولات ، وعليه أصبح المسلم يتلو صباحا ومساء كلمات هي

مفاتيح العلوم ، المسلم في قرأته الفاتحة تعبداً وهو غافل عن علومها أو بعضها خير ممن يقرأ المقولات العشر ويقول في كل وقت من الأوقات ﴿ جوهر . كم . كيف . الخ ﴾ وهو لا يعقل معناها ، ولو أن رجلاً أخذ يتلو هذه الكلمات العشر صباحاً ومساءً على مسمع من الناس لعدّوه قليل العقل لأنها غير معقولة ولا مفهومة إلا للناذر من الناس . أما الفاتحة فعناها الظاهر يكفي العابد في عبادته بل توجهه لله بها وإن كان لا يدري معناها كاف في العبادة ، والحكماء حين يتلون الفاتحة يحضر لهم أجمال العلوم كما تحضر العلوم كلها في المقولات العشر . إذن وضع الفاتحة أرقى في جمع العلوم من وضع الفلاسفة . الفلاسفة يضعونها في كلمات لا يعقلها إلا الخواص والفاتحة تفيد العامة عبادة والخاصة تذكرة للعلوم كلها والحمد لله رب العالمين

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن - الخ ﴾

تقدم في (سورة النحل) عند قوله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - أن الناس ﴿ ثلاثة أصناف ﴾ صنف هم العامة وهؤلاء لا ينجع فيهم إلا الوعظ وذلك بما يرغب ويرقق القلوب ويفرحها بضرب الأمثال وذكر الحوادث والمشوّقات والخيفات من الجن والنيران وما في معناها وصنف هم العقلاء وأرباب الفكر وهؤلاء لا تكفيهم المواعظ بل لا مندوحة من إعطائهم البراهين القولية والأقوال الحكمية حتى يستقر إيمانهم ويثبت يقينهم ، وصنف هم قوم لا هم مع العامة ولا مع العقلاء والحكماء وهم أهل الجدل كأهل الكتاب فانهم قوم متقلدون لا مفكرين لأن كل من نشأ على دين يعسر عليه الاقتلاع عنه فهؤلاء لا تنفعهم المواعظ ولا تنقام لهم الحجج وإنما يكون القول معهم باستنباط الأدلة من كتبهم لأنهم عليه يعولون وبه يتقنون فيقال لهم ان النبي ﷺ مثلاً ورد ذكره في كتابكم فإء فيه كذا وكذا فهذا هو الجدل فهو حجة لاهي يقينية ولاهي وعظية بل هي اقناعية تستند لما يعتقده الخصم غالباً ، واعلم أن القائمين بأمر الأمم ﴿ أربعة أقسام ﴾ أنبياء ووعاظ وحكماء وأمرء ، ويانه أن الوعاظ هم الذين لا حكم ولا سلطان لهم إلا على قلوب الجهال والعامة كخطباء المساجد والوعاظ وعلماء الدين المعتادين في الأمم ، فهؤلاء جميعاً لا يؤثرون إلا على قلوب العامة لأنهم يقومون بتذكيرهم بآيات الله بحسب ظواهر الكتاب والسنة والخبار بدون كثير بحث ولا تدقيق والعامة لهم مصغنون وعلى قلوبهم معولون

﴿ الأمرء ﴾

وبعكس هؤلاء الوعاظ الأمرء ، فإذا رأينا الوعاظ قد خلب قلب العامي وخضع لقوله واتعظ وليس لهذا الوعاظ من قوة جسمية تخيفه بل قوته روحية فاننا نرى الملوك والأمرء ورجال الادارات في الحكومات من قاض وحاكم وجندي فكل هؤلاء لاسلطان لهم إلا على أجسام الناس وظواهرهم لاعلى عقولهم وأحلامهم ألا ترى رعاك الله أن فرنسا تحكم في تونس والجزائر ومراكش وإيطاليا في طرابلس والآنجليز لهم بعض السلطان في مصر ، ومع هذا ترى هذه الأمم لا تتبع هؤلاء الفاتحين إلا من خوف العقاب ، أما القلوب فانها مع هؤلاء الوعاظ . إذن هنا جسم يحكمه الأمرء وعقل يحكمه الوعاظ

﴿ الحكماء ﴾

فأما قسم الحكماء فهؤلاء قوم خصهم الله عز وجل بنور البصائر وازدياد الفهم وقوة الادراك وسرعة الخاطر فهم لا يصلحون لتعليم العامة والجهلاء ولا سطوة لهم على الناس فيحكمون أجسامهم بل سلطانهم يختص بالعلماء والوعاظ ، فكما خضع العامة للوعاظ بعقولهم وللأمرء بأجسامهم وظواهرهم هكذا يخضع العلماء والوعاظ للحكماء وهم أولئك الذين امتازوا بسمو المدارك فهؤلاء يقودون بواطن العلماء ويذكرونهم بما نقصهم من العلم ، وهذه الطائفة إن لم يخلقهم الله في أمة فذلك عنوان على ضياعها وهلاكها ، واقد قام في أمتنا الاسلامية من هؤلاء كثير وأذكر منهم العلامة الغزالي بالشرق وابن رشد في بلاد الأندلس فاذاهما المسلمون وأحرقت

قوم كتب الامام الغزالي و بصق آخرون في وجه ابن رشد وكفروه . فهذان وأمثالهما انما خلقا لارشاد العلماء فلما آذنتهما الأمة وقامت في وجههما أذهبا الله وعوقبت قرونا وقرونا ودخل التتار من الشرق فخر بوا الدولة العباسية وذهب محمد العرب ودخل أهل أسبانيا الأندلس فأذلوا الأمم العربية وأهلكوهم وفر منهم من فر ومن بقي تنصروا وهم في نظر القوم مرتدون مذنبون ، ذلك مثل المسلمين السابقين

### ﴿ الأنبياء ﴾

أما الأنبياء فهم يعظون العامة كالوعاظ والخاصة كالحكام ويحكمون على أجسامهم بالحبس والقتل وغيرهما كالملوك والأمراء . ألا ترى أنه ﷺ أمر أن يعظ كالوعاظ وأمر أن يدعوا إلى سبيل ربه بالحكمة وهذا شأن الحكماء وأمر أن يحكم بين الناس بالعدل وهذا شأن الأمراء والملوك . كتب ليلة الأربعاء ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٩ قبيل الفجر

﴿ جوهرة في قوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به -

وفي قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - الخ ﴾

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الذي أنزلت القرآن ، وأنت الذي خلقت أمة الشرق والغرب ، وأنت الذي جعلت هذا القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ووعدت بأن الذين أوتوا الكتاب يؤمنون به ، اللهم إنك أنت أثرت بصائر الأمم الحاضرة المعاصرة لنا وأبرزت في أوروبا أناسا برعوا في العلم وحذقوا ودرسوا الديانات وهم من الذين أوتوا الكتاب الذين ذكرتهم وبعد ذلك أيقنوا بأن القرآن حق وصدق كما وعدت في كتابك ، اللهم إن هذا وحده برهان ، اللهم إنك قد تكفلت بحفظ هذا العالم ونظامه وتكفلت بحفظ القرآن وتكفلت باظهار علماء من أمة أهل الكتاب يؤمنون به ، اللهم إن ظهور ذلك في زماننا أتم الكثرة العلم وانتشار الحكمة ، إذن يجب علينا نحن الذين خلقنا في هذا الزمان أن نذكر المسلمين في أمثال هذا التفسير بما دبحه بعض أولئك العلماء من أوروبا بمصادق القرآن ، ففهم صديقنا (اللورد هيدلي) الانجليزى الذي ذكرته سابقا في هذا التفسير مرارا ، ومنهم (الكونت هنرى ديكاسترى) ومنهم العلامة (توماس كارليل) فلا تقتصر على نقل نبذ من أقوالهم ، فهؤلاء منهم مؤمنون ومنهم علماء أيقنوا بالقرآن لأنه آيات بينات في صدورهم وليكن ذلك في ﴿ ثلاثة فصول ﴾

### ﴿ الفصل الأول ﴾

في الكلام على صديقنا (اللورد هيدلي) الانجليزى رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية في كتابه المسمى (ايقاظ الغرب للاسلام) الذي لقب بحضرة (سيف الرحمن رجة الله فاروق) وقد ترجمه اسماعيل أفندي حلمي البارودي العضو بالجمعية البريطانية الاسلامية وهذا نصه

### ﴿ مقدمة ﴾

لكي أقدم الصحائف المقبلة الى القراء لا أجدا خيرا من إعادة نشرى هنا لمقالة صغيرة من قلمي ظهرت في إحدى جرائد (لوندرا) الأسبوعية في نوفمبر سنة ١٩١٣ وهذا نصها

ظهرت في جرائد عديدة قطع تشرح معتقدي الدينى وانه ليهيبنى أن أرى أن كل ماوجه الى من الانتقاد لغاية الآن لم يكن إلا بلطف متناه ، انه لا ينتظر أن تخرج خطوة معلومة عن خط سير ما لوف دون أن تستلفت النظر . ورد لى في أحد الأيام خطاب من أحد المسيحيين المتدينين يخبرنى فيه بأن الدين الاسلامى انما هو دين لذة وأن النبى ﷺ كانت له زوجات عديدات وأن ذلك قاعدة فى الاسلام فما أغرب هذه الفكرة عن الاسلام إلا انها فكرة راسخة فى عقول تسعة وتسعين فى المائة من البريطانيين الذين لم يعنوا ببحث الحقائق الواضحة لديانة ماينوف عن مائة مليون من رعاياهم ولودرسوا تلك الديانة لتبين لهم أن نبى بلاد العرب ﷺ

كان مشهوراً في كبح النفس عن الهوى وردّها عن الشهوات وكان مخلصاً لزوجته الوحيدة (السيدة خديجة) التي هي أكبر منه بخمس عشرة سنة والتي كانت أول من آمن برسالة السماوية و بعد وفاتها تزوج بالسيدة (عائشة) وقد تزوج أيضا بعض أيامي متبعيه الذين استشهدوا في إعلاء كلمة الله وذلك لادفاع الشهوة بل لكي يعولهم وينحهم مساكن وينزلهم منزلة ما كن ليحصلن عليها لولاه (يقول مؤلف هذا التفسير وسيتضح لك هذا المقام في سورة الأحزاب)

نحن معشر البريطانيين نحب بأننا نحب العدل والانصاف ، ولكن ماذا أعظم جورا وحيفا من الحكم الذي يصدره كثير منا على الدين الاسلامي دون أن يجتهد أو يحاول أن يعرف ولو بمجلا بسيطا من عقائده حتى انهم لا يفقهون معنى كلمة الاسلام

إنه من المحتمل أن يظن بعض من أصدقائي أنني قد غلبت على أمري أو تسطر على المسلمين إلا إن ذلك ليس بحقيق لأن اعتقاداتي الحالية ماهي إلا نتيجة بحث سنوات عديدة وإن كانت مناقشات الحقيقية مع متعلمي المسلمين في موضوع الديانة لم تبدئ إلا منذ زمن قريب ، و انني لاحتاج الى القول بأنه قد غرني الفرح عندما وجدت أن كل نظرياتي واستنتاجاتي كانت مطابقة مطابقة تامة للاسلام . إن أخي خواجا كمال الدين لم يحاول بتاتا أن يتسلط على فؤادي ولو قليلا فإنه كان دائما مثال الأمانة والصدق إذ قد شرح لي في ترجمة القرآن الكريم الذي ما استطعت أن أفهم معناه من الترجمة المشوهة المنتشرة بين المسيحيين فأنا من هذه الوجهة المحجة الواضحة التي تسير فيها (جمعية التبشير الاسلامية) فاهما ما احتالت ولا خدعت أحدا قط فاهداية كجاء في القرآن الشريف يجب أن تكون بمحض الرغبة والاختيار ومن تلقاء النفس ، لذا لم يرتكب خواجا كمال الدين أي صفة من صفات الاحتيال والخديعة ، وقد أراد عيسى نفس تلك الصفة عند ما قال لحوارييه « وكل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوا من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم »

وقد علمت أمثلة كثيرة جدا من (البروتستانت) المتعصبين الذين ظنوا أن من واجباتهم أن يغشوا بيوت الرومان الكاثوليك فيجتالوا على من يقطنها لنقله الى دينهم ، ومثل هذا العمل المثير الذي لا يليق بكرامة جار هو طبعاً عمل كرهه جدا أدى الى اثاره العواطف وإيجاد النزاع الذي جرّ عليهم الازدراء والاحتقار و انني لأنألم جدّ الألم عند ما يعرض لفكري أن أولئك المبشرين المسيحيين حاولوا ذلك مع المسلمين أيضا وإن كان لا يوجد هناك باعث يدعوهم الى هداية هؤلاء الذين هم أصحّ منهم مسيحية وأفضل منهم أنفسهم في مسيحيتهم وقد عجزت تماما عن أن أعرف لم فعلوا ذلك ، انني لم أقل أصحّ منهم مسيحية جزافا بل بعد اعمال العقل والروية لأن المحبة والألفة والتسامح في الدين الاسلامي أقرب جدا لما أني به المسيح مما عليه رجال المسيحية في الكنائس المتنوعة ، خذ مثلا العقيدة (الانانسيانية) التي تختص بالثالوث بحالة مشوشة لا يقبلها العقل ترأه من الواضح جليا أن هذه العقيدة المهمة عندهم للغاية والتي تعتبر إحدى العقائد الرئيسية للكنيسة تمثل المذهب الكاثوليكي و اننا اذا لم نعتقد انها تلك هلاكاً أبدياً وهكذا نؤمر بوجوب اعتقاد الثالوث إن أردنا الخلاص أو بطريقة أخرى نقول إن الله رحيم وقادر على كل شيء وفي الوقت نفسه ننهم بالظلم والقساوة اللذين لا نستطيع ولا نرضى أن ننسبهم الى أفضح سفاكي السماء من الظلمة الآدميين كأن الله الذي هو أمام الجميع وفوق الجميع يتغلب عليه اعتقاد مخلوق ضعيف فان في الثالوث

هنا مثل آخر يدل على عدم وجود الحسنى لديهم ، وصلني خطاب لمناسبة اتجاها نحو الاسلام أخبرني فيه كاتبه بأنني اذا لم أعتقد ألوهية المسيح لا يمكنني الخلاص . إن مسألة ألوهية المسيح ما ظهرت لي قط انها مهمة ، هل أرسل المسيح رسلا من البشر برسالات إلهية ؟ لو كان عندي الآن أي شك في تلك النقطة الأخيرة لأنني ذلك جدا إلا انني أشكر الله سبحانه وتعالى لعدم وجود هذا الشك وأنعمهم أن يكون اعتقادي في المسيح وتعاليمه ثابتا

جدا كاعتقاد أى مسلم أو مسيحي حقيقى آخر لأننى سبق لى أن قلت مرارا أن الديانة الاسلاميه والديانة المسيحيه كما عانت بالمسيح نفسه هما أختان ولم يفصلهما عن بعضهما إلا المذاهب والاصطلاحات المسيحيه فقط التى يمكن الاستغناء عنها بكل سهوله وارتياح

يميل الناس فى هذه الأيام الحاضرة الى الكفر والإلحاد عند ما يطلب منهم أن يعتقدوا هذه المذاهب والعقائد التى لاتفهم وهناك بلاشك رغبة واشتهاء الى ديانة تقبلها العقول والميول ، فمن سمع بمسلم ارتد الى الكفر والإلحاد ؟ ربما كانت هناك حالات من هذه إلا اننى أشك جدا فيها . إننى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمين قلبا ولكن عندهم خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعيب الناشئ من التعبير تأمرا على منهم من اظهر معتقداتهم . اننى خطوت هذه الخطوة ولوانى أعلم علم اليقين أن كثيرا من اخوانى وأقربى ينظرون الى الآن كروح ضالة ويصلون من أجل ، إلا انى لست فى الحقيقة فى اعتقادى اليوم إلا كما كنت منذ عشرين سنة تماما ولكن صراحتى فى القول هى التى حرمتنى حسن ظنهم بى

الآن وقد شرحت بعضا من الأسباب التى جعلتنى أتبع الدين الاسلامى وقلت إننى أعتبر نفسى الآن إنى أصبحت باسلامى مسيحيا أفضل مسيحية مما كنت عليه من قبل ، فأمل أن يتبع الآخرون مثالى ويعتقدون أحقية الاسلام الذى أقر بكل شهامة وفخر انه أصبح الأديان وانه ستصل السعادة لأى امرئ ينظر الى هذه الخطوة خطوة متقدمة لا خطوة مضادة للمسيحية الحقبة بأى وجه

### ﴿ سلم الاسلام ﴾

ينظر فى هذا العصر للديانة كأنها شئ مزعج والناس إما ملحدون وأما متبعون اتباعا أعمى لصفوف عقائد من الأفكار التى لاتقبلها عقولهم وتقاومها ، إلا انهم يعترفون بها ظاهرا لأنهم يظنون أن ذلك هو خير لهم وانه يؤدى المطلوب . أكيد لى رجل من أحسن الرجال الذين عرفتهم (زوج فاضل ووالد) انه ملحد ولا ينظر لشيئ غير فناء الخليقة ومع ذلك كان سعيدا جدا ولم أجد بوسعى شيئا أستطيع أن أعمله معه ويكون له أقل تأثير فى تغيير معتقده الفظيع . وسمعت برجل آخر أخذ الديانة بروح فرحة جدا وكان غنيا للغاية ، ناقشه صديق له يوما من الأيام فى أسلوب حياته المحلول وسأله ألم يفكر قط فى الحالة المستقبلية وفيما ستكون عليه نفسه فى الحياة الثانية فأجاب كلام أتعب نفسى وراء هاتيك الأشياء ؟ اننى أدفع لطبيبى كذا فى السنة ليعتنى بصحتى الطبيعية وأعطى الكاهن نحو ستمائة جنيه فى السنة ليعتنى باحتياجائى الروحية ، فلم إذن أصدع رأسى ، وهذا الرجل كان مسرورا أيضا بريقته وتوفى لأن يدفع مبلغا معيننا سنويا لينجى من التفكير ومن كل ما يشغل رأسه أو يتعبه . اذا كان يمكننا فقط أن نجد فكرا قويا خاليا من العقائد لىكى ينتخب لنا الدين الحق الذى يجب أن نبعه تكون تلك خطوة عظيمة جدا نحو الاتجاه الصواب . اننا اذا ذهبنا الى القسس والرهبان أو غيرهم ممن يقدمون أقوالا توافق مشاربهم لانجد لديهم أى مساعدة لأن العقائد أو المذاهب المتعددة تناقض بعضها على خط مستقيم . خذ مثلا الكنيسة المسيحية فقط تجد بها أن الارشادات السماوية التى تدهش وتحير العقول تختلف عن كنيسة انكلترا وكنيسة روما وهما مختلفتان أيضا حتى اننا نخرج من ذلك بلا فائدة أصلا . إذن فكل ما نرغبه هو مساعدة بعض المتفرجين خارجا عن هؤلاء وهؤلاء ومن الغيرة متعصين الذين عندهم فرص وقدرة على التأمل والتفكير الذين ليس لهم أى صالح أو ربح من وراء إبداء رأيهم بصراحة وشرف . كل ما نريده فى الواقع هو دين يعرف ويؤيد قوانين المملكة لأنه فى هذه الأيام أصبحت القوانين مما يحجب السخرية والضحك وهناك فى الخارج شعور وبيل مبك من كل أشكال المظالم والجرائم تقريرا . ضعوا هناك عدلا تاما فى الديانة لأن سلسلة المملكة الفقرية لانت من وضعها فى هذا التظاهر بالشفقة والحنو الذى لاهو انسانى بأى حال ولا هو خليف بأن يرق أخلاق الأمة . ما لرجة إلا سفك دماء عند ما تكون سببا فى العفو عن القتل ، يطبق ذلك على هذا الميل

لارتكاب الآثام ، واننا وان كنا نشعر بحزن عميق من أجل المجرم الذي جعلته تربيته والبيئة الخبيثة التي نشأ فيها يسبب لنا التعب والشغب إلا انه يجب علينا أن نعاقبه لنمنع الآخرين ولنمنعه من العودة . انه لمن أظلم الأعمال أن ندير له الخلد الآخر ، نعم إن ذلك لمريع جدا لأنه يشجع الشريرين على السير في تيار جرائمهم بينما يتألم باقي أعضاء المجتمع من سوء استئماننا للرحمة ، اذا لم ألك مخطئا فالعدل اللين الممزوج بالماء (المغشوش) الذي يوزع في هذه الأيام في هذه المملكة مسئول عن نصف الشرور التي نشكو منها بمرارة زائدة وانه لخير لنا أن نرجع الى (قانون الثارات) القديم عن أن نسير فيما نفعله الآن

لا يمكننا بتاتا أن ننظر للمسيح كشترع أو واضع قانون فانه لم يستأن للعالم إلا سنا ونواميس ودبعة ظريفة حالة أن ابليس الذي يمشي اليوم لا يمكن قعه بأجوبة ناعمة وإدارة الخلد الآخر له فيجب إذن أن نتخذ أشد الاجراآت مع كل رسل الشر

كان موسى مشترعا وواضع قانون ، وكان محمد مشترعا وواضع قانون ونحن الآن في احتياج شديد الى بعض من العدل المطلق الثابت للنبي المقتس (محمد) . انه أى القانون والتشريع الاسلامى شديد إلا انه خال جميعه من توحش انتقام العهد القديم

تعاقب الحكومات الحزبية التي عملت لازدياد القوة لاصالح الأمة أوقعنا في هذا المأزق الذي لا يمكننا فيه ولو أن نعتنى ونحفظ نظام نسانا ، حقا انها لحالة مفرجة لنسل سادة البحار ووطني أعظم امبراطورية رؤيت في العالم . قوانيننا حسنة إن هي نفذت وعمل بها . الخضوع الى الرذيلة يقود الى أكبر منها . لانريد الرجوع الى طرق التعذيب من أى صنف أو الفظاعة ، ولانريد أن نريق نقطة واحدة من السماء لنسكركه الناس على قبول آرائنا في الدين أو السياسة بل نرغب أن نرى القوانين مطاعة والعدل مكيلا للجميع

اننى لأعتقد اعتقادا راسخا بأنه لو اتبعت الشريعة المحمدية التي أتت في القرآن بعناية تامة ودقة لأصبح من السهل جدا حكم الشعب ولا يكون ذلك غريبا ما دام أكثر من نصف رعايا جلالته في ملكه الشاسع هم من المسلمين . مرة العصر الذي كان يمكن أن يجتهد فيه لاقامة أى دين بقوة الأسلحة . إننى لمتأكد من أن المسلمين أولئك القوم المتشبعون بالاخلاص والوفاء ماحولوا قط أن يقيموا الدين الاسلامى بالطرق العقيمة . الفتنة والتردد يحرمهما القرآن ولا إكراه في الدين في إحدى مبادئ الدين الاسلامى

لفت الأذهان واصغاء الآذان هو كل ما يرغبه المسلمون وانى لمتأكد من أنه اذا فهم رجال انكثارا تماما المعنى الحقيقي للاسلام (العقل والتمييز والاتجاه الى النهى والشعور) لسعوا في أن يخفوا سوء فهمهم المخجل السائد في الوقت الحاضر

ينظر الاورو بيون دائما الى الاسلام كأنه وحشية وهمجية فلو علموا كل ما فعله محمد ﷺ لازالة التوحش والهمجية التي لقيها داخل بلاد العرب لغبروا تلك الأفكار حالا . انهم هم المبشرون المسيحيون الذين لم يتخروا وسعا في تحريف الديانة الاسلامية وان هذا لأعظم الكذب الذي يخزهم وان كانوا ليقظون أن ما يفعلونه حسن ، فما أعظم الفرق بين الطمس التعمدى للحقيقة وبين الحالة التي يسير عليها المبشر المسلم في عمله

كثيرا ما أزعجت الهيئات الحاكمة في هذه المملكة لقبول طلبات الهيئات الدينية ، فكنيسة إنجلترا وكنيسة الرومان الكاثوليك وحزب المعارضين وكثير غيرهم معتبرون جدا لأنهم ذوو نفوذ عظيم ولا زال السكل يقولون هل من مزيد ، ولكن ليست هناك (بأقصى ما يمكن للإنسان أن ينظر) أى فصيلة دينية من الفصائل المحمدية تطلب أى سلطة دينية إذ عظمة الاسلام أرفع من أن تتسيطر عليها مثل هذه الاعتبارات الدينية ، وكل متبع اتباعا حقيقيا للنبي العظيم يتطلع الى جزاء أرفى بكثير من الغنى والفوائد الدنيوية كرى ضوء الشمس عن ضوء الفوسفور . ليس هناك بابارات ولا أساقف ولا رهبان ولا قسس يطلبون هبات أو أرباحا لأن الله نفسه هو رأس

هاتيك الفصائل الروحية . أنبأ التاريخ أن الكنائس المسيحية تطالب دائما بشدة أن يكون لها سلطة دنيوية ويمكننا هنا أن نشير الى بيع المفرة وتوزيع المعاشات الدسمة بدون جور أو حيف كي نبين فظاعة الأحوال المريعة التي كان يجب أن تكون أفضل ما تطمح اليه النفس ، وكيف اختلطت باعتبارات المكاسب دنيوية محضة سافلة . إننا لانذهب بعيدا اذا قلنا بأن القسط الأوفر من هؤلاء الذين يزعمون بأنهم مسيحيون يعتبرون أن الديانة هي محض نظام أيام آحاد محترمة وحسنة لأنها تقدم لهم فرصا استثنائية لعرض أحسن ملابسهم وأزيائهم والتكلم عن جبرانهم ، وهذا الدين الحبيب ينوى أخذهم الى بعض من الجنة ، ويتوقف مركزهم في هذه الجنة على المبلغ المدفوع على نظام دخول الناس دور التمثيل تماما ، يحسسون بأجرة معينة في الألواح والطابق الأول وبأجرة أخرى في الصالات والكراسي الخ

معظم ديانة الغرب ماهي في الواقع إلا نتيجة خرافات القرون الوسطى وبقايا العصور المظلمة ولا تتفق مع تعاليم موسى أو المسيح ، ففي تلك الأوقات المظلمة المسكفرة بين القرن الثالث والقرن الخامس وبعد ذلك عند ما كانت أوروبا ميدانا شاسعا للمعاركات ينبارى فيه الرجال المتوحشون ومن طبعوا على حب القتال مع بعضهم ونشروا الرعب والدمار في كل الجوانب وكان الأحكام العظام للمالك كبارونات ولوردات انكثرا رجالا مشهورين بالمهارة في استعمال السيف وباطلة الحرب وأحكام الدفاع عن أملاكهم وعقارهم وبيوتهم أكثر من شهرتهم في التعاليم والتهذيب وكانوا لأجل أن يحفظوا ادارة ونظام شؤونهم الداخلية يستخدمون الكتبة والاكايروس الذين كانوا بتعليمهم العالي قادرين على أن يجعلوا لهم نوعا من الوكالة على هذه الممتلكات وأن يحفظوا سجلات الحوادث الجارية الخ

أصبح هؤلاء الاكايروس بعد مضي مدة من اللوازم الضرورية التي لا يمكن لهذه الممتلكات الشاسعة أن تستغنى عنها وأصبح لهم سلطة عظيمة وسلطان قوى وسنحت لهم في ذلك الوقت فرص زادت سلطانهم باستعمالهم أسرار المجهول لدى البارونات أو اللوردات كتركز عتلة وضعوا عليه عتلات طويلة وتلك العتلات هي الرعب من جهنم والخوف من العقاب المستقبل ، نقل تلك المرعبات بينهم بمهارة فائقة أحدثت في عقول السذج شعورا لا يمكن ازالته من الهلع الذي كان مع ذلك يلفظ ويخفف بالتأكيدات من أنه باعتراف شكل معين من الدين وبشلاع بعض عقائد وضعت بكم زائد ينال الخلاص ولكنه اخترع بوجه ما أن الطمأنينة التامة بخصوص النجاة والمركز العالي في الآخرة لا ينال إلا بالعطايا الفاخرة جدا للكنيسة وهذه العطايا أخذت شكل منح واسعة من الأراضي والقصور والبرشيات وهبات عظيمة ، ومن هنا نرى أن ولادة وابتداء الكهنوتية والقسوسية وطاب السلطة الدنيوية المقصودة قد عرف من ذلك الوقت ، فجئى محمد بعد المسيح بستائة سنة تقريبا كشف عن عدم صحة مثل هذه الأفكار كالتفكير والنوسط الكهنوتي والتوسل الى القديسين وكل هذه الطرق الملكية المحتوى عليها التقرب من المولى جل وعلا

مهما كانت عظيمة الشرائع الموسوية ، ومهما كانت طارقة ورقة تلك المبادئ الصفوحة التي أتى بها نبي الناصرة (عيسى عليه السلام) يجب أن يعرف أن الشريعة المحمدية التي احتوت على الرسالة السامية تغلب بتذليلها كل العقبات التي تقف في طريق السالك الى الله

هناك آيات في القرآن لا تترك شكاً في معناها وتطبق على جميع هؤلاء الذين يدخلون في دائرة السيادة الكهنوتية ويتخذون مخلوقات بشرية لارشادهم - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون - وقال - يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله -  
ديانة المسيح ليست تماماً ، ديانة (سانت بولس) الذي أضاف إليها وغيرها تغييراً فاحشاً وقد ترجت هيئات



مختلفة هاتيك التعاليم وغبرت فيها من وقت لآخر ، وليس هناك في الحقيقة تناسق في تلك المسيحية المزعومة  
ولكننا نجد في الاسلام ما يكفي رغبات المخلوقات من الاتصال بالخالق مباشرة ، الله الموجود أبدا القادر على  
كل شئ والحافظ لجميع المخلوقات ، ليس هناك في الاسلام إلا إله واحد نعبد ونعبد ، إنه أمام الجميع وفوق الجميع  
وليس هناك قدوس آخر نشركه معه ، انه لمن المدهش حقا أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول  
والألباب على هذا القدر من الغباوة فيسمعون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية  
السماء ورؤية أيهم القهار المتصل دوما بكل مخلوقاته سواء كانوا عادين أو أولياء مقدسين ، مفتاح السماء  
موجود دائما في مكانه ويمكن إدارته بأذن وأقل المخلوقات دون أى مساعدة من نبي أو كاهن أو ملك ، انه  
كالهواء الذى نستنشق مجانا لكل خلق الله ، أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمون غير ذلك مداعهم الى  
هذا العمل إلاحب الفائدة كالرواتب ومعاشات القسس أو بعض فوائد دنيوية أخرى ، ليس غرضي الرئيسى  
أن أهاجم أى فرع معين من فروع الديانة المسيحية لأبين جلال وسلاسة الديانة الاسلامية التى هى خالية في  
نظر السكاتب الضعيف من العوائق الظاهرة جليا في كثير من الديانات الأخرى

إن الدين مسئول عن كثير من الآلام والفظائع وسفك الدماء وتلك حقا حقيقة مبكية ، أيمن إذن أن  
يوجد دين يمكن العالم الانساني من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقي الذى هو فوق الجميع وامام  
الجميع بطريقة سهلة خالية من الحشو والتبليك ؟

فكر لحظة وذلك التفكير لازم الكمال البشر في الحقيقة ، انه اذا أصبح كل فرد في الأمبراطورية الانكليزية  
محمديا حقيقيا بقلبه وروحه أصبحت ادارة الأحكام أسهل من ذلك لأن الناس سيقادون بدين حقيقي ولن  
تبقى هناك جماعات كائناتية ولا منشقون كي يوفق بينهم ولا ضرائب ثقيلة تدفع للروفي الطريق الموصل الى  
الفردوس . إن الديانة كما جاء بها موسى والمسيح ومحمد سهلة جدا إلا أن الخلط الذى أتاها من الآخرين الذين  
سعوا في أن يحسنوا الوحي الإلهي جعلها معقدة يرتبك ويأس منها من يستعمل عقله في السعى وراء الحقيقة  
بجد ونشاط . استفز صنف من أصناف هذا الدين الحروب الصليبية التى ضحى فيها أسلافنا عشرات الآلاف  
من الأرواح البشرية ، فلم ذلك ؟ معركة معينة نشبت من أجل ضريح يعتقد أن المسيح وضع فيه مدة وجيزة ،  
هل كان يستحق ذلك أى اهتمام ؟ وصنف آخر من أصناف هذا الدين علمنا أن نغضب كل من يخالفنا ولو على  
أقل نقطة من نقط هذا الدين وأن نحرقهم أحياء ، هل يستحق ذلك أى اهتمام ؟

وهناك صنف آخر من أصناف هذا الدين وهو شائع ومعالم للجميع ، ذلك بأن هؤلاء المتعصبين الشديدي  
التعصب (القسس) يحكمون على نابعيهم بالهلاك الأبدى اذا لم يتبعوا آراء مذهبية معينة ، فهل يستحق ذلك  
أى اهتمام ؟ أتريدون أن تنصفوا بضد الاحسان الذى هو أبغض شئ عند الله رب الرحمة والذى يلعبه كل  
من المسيح ومحمد الى حد ايس له نهاية ❖ قال الجنرال غوردون ❖ لم أر طبقة فرسيين بين المسلمين الذين  
لا يتخذون كل ما يتخيلونه أو يمر ببالهم كما يفعل فرسيونا من الحكيم على زيد أو عمرو بأن نصيبه النار ، إنك  
لا ترى منهم أبدا عدم الأنس والبشر للذين تراهم من فرسيينا ❖

إن (غوردون) عاش طويلا في الشرق ولم يقلل جلال الشريعة الاسلامية من ملاحظته الدقيقة ، ولا شك  
في أنه عند ما كتب ما تقدم كان يشعر حقيقة بأن هناك إحسانا مسيحيا حقيقيا عند المسامين أكثر مما هو عند  
المسيحيين أنفسهم في بلادهم ، وكتب (غوردون) أيضا بنفس هذه الروح ما يلي

« ليست هناك سالوى في العالم أرواحه تعادل تلك التى يملكها من لا يعرف غير الله مدة بقائه ولا يؤمن  
بالأقوال بل يؤمن بالحقائق وأن كل الأشياء دبرت لتحدث ولا بد من حدوثها ووقوعها واسكن كل هؤلاء الذين  
كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد قد ماتوا وتخلصوا من هذه الحياة المتعبة »

واجابة على ما تقدم يمكن أن يقال بأن الأفكار الشرقية لاتتحد مع الآراء الغربية ، ولا يمكن أن يقال أن بينهم أى امتزاج وأن محاولة حكم الشعوب الشرقية للشعوب الغربية حينما اعترف بديانة شرقية وتسيطر هذه الديانة على عقول الرجال وأفعالهم لم تكن لاتقة وكانت خارجة عن المقصود ، والمؤلف يريد أن يشير الى أنه مضى ألفا سنة تقريبا وكل مملكة فى أوروبا محكومة بديانة الشرق أى اليهودية والنصرانية . روح الاسلام تخلق فوق أشياء أرقى وأرفع من تلك الأطماع الدينية والاختلافات الجنسية فى الشرق والغرب ، واذا كانت المسيحية الشرقية التى علمت بنبي الناصرة العظيم قد سارت سيرا حثيثا فى إضاءة طريق العالم الانسانى ، فلماذا لا يستمر الدين الاسلامى الأوسع والأسهل ( كما أتى به النبي العربي الكريم ) فى أعماله الحسنة ، مادام ليس هناك سبب جوهري يمنع ذلك

هناك شبه عظيم بين أخلاق الأنبياء كما يتضح لكل باحث فى حياة محمد كما ان دراسة دقيقة للقرآن تظهر أنه حقا ليس فى الاسلام شئ يتعارض مع الديانات السابقة وارشادات وشرائع محمد كما جاءت فى الكتاب تقوى وتعزز تعاليم الانجيل تعزيزا تاما وتوسعها حتى تلائم حاجات الزمن الحاضر . إنه لمن الجور أن تحكم على رجل لاتعرف عنه شئ كما انه من الظلم أن تفعل ما يفعله تسعة وتسعون من المائة من المسيحيين الذين يحكمون على الدين المحمدى دون أن يبحثوا حتى ولو عن معنى كلمة (اسلام) فقاعدة ترك الامور تأخذ مجراها هى شعار هؤلاء الذين لا يريدون أن تنار عقولهم لأن إنارة عقولهم معناها عندهم تعب وازعاج فيفضلون أن يظلوا يتخبطون فى ديجور العمى والظلام عن أن يمدوا أيديهم ليفتحوا الباب الموصل الى النور . ما حصلت عليه فيه الكفاية لى لا أريد أن أنظر لشيء آخر . ذلك ما يقولونه رافضين أن يبذلوا أى مسعى ليتقدموا حتى ولو فى معرفة الله ورسالاته للجنس البشرى

من عدة سنين خلت كان أحد أفكارى الرئيسية هو « كيف يمكن الاسلام أن يتغرب (يصبح غربيا) حتى يمارس بالأمم الأوروبية ؟ » أو « بعبارة أخرى » كيف يمكننا نحن معشر الغربيين أن نعد أنفسنا لنكتسب ونفقه معنى الاسلام الحقيقى ؟ ثم تلا ذلك فكر آخر وهو « كيف اننا لم نشك من جنسية المسيح الذى نعتقد انه كان أسويا محضا ؟ كانت أمه العذراء مريم أسويه وكان موسى وكل الأنبياء الموحى اليهم شرقيين وكان النبي الكريم محمد ﷺ شرقيا مثل الآخرين وأنزات عليه الشريعة من الله ، فالقرآن هو من كلام الله عز وجل كما كان الانجيل وباقي الكتب المنزلة الأخرى وهو القرآن يثبت ويحق الكتب المقدسة الأخرى والوحى السابق . القرآن يضيف تعاليم أخرى تؤكد أهمية تلك التعاليم الماضية وفوق ذلك فهو يحرم كل أنواع العبادة الوثنية وروح الوحى هى أن لا يقرن اسم الله القوى العليم الرحيم بأى اسم آخر

روح الشكر هى خلاصة الدين الاسلامى والابتهاال أصل فى طلب القيادة والارشاد من الله . انه وان كان شكرى لله على كرمه وعنايته كان متأصلا فى من صغرى وأيام حداثنى إلا أننى لا أستطيع أن أشاهد ذلك من خلال السنين القليلة الماضية التى قرع فيها الدين الاسلامى لى حقا وتملك رشدى صدقا وأقنعنى تقاؤه وأصبح حقيقة راسخة فى عقلى وفؤادى إذ التقيت بسعادة وطمأنينة مارأيتهما قط من قبل ونجوت من العقائد الغربية المتعلقة بسائر فروع الكنيسة المسيحية المختلفة واستنشقت تلك النجاة كما أستنشق هواء البحر الخالص النقي وبتحقيق من سلاسة وضياء وعظمة الاسلام ومجده أصبحت كرجل قفز من سرداب مظلم الى فسيح من الأرض تضئته شمس النهار

عند ما قررت نهائيا أنه لا يمكن الحصول على أى راحة من التعليمات السكهوتية أنتهى الفكره بأنه من المؤكد أن الله يلاحظ ويدبر كل ارادة وكل حركة وعمل . انه يفعل ذلك حقا إلا أن التعليمات المجموعة من صحائف القرآن مكنتنى من أن أفقه معنى تلك الفكره المريحة راحة عجيبة بطريقة كانت تستحيل على سابقا

إذا كانت كل حركة في الحياة لا تحركها إلا القوة الإلهية تكون هناك راحة حقيقية لا هؤلاء ، المتألمين والمعاقين عن السير في هذه الحياة فقط بل ول هؤلاء الذين ذهب أنفسهم حسرات على أعمالهم العديدة الشيطانية والجنونية . كل هؤلاء الذين أتوا أعمالا سيئة يجب أن يؤملوا في أن الله بحكمته غير المحدودة وجلاله سيجعلهم مثلا للآخرين كي يريهم ما يجب أن يقلعوا عنه . إنه لفكر مخيف إلا ان المؤمن الحق يقاوم كل محنة وخزي وانحطاط في الدرجة في سبيل المولى عز وجل

روح الاسلام تشير الى خلاص البائسين والتهساء والشريرين إن تبنا وأطعنا وتركنا الشرور والآثام وسعينا في مساعدة المحلوقات بكل مافي وسعنا حتى بين الآلام العظيمة يجب علينا أن نكون مسرورين جدا بأن جعلنا الله واسطة للارشادات السماوية

دعنا نعصب الدين الأعمى الكنائس المسيحية في تنافسها إلا ان ذلك لا يمكن أن يقال عن الاسلام الذي هو كتلة متحدة ، فما أحسن ذلك اذا كنا نحن معشر الغربيين نهجر في هذا الوقت تلك الأصناف الدينية الملبكة وتتخذ الدين الاسلامي

مذ سنين مضت وجد عند حكام إحدى الأمم المنتورة جدا في الشرق الأقصى شك كبير فيما اذا كانت طريقة الدين التي يتبعونها صحيحة أم لا ، لذا عينوا رجلا عقلاء مخصوصين ليدرسوا كل الديانات الرئيسية في العالم ويضعوا تقريرا عنها ، فكرر الرجال الحكماء وتشاوروا وفعلاوا كل مايؤزم ثم وضعوا النتيجة بأن ديانتهم هي حسنة كباقي الديانات الأخرى ، لذا ليس لديهم أى ميل لينصحوا بتغييرها

اننى لأعتقد اعتقادا راسخا أنه اذا اتبع هذا الرأى وكلف أحسن الأذهان وأنبه العقول الأوروبية بالبحث عن دين مبني على الاعتبار الدنيوية والعقلية ولا يخرج عن الوحي السماوى الذى أتى به الأنبياء ما وجدوا باجماع الآراء غير الاسلام ديننا فسهولته وعظمته مما لا يختلف فيه اثنان

أليست هذه من أعظم النعم أن تمنح لك الفرص بأن تعتنق ديننا يتفق والحجا ويرضى القواد والضمير ورغبات المرء الداخلية كما انه خال في نفس الوقت من القسوسية والكهنوتية وباقي التلبكات الأخرى ؟

لازال يعيش على ظهر هذه البسيطة في كلا الشرق والغرب هؤلاء الذين اتضح لهم الوحي المؤسس لحقيقة الدين الاسلامي وتعاليمه بأوضح وأجلى معانيه ، وربما كان الوقت الذى يريد الله أن يتضح الوحي فيه وينجلي لكل عباده الموجودين في هذا العالم ليس ببعيد إلا أن ذلك يحتاج بهداية المولى سبحانه وتعالى لأنه لا يوجد من يعرف الميعاد . الكنائس المسيحية الكثيرة تناقض إحداها الأخرى مناقضة عظيمة ومعلمو لاهوتها (كهناتها) وضعوا عقدة التعاليم المسيحية التي لا تحل ووضعوا تلك العقائد التي تدهش العقول دهشة عظيمة حتى ان العقول السليمة الصافية والقلوب المبصرة تنوق الى دين مفهوم مقنع وسهل غير معقد

مذاهب الكنيسة المسيحية سواء كانت رومية كاثوليكية أو بروتستانتية طردتنى منذ طفولتى واننى لأعرف اذا ما كانت عدم ثقى وأنا غلام صغير بهذه العقيدة كما وضعت بسانت انا نسياس أقل قوة من ازدرائى واحتقارى اليوم لهذا الرجل الذى يضع القوانين من أعلى منصة الخطابة ويحكم على الملايين من الرجال بالهلاك الأبدى لأنهم لا يوافقونه ، وقد ظهر لى دوما انه من المهم جدا أن السادة الأشراف المتعلمين اذا أرادوا أن يدخلوا الكنيسة يجب عليهم أن يشتركوا بسرور وابتهاج في التسع والثلاثين مقالة الخيفة وهم يعلمون في قلوبهم انهم لا يستطيعون أن يصدقوا نصف ما يضعون أسماءهم تحته

فكرت وصليت أربعين سنة كي أصل الى حل صحيح والرأى السائد عندى هو أن كل ترا كيب هذا الدين المزعوم هي من عمل الانسان لا من عمل الله ويجب على أن أعترف أيضا أن زيارتى للشرق ملائنى احتراماً عظيماً للدين المحمدى السلس الذى يجعل الانسان يعبد الله حقيقة طول مدة الحياة لافى أيام الآحاد فقط

الاسلام دين السهولة العظيمة ، انه يرضى أشرف رغبات النفس ولا يناقض بأى حال من الأحوال تعاليم موسى أو المسيح عليهما السلام . انتهى الكلام على الفصل الأول  
﴿ الفصل الثانى فيما ذكره العلامة الكونت هنرى دى كاسترى ﴾

( مقدمة )

كنت ذات يوم أجوب جوف الصحارى فى ولاية ( حوران ) بين زرقوم وسجيرة وخلقى ثلاثون فارسا كريما من أولاد يعقوب يشنون جاعات جاعات لأن حدة الخيل كانت تمنع من انتظامها وتجعل بعضها اذا مسه التالى يسهل صهيل الفيظ ثم يلفت وجهه الى الوراء ويضرب بأرجله فى الهواء وعما قليل تسكن ثورته وتعود الجياد الى خطاها مطمئنة يسير أمام السكل حاد على فرس عظيمة بيضاء لاهداً لراكها ساكن الجياد وهو يتنعم بما ينعم من كلام أغلبه مديح فى كاتب هذه السطور فكنت فيهم كساطان يتسابق كل واحد من حاشيته الى ارضائه باستعمال ما حفظ الشرق من أسرار الانحطاط النفسى فى مثل تلك المعاملات وكنت أصق الى أشعارهم ساعات متتابعة بغير ملل وقد وعيت البعض منها وكلها أراجيز محبوكة الأطراف غير تامة المعنى بذاتها فلا تميز بين المادح والممدوح والمخاطب والمتكلم بحيث يصعب علينا معشر الغربيين إدراك مراميها ، وكنت أبلغ الخامسة والعشرين من العمر والفصل فصل الشتاء ويومنا يوم جيل تنشط الأبدان حرارته وبلغ ضوءه حدة الهاء وروائحته تنعش السالكين وتجعل المستنشق شاعرا بتمام الحياة يخالجنى مع ذلك إحساس آخر هو شعفى بتلك الممدوحة التى كان اسمها يروح ويغدو فى أقوال أولئك الشجعان ، وبينما نحن سائرون على هذه الحالة إذ سكنت الشاعر والفتت قائلا بصوت خشن « سيدى الآن وقت العصر » هنالك ترجأت الفرسان واصطفوا لصلاة العصر مع الجماعة وصلاة الجماعة مفضلة عند الله فى اعتقاد المسلمين كما هى كذلك عند المسيحيين ، أما أنا فقد ابتعدت عنهم وكنت أودّ لو انشقت الأرض فابتلعتنى ، وجعلت أشاهد البرانس العريضة تنثنى وتنفرج بحركات المصلين وأسمعهم يكررون بصوت مرتفع ﴿ الله أكبر . الله أكبر ﴾ فكان هذا الاسم الالهى يأخذ من ذهني مأخذاً لم يوجد فيه درس الموحدين ومطالعة كتب المتكلمين ، وكنت أشعر بحرج لست أجد لفظاً يعبر عنه سببه الحياء والانفعال ، أحسّ بأن أولئك الفرسان الذين كانوا يتدانون أمامى قبل هذه اللحظة يشعرون فى صلاتهم بأنهم أرفع منى مقاماً وأعزّ نفساً ، ولو أنى أطعت نفسى اصححت فيهم « أنا أيضاً أعقد بالله وأعرف الصلاة وكيف أعبد » فأجل منظر أولئك القوم فى نظامهم اصلاحتهم بلا بسهم وجيادهم بجانبهم أرساها على الأرض وهى هادئة كأنها خاشعة للصلاة ، تلك هى الخيل التى كان يحبها النبي ﷺ حباً ذهب به الى انه كان يسمح خياشيمها بطرف إزاره عملاً بوضعية جبريل عليه السلام ، وكنت أرى نفسى وحيداً فى عرض هذه الصحراء على ما أنا به من اللباس العسكرى الضيق الذى يرم فيه الجسم الانسانى بغير احتشام تلوح على سمات عدم الايمان فى مكان هو مسقط رأس الديانات كأنى من الحجر أو من الكلاب أمام أولئك القوم الذين يكررون الى ربهم صلوات خاشعة تصدر عن قلوب ملئت صدقاً وإيماناً ، وبينما أنا كذلك إذ جال بخاطرى ما ورد فى التوراة من أن الله يسكن خيمة سام ويكثر من أولاد يافث ، وقد كان الفريقان مجتمعين فى ذلك المسكان أولئك المصلون الذين هم من ولد سام محبوبون بدينهم وعبادة ربهم ورب آبائهم ، الله الذى دخل خيمة ابراهيم وأنا ابن يافث الذى يمتدّ ذكره بالحرب والفتوح ، ولما انتهى بنا الطريق ورجعت الى مكان راحتى جعلت أكتب ما علق بذهنى من الأفكار فأحسست اننى منجذب بحلاوة الاسلام كأنها أول مرة شاهدت فى الصحراء قوما يعبدون خالق الأكوان وذكرت خيام النصارى حيث لامتعبد فيها غير النساء وأخذنى الغضب من كفر أبناء العرب وقلة إيمانهم كنت فى سنّ يستسهل العقل فيه حل المشكلات ويأخذ الأشياء من ظواهرها ويحل الخيال فيه محل البقد والتقيب ويعتقد المرء فى الامور بغير قيد وهو سئ لو أنصف أهواه لما كتبوا وألقوا وكنت أرى أن جبال الدين

أصدق شاهد على أنه الدين الحق وصرت أكتب في الاسلام غير شاعر بما يخطه القلم طوع الفؤاد  
ولواني اتبعت مجرد الفاوهر وقضيت على الامور بغير تأمل وتدقيق لجاء كتابي مذموما وروماني المستشرقون  
بالخفة والطيش كما يرمون بحق بعض مؤلفي الجزائر من الاورباويين ، ذلك ان المشتغلين بالاسلام في هذه  
الأيام ( فريقان ) المستشرقون الذين هم من أفاضل العلماء ومستمر بوالجزائر من الافرنج أيضا ، ومما لا شبهة  
فيه أن القسم الأول قد أفاد العلم أكثر من القسم الثاني فان أعمالهم أنتجت كثيرا من العناصر والمواد التي  
يسهل بها اليوم وضع تاريخ للاسلام لأن ذلك التاريخ لا يزال مع ما تقدم في عالم الغيب وبعدهم يأتي مستمر بو  
الجزائر على نسبة الفرق بين غزارة المادة في العلم وسلامة النظر في الموجودات وهم يعيشون مع المسلمين  
ويفقهون غور أفكارهم ويعلمون حقيقة معيشتهم وكنه ديانتهم معرفة لا تحصل لأحد في غير تلك البلاد ،  
وبهذا يرون أن لهم الحق في أن يكتبوا عن الاسلام كالمستشرقين ، نعم انهم لم يقفوا على جميع مآلفه المسلمون  
في الحكمة وعلم الكلام ولكني لا أرى ذلك نقصا كبيرا إذ معرفة حقيقة الاسلام في هذا العصر لاحتياج الى  
سعة اطلاع ديني ، على أن مطالعة جميع الكتب التي وضعت في مبدأ ظهور هذا الدين انما تجب على المؤرخ  
أكثر من غيره لأن علم الكلام وحسب الخوض فيه قد اندثر منذ القرن الثاني عشر حيث أصبح الدين الاسلامي  
قويا متينا لا تؤثر فيه مناقشة الباحثين وتخاصم المنتقدين كما أودت ياصول الديانات الأخرى فن ذلك الحين صار  
كل مسلم من عالم وجاهل ومن أمير وحقير مؤمنا إيمانا لا احتياج لتحكيم العقل في تحصيله بل هو إيمان  
وجداني بسيط قوي في النفس متمكن من القلوب وذلك لا يشاهد في الأمم المسيحية إلا عند الفحامين  
ولقد رأيت من الواجب أن أبين الصفات التي تحولي حق الكتابة عن الاسلام قبل أن أنشر كتابي هذا ،  
أنا عاشرت العرب أزمانا طويلا واشتغلت كثيرا بمعرفة حقيقة طباع الشرقيين ومذهبي مذهب مستعري الجزائر  
ولذلك أسأل المستشرقين ذوى الاعتبار عفا ولينا وأطاب منهم قبل كل شيء أن لا يجمعوا بيني وبين أولئك  
الذين يميلون الى العرب فيكتبون عن الاسلام ما ناقفوه أثناء سياحة قصيرة فجاء قولهم قولاً شـمـرياً حتى إن  
الموسيو (لوازون) لم ينج من هذه السقطة بل طاش قلمه وجذبه التخيلات فسكان ممن يرى كل شيء في الشرق  
جيلا وجاء رأييه في الاسلام رأى قوال لا رأى باحث حكيم ، وعليه فلسفت أقصد بكتاني هذا أن أجدد الاسلام  
ولكني لما رأيت انه صار من المسائل الكبرى التي اشتغلت بها أذهان الباحثين في العصر الحاضر وأسست  
من أجله مجلة عامية في باريس نال بها المسلمون نجاحا أدى الى أن المسيحيين ومنهم أولاد الصليبيين يساعدونهم  
بالمال على إقامة مسجد يعبدون الله فيه انتهزت فرصة هذا الميل وأردت التنبيه الى بعض أغلاط عقلت بالأفكار  
عندنا من حيث النبي العربي ودينه الاسلامي وهو عمل شاق وموقف حرج إذ من المعلوم كما قيل انه لا يرسخ  
في الاعتقاد أكثر من خطأ الاعتقاد كذلك أرى انه لا يكفي لأمة مسيحية متمسدة أن تحترم دين المسلمين  
من رعاياها بل يجب عليها أن تسعى الى معرفة ذلك الدين كما ينبغي فنحن نضعك اشفاقا من سماع الأفاصيل  
التي نقرأها عن بعض المسلمين للمسيحيين ونقول أولئك قوم جهلة متعصبون وانهم في بعضهم لنا مخطئون  
إلا ان المسيحيين هم كذلك في بعضهم للمسلمين لا يعدلون وأشد الأوهام رسوخا عندنا بالنظر الى الديانة الاسلامية  
ما اختص منها بشخص النبي ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولا في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية  
عني أجد في هذا البحث دليلا جديدا على صدقه وأمانته المتفق تقر بها عليها بين جميع مؤرخي الديانات  
وأكبر المشيعين للدين المسيحي

( صدق سيدنا محمد ﷺ — محمد والأغاني المعروفة بأغاني الاشارات — محمد والتاريخ — أصل الاعتقاد )  
( الوحى بالقرآن — ليس محمد مبتدعا — هل كان على الدوام صديقا — وفاته )  
كنت كلما بحث في الديانات مع صاحب لي من طلبة العلم في ( تلمسان ) وأراد الهرب من الجدال يميني

« هم يقولون إن لله ولدا وإن محمدا ابن الساجدين » إجابة لما عاينوا بالاحتقار كما يجيب المعتقدا اعتقادا وثانيا يريد أن يشفق عليه وذلك مع مبالغته في احتراحي وحسن الصلات يدينا ، وكان يرى أن الثلاث خرافة فادحة كسحر محمد وأن المسيحيين الذين اخترعوا البدعتين قوم لا يبنون الجدال معهم ولست أدري ما الذي يقوله المسلمون لو علموا أفاصيل القرون الوسطى وفهموا ما كان يأتي في أغاني القوال من المسيحيين جميع أغانيها حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر صادرة عن فكر واحد كان السبب في الحرب الصليبية وكلها محشوة بالحقد على المسلمين للجهل السكلي بديانتهم وقد نتج عن تلك الأناشيد تثبيت هاتيك القصص في العقول ضد ذلك الدين ورسوخ تلك الأغلاط في الأذهان ولا يزال بعضها راسخا إلى هذه الأيام فكل ناشدكان يهتد المسلمون مشركين غير مؤمنين وعبدة أوثان مارقين ، وقد جعلوا لهم ثلاثة آلهة هم على ترتيب درجاتهم (ماهوم) ويقال ماهوم وبافوميد وماهوميده وهو محمد ﷺ ثم (أبلين) ثم (ترفاجان) وذهبوا إلى أن محمدا وضع دينه بأدعائه الألوهية ومن المستغربات قولهم أن محمدا الذي هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن من ذهب كما كان يعتقد (السكرلوقنجيون) وأن المسلمين لما غلبهم الأفرنج وصدهم إلى أسوار (سرقسطه) عادوا إلى أصنامهم فطمعوا بها كما طمطن به أحد مشددي ذلك العصر حيث قال ﴿ وكان أبلين إلههم في مغارة هناك فتراموا عليه وأوسعوه شتا وسبا وصلبوه من يديه في أحد العمدان وجعلوا يدوسونه بأقدامهم ويوجعونه ضربا بالعصى حتى هشموه ، وأما (ماهوم) فقد رموه في حفرة وتركوا السكلاب والخنازير تهش وتشمى عليه وتلك الهاته لم تصب إلهة قبله ﴾ ويظهر أن المسلمين لم يلبثوا أن تابوا من ذنبهم واستغفروا آلهتهم وأصلحوا ما أنلفوه منها ولذلك أمر الإمبراطور (كارلوس) ببادتها لما دخل (سرقسطه) كما جاء في قول ذلك الشاعر وقد أمر الإمبراطور الفرنسيون فطافوا جميع أنحاء المدينة ودخلوا المساجد والجوامع وبأيديهم مطارق من حديد فكسروا بها (ماهوميده) وجميع الأوثان والأصنام ، وكذلك يقول (ريشار) في أناشيده وهي جميلة ﴿ لاشئ من الخراف فيها إلا أنها زور وبهتان حيث يطلب من الله أن يوقع الفشل العميم بين أولئك الذين يعبدون بصورة ماهوم ﴾ ثم جهل يحرض الأشراف على الحرب المقدسة وينصحهم أن ينكسوا أصنام المسلمين ﴿ قوموا ونكسوا صنم ماهوميده وترفاجان وصبوهم على النار وقدموهم إلى ربكم ﴾ وذهبوا إلى أن صورة (ماهوم) كانت تصنع من أنفاس الأحجار والمعادن بأحكم صنع وأدق اتقان . ومن قرأ وصفه في أناشيد رولان كاد يحلف أن ذلك الشاعر إنما يصف عن خبر وعيان . يقول وكانت كلها من الذهب والفضة لو شاهدتها لأيقنت بأنه لا يمكن للعقل أن يتصور أجمل منها ، عظيمة الشكل ، لطيفة الصنع ، تلوح على وجهها سمات الشهامة . كان (ماهوم) من ذهب وفضة يأخذ بريقها بالأبصار وقد وضع فوق فيل على جلسة من أجل المصنوعات خاويا من جوفه فيرى الضوء من خلاله مرصعا بنفائس الأحجار المضيئة ، يرى الناظر باطنه من الظاهر وهو صنع عز عن المثال والنظير ، ولما كانت الآلهة تنزل الوحى وقت الشدائد وانهمزم المسلمون في إحدى غزواتهم بعث قائدهم إلى مكة يطلب ربه ، قال الراون لجاء الإله محمد في موكب عظيم يضرب بالطبيل والمزامير ضربا يسمع له دوى قاصف وبعضهم يغنى بالمزمار والآخر بصفارة من الفضة والسكل حولهم يرقصون ويغنون بأعلى أصواتهم وأقبلوا به فرحين حيث المجلس معقود والخليفة الديني في انتظاره فلما رآه قام يعبده بخشوع وخشوع ثم أخذ (ريشار) بعد ذلك يقص كيفية مناجاة أولئك الوثنيين لذلك الصنم الذي وصفه بالتجويرف وأن لاشئ في باطنه إلا ويرى من الخارج فقال ﴿ وقد وضعوا في جوفه عفر يتاستحضره السحرة وصار ينطوي ويهرب ثم أخذ يكلم المسلمين وهم يسمعون ﴾ واقتد زاد بغضهم لذلك الصنم حتى جعلوه علامة على الدين الاسلامي كما جعلوا الصليب علامة للدين المسيحي ، فروى (بودوان) في نشيده على الكونتيسة (بونتيو) لما أرادت أن تعتنق الاسلام أمام صلاح الدين أنها قالت ﴿ أريد أن أعبد محمدا فانتوني به فلما صار بين يديها خرت ساجدة

اليه ﴿ ويأخذ القارئ من نشيد آخر يظهر أنه وضع تمة لأناشيد (بودوان) وجود إلهين للمسلمين غير الذين سبق ذكرهم وهما (بارتوان) و (جوبين) إلا ان الثلاثة الأولين هم الرؤساء ، ولما رد أحد قواد المسيحيين جيش المسلمين الذي خرج من مكة أخذ الشاعر يصف اضطراب المسلمين فقال ﴿ وقد جعل الوثنيون يصيحون ويصرخون ويموجون بينهم ويهرجون وينادون بأعلى أصواتهم يترفجان يماهموم ومع ذلك يوجد نشيد من أناشيد القرون الوسطى لا يرى فيه القارئ رمزا الى محمد بالصنم وهو للقسيس (اسكندروديون) ألفه سنة ١٢٥٨ ميلادية أخذا عن مسلم تنصر من ذوي الاعتبار وعد الناس تلك القصة تاريخا صحيحا عن ذلك النبي وقد جاء فيها ﴿ انه من المعلوم أن محمدا كان عالما بطرق المكر والخيانة والخداع ﴾ ثم شبهه بأحد الأمراء المحاط بأتباعه ينشر دينه على أبسط حال حتى اعتقده الناس أكثر مما اعتقدوا خبر روية

ولقد أطلنا القول في تلك الأضاليل لأن تاريخ اسكندر المذكور لم يزلها ولأنها تركت أثرا في الأذهان وصل الى أهل هذه الأيام وتشعبت به أفسكارهم في النبي وكتابه

ولوسأل سائل هل كان أولئك المنشدون يعتقدون صحة مايقولون لأجنبناه جواب أهل (نومندة) لا ونعم إذ من المحقق أن الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للنشدين معرفة الدين المحدث على حقيقته ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في أناشيدهم بل حفظ روح البغضاء في نفوس قومهم فاحتاجوا في ذلك الى وصف المسلمين ونبيهم ودينهم بالأوصاف التي تؤثر في نفوس المنشود لهم على حسب معارفهم وأمياهم وإذا انتقلنا من شعراء القرون الوسطى الى من جاء بعدهم من المؤرخين والمتكلمين الباحثين في علم التوحيد الذين يظهر على كتبهم في ذلك الزمان أنهم مبالغون الى الاعتدال وجدنا مؤلفاتهم محشوة بتلك الأقاصيص الخرافية مماوعة بالظعن والشتائم في نبي المسلمين وكان المصلحون (هم البروتستان أيام دعوتهم لاصلاح الدين المسيحي) أشد تعصبا ضده من غيرهم فقد اعتنى (بيبلياندر) بتشبيه محمد بالشیطان وعاملوا كتابه وشرعه كما عاملوه ولسنا نقيم برهانا على ما نقول غير توجيه نظر القارئ الى مطالعة ما جاء في مقدمة كتاب (ريلان) الذي ألفه سنة ١٧٢١ تحت عنوان ﴿ ما هو السبب في أن الناس عامة لا يعرفون من الديانة المحمدية إلا شيئا يسيرا ؟ ﴾ حيث يقول ﴿ لو أراد الباحثون أن يصموا مذهباً أوطر يقة بوصمة الخزي والعار نسبوها الى محمد فقالوا مذهب محمدى اوطر يقة محمدية وهكذا ﴾

وألف القس (دون مارتينو الفرنسويقيقالسو) كتابا سماه ﴿ سراج الكنيسة المقدسة الذهبية ﴾ جاء فيه أن كتاب محمد لا تنرم قراءته بل يجب أن يسخر به وأن يحتقر ويرى في النار أنى وجد ، ولا يلىق أن يحفظه الناس لأنه عمل بهيمى ، وبعضهم كان لا يقول بحرقه ولكنه يرى من العبث أن يجهد الانسان نفسه ويزيد ايلامها بحفظ هزليات وأمور تافهة منشؤها خيالات شخص اختل عقله واضطربت قواه

وأما المسلمون فن أسمائهم في تلك الكتب البلدة والكسالى والحير والحير الوحشية والمعتوتون الذين يملأون المنزل بالنساء في الليل ويطلقونهن في النهار ، ولو أردت الاطلاع على جعبة الشتائم والسباب فعليك بكتاب ألفه أحد اليسوعيين وهو (بروشار) وسماه مرشد السياحة وقده الى الأمير (فيليب روقالو) سنة ١٣٣٢ وذكر فيه الأسباب التي تحمل على الدعوى الى حرب صليبية فقال ﴿ من ذا الذى لا يذرف عبرات الدمع عند ما يعلم أى الرجال هم القابضون اليوم على تلك البقاع التي هي ميراثنا ، أولئك قوم لارب لهم ولادين يهديهم ولا شرع يرجعون اليه ولا عهد ولا حنان ، أولئك قوم أخساء أدنياء وهم أعداء لكل حقيقة في الوجود وكل صفاء وكل خير وكل عدل أولئك هم أعداء الصليب الكافرون بالله المضطهدون للمسيحيين المفرطون في نسايتهم ، الفاسقون بالأطفال ، الظالمون لمجم الحيوانات ، المخالفون لطباع البشر ، القتالون للفصائل ، المميتون للأخلاق . الغارقون في القبايح والخطايا . أولئك هم أولياء الشيطان . وأنصار الاندانايا . ذوو حقد وبغض .



ذو أفكار سافلة . وأعمال سخيفة . وعيشة دنيئة . وأقوال بذئنة . وعشرة سوء معدية . لا تنصرف أراذلهم ولا تنجهم همهم إلا إلى اللذائذ البهيمية والمعيشة اطمعجية ، أولئك هم القوم الذين أبعدونا عن تلك البقاع وآذونا في هذه البقعة الصغيرة التي نحن فيها مستهزئين بنا وساخرين بديننا أولئك هم الذين خربوا بيت الله وملكوا المدينة المقدسة التي هي مهبط شرعنا ولوثوا أماكنها المقدسة المظهرة

ولم يزل هذا الروح سائدا عند المسيحيين حتى ان المستشرق (بريدو) الانكليزي ألف سنة ١٧٣٣ كتابا في سيرة النبي ﷺ عنوانه ﴿ حياة ذي البدر محمد ﴾ وترجمه بعضهم إلى لغتنا وجعل له مقدمة بين فيها مقصد المؤلف فقال ﴿ إن غرض هذا الكتاب هو خدمة المقصد المسيحي الحكيم بذكر حياة ذلك الرجل الشريف محمد ﴾ أولئك كتب ما قصدوا التاريخ ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحي الحكيم كما يقولون وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقط حججهم أن يشبعوا خصمهم سبا وشتما وأن يحرفوا في النقل مهما استطاعوا وأراد (داماسين) أن يخالفهم في التأليف لكونه تربي في دمشق الشام وكان مقربا عند الخلفاء فجعل يرد مذهب الاسلام من غير تعصب لذلك عده بدعة في الديانة المسيحية تقرب من بدعة (أريوس) ومع ذلك فلم تؤثر عبارته في رأى الغربيين بل ظلوا يعتقدون الخرافات في النبي وقواته وكان رؤساؤهم الروحانيون يحتشدون دائما في تأييدها وتمكينها من الأذهان وهي سياسة جعلت الناس عنسدنا يهزؤون بالدين الاسلامي وأغنت الباباوات عن حربه حربا صحيحا فقد كانت الكنيسة اللاتينية في القرن الثامن مشغولة بأمور أخرى لأن الكنيسة الشرقية كانت واقعة بين عاملين ، ضارين هما أحزاب النفس الواحدة في جسدين وأحزاب النفس في جسم واحد . ولم يبدأ في البحث عن الاسلام بغير تعصب ولا تشيع إلا في زمننا هذا ، ففي القرن التاسع عشر أخذ الباحثون ينظرون إلى المسألة نظر الناقد البصير وكان من وراء ذلك أن افترق الناس في القرآن إلى معجب به وطاعن فيه ومع ذلك لا يزال نرى في لسان هذا القسم الأخير ما نشم منه رائحة تأثرهم بالأفكار الماضية \* قال المسيو (دروختي) في سياحته في بلاد العرب التي نشرها سنة ١٨٧٨ عن النبي (انه عربى خائن دنيء) وقد نسي أن هذه الألفاظ التي يشتم منها السامع لم تعد تصلح اليوم حجة على صحة الدعوى . وأول مدار البحث فيه مسألة صدق النبي في رسالته وقد قلنا ان ذلك متفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين على التقريب ، ومعلوم أنه لا ارتباط بين هذه المسألة وبين كون القرآن كتابا منزلا ، ولنا نحتاج في إثبات صدق النبي إلى أكثر من اثبات انه كان مقتنعا بصحة رسالته وحقيقة نبوته ، أما الغرض من تلك الرسالة في الأصل فهو إقامة إله واحد مقام عبادة الأوثان التي كانت عليها قبيلته مدة ظهوره . وبيان ذلك أن اسماعيل لما حققت عليه (سارة) وطرد من عائلة أبيه توجه إلى بلاد العرب ونقل إليها ديانة أبيه ابراهيم إلا انه لم يبق بين العرب من تلك الديانة سوى شئ قليل يشبه الخيال إذ لم يكن عندهم من يذكرهم على الدوام بأن رب ابراهيم هو رب عزيز لا يقبل له شريكا كما حصل ذلك لبنى اسرائيل ولا يزال هذا الاعتقاد يزول شيئا فشيئا وتحل محله عبادة الآلهة التي كانت معروفة في أمم أخرى حتى تنوسى دين اسماعيل تماما ثم دخلت اليهودية في بعض القبائل المجاورة لبلاد الشام ولكن الديانة المسيحية لم تعلق في تلك البقاع حتى ان (تيت) قس البصرة اعترف في القرن الرابع بأن معيشة العرب الرحالة الثقالة تمنع من انتشار تلك الديانة في بحيث جزيرة العرب إلى أن قال

ثبت إذن مما تقدم أن محمدا ﷺ لم يقرأ كتابا مقدسا ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه خلافا لما ذهب إليه (اسكندر ديون) حيث يقول ﴿ انه كان يعرف في دين اليسوع قراءة وكتابة ﴾ نعم إن البحث عن معرفة المصادر التي عساه يكون تلقى عنها بالمشافهة ديانة المسيح أو الديانة اليهودية أو ديانة عباد السكواك قد يكون مفيدا لمعرفة الموافقات التي جاءت بين القرآن وبين التوراة إلا أنه بحث ثانوى إذ لو فرض وكان القرآن قد نقل بعضا من الكتب المقدسة الأخرى لبقى الأمر مشكلا كما كان عليه في معرفة حقيقة ما احتاج



بروحه الدينى وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحدانية الله حتى استولى عليه روحا وجسما ولقد نعلم انه مرّ بمتاعب كثيرة وقاسى آلاما نفسية كبرى قبل أن يخبر برسالاته فقد خلقه الله ذا نفس تمحصت للدين ، ومن أجل ذلك احتاج الى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الأوثان ومذهب تعدد الآلهة الذى ابتدعه المسيحيون وكان بعضهما متمكنا من قلبه وكان وجود هذين المذهبين أشبه بآبرة فى جسمه ﷺ ولكي ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى اعتكف فى جبل حراء وأرخى العنان لفكره يحول فى بحار التأملات عابدا متهجدا ومضت عليه بهذه الحالة ليال من ليالى هاتيك البقاع التى تملأ النفس انشراحا حتى جاء عنها فى لسان العامة أن الملائكة تسأل ربها لوأذن لهم فيهبطوا من السماء لقضاء ليلهم على الأرض اعجابا بجمال الليل فيها وشوقا الى صفاته وجلاله

ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذى بلغ الأر بعين وهو فى ريهان الذكاء ، ومن أولئك الشرفيين الذين امتازوا فى العقل بحدة التخيل وقوة الادراك لابوضع المقدمات وتعليق النتائج عليها ما كان إلا أن يقول صرارا ويعيد تكرارا هذه الكلمات ﴿ الله أحد . الله أحد ﴾ كلمات رددتها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا معشر المسيحيين مفزاها لبعدها عن فكرة التوحيد ولم يزل عقله مشتغلا حتى ظهر هذا الفكر فى كلامه على صور مختلفة جاءت فى القرآن - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وكانت مترادفات اللغة العربية تساعده بمعانيها الرقيقة على ترداد ذلك الفكر السامى الذى دلّ عليه ومن تلك الأفكار وتلك العبادة تولدت كلمة الاسلام ﴿ لا إله إلا الله ﴾

ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد ورب صمد منزّه عن النقائص يكاد العقل يتصوره وهو اعتقاد قوى يؤمن به المسلمون على السوام ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب ، أولئك حقا هم المؤمنون كما يسمون أنفسهم بألسنتهم ، ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل الى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والانجيل إذ لو قرأ تلك الكتب لردّها لاحتمائها على مذهب التثليث وهو منافق لظفرته بخالف لوجدانه منذ خلقته فظهر هذا الاعتقاد بواسطة دفعة واحدة هو أعظم مظهر فى حياته وهو بذاته أكبر دليل على صدقه فى رسالته وأمانته فى نبوته

وأما مسألة الوحي بالقرآن فهي أكثر اشكالا وأكبر تعقيدا لأن الباحثين لم يهتدوا الى حلها حل مرضيا والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمى وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يجهز فكر نبي الانسان عن الاتيان بمثلها لفظا ومعنى ، آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار فى جاهلها وكفى رفيع عباراتها لاقناع عمر ابن الخطاب فآمن برب قائمها ، وفاضت أعين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب (سورة آل عمران) وما جاء فى ولادة يحيى وصاح القسسى ﴿ إن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى ﴾ قال ناقل هذه الرواية (كوزان دى يرسوفال) فلما كان اليوم الثانى طلب النجاشي جعفرا وأشار اليه بتلاوة ما فى القرآن عن المسيح ففعل واستغرب الملك لما سمع أن المسيح عبد الله ورسوله وروح منه نزل فى أمه مريم ثم تناول قضيبا دقيقا كان أمامه وقال لجعفر ﴿ إن الفرق بين ماسمعناه منك الآن عن عيسى وبين ما تقول دياننا عنه لا يزيد عن سمك هذا القضيب وقد قوى ذلك التضيّب فنع الحبشة من الاسلام وجعلها مسيحية الى الآن لكن نحن معشر الغر بين لا يسعنا أن نفقه معانى القرآن كما هى لمخالفتة لأفكارنا ومعايرته لما ريت عليه الأمم عندنا غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سببا فى معارضة تأثيره فى عقول العرب ﴾ ولقد أصاب (جان جاك روسو) حيث يقول ﴿ من الناس من يتعلم قليلا من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولوانه سمع محمدا ﷺ عليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المنقنع المشبع الذى يطرب الأذان ويؤثر فى القلوب والنفث الى انه كلما بدت أحكامه أيدها بقوة البيان وما أوتيته من بلاغة اللسان لخّر ساجدا على الأرض وناداه أيها

النبي رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والخطر فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار ﴿ قال (بولاتيلير) ﴾ إني لأعترف بأنه من الصعب أن يظن الإنسان ولا يتحير في أمره أن قوة الفصاحة الإنسانية تؤثر ذلك التأثير خصوصا أنها تصدر عالية بغير ضعف أبدا وتتجدد رفيعة مجزة إذ تقصر دون تمثيلها رجال الأرض وملائكة السماء ﴿ وقد أشار المؤلف في كتابه إلى الآية الآتية - أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وانعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين \* فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو -

إذن ليس محمد من المبتدعين ولا من المنتحلين كتبهم وليس هو بنبي سلاب كما يقول المسيو (سايس) نعم قدرى تشابهها بين القرآن والتوراة في بعض المواضع إلا أن سببه ليس هو المعرفة ، ذلك أن محمدا كان يلصق ديانة الاسلام بالديانتين المسيحية واليهودية فالبحث مباح فيما إذا كان مذهبه صحيحا أو موضوعا اتخذ ليويد به الحقيقة الدينية من حيث هي ولكن لا نسلم انكار هذه الحقيقة وحيد لا عجب إذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضع خصوصا إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها كما أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين والآن لنخص لك مذهب نبي المسلمين في الديانات الثلاث فنقول ﴿ إن دين الأنبياء كان كله واحدا فهم متحدون في المذهب منذ آدم إلى محمد وقد نزلت ﴿ ثلاث كتب ﴾ سماوية وهي الزبور والتوراة والقرآن والقرآن بالنسبة إلى التوراة كالنسبة إلى الزبور أو أن محمدا بالنظر إلى عيسى كعيسى بالنظر إلى موسى ولكن الأمر الذي تهتم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوي ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل فلا كتاب بعد القرآن ولأنبي ﷺ بعد محمد ﷺ ولن تجد بعده كلمات الله تبديلا ، إذا تقررت هذا لم يعد هناك وجه للاستغراب من وجود بعض التشابه بين القرآن والتوراة فمحمد كعيسى قال أنه بعث ليتمم رسالة من قبله لا ليبيدها فلم يكن من أمره الابتعاد عمن تقدمه ولذلك كان يصريح على الدوام بأنه يعيد على الناس منازل على الأنبياء من قبله وكان يسمع صوتا من السماء يقول له - إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا \* ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما \* رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكما - وقال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون - وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون - على أن بعض المشابهات لا تحتاج إلى مثل هذا التفسير إذ نفس محمد كانت متأثرة بما تأثرت به نفوس الأنبياء من بني إسرائيل وكان يعبد الله الذي عبده فلا عجب إن تشابهت ألفاظ التضرعات وتجانست أنواع الدعاء . إذن لا يمكن أن ننكر على محمد ﷺ في الدور الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاص صدقه ، فأما الإيمان فلم يتزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني وما أوتي به من النصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغا لاحتل لازيادة فيه ولم يكن فيه عيب بل إن مانسبوه إليه من هذا القبيل لا يؤثر بشئ على سيرته الطاهرة فما كان يميل إلى الزخارف ولم يكن شحيحا بل كان كما قال أبو الفداء يستمر اللبن من نعاجه بنفسه ويجلس على التراب ويرقى ثيابه ونعاله بيده ويلبسها مرقعة مرقعة وكان قنوعا خرج من هذا الباب كما رواه أبو هريرة ولم يشيع من خبره الشعر مرة في حياته

هذا هو النبي الذي قال عنه المنشدون من النصارى ﴿ إنه كان منهما يأتي المغيبات في الحانات ﴾ تجرد من الطمع وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيرا ولا حاشما وقد حاز الرفعة والمعالى وبلغ من السلطان متناه

ومهما اجتهدنا في ادراك كل معنى من معانيه فاننا به جاهلون فلقد وعد ملوك بني اسرائيل أن يرسل المسيح من أصلابهم ورأينا أن عيسى ولد على غير ما عهدوا . على أن محمدا ﷺ كان يقول عن نفسه انه يخشى العذاب ويسأل الله الغفران ، وكمن صرة شوهدت على وجهه علائم الطلع ومابه من هول رسالته عندما كان يتلو على الناس آيات الفزع الأكبر

هنا ما كان من صدقه وأمانته في السنين الأولى من بعثته حتى ساء معاصروه بالأمين . وأما حاله في بقية مدته بعد أن صار رئيسا سياسيا فالاستدلال عليه أدق وأدعى الى طول البحث والتنقيب \* قال رينارد دوزي ﴿ يكاد أن يكون من المستحيل الجزم بأن محمدا كان في آخر حياته يعتقد بصديق رسالته . أما في الدور الأول فاعتقاده وصدقه لاشك فيهما والأدلة كثيرة من الجانبين ووضع المسألة على هذه السكيفية هو الذي فرّق بين الباحثين وانتصر كل حزب من المتطفلين لرأى وحجة تبع أمياله وما يشتهي إلا ان الناقد المنصف لا يصح له عليه أن يرجح قولاً على آخر بدون ملاحظة القرائن التي تتبع الاثنين ، ولكن الناس كما وصفهم المسيو (مونور) محتاجون الى الايقان والاعتقاد وهم في احتياجهم هذا يميلون الى من يلقى عليهم المسائل كلها كأنها حقيقة ثابتة ويمقتون من ينههم عن الاعتقاد بشئ أو نفيه مطلقا بغير تثبت ولادليل ولست ممن يدعى الترفع عن هذا التفرع غير أنني أقول انه بفرض صحة المذهبين وان صدق النبي في آخر حياته وعدمه سيان في الوضوح والدليل فلا يزال عندنا سبيل آخر للوصول الى الحقيقة أو القرب منها ألا وهو علم النفس وحركاتها وهذا العلم وان لم يبلغ بعد الدرجة التي تزيل كل شبهة علقنا بالأفكار لكنه مع ذلك يوصلنا الى الايقان بأن من الأنبياء من لا يتيسر للباحثين أن يجزموا بشئ في أمرهم كأن يؤكّدوا أنهم صادقون أو أنهم جروا في أعماهم على ما يخالف الواقع وهم يعملون كما يفعل السياسيون ، وما من كاتب ولا باحث يستطيع أن يجزم بأن الأمبراطور (كونستنتان) الذي رفعه القسوس مكانا عليا في المعابد واختصوه بالمواهب الإلهية كان صادقا بعدما انتصاره في قنطرة (ميليوس) ولكن محمدا قاوم الوثنية بعزم واحد طول الحياة ولم يتردد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الأحد كما فعل الملك الروماني وإيمانه كان حقا ثابتا على الدوام ، لذلك لم تتغير حياته ولم تفتر عزيمته فقد انتهى كما بدأ ولوانه جال بفكره ساعة من زمانه شك في صدق رسالته لكفى بنصره الدائم منيلا لهذه الغمة ومؤيدا له في صحة صبوته وصدق رسالته ﴿

وفي الصدق درجات فليتينها الباحثون وليفقهوها قبل أن يحكموا بالبدع وهم مخطئون ، ولقد عانى محمد ﷺ كثيرا مع بني قومه إذ كانوا منكرين ولم يأخذهم على غرة منهم بعد أن صاروا مؤمنين ، نحن لانصدق بما يقولون بل نرى أن قومه كانوا في استعمال أمانته من المتطرفين ، ولئن أعجم لهم القول حيناً في مخاطبتهم فذلك لأنه يعز وجود من يحب الحق ولا تلجئه الحوادث الى الاعجاب طلبا لتقريره في ذهن قوم جامدين . إن الذين ينكرون صدق محمد في آخر حياته لا يستطيعون أن ينكروا عليه انه بقي الى آخر لحظة منها نبيا رسولا شديد التمسك بمذهبه وانه فارق الدنيا موقنا بأداء رسالته فلقد اتفق مؤرخو العرب طرا على الحوادث التي تخللت أيامه الأخيرة وأورثونا عنهم ما كان من حركاته وسكناته بقول واحد ومعنى لا يتغير مما يبرهن على صدق حديثهم وأمانتهم في نقلهم ، ولولا زيف المنسدين من النصاري وكثرة تخيلهم لما قالوا ﴿ إن محمدا قد مات تهشه الخنازير إذ وجدوه نشوان وليس عنده معين ولا نصير ﴿ تلك جريمة لا تغفر ، وما يستغرب له المطالع أن يجد حكاية هذا الموت الفاضح في تاريخ الحرب الصليبية الأولى لمؤلفه (جيبيردي نوجان) وهو معدود من المؤرخين الذين لا يميلون الى التخریف غير انه أتى بهذه الأكاذوبة وزاد عليها أن المسلمين كرهوا لحم الخنزير من ذلك التاريخ فلنسدل ثوب النسيان على هذه الأقاصيص المحزنة ولنقرأ كيفية وفاة النبي في كتب المؤرخين الصادقين

لما قربت المنية خارت قواه وخرج الى الحج بمكة في شهر مارس سنة (٦٣٢) ميلادية وهي حجة الوداع

وخطب في الناس على منبر المسجد المقدس فقال ﴿ رب انى أدت رسالتى وبلغت أمانتى اليوم قال الله تعالى - اليوم يقس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ﴾ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً - ثم رجع الى المدينة وأقام بيوت عائشة زوجته المصطفاه برضا من زوجاته ، ولما أحسّ بقرب الأجل ذكر الفقراء فانه لم يرغب طول حياته في المال بل كان كلما جمع اليه شيئاً منه أنفقه في الصدقات ، وكان قد أعطى عائشة مقداراً يسيراً لتحفظه فلما حضره المرض أمر بانفاقه على المعوزين لساعته وغاب في سنة ولما أفاق سألها عما اذا كانت أنفدت أمره أم لا فأجابته . كلاء فأمر بالنقد وأشار الى العائلات المعوزات فوزع عليهم وقال الآن استراح قلبي فاني كنت أخشى أن ألقى ربى وأنا أملك هذا المال ، وكان في مرضه يخرج كل يوم ليصلي الظهر بالناس وآخر يوم خرج فيه هو الثامن من شهر يونيه سنة ٦٣٢ وكانت مشيته مضطربة فتوكل على الفضل بن العباس وعلى بن أبى طالب وقصد منبر الخطابة الذى كان يعظ الناس عليه قبل الصلاة وحمد الله وأثنى عليه ثم خطب في المسلمين بصوت رفيع سمعه من كان خارج المسجد فقال « أيها الذين تسمعون قولى إن كنت ضربت أحدكم على ظهره فدونوه ظهري فليضربه ، وإن كنت أسأت سمعة أحد فلينتقم من سمعتي ، وإن كنت سلبت أحداً ماله فاليه مالى فليقتص منه وهو في حل من غضبي فان الغل بعيد عن قلبي » ثم نزل من المنبر وصلى بالجماعة ، ولما أراد الانصراف أمسك به رجل من إزاره وطلب منه ثلاثة دراهم ديناً له فأدّاها على الفور قائلاً « نخزى الدنيا أهون من خزى الآخرة » ثم دعا لمن حارب معه في (أحد) وسأل الله لهم الرحمة والغفران ، وكان مشهد النبي بين المؤمنين في ذلك اليوم مشهد جلال ووقار والناس يلحون على وجهه تأثير السم الذى شربه من يد يهودية خبير وقابلهم من منفطرة من الوجد عليه ، ذلك انه لما كان في واقعة خيبر قدمت اليه يهودية اسمها (زينب) شاة مشوية أضافت اليها سمها فأخذ منه النبي ﷺ قطعة واحدة بين شفتيه وأحسّ بأنها مسمومة فآلقاها ، ثم لما حضرته الوفاة بعد حين كان يقول « ما زالت تعاودنى أكلة خيبر » وكان أبو بكر نفسه يبكي ويقول للرسول « هلا افتدينا روحك بارواحنا » ثم أوصله الصحابة الى بيت عائشة واضطجع تعباً مهزولاً وصار المرض يشتد عليه فتخلف عن الصلاة بالمسلمين وقيل له قد جاء وقت الظهر فأشار الى أبى بكر ليصلي بالناس فكان من وراء هذه الإشارة خلافة أبى بكر بعد النبي ﷺ وأخبرت عائشة رضى الله عنها عن حالة الاحتضار فقالت كانت رأس رسول الله ﷺ مسندة الى صدرى وبقربه قدماء وكان يقوم ليضع فيها يده ويمسح جبينه ويقول « رب أعنى على تحمل سكرات الموت أدن منى يا جبريل ، رب اغفر لى واجمع بينى وبين أصدقائى في السماء » ثم ثقلت رأسه ومال ثانية الى صدرى

أما مخلفاته فبیت بناء بيده وبضع نياق آلت الى بيت المال لأنه عليه الصلاة والسلام قال « نحن معاشر الأنبياء لانورث » والى هنا نقصر القول عن ذات النبي فما أردنا أن نطيل فيها إلا لنعرف حقيقة تلك النفس المتشعبة بالدين إذ الدين يدعو الى الدين وكان من الواجب دقة البحث عن اعتقاده ﷺ قبل أن نتبع دينه كيف انتشر ولا يزال ينتشر في الوجود

### ﴿ الاسلام في زمن الفتح ومدة حكم العرب ﴾

قال القديس (بولص) يطلب اليهود معجزات ليصدقوا واليونان أدلة ليؤمنوا ، وأما العرب فافهم آمنوا بغير معجزات ولا أدلة إذ النبي كان يقول جلسائه على الدوام انه آدمي مثلهم وانه مرسل اليهم وانه مجرد عن كل سلطان في المعجزات - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما إلهكم إله واحد - قل لا أملك لنفسى نقعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مكنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون - وأما البراهين فنحن نعم مقدار بعد عقله عن التخيلات الذهنية كالآمة التي بعث فيها الا اننا رأينا الاسلام

في واقعة بدر سنة ٦٢٤ ميلادية وليس له من الأنصار إلا ثلثائة وأربعة عشر نفرا فلم يمض عليه قرن واحد حتى اجتاز جبال (الالب) وتوسط السلاسل الفرنسية ، وقد أسلمت الشام والحجج ومصر وبلاد الغرب من مراكش إلى الجزائر إلى تونس إلى طرابلس ، نعم قد سبق هذا الانتشار العظيم عناء شديد واضطراب في العمل كثير واضطهاد للناس كبير شأن كل ديانة عامة في مبدئ ظهورها ولكن الاسلام لم يلبث أن تغلب على أكبر العثرات فهد الصعاب حتى صار لا يعرف حاجزا ولا مانعا

وما أشبه الدين في انتشاره بامتداد السائلات الطبيعية فهو نتيجة ﴿ مؤثرين ﴾ مؤثر داخلي يسمى المقاوم ومؤثر خارجي وهو المحرك والأول خفي لا يظهر أثره وإن كان هو الذي يلتقط جميع الحرارة الواصلة إلى الجسم فعمله الوحيد التغلب على مقاومة العناصر فإذا انحلت جاء المؤثر الخارجي فنشأ عنه مع اختلاف سيرة تمدد الجسم العظيم الذي يسمى تبخرا وقد احتاج الاسلام في الانتشار إلى التغلب على قوة العوائد والتقاليد التي وجدها وهو مانع يصادف كل دين جديد إلا أنه كان قويا للغاية عند العرب لتمسكهم بعاداتهم وعجائبهم برسوم قبائلهم العربية القديمة وكان من الصعب جدا أن يهتدوا ديناً يرى آباءهم غير مطهرين ، ومن الموانع التي قوت العرب في استعصائهم على الاسلام ما اشتمل عليه من مبدئ قهر النفوس وتذليلها للواحد المعبود ، فالقول بالمساواة بين الناس طرا أمامه كان ثقيلاً على آذان العرب مخالفاً لتقاليدهم الأولية حتى يدنوا إليه بغير عناء ولذلك فإن الاسلام سنة ٦٢٣ ميلادية أيام وفاة النبي لم يكند يبلغ حدود جزيرة العرب إلا أنه كان بين المسلمين الأوّلين رجال من العظماء اعترف بفضلهم الأب (بروغلي) حيث قال ﴿ إن الذين آمنوا بمحمد كانوا قوماً صادقين ذوي دراية وذكاء منهم أبو بكر وعمر وجلان توليا زمام مملكة فيسيحة الأرجاء فأحسنوا سياستها وكانوا ذوي ثبات وعدل وقناعة وفضل وشدة عزيمته وكانوا أرفع قدرا وأبعد مرمى من القياصرة والحكام الذين حاربوهم ﴾ ومن الغريب أن الدين الاسلامي لم يلق في طريقه من المقاومات إلا ما قابل به العرب الوثنيون فانهم كما قدمنا كانوا مدفوعين إلى المقاومة بسبب تمسكهم بعوائدهم وشعائيرهم القديمة وحبهم لحرّيتهم واستقلالهم فكان جميع تلك القبائل المنشورة وهم رحل في الوديان غيررون على اطلاقهم في الفلوات ، لا يعرفون من الحكم إلا سواق المشاة على المرعى ومحاربة بعضهم في كل آن وتسكين أمة واحدة منهم أكبر عقبة قامت في وجه النبي ﷺ ولولا قوة الدين الجديد لما بقيت تلك الوحدة زمنا طويلا إلا أنها لم تدم إلا وقتا وعادت بعد ذلك إلى التفريق والانقسام ، غير أن القبائل بعد تفرق وحدتها لا تزال متمسكة بدينها الجديد وصار الاسم العربي ذا المقام الأول بين الأسماء في جميع أطراف المسكونة وصار كل ينتسب إلى عائلة من عائلات الجزيرة خصوصا عائلة قريش ذات المجد الباذخ والشرف الرفيع ، وهذا هو السبب في اطلاق اسم العرب في التاريخ على أمور كثيرة فقالوا عائلة كذا عر بية وأمة كذا عر بية وتمن كذا عربي مع أنه لا جامعة بينها وبين بلاد العرب سوى الاسلام . انتهى الكلام على الفصل الثاني

### ﴿ الفصل الثالث فيما ذكره العلامة توماس كارليل ﴾

لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصل إلى ما يظن من أن دين الاسلام كذب وأن محمدا خداع مزور وأننا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة فإن الرسالة التي أدها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنجومائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفاتنة الحصر والاحصاء كذوبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً وإذا كان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول ، فالناس إلا بله ومجانين وما الحياة إلا سخر وعبت وأضلالة كان الأولى بها أن لا تخلق

فوا أسفاه ما أسوأ مثل هذا الزعم وما أضغف أهله وأحقهم بالراء والمرجة (و بعد) فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات أن لا يصدق شيئا البتة من أقوال أولئك السفهاء فانها نتائج جيل كفر وعصر يتعبد والحاد وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح في حياة الأبدان . ولعل العالم لم ير قط رأيا أكفر من هذا والألم ، وهل رأيتم قط معشر الاخوان أن رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد ديناً ويذكره ، عجبا والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب ، فهو اذا لم يكن علما بخصائص الجبر والجص والتراب وما شا كل ذلك فما ذلك الذي يبنيه بيت وانما هو تل من الانقاض وكثير من اخلاط المواد ، نعم وليس جديرا أن يبقى على دعائه اثني عشر قرنا يسكنه مائة مليون من الأنفس ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن ، واني لأعلم انه على المرء أن يسير في جيع أهله طبق قوانين الطبيعة والا أثبت أن تحجب طبيعته وتعطيه بغيته ، كذب والله ما يذيعه أولئك الكفار وان زخفوه حتى خيالوه حقا وزور وباطل وان زينوه حتى أوهموه صدقا ومحبة والله ومصاب أن ينخدع الناس شعوبا وألما بهذه الأضاليل وتسود الكذبة وتتود بهاتيك الأباطيل وانما هو كاذب كرت لكم من قبيل الأوراق المالية المزورة يحتال بها الكذاب حتى يخرجها من كفه الأثيمة ويحقق مصابها بالغير لا به ، وأي مصاب وأيكم ؟ مصاب كصاب الثورة الفرنسية وأشباهها من الفتن والمحن تصيح بل أفواها « هذه الأوراق كاذبة »

أما الرجل الكبير خاصة فاني أقول عنه يقينا انه من المحال أن يكون كاذبا فاني أرى الصدق أساسه وأساس كل ماله من فضل ومحمدة ، وعندى أنه مامن رجل كبير (ميرابو) أو (نابليون) أو (بارنز) أو (كرويل) كفاء للقيام بعمل ما إلا وكان الصدق والاخلاص وحب الخير أول باعثاته على محاولة ما يحاول أغنى انه رجل صادق النية جاد مخلص قبل كل شيء بل أقول إن الاخلاص (الاخلاص الحرا العميق الكبير) هو أول خواص الرجل العظيم كيفما كان ، لا أريد اخلاص ذلك الرجل الذي لا يبرح يفتخر للناس باخلاصه . كلا . فان هذا حقير جدا وأيم الله ، هذا اخلاص ساذج وقبح وهو في الغالب غرور وفتنة انما اخلاص الرجل الكبير هو ما لا يستطيع أن يتحدث به صاحبه . كلا . ولا يشعر به بل لأحسب انه ربما شعر من نفسه بعدم الاخلاص إذ أين ذاك الذي يستطيع أن يلزم منهج الحق يوما واحدا ؟ نعم إن الرجل الكبير لا يفخر باخلاصه قط بل هو لا يسأل نفسه أهى خاصة (أو عبارة أخرى) أقول ان اخلاصه غير متوقف على ارادته فهو مخلص على الرغم من نفسه سواء أراد أم لم يرد ، هو يرى الوجود حقيقة كبرى تروعه وتهوله ، حقيقة لا يستطيع أن يهرب من جلالها الباهر مهما حاول ، هكذا خلق الله ذهنه ، وخلقه ذهنه على هذه الصورة هو أول أسباب عظمته ، هو يرى الكون مدهشا وخيفا وحقا كالموت وحقا كالحياة وهذه الحقيقة لا تفارقه أبدا وان فارقت معظم الناس فساروا على غير هدى وخطوا في غياهب الضلال والعماية بل تنزل هذه الحقيقة كل لحظة بين جنبيه ونصب عينيه كأنها مكتوبة بحروف من الذهب لاشك فيها ولا ريب هاهي هاهي

فاعرفوا هذا كم الله أن هذه هي أول صفات العظيم وهذا حدّه الجوهري وتعريفه وقد توجد هذه في الرجل الصغير فهي جديرة أن توجد في نفس كل انسان خلقه الله ولكنها من لوازم الرجل العظيم ولا يكون الرجل عظيما إلا بها

مثل هذا الرجل هو مانسميه رجلا أصليا داني الجواهر كريم العنصر فهو رسول مبعوث من الأبدية المجهولة برسالة الينا ، ثم قال بعد ذلك بكلام هذا نصه بالحرف الواحد كالذي قبله نحن نعلم أن قوله ليس بأخوذ من رجل غيره ولكنه صادر من لباب حقائق الأشياء ، نعم هو يرى باطن كل شيء لا يحجب عنه ذلك باطل الاصطلاحات وكاذب الاعتبار والعادات والمعتقدات وسخيف الأوهام والآراء ، وكيف وان الحقيقة تسطع لعينه حتى يكاد يغشى لنورها ، ثم اذا نظرت الكلمات العظام شاعرا كان أوفيلسوبا أوليا أوفارسا أو ملكا ، ألا تراها ضربا

من الوحي والرجل العظيم في نظاري مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون فهو جزء من الحقائق الجوهرية للأشياء ، وقد دلّ الله على وجوده بعدة آيات أرى أن أحدثها وأجدها هو الرجل العظيم الذي علمه الله العلم والحكمة فوجب علينا أن نصغي إليه قبل كل شيء . وعلى ذلك فلسنا نعتدّ محمدا هذا قط رجلا كاذبا متصنعا يتدرّع بالحيل والوسائل الى بغية أو يطمح الى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائق والصفائر وما الرسالة التي أداها إلا حقا صراحا ، وما كلمته إلا صوتا صادقا صادرا من العالم المجهول . كلا . ما محمد بالكاذب ولا الملقف وإنما هو قطعة من الحياة قد تفتطع عنها قاب الطبيعة فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهذه حقيقة تدمغ كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين كانت عرب الجاهلية أمة كريمة تسكن بلادا كريمة وكأنا خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق فكانت شبه قريب بين وعورة جبالها وعورة أخلاقهم وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم وكان يلطف من قسوة قلوبهم مزاج من اللين والدمائة كما كان يسطم من عبوس وجوه البلاد رياض خضراء وقيعان ذات أمواه وأكلاء وكان الاعرابي صامتا لا ينسلكم إلا فيما يعنيه إذ كان يسكن أرضا قفرا يبابا خرساء تحالها بحرا من الرمل يصطلى جرة النهار طوله ويكافح بحر وجهه نفحات القمر ليله

رأت رجلا ما إذا الشمس عارضت \* فيضحي واما بالعشي فيخصر

ولأحسب أناسا شأنهم الانفراد وسط البيد والقفار يحادثون ظواهر الطبيعة ويناجون أسرارها إلا أنهم يكونون أذكياء القلوب حداد الخواطر خفاف الحركة ناقي النظر وإذا صح أن الفرس هم فرنسويون المشرق فالعرب لاشك طليانه ، والحق أقول لقد كان أولئك العرب قوما أقوياء النفوس كأنا أخلاقهم سيول دفاقة لها من شدة خرمهم وقوة ادارتهم أحسن سور وأمنع حاجز ، وهذه وأبيكم أم الفضائل وذروة الشرف الباذخ ، وقد كان أحدهم يضيفه ألد أعدائه فيكرم مثواه وينحدر له فإذا أزمع الرحيل خلع عليه وحمله وشيعه ثم هو بعد كل ذلك لا يحجم أن يقاتله متى عادت به اليه الفرص ، وكان العربي أغلب وقته صامتا فإذا قال أفصح ، ويزعم أن العرب من عنصر اليهود والحقيقة أنهم شاركوا اليهود في مرارة الجذ وخالقوهم في حلاوة الشمال ورقرة الظرف وفي ألمعية القرية وأريحية القلب ، وكان لهم قبل زمن محمد عليه السلام منافسات في الشعر يجرونها بسوق عكاظ في جنوب البلاد حيث كانت تقام أسواق التجارة فإذا انتهت الأسواق تناشد الشعراء القصائد ابتغاء جائزة تجعل للأجود قريضا والأحكم قافية فكان الأعراب الجفاة ذوو الطباع الوحشية الوعرة يرتاحون لنغمات القصيد ويجدون لرناتها أي لذة فيتهاقون على المنشد كالفراس ويتهاكون

وأرى هؤلاء العرب صفة من صفات الاسرائيليين واضحة فيهم وأحسبها ثمرة الفضائل جميعها والمحمد بمخذا فيرها ألا وهي التدين فانهم مذ كانوا مابرحوا شديد التمسك بدينهم كيفما كان وكانوا يعبدون الكواكب وكثيرا من الكائنات الطبيعية يرونها مظاهر للخالق ودلائل على عظمته . فهذا وإن يك خطأ فليس من جميع وجوهه فإن مصنوعات الله مابرحت بوجه ما رموزا له ودلائل عليه . ألسنا كما قدّمنا اعتدنا مفخرة للشاعر وفضيلة أن يكون يدرك ما بالكائنات من أسرار الجمال والجلال أو أسرار الجمال الشعري كما اصطلاح الناس على تسميته . وقد كان هؤلاء العرب عدة أنبياء كلهم أستاذ قبيلته ومرشدوها حسبما يقتضيه مبلغ علمه ورأيه . ثم أليس لدينا من البراهين الساطعة ما يثبت لنا أي حكمة بليغة ورأي مستد . وأي تقوى وإخلاص قد كان هؤلاء البدو المفكرين . وقد اتفق القاد أن (سفر أيوب) أحد أجزاء التوراة كتبنا المقدس قد كتب في بلاد العرب ورأى في هذا الكتاب فضلا عن كل ما كتب عنه انه من أشرف ماسطر براع ودوّنت يد كاتب . ولا يكاد المرء يصدق انه من آثار العبرانيين لما فيه من عمومية الأفكار مع شرفها وسموها عمومية تخالف التعصب والتحيز وكان بين هؤلاء العرب التي تلك حاطهم أن ولد النبي محمد عليه السلام عام (٥٨٠) ميلادية وكان من أسرة



هاشم من قبيلة قر يش وقدمات أبوه عقب مولده . ولما بلغ عمره ستة أعوام توفيت أمه وكان لها شهرة بالجمال والفضل والعقل فقام عليه جدّه شيخ كان قد ناهز المائة من عمره وكان صالحا باراً ، وكان ابنه عبدالله أحب أولاده إليه فأبصرت عينه الطرمة في محمد صورة عبد الله فأحبّ اليقيم الصغير على قلبه ، وكان يقول ينبغي أن يحسن القيام على ذلك الصبي الجليل الذي قدفاق سائر الأسرّة والقبيلة حسناً وفضلاً ، ولما حضرت الشيخ الوفاة والغلام لم يتجاوز العامين عهد به الى أبي طالب أكبر أعمامه رأس الأسرة بعده فرباه عمه (وكان رجلاً عاقلاً كما يشهد بذلك كل دليل) على أحسن نظام عربيّ

ولما شبّ محمد وترعرع صار يصحب عمه في أسفار تجارية وما أشبه ، وفي الثامنة عشرة من عمره نراه فارساً مقاتلاً يتبع عمه في الحروب ، غير أن أهمّ أسفاره ربما كان ذلك الذي حدث قبل هذا التاريخ بضع سنين (رحلة الى مشارف الشام إذ وجد الفتى نفسه هنالك في عالم جديد إزاء مسألة أجنبية عظيمة الأهمية جدا في نظره) أعنى الديانة المسيحية . واني لست أدري ماذا أقول عن ذلك الراهب سرجياس (بشيرا) الذي بزعم أن أبا طالب ومحمدا سكنا معه في دار ، ولماذا عساه يتعلمه غلام في هذه السن الصغيرة من أي راهب ما فإن محمدا لم يكن يتجاوز إذ ذاك الرابعة عشرة ولم يكن يعرف إلا لغته ، ولا شك أن كثيرا من أحوال الشام ومشاهدها لم يك في نظره إلا خليطاً مشوشاً من أشياء ينكرها ولا يفهمها ولكن الغلام كان له عينان ثاقبتان ولا بد من أن يكون قد انطبع على لوح فؤاده أمور وشؤون فأقامت في ثنايا ضميره ولوغير مفهومة ريثما ينضجها له كرم الغداة وصر العشي وتخلها له يد الزمن يوماً ما فتخرج منها آراء وعقائد ونظرات نافذات . فاعمل هذه الرحلة الشامية كانت لمحمد أوائل خير كثير وفوائد جمة

ثم لانفسى شيئاً آخر وهو انه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما وفق الى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية . وعجيب وأيم الله أمة محمد . نعم انه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب ولم يضره ولم يزره انه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها لأنه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك ولم يقتبس محمد من نور أي انسان آخر ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك في جميع أشباهه من الأنبياء والعظماء (أولئك الذين أشبههم بالمصاييح الهادئة في ظلمات الدهور) من كان بين محمد وبينه أدنى صلة وانما نشأ وعاش وحده في أحشاء الصحراء ونما هنالك وحده بين الطبيعة وبين أفكاره

ولوحظ عليه منذ فتائه انه كان شاباً مفكراً وقد سماه رفقائه (الأمين) رجل الصدق والوفاء . الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره . وقد لاحظوا انه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة . واني لأعرف عنه انه كان كثير الصمت . يسكت حيث لا موجب للكلام فإذا نطق فما شئت من لب وفضل وإخلاص وحكمة . لا يتناول غرضاً فيتركه إلا وقد أثار شهوته وكشف ظلمته وأبان حقيقته واستنارد فينته وهكذا يكون الكلام والأفلا . وقد رأينا طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريماً باراً رؤفاً تقياً فاضلاً حراً . رجلاً شديد الجدّ مخلصاً وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة جم البشر والطلاقة حميد العشرة حلو الاناس بل ربما مازح وداعب . وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق لأن من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب أعماله وأحواله . هؤلاء لا يستطيعون أن يبتسموا . وكان محمد جميل الوجه وضىّ الطلعة حسن القامة زاهي اللون له عينان سوداوان تتلألآن . واني لأحبّ في جبينه ذلك العرق الذي كان ينتفخ ويسود في حال غضبه ( كالعرق المقوس الوارد في قصة القفازة الجراء لوالترسكوت) وكان هذا العرق خصيصة في بني هاشم ولكنه كان أبيض في محمد وأظهر . نعم لقد كان هذا النبي حاد الطبع ناري المزاج ولكنه كان عادلاً



عادلا صادق النية ، كان ذكى اللب شهيم الفؤاد

لوذعيا كأئما بين جنبيه \* مصابيح كل ليل بهيم

تمثلنا نارا ونورا ، رجلا عظيما بفطرته لم تنقه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غنى عن ذلك كالشوكة استغنت عن التنقيح فأدّى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء

الى أن قال ﴿ ويَزعم المتعصبون من النصارى والملاحدون أن محمدا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان . كلا . وأيم الله لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير (ابن القفار والفلوات المتوقد المقلتين العظيم النفس المملوءة رحمة وخيرا وحنانا وبراً وحكمة وحجى وإربة ونهى) أفسكار غير الطمع الدنيوى ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه ، وكيف وتلك نفس صامئة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين ، فبينما ترى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسيطرون طبق الاعتبارات الباطلة إذ ترى محمدا لم يرض أن يلتفت بمألف الأكاذيب ويتوشع بمتبع الأباطيل لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الامور والكائنات ، لقد كان سرّ الوجود يسطع لعينه كما قلت بأهواله ومخاوفه ورواقه ومباهره لم يك هناك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه فكأن لسان حال ذلك السراطلائل يناجيه « هاأنذا » فثقل هذا الاخلاص لا يخلو من معنى إلهى مقدس ، وما كلة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة ، فاذا تكلم فشكل الأذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية وكل كلام ماعدا ذلك هباء وكل قول جفاء ومازال منذ الأعوام الطوال منذ أيام رحله وأسفاره يحول بخاطره آلاف من الأفكار ، ماذا أنا ؟ وما ذلك الشئ العديم النهاية الذى أعيش فيه والذى يسميه الناس كونا ؟ وماهى الحياة ؟ وما هو الموت ؟ وماذا أعتقد ؟ وماذا أفعل ؟ فهل اجابته عن ذلك صخور جبل حراء أو شماريح طود الطور أو تلك القفار والفلوات . كلا . ولا قبة الفلك الدوار واختلاف الليل والنهار ولا النجوم الزاهرة والأنواء الماطرة لم يحبه لاهذا ولذاك وما للجواب عن ذلك إلا روح الرجل والا ما أودع الله فيه من سره ، وهذا ما ينبغي لكل انسان أن يسأل عنه نفسه فقد أحسّ ذلك الرجل القفرى أن هذه هى كبرى المسائل وأهم الامور وكل شئ عديم الأهمية فى جانبها ، وكان اذا بحث عن الجواب فى فرق اليونان الجدلية أوفى روايات اليهود المهمة أو نظام وثنية العرب الفاسد لم يتجده . وقد قلت إن أهم خصائص البطل وأول صفاته وآخرها هى أن ينظر من خلال الظواهر الى البواطن . فأما العادات والاستعمالات والاعتبارات والاصطلاحات فينبذها جيدة كانت أو رديئة وكان يقول فى نفسه « هذه الأوثان التى يعبدها القوم لا بد من أن يكون وراءها ودونها شئ ماهى إلا رمز له وإشارة اليه والافهى باطل وزور وقطع من الخشب لا تنفع ولا تنفع » وما لهذا الرجل والأصنام وأنى تؤثر فى مثله أوثان ولو رصعت بالنجوم لا بالذهب ولوعبدها الجحاح من عدنان والأقبال من حير . أى خير له فى هذه ولوعبدها الناس كافة ؟ انه فى واد وهم فى واد . هم يعمهون فى ضلالهم وهو مائل بين يدى الطبيعة قد سطعت لعينه الحقيقة الهائلة فيما أن يحجبها والا فقد حبط سعيه وكان من الخاسرين . فلتجربها يا محمد . أجب لا بد من أن توجد الجواب . أبرزع السكاذبون انه الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا وأثاره . حق وأيم الله وسخافة وهوس . أى فائدة لمثل هذا الرجل فى جميع بلاد العرب وفى تاج قيصر ووصولان كسرى وجميع ما بالأرض من تيجان وصوالجة وأين تصير الممالك والتيجان والبول جميعها بعد حين من الدهر ؟ أفى مشيخة مكة وقضيب مفضض الطرف أوفى ملك كسرى وتاج ذهبى الذؤابة منجاة للرم ومظفرة . كلا . إذن فلنضرب صفحا عن مذهب الجائرين القائل ان محمدا كاذب ونعد موافقهم عارا وسبة وسخافة وحقا فلنرأى بنفوسنا عنه ولنرفع . وكان من شأن محمد أن يعتزل الناس شهر رمضان فينقطع الى السكون والوحدة دأب العرب وعادتهم ونعمت العادة ما أجل وأنفع ولا سيما لرجل كمحمد لقد كان يخلو الى نفسه فيناجى ضميره صامتا بين الجبال الصامئة متفتحا صدره لأصوات الكون الغامضة الخفية .

أجل حبذا تلك عادة ونعمت . فلما كان في الأر بعين من عمره وقد خلا الى نفسه في غار يجبل (حراء) قرب مكة شهر رمضان ليفكر في تلك المسائل الكبرى اذا هو قد خرج الى (خديجة) ذات يوم وكان قد استصحبها ذلك العام وأزهاها قريبا من مكان خلوته فقال لها انه بفضل الله قد استجلى غامض السر واستثار كامن الأمر وانه قد أنارت الشبهة وانجلي الشك وبرج الخفاء وأن جميع هذه الأصنام محال وليست إلا أخشابا حقيرة وأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فهو الحق وكل ما سواه باطل، خلقنا ويرزقنا وما نحن وسائر الخلق والسكانات إلا ظل له لو ستار يحجب النور الأبدى والرواق السرمدي ، الله أكبر والله الحمد ثم الاسلام وهو أن نسلم الأمر لله ونذعن له ونسكن اليه ونتوكل عليه وأن القوة كل القوة هي في الاستئانة لحكمه والخضوع لحكمته والرضا بقسمته ، أية كانت في هذه الدنيا وفي الآخرة ومهما يصنأ به الله ولو كان الموت الزمام فلتلقه بوجهه باسم ونفس مغبطة راضية ونعلم أنه الخير وأن لا خير إلا هو ، ولقد قال شاعر الألمان وأعظم عظمائهم (جايتي) « اذا كان ذلك هو الاسلام فكلنا إذن مسلمون ، نعم كل من كان فاضلا شريف الخلق فهو مسلم » وقدمائيل « إن منتهى العقل والحكمة ليس في مجرد الادعان للضرورة (فان الضرورة تخضع المرء برغم أنفه ولا فضل فيما يأتيه الانسان مكرها) بل في اليقين بأن الضرورة الألفية المرة هي خير ما يقع للانسان وأفضل ما يناله وأن لله في ذلك حكمة تلتطف عن الأفهام وتدفق عن الأذهان ، وانه من الافن والسخف أن يجعل الانسان من دماغه الضئيل ميزانا لذلك العالم وأحواله بل عليه أن يعتقد أن الكون قانونا عادلا وان غاب عن ادراكه وأن الخير هو أساس الكون والصالح روح الوجود والنفع لباب الحياة ، نعم عليه أن يعرف ذلك ويعتقده ويتبعه في سكوت وتقوى »

الى أن قال « وجعل يذكر رسالته لهذا ولذلك فما كان يصادف إلا جودا وسخرية حتى انه لم يؤمن به في خلال ثلاثة أعوام إلا ثلاثة عشر رجلا وذلك منتهى البطء وبئس التشجيع ولكنه المنتظر في مثل هذه الحال وبعد هذه السنين الثلاث أدب مادية لأر بعين من قرابته ثم قام بينهم خطيبا فذكر دعوته وانه يريد أن يذيعها في سائر أنحاء الكون وانها المسألة الكبرى بل المسألة الوحيدة فأبهم يمد اليه يده ويأخذ بناصره وبينما القوم صامتون حيرة ودهشة وثب على وكان غلاما في السادسة عشرة وكان قد غاظه سكوت الجماعة فصاح في أحد لهجة انه ذاك النصير والظهير . ولا يحتمل أن القوم كانوا منابذين محمدا ومعادينه وكلهم قرابته وفيهم أبوطالب عم محمد وأبو علي ولكن رؤية رجل كهل أمي يعينه غلام في السادسة عشرة يقومان في وجه العالم بأجمعه كانت مما يدعو الى العجب المضحك فانقض القوم ضاحكين ولكن الأمر لم يك بالمضحك بل كان نهاية في الجد والخطر أما على فلا يسعنا إلا أن نحبه وتعشقه فانه فتى شريف القدر كبير النفس يفيض وجدانه راحة وبراً ويتلظى فؤاده بنجدة وحجاسة وكان أشجع من ليث ولكنها شجاعة مزوجة برقة ولطف ورأفة وحنان جدير بها فرسان الصليب في القرون الوسطى وقد قتل بالكوفة غيلة وأما جنى ذلك على نفسه بشدة عدله حتى حسب كل انسان عادلا مثله وقال قبل موته حيناً أومر في قاتله « إن أعش فالأمر الى » وان أمت فالأمر لكم فان آثرتم أن تقتصوا فضرية بضربة وان تعفوا أقرب لالتقوى »

الى أن قال « فلما كان العام الثالث عشر من رسالته وقد وجد أعداءه متألين عليه جميعا وكانوا أر بعين رجلا كل من قبيلة أتمروا به ليقتلوه وألني المقام بمكة مستحسلا هاجر الى (يثرب) حيث التف به الأنصار والبلدة تسمى الآن (المدينة) أي مدينة النبي ﷺ وهي من مكة على (٢٠٠) ميل تقوم وسط صخور وقفار ومن هذه الهجرة يبتدئ التاريخ في المشرق والسنة الأولى من الهجرة توافق (٦٢٢) ميلادية وهي السنة الخامسة والخمسون من عمر محمد فترون انه كان قد أصبح إذ ذاك شيخا كبيرا وكان أصحابه يموتون واحدا بعد ويخولون أمامه مسلكا وعرا وسبيلا فقرا وخطة نكراء موحشة فاذا هو لم يجد من ذات نفسه مشجعا ومحركا ويفجر

بعزمه ينسوع أمل بين جنبيه فهيهات أن يجد بارقات الأمل فيما يصدق به من عوايس الخطوب ويحيط به من كالحات المحن والملمات وهكذا شأن كل انسان في مثل هذه الأحوال وكانت نية محمد حتى الآن أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية وعدم الاصغاء الى صوت ضميره وصيحه له حتى أرادوا أن يسكتوه فلا ينطق بالرسالة عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل ثم دفاع عربي ولسان حاله يقول « واما وقد أبت قريش إلا الحرب فليظروا أى فتيان هيجاء نحن » وحقا رأى فان أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق وشريعة الصدق وأبوا إلا تماديا في ضلالهم يستبيحون الحريم ويهتكون الحرمات ويسلبون وينهبون ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها ويأتون كل إثم ومكر وقد جاءهم محمد من طريق الرفق والناة فأبوا إلا اعتوا وطغيانا ، فليجعل الأمر إذن الى الحسام المهند والوشيج المقوم والى كل مسرودة حصداء وسابحة جرداء وكذلك قضى محمد بقية عمره وهى عشرين سنين أخرى في حرب وجهاد لم يسترح غمضة عين ولا مدرّ فواق وكانت النتيجة ما تعلمون ﴿

﴿ ولقد قيل كثيرا في شأن نشر محمد دينه بالسيف فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فشد ما أخطأوا وجاروا فهم يقولون « ما كان الدين لينتشر لولا السيف » ولكن ما هو الذى أوجد السيف ؟ هو قوة ذلك الدين وانه حق والرأى الجديد أول ما ينشأ يكون في رأس رجل واحد ، فالذى يعتقده هو فرد ، فرد ضد العالم أجمع ، فاذا تناول هذا الفرد سيفا وقام في وجه الدنيا فقلما والله يضيع ، وأرى على العموم أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبا تقتضيه الحال ، أولم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانا وحسبكم مافعل (شارلمان) بقبائل السكسون ، وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية آلة أخرى فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ، لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظافرها فانها لن تهزم إلا ما كان يستحق أن يهزم وليس في طاقتها قط أن تقضى ما هو خير منها بل ما هو أخط وأدنى فانها حرب لاحكم فيها إلا الطبيعة ذاتها ونعم الحكم ما أعدل وما أقسط وما كان أعمق جذرا في الحق وأذهب اعراقا في الطبيعة فذلك هو الذى ترويه بعد الهريج والمرج والضوضاء والجلبة ناميا زاكيا وحده ﴿

الى أن قال ﴿ نحن سمينا الاسلام ضربا من النصرانية ولو نظرنا الى ما كان من سرعته الى القلوب وشدة امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء في العروق لأيقنا انه كان خيرا من تلك النصرانية التي كانت إذ ذاك في الشام واليونان وسائر تلك الأقطار والبلدان ، تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأس بضوضائها الكاذبة وترك القلب يبطلانها قفرا ميتا ، على انه قد كان فيها عنصر من الحق ولكنه ضئيل جدا وبفضله فقط آمن الناس بها وحقا انها كانت ضربا كاذبا من النصرانية كالدمى بين الاصلاء ولكنها ضرب حى على كل حال ذو حياة قلبية وليست مجرد قضايا قفرة ميتة ، ونظر محمد من وراء أصنام العرب الكاذبة ومن وراء مذاهب اليونان واليهود ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم ، نظر ابن القفار والصحارى بقلبه البصير الصادق وعينه المتوقدة الجلية الى لباب الأمر وصميمه فقال في نفسه « الوثنية باطل وهذه الأصنام التي تصقلونها بالزيت والدهن فيقع عليها الذباب أخشاب لا تنضج ولا تنفع وهى منكر وفظيع وكفر لو تعلمون ، انما الحق أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلقنا وبه حياتكم وموتكم وهو أرف بكم منكم وما أصابكم من شئ فهو خير لكم لو كنتم تفقهون »

وأن ديننا آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم النارية لجدير أن يكون حقا وجدير أن يصدق به وان ما أودع هذا الدين من القواعد هو الشئ الوحيد الذى للانسان أن يؤمن به وهذا الشئ هو روح جميع الأديان ، روح تلبس أثوابا مختلفة وأثوابا متعددة وهى في الحقيقة شئ واحد ، وباتباع هذه الروح يصبح الانسان إماما كبيرا لهذا المعبد الأكبر (السكون) جاريا على قواعد الخالق تابعا لقوانينه لا محولا عبثا أن يقاومها ويدافعها ولم أعرف قط تعريفا للواجب أحسن من هذا ، والصواب كل الصواب في السير على منهاج

الدنيا فان الفلاح في ذلك (إذ كان منهاج الدنيا هو طريق الفلاح) وجاء محمد وشيع النصارى تقيم أسواق الجدال وتخطأ بالخطأ الجائرة وماذا أفاد ذلك وماذا أثمر . أما انه الأهم ليس صحة ترتيب القضايا المنطقية وحسن انتاجها وإنما هو أن خلق الله وأبناء آدم يعتقدون تلك الحقائق الكبرى . لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها وحق له أن يبتلعها لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة . وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية وكل ما لم يكن بحق فانها حطب ميت أكلته نازا الاسلام فذهب والنار لم يذهب

أما القرآن فان فرط إعجاب المسلمين به وقولهم بعجزه هو أكبر دليل على اختلاف الأذواق في الأمم المختلفة هذا وإن الترجمة تذهب بأكثر رجال الصنعة وحسن الصياغة ولذلك لا عجب اذا قلت ان الأوروبي يجد قراءة القرآن أكبر عناء فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد لا يزال يقطع في صفحاتها قفارا من القول الملل المتعب ويستعمل على ذهنه هضابا وجبالا من الكلام السكي يعثر في خلال ذلك على كلمة مفيدة . أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أدواقهم من الملاءمة ولأنه لا ترجمة ذهبت بحسنه وروقه فلذلك رآه العرب من المعجزات وأعطوه من التبجيل ما لم يعطه أتقى النصارى لانجيلهم ، وما برح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها والوحي المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيرا يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطا مستقيما ومصدر أحكام القضاة والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئاً على التوالي وكذلك ما برح هذا الكتاب يرتن صوته في آذان الالوف من خلق الله وفي قلوبهم اثني عشر قرناً في كل آن ولحظة \* ويقال ان من الفقهاء من قرأه سبعين ألف مرة . اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الأذان واذا خرجت من القلب نفذت الى القلب والقرآن خارج من فؤاد محمد فهو جدير أن يصل الى أفئدة سامعيه وقارئيه . وقد زعم (براديه) وأمثاله انه طائفة من الأخاديع والتراويق لفقها محمد لتكون أعذاراً له عما كان يرتكب ويقترف وذرائع لبوغ مطامعه وغاياته ولكنه قد أن لنا أن نرفض جميع هذه الأقوال فاني لأعقت كل من يرمى محمداً بمثل هذه الأكاذيب ، وما كان ذو نظر صادق يرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل ، والقرآن لو تبصرون ماهو لإجرات ذاكيات قد دفعت بها نفس رجل كبير النفس بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات وكانت الخواطر تتراكم عليه بأسرع من لمح البصر وتزاحم في صدره حتى لا تكاد تجد مخرجاً وقل ما نطق به في جانب ما كان يجيش بنفسه العظيمة القوية

هذا وقد كان تدفع الوقائع وتدفع الخطوب يجمله عن روية القول وتميق الكلام ، ويأبى من خطوب كانت تطيح به وتطير فقد كان في هذه السنين الثلاث والعشرين قطبا لرحى حوادث متصادمات وعالم كله هرج ومرج وفتن ومحن ، حروب مع قريش والكفار ومخاصمات بين أصحابه وهياج نفسه وثوراتها ، كل ذلك جعله في نصب دائم وعناء مستمر فلم تدفق نفسه الراحة بعد قيامه بالرسالة قط ، وقد أتخيل روح محمد الحادة النارية وهي تتامل طول الليل الساهر يطفو بها الوجد ويرسب وتدور بها دوامات الفكر حتى اذا أسفرت لها بارقة رأى حسبه نورا هبط عليها من السماء وكل عزم مقدس يهيم به يخاله جبريل ووحيه (كذا) . يزعم الأفاكون الجهمية انه مشعوذ ومحتال . كلا . ثم كلا . ما كان قط ذلك القلب المحتدم الجائش كأنه تنور فسكر يفور ويتأجج ليكون قلب محتال ومشعوذ . لقد كانت حياته في نظره حقاً وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة . والاخلاص المحض الصراح يظهر لي انه فضيلة القرآن التي حبيته الى العرب في المتوحش وهي أول فضائل الكتاب أيما كان وآخرها وهي منشأ فضائل غيرها بل لا شيء غيرها يمكنه أن يعث للكتاب فضائل أخرى . ومن العجب أن نرى في القرآن عرقاً من الشعر (١) يجري فيه من بدايته الى نهايته ثم يتخلله نظرات نافذات . نظرات نبي وحكيم .

أجل لقد كان لمحمد في شؤون الحياة عين بصيرة ثم له قدرة عظيمة على أن يوقع في أذهاننا كل ما أبصره ذهنه .  
أنا لا أحفل كثيرا بما جاء في القرآن من الصلوات والتحميد والتعجيد لأنني أرى لها في الانجيل شهابا ولكني  
شديد الإعجاب بالنظر الذي ينفذ إلى أسرار الأمور فهذا أعظم ما يلدني ويهيجني وهو ما أجده في القرآن وذلك  
كما قلت فضل الله يؤتيه من يشاء

وكان محمد ﷺ إذا سئل أن يأتي بمجزة قال « حسبكم بالكون مجزة » انظروا إلى هذه الأرض  
أليست من عجائب صنع الله وآية على وجوده وعظمته ، هذه الأرض التي خلق الله لكم ونهض لكم فيها سبلا  
تسهون في منابها وتأكلون من رزقه وهذا السحاب المسير في الآفاق لا يدري من أين جاء وهو مسخر في  
السماء كل سحابة كارد أسود ثم يسبح بمائه ويهضب ليحي أرضا مواتا ويخرج منها نباتا ونخيلا وأعشابا أليس  
ذلك آية ؟ والأنعام خلقها لكم تحوّل السكّاء لبنا وهي غفر لكم ، والسفن (وكثيرا ما يذكر السفن) كالجبال  
العظيمة المتحركة تنشر أجنحتها وتحفز في سماء اليم لها حاد من الريح ، وبيننا تسير إذا هي قد وقفت بغتة  
وقد قبض الله الريح ، معجزات والله كل هذه ، وأي معجزات بعدها تريدون . أليست أتم معجزات ؟ لقد  
كنتم صغارا وقبل ذلك لم تكونوا أبدا ثم لكم جبال وقوة وعقل ثم وهبكم الرجة أشرف الصفات وتمهرون  
ويأتيتكم المشيب وتضعفون وتمن عظامكم وتموتون فتصبحون غير موجودين ثم وهبكم الرجة ، لقد أدهشتني جدا  
هذه الجملة فإن الله ربما كان خلق الناس بالرجة فإذا كان يكون أمرهم ؟ « هذه من محمد نظرة نافذة إلى  
لباب الحقيقة ، وكذلك أرى في محمد دلائل شاعرية كبيرة وآيات على أشرف المحامد وأكرم الخصال وأبين  
فيه عقلا راجحا عظيما وعينا بصيرة وفؤادا صادقا ورجلا قويا عبقريا ، لو شاء لكان شاعرا خلدا أو فارسا بطلا  
أو ملكا جليلا أو أي صنف من أصناف البطل . نعم لقد كان العالم في نظره معجزة أي معجزة ، وكان يرى فيه  
كل ما كانت يراه أعظم المفكرين حتى أتم الشمال المتوجشة وهو أن هذا الكون الصلب المادّي إنما هو في  
الحقيقة لا شيء . إنما هو آية على وجود الله ، منظورة ملموسة . وهو ظلّ علقه الله على صدر الفضاء لا غير .  
وكان يقول « هذه الجبال الشامخات ستحل وتذوب مثل السحاب وتفتي » وكان يقول « الجبال أوتاد الأرض  
وانها ستفنى كذلك يوم القيامة وأن الأرض في ذلك اليوم العظيم تصدع وتفتت وتذهب في الفضاء هباء منثورا  
فتندم وكان لا يزال وانحما لعينه سلطان الله على كل شيء وامتلاء كل مكان بقوة مجهولة وروني باهر وهول  
عظيم هو القوة الصادقة والجوهر والحقيقة » وهذا ما يسميه علماء العصر (القوى والمادة) ولا يرونه شيئا مقدّسا  
بل لا يرونه شيئا واحدا وإنما أشياء تباع بالدرهم وتوزن بالثقال وتستعمل في تسير السفن البخارية فسرعان  
ما ننسئنا الكماليات والحسابيات ما يكمن في الكائنات من سرّ الله وما أخفى ذلك النسيان عارا وأكبر هذه  
الغفلة إنما ؟ وإذا ننسئنا ذلك فأى الأمور يستحق الذكر . إذن فعظم العلوم أشياء ميتة خاوية بالية بقلة ذابلة .  
نعم وما أحسب العلوم لولا ذلك إلا خشبا يابس ميتا وليس هو بالشجرة النامية ولا بالغابة السكيفة الملتفة التي لا تبرح  
تمدك بالخشب أثر الخشب فيما تمدك وتعطيك . ولن يجد المرء السبيل إلى العلم حتى يجده أولا إلى العبادة أعني  
أنه لا علم إلا لمن عبد والا فإلى العلم إلا شقشة كاذبة وبقلة كما قلت ذابلة

إلى أن قال « وما كان محمد أخا شهوات برغم ما أنهم به ظاهرا وعدوانا . وشد ما تجور ونخطئ إذا حسبناه  
رجلا شهويا لاهم له إلا قضاء ما ربه من الملاذ . كلا . فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ آية كانت . لقد  
كان زاهدا متقشفا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله . وكان طعامه عادة الخبز والماء  
وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار . وانهم ليذكرون ونعم ما يذكرون أنه كان يصلح ويرفوئ به بيده  
فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة ؟ فبذا محمد من رجل خشن اللباس خشن الطعام مجتهد في الله قائم النهار  
ساهر الليل دُبا في نشر دين الله غير طامع إلى ما بطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أودولة أو سلطان غير متطلع

الى ذكر أوشهرة كيفما كانت . رجل عظيم وربكم والا فلا كان ملاقيا من أولئك العرب الغلاظ توقيرا واحتراما  
واكبارا واعظاما وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتقون به  
يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله ، لقد كان في هؤلاء العرب جفاء وغلظة وبادرة وعجرفة وكانوا حجة  
الانوف ، أباة الضيم ، وعرا المقادة ، وسعاب الشكيمة ، فن قدر على رياضتهم وتذليل جانبهم حتى رضخوا له  
واستقادوا فذلكم وأيم الله بطل كبير ، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا له ولا أذعنوا ،  
وكيف وقد كانوا أطوع له من بنائه ، وظنى انه لو كان أتيج لهم بدل محمد قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه  
لما كان مصيبا من طاعتهم مقدار ماناله محمد في ثوبه المرقع بيده ، فكذلك تكون العظمة وهكذا تكون  
الأبطال ، وكانت آخر كلماته تسبيحا وصلاة ، صوت فؤاد يهيم بين الرجاء والخوف أن يصعد الى ربه ولا تحسب  
أن شدة تدينه أزلت بفضلله . كلا . بل زادته فضلا . وقد يروى عنه مكررات عالية منها قوله حين رزى  
غلامه « العين تدمع . والقلب يوجع . ولانقول ما يسخط الرب » ولما استشهد مولاه زيد (ابن حارثة) في  
غزوة (مؤتة) قال محمد « لقد جاهد زيد في الله حق جهاده وقد اقي الله اليوم فلا بأس عليه » ولكن ابنة  
زيد وجدته بعد ذلك يبكي على جثة أبيها . وجدت الرجل السكهل الذي دب في رأسه المشيب يذوب قلبه  
دمعا فقالت ماذا أرى ؟ قال صديقا يبكي صديقه

مثل هذه الأقوال وهذه الأفعال ترينا في محمد أبا الانسانية الرحيم . أخانا جميعا الرؤف الشفيق وابن أمنا  
الأولى وأبينا الأول . وانى لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتضع . ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل  
الرأى لا يعول إلا على نفسه ولا يدعى مالىس فيه ولم يك متكبرا ولكن لم يكن ذليلا ضرعا فهو قائم في ثوبه  
المرقع كما أوجده الله وكما أراد . يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم يرشدهم الى ما يجب  
عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة . وكان يعرف لنفسه قدرها . ولم تخل الحروب الشديدة التي وقعت له مع  
الأعراب من مشاهد قسوة ولكنها لم تخل كذلك من دلائل رجة وكرم وغفران . وكان محمد لا يعتذر من  
الأولى ولا يفتخر بالثانية إذ كان يراها من وحى وجدانه وأوامر شعوره ولم يكن وجدانه لديه بالمتهم ولا شعوره  
بالظنين . وكان رجلا ماضى العزم لا يؤخر عمل اليوم الى غد . وطالما كان يذكر (يوم تبوك) إذ أبى رجاله  
السير الى موطن القتال واحتجوا بأنه أوان الحصيد والبحر فقال لهم الحصيد انه لا يلبث إلا يوما فإذا تزدودون  
للآخرة والحر ؟ نعم انه حر ولكن جهنم أشد حرا (ور بما خرج بعض كلامه تهكما وسخرية) إذ يقول للكفار  
ستجزون يوم القيامة عن أعمالكم ويوزن لكم الجزاء ثم لا تبخسون مثقال ذرة

وما كان محمد يهاب قط ولا شاب شيئا من قوله شائبة لعب وهو بل كان الأمر عنده أمر خسران وفلاح  
ومسألة فناء وبقاء ولم يك منه إزاءها إلا الاخلاص الشديد والجد المر . فأما التلاعب بالأقوال والقضايا المنطقية  
والعبث بالحقائق فما كان من شأنه قط . وذلك عندى أفضح الجرائم إذ ليس هو إلا رقدة القلب ووسن العين  
عن الحق وعيشة المرء في مظاهر كاذبة . وليس كل ما يستكر من مثل هذا الانسان هو أن جميع أقواله وأعماله  
أكاذيب بل انه هو نفسه أكذوبة . وأرى خصلة المروءة والشرف (شعاع الله) متضائلا في مثل ذلك الرجل  
مضطربا بين عوامل الحياة والموت فهو رجل كاذب لا أنكر انه مصقول اللسان مهذب حواشي الكلام محترم  
في بعض الأزمان والأمكنة . لا تؤذيك بادرته لين المس رفيق الملمس كحمض السكر بون تراه على لطفه سما  
تقيعا وموتاذر يعا . وفي الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها وهي التسوية بين الناس وهذا يدل على  
أصدق النظر وأصوب الرأى . فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض والناس في الاسلام سواء والاسلام  
لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضا حتما على كل مسلم وقاعدة من قواعد الاسلام ثم يقدرها  
بالنسبة الى ثروة الرجل فتكون جزأ من أر بعين من الثروة تعطى الى الفقراء والمساكين والمنسكو بين . جيل والله

كل هذا وما هو إلا صوت الانسانية . صوت الرحمة والإخاء والمساواة يسبح من فؤاد ذلك الرجل (ابن المقار والصحره) . وينكر البعض تغلب الحسية والمادية على جنة محمد وناره فأقول « إيت العيب في ذلك على الشراح والمفسرين لاعلى ماجاء في الكتاب فان القرآن قد أقلّ جدا من اسناد الحسيات والماديات الى الجنة والنار ، وكل ما فيه عن هذا الشأن إيماء وتلميح وانما المفسرون والشراح هم الذين لم يتركوا لغة حسية ولا متعة شهوية حتى ألحقوها بالجنة ، ولا عذابا بدنيا ، وألما جئنا حتى أسندوه الى النار ، ثم لا تنسوا أن القرآن جعل أكبر ملاذ الجنة روحانيا إذ قال - وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين - فالسلام والامن هما في نظر كل عاقل أقصى أماني المرء وأعظم الملاذ قاطبة والشئ الذي عبثا يتلمسه الانسان في الحياة الدنيا . وقال أيضا - ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخوانا على سرر متقابلين - وأى رذيلة أخبت من الغل مصدر المحن والمصائب والنقم والآفات ، وأى شئ أهنأ من التآلف والتصافي ، وأى دليل أشهر ببراءة الاسلام من الميل الى الملاذ من شهر رمضان الذي تلجم فيه الشهوات وتزجر النفس عن غاياتها وتقصد عن ما ربهها . وهذا هو منتهى العقل والحزم فان مباشرة اللذات ليس بالمتكر وانما المتكر هو أن تدل النفس لجبار الشهوات وتتقاد لحادى الأوطار والرغبات ، ولعلّ أجد الخصال وأشرف المسكارم هو أن يكون للمرء من نفسه على نفسه سلطان وأن لا يجعل من لذاته سلاسل وأغلالا تعيه وتغتاص عليه اذاهم أن يصدعها بل حليا وزخارف متى شاء فلا أهون عليه . من خلعهها ولاسهل من نزعها وكذلك أمر رمضان سواء كان مقصودا من محمد معينا أو كان وحى الغريزة وإلهامها فطريا فهو والله نعم الأمر . ويمكننا القول على كل حال أن الجنة والنار هاتين همار من حقيقة أبدية لم تصادف من حسن الذكر قط مثل ما صادفت في القرآن ، وماذا ترون تلك الجنة وملاذها وهاته النار وعذابها وقيام الساعة التي يقول عنها - يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى - ماذا ترون كل هذه الإطلا تمثل في خيال ذلك النبي الشاعر للحقيقة الروحانية الكبرى رأس الحقائق أعنى الواجب وجسامة أمره ، لقد كان هذا النبي يرى الحياة أمرا جسيما ويرى لسكل عمل انساني مهما حقر خطارة كبرى ، فما كان من سىء فله من السوء نتيجة أبدية وما كان صالحا فله من الصلاح ثمرة سرمدية وأن المرء قد يسمو بصالحاته الى أعلى عليين ويهبط بمو بقاته الى أسفل سافلين وأن على عمره القصير تقوم دعائم أبدية هائلة خفية . كل ذلك كان يلهب في روح ذلك الرجل القفرى كأنما قد نقش ثمت بأحرف النار . وكل ذلك قد حاول في أشد اخلاص وأحد جد أن يخرج للناس ويصوره لهم فأخرجه وصوره في صورة تسلم النار والجنة . وأى ثوب لبسته هذه الحقيقة ، وأى قالب صبب فيه فلا تزال أولى الحقائق مقدسة في أى أسلوب وأى صورة . وعلى كل حال فهذا الدين فيه للبصرين أشرف معاني الروحانية وأعلاها فاعرفوا له قدره ولا تبخسوه حقه . ولقد مضى عليه مئتان وألف عام وهو الدين القويم والصراط المستقيم لنس العالم وما زال فوق ذلك ديننا يؤمن به أهله من حبات أفئدتهم . ولا أحسب أن أمة من النصارى اعتصموا بدينهم اعتصام المسلمين باسلامهم إذ يوقنون به كل اليقين ويواجهون به الدهر والأبد . وسينادى الحارس الليلية في شوارع القاهرة أحد المارة (من السائر؟) فيجيبه السائر (لا إله إلا الله) وأن كلمة التوحيد والتكبير والتهليل لترن آناء الليل وأطراف النهار في أرواح تلك الملايين الكشيفة وأن الفقهاء ذوى الغيرة في الله والتفانى في حبه ليأتون شعوب الوثنية بالهند والصين والمالاي فيهدمون أضرابهم ويشيدون مكانها قواعد الاسلام ونعم ما يفعلون . ولقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور وأحيا بدم من العرب أمة هامة وأرضاهمادة وهل كانت إلا فئة من جؤالة الأعراب خاملة فقيرة تجوب القلاة منسند بدء العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة فأرسل الله لهم نبيا بكامة من لدنه ورسالة من قبله فاذا الخول قد استحال شهرة والغموض نباهة والضعفة رفعة والضعف قوة والشرارة حريقا . وسع نوره الأنحاء وعم ضوءه الأرجاء وعقد شعاعه الشمال بالجنوب



والشرق بالمغرب . وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس وأشرقت دولة الاسلام حقباً عديدة ودهورا مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ورواق الحق والهدى على نصف المعمورة ، وكذلك الايمان عظيم وهو مبث الحياة ومنبع القوة ، وما زال للأمة رقى في درج الفضل وتعميم الى ذرى المجد مادام مذهبها اليقين ومنهاجها الايمان ، أستم ترون في حالة أولئك الأعراب ومحمدهم وعصرهم كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال التي كان لا ينصر بها فضل ولا يرجي فيها خير فاذا هي بارود سريع الانفجار وما هي برمل ميت واذا هي قد تأججت واشتعلت وانصلت نارها بين غرناطة ودلبي . واطلما قلت ان الرجل العظيم كالشهاب من السماء وسائر الناس في انتظاره كالخطب فها هو إلا أن يسقط حتى يتأججوا ويلتهبوا . والى هنا تم الكلام على الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

( من هو توماس كارليل )

( من كتاب السيد عبد الرحمن البرقوقي مترجم هذا الفصل )

ولد (توماس كارليل) في قرية (اكفكان) باقليم (اناندال) بمجنوني (اسكوتلانده) لأربع خلون من شهر تشرين سنة ١٧٩٥ وذلك قبل نهضة (نابليون) لغزو العالم بأربعة أشهر وقبل وفاة (روبرت بارنز) شاعر القرن الثامن عشر بسبعة أشهر ولوأنه ولد على بضعة أميال من جنوب تلك القرية لكان رجلا انكليزيا وكان أبوه بناء ويديه بنى البيت الذي ولد فيه ابنه . دليل على متانة أخلاق الرجل واستبداد ذهنه واستقلال رأيه واستغناؤه عن الغير بقوة نفسه . وكان قليل الكلام كثير العمل جلد الحصة صليب العود ولكنه ليس بفظ ولا غليظ فكأن قلبه يمر السلسل الزلال حولها من الحجر الأصم سور وحجاب وأبت أخلاقه أن تجاور

\* خلأني اصغار من المجد خيب \*

( جوهرتان )

( الجوهرة الأولى ) في ايضاح مناسبة هذه الآراء الفرنجية للآيات التي نحن بصدد

( الجوهرة الثانية ) في ثناء المؤلف على الله وحده له على نعمة العلم

( الجوهرة الأولى )

إن الآيات التي نحن بصدد هي قوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب - الى قوله - أولئك هم الخاسرون - فقوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون - قد ظهرت آثارها في هؤلاء المؤمنين من المسيحيين وهم (اللورد هيدلي) و (الكونت هنري دي كاستري) و (توماس كارليل)

وأما قوله تعالى - وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون - فهذا قد ظهر ظهورا واضحا في كلام السلامة (الكونت هنري) إذ قال (إن محمدا ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مزارا « نبيا أميا » وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه . ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان على أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوى رجل واحد ذكره (جانسين دي تاسي) في كتابه الذي طبعه سنة ١٨٧٤ م ) الى أن قال ( ثبت إذن مما تقدم أن محمدا ﷺ لم يقرأ كتابا مقدسا الخ ) وانظر الى مقاله (توماس كارليل) قال ( ثم لانفسى شيئا آخر وهو أنه لم يتلق دروسا على أستاذ أبدا ) الى آخر ما تقدم وقوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون \* وقلوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين \* أولم يفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون \* قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا



يعلم ما في السموات والأرض - الخ فان هذا ظاهر في كلام هؤلاء المؤمنين من علماء النصراني . ألا ترى الى ما ذكره (توماس كارليل) فيما تقدم قال ﴿ وكان محمد اذا سئل أن يأتي بمعجزة قال حسبكم بالكون معجزة ، انظروا الى هذه الأرض أليست من عجائب صنع الله وآية على وجوده وعظمته ، هذه الأرض التي خلق الله لكم ونهج لكم فيها سبلا تسعون في مناكبها وتأكلون من رزقه ، وهذا السحاب المسير في الآفاق لا يدرى من أين جاء وهو مسخر في السماء كل سحابة كإرد أسود ثم يسبح بمائه ليحيى أرضا مواتا ويخرج منها نباتا ونجيلا وأعنابا ، أليس ذلك آية والأنعام خلقها لكم تحوّل السكّال لبنا وهي غرلكم ، والسفن (وكثيرا ما يذكر السفن) كالجبال العظيمة المتحركة تنشر أجنحتها وتحفر في سواء اليم لها حاد من الريح وينا تسير اذا هي قد وقفت بغتة وقد قبض الله الريح ، معجزات والله كل هذه ، وأى معجزات بعدها تريدون ، أستم أتم معجزات ؟ لقد كنتم صغارا وقبل ذلك لم تكونوا أبدا ، ثم لكم جبال وقوة وعقل ، ثم وهبكم الرحة أشرف الصفات ، وتهرمون ويأتيكم المشيب وتضعفون وتموتون فتصبحون غير موجودين . ثم وهبكم الرحة . لقد أدهشتني جدا هذه الجلة فان الله ربما كان خلق الناس بلا رحمة فاذا يكون أمرهم . هذه من محمد نظرة نافذة الى لباب الحقيقة ١٥

أليس هذا بعينه هو قوله تعالى - قل انما الآيات عند الله - وقوله - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - الخ ﴿ يامعشر المسلمين ﴾

أليس هذا هو الذي قلته لكم في هذا التفسير . هذا التفسير ميزته الخاصة أنه يوجه هممكم الى معرفة هذه الدنيا ومخوقات الله تعالى فأنتظر فأجد هذا العالم الفرنجي يقول إن معجزة محمد هو هذا الكون والنظريه . إن هذا العالم لم يقيد عقله كما قيدت عقول آبائنا المتأخرين في الاسلام الذين تركوا الكون ظهريا وراءهم واكتفوا بعلم الفقه . أليس هذا هو الذي أناديكم به في هذا التفسير . امتاز هؤلاء العلماء بأنهم ينظرون للقرآن نظرا مجردا يحكموا بأن معجزة النبي ﷺ هو الكون أما نحن في القرون المتأخرة فقد أغضنا أعيننا ولم ننظر للكون واكتفينا بكلمات جسدلية في علم التوحيد والحمد لله قد أن لنا أن نرجع الى القرآن كما قدّمنا وقد بينت في هذا التفسير أن في القرآن (٧٥٠) آية في وصف الكون وهذا كله هو المعجزة الحقيقية لا الاكتفاء بما جاء في كتاب الشفاء للقاضي عياض وغيره . فظهر للمسلمين في الكون هو الذي يجب العناية به ياسبحان الله . هل نبينا ﷺ يحتاج في أداء رسالته الى جميع تلك الخوارق وان كان حصل بعضها بل بمعجزاته باقية هي القرآن والكون

ومن أعجب العجب انك ترى صديقنا (اللورد هيدلي) يشكو من الشكوى من القسيسين ويقول هم يأكلون أموال الناس بالباطل ويقرأ - اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم - فهذا هو العجب أن نرى حقيقة أن دين الاسلام قد جاء لاصلاح الأمم جميعها بشهادة هؤلاء الأفاضل الذين عرفوا حقائق لم تكن لتخطر بالبال . هذه هي المعجزات التي لانفنى بل تتجدد بتجدد الزمان اه اللهم إني أحمده على نعمة العلم والحكمة وأشهد انك أجبت دعائي وأعطيتني أجل ما أتمنى في الحياة . فهل كان يدور بخلدني وأنا شاب أطوف على شواطئ الأنهار وفي الخلوات وفي الحقول وأبحث في هذه الدنيا الجلية . دنياك البديعة . دنياك المملوءة زينة وبهجة وجمالا . أقول هل كان يدور بخلدني أن السؤالين اللذين كنت أسألكهما قد أجبتهما إجابة تامة وهما هل العالم منظم حتى أعرف أن له صانعا وماذا يقول أهل أوروبا في وجودك . هل هم يقولون إنك موجود لأنني رأيت لهم تفوقا على المسلمين . فهل هؤلاء الذين فاقوا الشرقيين يعرفون أن للكون صانعا . هذان هما السؤالان اللذان كنت في شبابي أثناء انقطاعي من الجامع الأزهر في شغل بهما كما ذكرته مرارا في هذا التفسير . وهناك سؤال ثالث وهو لماذا تأخرت أمم الاسلام . هذه هي

السؤال الثلاثة التي كانت ترد على خاطري وذهبت بلي وأقضت مضجعي وحرمتني النوم في أكثر الأوقات والآن أقول وأصرح بأعلى صوتي اني عرفت أن العالم منظم وله صانع وهذا التفسير هو الذي جع أجمل ما اطلعت عليه ووثقت به ، وما أسعد حظي إذ كتبت فيه ماسمعه الآن أيها الذكي من آراء علماءهم وكيف أدركوا أن الديانات التي تقدمت الاسلام مرتبة ضائعة ، أفلا أكون الآن سعيدا اذ كتبت في هذه الآيات ما أبان أن المسيحيين يعتقدون الاسلام وبأى سبب أساءوا ، وكيف أدركوا حقائق الاسلام ، وكيف يقول اللورد هيدلي انه الآن سعيد لأن الله معه في كل مكانه وسكنانه ، وكيف يبرهن الاستاذ (توماس كارليل) ومثله (هغري) الفرنسي أن دين الاسلام هو الحق وهو يعلو ولا يعلى عليه ، وكيف نرى أن المسيحيين في زماننا قوم لا يفكرون مطلقا في حقائق الديانات ويسرون تبع القسيسين بالانقياد . اني أعلن اليوم أني قد نلت ما كنت أطلبه من الله وهو الوقوف على حقائق نظام الدنيا بقدر طاقتي البشرية واطلاعي على آراء الأمم المحيطة بنا في الديانات وما الحق منها ثم ادراجي في هذا التفسير بذور الإصلاح والاسعاد لأمة الاسلام وأنا موقن أن الذي نصرني في أدوار حياتي وأنا التي ما أتمنى من تلك الآمال الثلاثة هو الذي سينصر أمة الاسلام بعد قراءتهم أمثال هذا التفسير وستغير خريطة الأرض ذلا وعزا وسعادة وشفاء ، ثم أقول من ذا الذي كان يظن أن أوروبا التي ملأت الآفاق بمدارسها وعاموها تكون عقول رجالها نائمة الى هذا الحد ، فانظر ما يقوله (اللورد هيدلي) فيما يلي

### ﴿ التحريف العمدي ﴾

كنت أطلع من وقت لآخر على كتابات (الرساليات المسيحية) التي يطبعونها بشكل كراسات صغيرة ويدعون فيها انهم يعطون معلومات حقيقية عن الدين الاسلامي ، وانني لاني شدة الأسف لأن أعترف بأنني أشعر بذلة عظيمة وخجل كبير عند ما أجد أن أحد رجال وطني ينحني للرأى والتبويه والتحرير لكي يعزز آراءه نحو الدين . إن الدين الذي يمكن أن يدعى انه دين يجب أن يعلم العدل الدقيق والحب للحق وانه ليذهل جدا الى أي مدى تسير (التعصبات الدينية المسيحية)

انظر الى وجه الصورة الآخر ، ألا تدهشك رؤية مظاهر روح الحسنى التي يقررها القرآن وملاحظة الهدوء الذي يلاقي به المجتمع الاسلامي الشاسع الحلات عديمة القيمة التي تحمل عليهم وعلى دياتهم باسم عيسى الكريم أحد أنبيائهم . اننا لانجد كما أعلم أي جور أو تحريف في أعمال محمد لأنه حتى وان كانت هناك كلمات شديدة من جهة المسلمين (يعذرون من أجلها) إلا أنهم لم يلجؤوا الى مثل هذه التهم المكذوبة كي يكونوا منها أهم أسلحتهم التي يهاجون بها خصومهم . انني وان لم أئين أسماء هذه الكراسات المشار اليها آنفا إلا أنه يمكن الحصول عليها بسهولة من الناشرين الذين أخذوا على عاتقهم طبع مثل هذا النوع من الأدبيات

اني سأذكر الآن بعض قطع من كراسات وضعت خصيصا لتشويه أخلاق النبي الكريم وسوف يرى كل شخص ذوعقل مستقيم أن سفالة الحق وطلب الانتقام هو السلاح الذي استعمل وليس في تلك الكراسات حجج ولا اشارات الى حقائق تاريخية بل ولاشيء أكثر من تقارير مثيرة متوالية يعرف المؤلف لها بأنها ليست ولا يمكن عدّها تقارير جوهرية أو مبنية على أي أساس ، وسيرى القارئ منها هنا بعض أمثلة مقيئة إلا انني أعتذر اليه لذكرى مثل هذا الهذيان الغير الصحي وعذري في ذلك أنه يجب أن يعرف العالم مقدار تعصب وغرابة شكل الهجمات التي توجد ضد المسلمين المتألمين من زمن بعيد والذين لا تسمح لهم حسناتهم وصبرهم وطول اناتهم وحسن ذوقهم بأن يقابلوهم بنفس هذه السفالة والأعمال البتلة ، وهاهي تلك القطع التي ظهرت في جريدة (نور آفشو) وهي جريدة مسيحية أسبوعية تطبع في (لوديانا)

(١) الوحي الذي نزل على محمد أني من عند الشيطان

- (٢) المحمديون في الواقع جرو أعمالهم كأعمال الجحوش
- (٣) محمد كان غليما يحب بحمال النساء وحيبها
- (٤) المسلمون صربوطون بحمال الشيطان من رقابهم
- (٥) كل نساء بلاد العرب المتزوجات زانيات
- (٦) إن إله القرآن والحديث ، هو الذي خلق رجلا مملوئين بالخطيئة والذي ليس فقط لا يدهم على الطريق سوى بل يضلهم دائما
- (٧) خلاص المسلمين مبنى على ارتكاب الخطايا وجعلت الأعمال الطيبة عندهم كوسيلة للحرمان . أما الخطيئة فقد نظمت كفرض وحيد لحياتهم الطيبة
- (٨) أسس محمد أمة جعلت ارتكاب الخطايا ديدنها وعلامتهم أن قوادهم يتعمدون الكذب ويسفكون السماء ويرتكبون السرقة وقطع الطرق ويظنون أن الزنا من البشائر المفرحة وكل منهم مسحوب بالشيطان ومصيرهم الى جهنم جميعا
- والآتي أيضا قد جمع من مصادر مختلفة وظهر في المجلة الاسلامية تحت العنوان التالي
- ﴿ اثباتي كفاره - بقلم ت . هويل راعي الكنيسة الانكليزية بلاهور ﴾
- (٩) قال الكاتب مخاطبا المسلمين بتعمير وتوبيخ « ذلك لأن قوادكم مجرمون شريرون وعقولهم ضعيفة » (صحيفة نمرة ٣)
- (١٠) بذور الجريمة التي تدعى نصيب الشيطان نبتت في كل وقت وأن من عقل محمد (صحيفة نمرة ١٠)
- (١١) من محض رغبته أوغوايته الشيطانية شكر محمد الأصنام وسجد لها (صحيفة نمرة ٢٠)
- (١٢) انه (أى محمدا) ظل خاضعا دائما للشيطان والسحر (صحيفة نمرة ٢٠)
- ﴿ حضرة محمد - بقلم القس . ج . ه . راؤس - دكتور في الكهنوت ﴾
- (١٣) هناك أشياء كثيرة تبرهن على أنه (محمد) مجرم أثيم (صحيفة نمرة ٦)
- (١٤) الطمع والغضب كانا من الشرور القوية الغريزية في محمد (صحيفة نمرة ١٠)
- (١٥) كان مجرما (صحيفة نمرة ١٤)
- (١٦) انه نفسه (محمد) مقتدر الى الخلاص (صحيفة نمرة ١٤)
- (١٧) انه (محمد) لا يستطيع أن يتخلص من جهنم بأي طريقة (صحيفة نمرة ١٧)
- (١٨) كان مجرما وسيلقى في جهنم كباقى الخاطئين الآخرين (صحيفة نمرة ١٤)
- ﴿ حرا شفيق كون هاى - بقلم القس . ه . راؤس . دكتور كهنوتى ﴾
- (١٩) كان محمد مجرما ورغب في أن يمدح بعدم الخطيئة (صحيفة نمرة ٥)
- (٢٠) سيحتاج محمد الى شفيق ومخلص كباقى الخاطئين العاديين (صحيفة نمرة ٦)
- ﴿ دفع البهتان - بقلم القس روكلين ﴾
- (٢١) لا يستطيع أن ندعو محمدا إلا نفس الرجل الغنى . يقصد الرجل الغنى الذى كان (كقول سانت توما) من نسل ابراهيم وعاش عيشة فاخرة ولما مات ألقى في جهنم (صحيفة نمرة ٦٩)
- (٢٢) أصحاب محمد (الصحابه الكرام رضى الله عنهم) يوصفون بأنهم سفاكو دماء وظلمة متوحشون وزناة وغشاشون واصوص وقطاع طرق وفاعا لكل أصناف الآثام وهلم جرا (صحيفة نمرة ٨٧)
- (٢٣) كان (محمد) رجلا دنيو با متبع لشهوته ومثل هؤلاء الرجال عادة يغرقون في مثل هذه الأشياء ، الويل لكل أمثال هؤلاء الرجال لأن لهم مثل تلك الخاتمة وسيلقون جميعا في غضب الله أعنى في بحيرة النار

والكبريت (صحيفة نمرة ١٥٤)

﴿ صراط المسيح والمحمد - بقلم القس (ثاكر داس) المبشر الأميركي ﴾

(٢٤) كان محمد في شخصه مخطئاً بل كان مخطئاً حقيقياً (صحيفة نمرة ٦)

(٢٥) شكل محمد الحقيقي كما صورته العرب كان أعظم الغارقين في الشهوة البهيمية وحب النساء (صحيفة

نمرة ١٤)

(٢٦) كان محمد رجلاً ضالاً جهنمياً (صحيفة نمرة ٣١)

(٢٧) يظهر أنه (محمد) اصطيد بالشیطان (صحيفة نمرة ٣١)

(٢٨) حضرات القراء اتهموا لثلاث توخذوا بنفس محمد (صحيفة نمرة ٣٥)

﴿ انجيل أندرونا ﴾

(٢٩) حامل علامة المسيح الدجال هو نفس الشعبان الذميمة الآن أنه عند ما يفتح فيه يظهره فسكاه مشخصاً

في البابا ونبي بلاد العرب (صحيفة نمرة ٧٠)

(٣٠) دين محمد ودين البابا هما فسكاهان واحد (صحيفة نمرة ٧٤)

﴿ محمدى تواريخ اجبال - بقلم القس وليم من ريواري وطبعت بمطبعة الارسالية المسيحية ﴾

(٣١) محمد هو زعيم المصوص والنشالين والسفاكين والغشاشين (صحيفة نمرة ١)

(٣٢) كان محمد من أعظم الخطاه (صحيفة نمرة ٨)

(٣٣) ولأن جبريل اجتهد في أن يزيل ظلمة قلب محمد الذي كان يحتوى على بذور الجريمة أو السائل

المنوى أو قمع من الشيطان بالقسيل المتكرر إلا أنه لم يزل أبداً منه ، فمحمد قد سود فؤاده بالانهماك في

ارتكاب الجرائم المتعددة دون أن يرجعه عقله (صحيفة نمرة ٢٥)

(٣٤) قد سجن محمد في داخل بخارجهم إلا أن كل ذلك حصل له لارتكابه الجرائم التي ظل يمارسها

الى أن مات (صحيفة ٢٧)

(٣٥) علماء المسلمين ارتكبوا جرائم من الزنا والسرقه ومثل هاتيك الأشياء وقد أثوا هذه الخطايا

والتعديت اطاعة لرغبات محمد تحت ستار مبدئ « لا إله إلا الله » (صحيفة نمرة ٣١)

(٣٦) لم تخلق الشرائع المحمدية الزانيات المحمديات بكثرة زائدة فقط بل حتى الجنة لامتلائها بالحور

والغلمان قد أصبحت (كرخانة) منظمة (صحيفة نمرة ٣١)

(٣٧) ليست فقط الكلمة المحمدية هي التي تشجع المجرم على ارتكاب جريمته بحسرة فائقة بل تخدمه

أيضاً كجبة (بلبوعة) للهمضم بهضم بها جرائمه ويشد بها عزمه لينسكب على عيشة الجرائم المتناهية وبركات

الكلمة المحمدية تم وتغمر السرخانات (صحيفة نمرة ٤٩)

(٣٨) حالة إله القرآن كحالة البلد التي دمرت والراجا الأعمى تماماً (صحيفة نمرة ٥٥)

(٣٩) ملعون من لم يعتقد في كفارة المسيح (صحيفة نمرة ٢٩)

(٤٠) القرآن مجموع من الحكايات التوراتية والانجيلية واليهودية والمسيحية والقرشية الغير موثوق بها

وفرائض الجهل وتقليدات غير معتمدة (صحيفة نمرة ٣٩) وهكذا دواليك

ليس في وسع الانسان في الحقيقة إلا أن يعتقد أن مدبجني وناسجبي هذه الافتراآت لم يتعلموا حتى ولا

أول مبادئ دينهم والالما استطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير معروفة لديهم أنها محض كذب

واختلاق . إن تعاليم القرآن الكريم قد نفذت ومورست في حياة محمد الذي (سواء في أيام تحمله الأم

والاضطهاد أو في زمن انتصاره ونجاحه) أظهر أشرف الصفات الخلقية التي لا يتسنى لمخلوق آخر اظهارها ، فكل

صفات الصبر والثبات في مقصده كانت ترى أثناء الثلاث عشرة سنة التي تأملها في مجاهداته الأولى بمكة ولم يشعر في كل زمن هذا الجهاد بأى ترزعزع في نيته بالله وأتم كل واجباته بشهم وحية  
كان عليه السلام مثابرا ولا يخشى أعداءه لأنه كان يعلم بأنه مكاف بهذه المأمورية من قبل الله ومن كافه بهذا العمل لن يتخلى عنه وقد أثارت تلك الشجاعة التي لا تعرف الجفول (تلك الشجاعة التي كانت حقا إحدى مميزاته وأوصافه العظيمة) إعجاب واحترام الكافرين وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله ومع ذلك فقد انقهرت مشاعرنا وزاد إعجابنا به بعد ذلك في حياته الأخيرة أيام انتصاره بالمدينة عند ما كانت له القوة والقدرة على الانتقام واستطاعته الأخذ بالثأر ولم يفعل بل عفا عن كل أعدائه

العفو والاحسان والشجاعة ، ومثل هاتيك المسكارم كانت ترى منه في كل تلك المدة حتى ان عددا عظيما من الكافرين اهتموا الى الاسلام عند رؤية ذلك

عفا بلا قيد ولا شرط عن كل هؤلاء الذين اضطهدوه وعدّوه . آوى اليه كل الذين كانوا قد نفوه من مكة وأنغى فقرائهم وعفا عن ألد أعدائه عند ما كانت حياتهم في قبضة يده وتحت رحمته ، تلك الأخلاق الإلهوتية التي أظهرها النبي الكريم أفنعت العرب بأن حازها يجب أن لا يكون إلا من عند الله وأن يكون رجلا على الصراط المستقيم حقا وكراهيتهم المتأصلة في نفوسهم حولتها تلك الأخلاق الثريفة الى محبة وصداقة متينة فكل المحاولات عديدة القيمة في تحقير عظمتهم شريعة النبي العظيم بالبذاءة وسوء الاستعمال والحجج الموهوبة المتضمنة كثيرا من طمس الحقائق والآثار المسكونة تقدمت كثيرا بتعمد القصد في إضلال الناس وإبعادهم عن الحقائق ، وهؤلاء الذين اتخذوا مثل هذه الأساليب يجب أن يتذكروا (إذا كانوا قد نصرروا مسيحيين) بأنه يجب عليهم على الأقل أن يقلدوا المسيح في عدم الكذب الذي كان أكره شيء في نظر أعظم معلمي الناصره (عيسى) . هناك أصناف عديدة من الكذب . الكذب الأبيض وهو غيرهم حيث انه لا يضر وغالبا ما يقال لحماية سمعة جار أو مساعدة صديق . وهناك الكذب الخبيث الضار الذي يهلك صديقا أو جارا ، الا أن ألغنها ما يقال باسم الدين لانه يحمل على تقليل أهمية المولى عز وجل وهي جريمة لا يوجد أعظم منها

في حلقة التوبيعات المستمرة سعى في اظهار أن الدين الاسلامي هو المسؤول عن الآثام والسلب والنهب الذي أتته القبائل المتجولة التي صدف أن كانت مسلمة اسما فقط . انه من العدل أن يلام المسيح مثل ذلك تماما على التعذيب واحراق الأساقف والآخرين أحياء في بلادنا هذه السعيدة وليس ذلك من سنين بعيدة . حقا إن الديانة المسيحية الصحيحة مصادقت قط على شرور (محاكم التفتيش) الخبيثة المريعة أو الفظائع التي لا يمكن عدّها التي فعلها المسيحيون في بعضهم وفي اليهود والمسلمين الآخرين الذين كانت لهم أفكار دينية تخالفهم . اننى لا أظن أبدا أنه يمكن اظهار أن المسلمين اجتهدوا قط أن يحشروا أفكارهم ومعتقداتهم الدينية في حاوq الناس بالقوة والفضاعة والتعذيب . وإذا كان هناك مثل هذه الحالات حينئذ يمكننا فقط أن نقول ان مرتكبي هذه الآثام ليسوا بمسلمين حقيقة لأننا لانستطيع أن نشير الى أن القرآن الشريف يصادق على أفعالهم . إن محمدا كان قانونيا ومحاربا وعند ما امتشق الحسام هو وتابعوه لم يكن ذلك إلا للدفاع عن أنفسهم فقط ولم يعتدوا قط إذ كان النبي نفسه وديعار حيا بأعدائه المقهورين . لكي نستطيع أن نكون الرأى الصواب عن صفات شخص يجب علينا أن ننظر اليه أيام شدته وأيام رخائه فإذا كانت حالته دائما حالة شدة وظلّ دواما بين أيدي مضطهديه تكون الظروف حينئذ لم تسمح له بأن يفعل شيئا نحو أصدقائه أو أعدائه وهنا يستحيل أن يعرف تماما ما كان يمكن أن يفعله كما ان أرقى الصفات لا يمكن أن تدل عليها الوداعة والخضوع فقط بل يجب علينا أن نرى أيضا ضبط النفس وعفو الرجل الذي يتغلب على حواس الانتقام ويصل رفقه الى أقصى منتهاه . حقيقة ان العفو لم يتسع دائما ليشمل أعداء الاسلام الذين جعلوا قصارى جهدهم محاربة واجداد

الدين الاسلامي وأعملوا السيف في رقاب المسلمين ثورة وعصيانا لأن الرحمة من هذا النوع لا تدل إلا على مد  
الفضاعة وازهاق الأرواح

قوة أخلاق الرجل تظهرها المحن والتجارب وصفاته النبيلة الكريمة يستدل على أنها في أتم كمالها عند  
ما يظهر رحمة وعفوا في يوم مسرته بالنجاح والقوة وليس القلب الرقيق فقط هو الذي يحتاج اليه رجل الله إذ  
لا يستطيع أن يزعم أي كان بأنه يمكنه الوقوف ليكون مثالا أو نموذجاً للجنس البشري وهو لم يختبر تصارييف  
الدهر وتقلبات الحياة من فاقة وعز وتعاسة وسعادة وضعف وقوة . لا يمكنك أن تكون معلماً حقيقياً للصبر ما لم  
يمرّ عليك الغضب أو الألم أو النصب الذي يحتاج الى ممارسة الصبر . الضيق فقط هو الذي يظهر أعظم المواهب  
العالية في الرجل الذي يحب الله من كل قلبه ومثل هذا المخلوق المحزون ينظر لكل نازلة أو مصيبة تقطع الفؤاد  
كأنها تأديب من إله الرحمة وكلما عظمت المصيبة والبلوى ازداد احترام وتذلل وندامة ذى الاعتقاد الصحيح  
الذي يعرف أن ربه القادر الخفيظ يقوده بذلك الى الصراط المستقيم ، انه يؤمن بالحكمة غير المحدودة والحب  
غير المحدود والرأفة غير المحدودة التي لها فيه الوحيد في هذا العالم ، انه يعلم أن خالقه عالم بأنه يغض الشيطان  
وحيله الشريرة وهذا الاعتقاد فيه الكفاية لشدة عزائه في أية معركة مع الشيطان مهما كانت شديدة لأنه يعتمد  
على معونة مولاه في كل شيء ، فالرجوع الى الله (القدير ذى الجلال والاكرام الرحمن الرحيم الذي لم يقترن  
اسمه بأى اسم آخر تنزهه عن مثل أو شبهه) بمد المؤمنين بثقة تفوق ادراك البشر

كل الأنبياء المقدسين في كل الأزمان والأوقات الذين كافوا بقبليغ الرسالات للبشر قاموا بقبليغها بكل  
صدق وأمانة إلا انه لم يكن في كل هؤلاء الرسل من هو أرفع مركزاً من محمد ﷺ

انه يفهم ويعرف جيداً أنه لا يمكن من العفو إلا من أصبح قاهراً وله القوة التي تمكنه من أن يصب  
جام غضبه وانتقامه على أعدائه الذين كان بين أيديهم ضعيفاً حتى يقدر الظروف التي كان فيها تحت رحمة  
الآخرين ، لا يمكن لأحد أن يدعى الرحمة وهو لم يقع تحت طائل رحمة أى انسان قط ، وليس هناك في التاريخ  
من يمكن أن تنسب له تلك الخاصية كمحمد النبي الكريم الذي رأى أعظم الاذلال وابتدأ حياته يتيماً وان كانت  
عين الله ترعاه ومرت عليه كل أطوار الحياة المختلفة وهو مستسلم الاستسلام الكلى لمولاه ، ولم تتلوث أخلاقه  
العذبة أبداً بأى عمل دنى أو خسيس ، ولم يرتكب الظلم قط

نحن نعتبر أن نبي بلاد العرب الكريم هو أخلاق متينة وشخصية حقيقية وزنت واختبرت في كل خطوة  
من خطى حياته ولم ير فيها أقل نقص أبداً ، وبما اتنا في احتياج الى نموذج كامل يفي بحاجتنا في خطوات  
الحياة حياة النبي المقدس تسد تلك الحاجة

حياة محمد كرامة أمامنا تعكس علينا العقل الراقى والسخاء والكرم والشجاعة والاقدام والصبر والحلم  
والوداعة والعفو وباقي الأخلاق الجوهرية التي تكون الإنسانية ونرى ذلك فيها بألوان وضاعة . خذ أى وجه  
من وجوه الآداب وأنت تتأكد بأنك تجده موضعاً في إحدى حوادث حياته ، ومحمد وصل الى أعظم قوة  
وأتى اليه مقاوموه ووجدوا منه شفقة لا تجارى وكان ذلك سبباً في هدايتهم ونقايتهم في الحياة

إن الغيرة الشديدة التي لا تعرف السكالي التي كان يبذلها مؤسس الاسلام لاجتاد عبادة الأصنام قد أثارت  
معارضة مريضة ضده فلم تكن هناك قبيلة من قبائل العرب بدون معبود صنمى ، وقد أشعلت كل قبيلة لظى  
الحرب كي تؤيد وتحمى أصنامها ، حصل ذلك عند ما كان النبي بالمدينة وفي الواقع قد قضى هناك أياماً أصعب  
من أيام مكة ، ولما كان أعداؤه يشنون عليه الغارة دائماً من جميع الجهات أخذ في كل وقت وأن في مقاتلتهم  
أوارسال رجاله لمقاولة التعديات فكانوا طوراً ينتصرون وتارة يهزمون ، وكانت كل حادثة تخلق فرصة مناسبة  
للنبي الكريم ليظهر وجوه أخلاقه العظيمة المختلفة التي لوجعها الانسان ونسقمها لوجد العالم فيها قوانين وأحكاماً

للحرب أكثر انسانية وملاءمة مما يمكن لمروجي مؤتمرها أن يتصوروا  
 ما أشهر السلاح محمد قطب إلا عند الحاجة القصوى لحماية الحياة البشرية وربما ادعى بأن الاسلام يستعمل  
 السيف في نشر الدين ولكن ألد أعداء الاسلام القادحين فيه عجزوا عن أن يأتوا ولو بأقل دليل أو مثل من  
 الأمثلة التي أترفها الحرب على هداية أى قبيلة أو شخص الى الاسلام  
 إن هذه الوقائع ما أفادت بلاشك إلا فى اظهار كرم أخلاق محمد الذى امتاك كل قلوب مواطنيه وكانت أشد  
 تأثيرا فى الهداية من أى شكل من أشكال الاكراه ، وقد أظهرت تلك المعاملة النبيلة التى كان يعاملها النبي  
 للنهزمين عجائب وغرائب فما أتاه ملتمس إلا ونال أكثر مما كان يؤمل أو يشتهي انتهى

### ﴿ تذكرة ﴾

ظهر الحق واستبان السبيل . أيها المسلمون - الآن حصص الحق - وقبل جاء الحق وزهق الباطل إن  
 الباطل كان زهوقا - هاأنذا الآن أقول بأعلى صوتي وأجهر بأن أهل الشرق وأهل الغرب الذين نحن معهم  
 على هذه الأرض جميعا يعوزهم قول الحق والصراحة واطهار الحقيقة فلنجهر لهم جميعا ولنخطب أولي المسلمين  
 فنقول لهم ها هو ذا كلام العظماء من أوروبا فى ديننا الاسلامي ، فأى شهادة هذه وأى عظمة لدينا ولدينا  
 ﷺ وأى حكمة أبدعت فى القرآن . هؤلاء نزارهم فى الاسلام نزار عال سام شريف لم يطأ طؤا رؤسهم عند  
 دراسة الدين ويدرسوا القشور ويدعوا للرب ، لم يتوجهوا لمباحث المعتزلة وأهل السنة والصوفية والثلث والسبعين  
 فرقة الاسلامية والاختلاف فى البيوع والرهن والحج والصلاة والصوم والزكاة وما أشبهها ، بل هؤلاء درسوا  
 نفس الدين ونفس الروح المحمدية فشهدوا بما علموا ورأوا أن هذا الدين بعلى سماء المجد والشرف ويبحث  
 فى الأفلاك والكواكب والطبيعة ومركز العلم . أليس هذا بهينه هو الذى حواه هذا التفسير . سبحانك اللهم  
 وبمحمدك . نحن قوم محصورون فى جدليات وعلوم جزئية وخلافات مذهبية وآراء سوفسطائية فنقول خفية  
 أو شافعية أو مالكية أو حنبلية أو شيعية أو وهابية ونسكع فى هذه الجزئيات ونذر الكليات أو بقول المتعلمون  
 تعليما ظاهريا فى المدارس المصرية والفرنجية ، هل ديننا يوافق العلم ، إن العلم شئ والدين شئ آخر وقد جهل  
 هؤلاء هذه الحقيقة التى قالها (توماس كارليل) و (هنرى) وغيرهما وقالها الامام الغزالي وابن رشد قبلهما  
 وهى أن معجزات الاسلام هى نفس العلوم لا أنه ضدها إذن الاسلام غير الديانات الأخرى فالاسلام خاصته  
 العلوم وهى برهانه وهل برهان الشئ ضده ولولا هذه الحجب التى أسدت على العقول الاسلامية ما أعوزنا أن  
 نقول فى (سورة طه) ان عبادة بنى اسرائيل لجعل السامرى بعد ما رأوا معجزة العصا برهان على أن خوارق  
 العادات لا تكفى فى الايمان فلا بد من العلوم العقلية وقبوجنا الامام الغزالي أوضحها وهامهم أولاء علماء الفرنجة  
 يقولونها ويقولون إن معجزة نبينا هو الكون ، فهذه حالنا التى كان من نتائجها أن المرحوم العلامة (ادوارد  
 براون) الانجليزى الذى ذكرته سابقا فى هذا التفسير قال لى ﴿ لقد ذهبت الى تركيا والى بلاد الفرس بأمر  
 حكومتنا الانجليزية لأعرف هل تتحد هاتان المملكتان فوجدت أن أهل ايران مشغولون بقتل الحسين  
 والروس إذ ذاك يجوسون خلال ديارهم ويحاولون احتلالها ذلك أيام حكم القيصرية قبل اليوم بنحو ٢٥ سنة ﴾  
 ويقول طالب من الطلاب الفارسيين ﴿ لقد حاربت مع الروس ضد الترك الكلاب الكفار لأنهم من أهل السنة  
 الذين قتلوا الحسين ، فقال لى لقد ضحككت من عقول هذه الأمم وقلت الحسين مضى له ١٣ قرنا ولكن الروس  
 يدخلون عليهم الآن ، فها هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ، قال وحكمت بأن هذه الأمم لا تتحد ﴾  
 أقول وقد تغيرت الحال الآن وتعاهد الفرس مع مصطفى كمال باشا بعد أن زالت تلك العقول الصغيرة .  
 هذه حال المسلمين وأنا وأنت أيها الذكي منهم ، فنحن حصرنا فى إبان الصغور ومن الجهل فى الجزئيات فلم يتضح  
 لنا جلال الله فى سمواته وأرضه ولم نعرف جلال النبوة ولا بهجة الكمال المحمدى بطريق مشوقة مثل الذى يقوله

أمثال (هنري) وأمثال (توماس كارليل) وأغضنا أعيننا عن كل ماحولنا من جبال وكال ، وما نحن إلا قوم أشبه بمن حبسوا في سجن ضيق مظلم فيه قنديل ضئيل النور وفي خارجه أنوار الشمس البهجة الجلية فهؤلاء الاوروبيون الذين نظروا في ديننا ، نظروا وهم خارج هذا السجن فعاووه وأحبوه وأحبوا نبينا ﷺ وبينوا ظاهره على مقدار طاقتهم ، أما نحن الذين حبسنا في سجن التقليد والكتب الفقهية والجدلية وأمثالها فان كل من تخلص منامن ذلك السجن الذي لم يستضيء إلا بالضوء الضئيل الخارج من ذلك المصباح الضعيف عدّه القوم خارجا عن زميرتهم ورموه بالجهالة ومن هؤلاء العلامتان ابن رشد والفزالي ، هنالك بقي المسلمون في سجونهم وانحصروا في جلودهم حتى جاءت هذه النهضة المباركة فخرج من السجن جماعة في أقطار الاسلام ومن هؤلاء قراء هذا التفسير فهم والحمد لله اليوم تقابلوا مع من خرجوا من ذلك السجن ورأوا ما رآه الخارجون عنه وعرفوا ربههم وجمال نبينهم ﷺ ومرة كتبهم وهم لا يأتون بسفاسف العقول الصغيرة المحبوسة الجاهلة النائمة من أمم الاسلام ، هذا كلامي مع أمم الاسلام ، أما أمم الفرنجة فاني أقول ولي الحق ان أقول انهم الى الآن عباد التقاليد ، فلئن حبس المسلمون في ظلمات التقاليد واكتفوا بالعلوم الدينية الجزئية وهم الآن يريدون الخروج ، فهام أولاء الفرنجة محبوسون في دين قديم قدا كل الدهر عليه وشرب وقدر عرف عقلاؤهم الحقيقة ولا يقدرون أن يجهروا بها فهم والمسلمون سواء في المخافة ، المسلم محبوس في ظواهر الدين والفرنجي محبوس في دين قد نسجت عليه عناكب النسيان وذلك كله بشهادة هؤلاء العلماء الأوروبيين فيما تقدم ، أليس هذا هو قوله تعالى - وان تطع أكثر من في الأرض يضاوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون -

أليس هذا أيضا هو قوله تعالى - واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوكان آبائهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - وآيات كثيرة في هذا المعنى ، فأهل الأرض إذن في الشرق والغرب قوم مقلدون فأين العقل إذن . الاوروبيون يعرف بعضهم حقيقة الاسلام فيخاف من أهله وذويه والمسلم يتبع مذهبا ويخاف مخالفة أسرته وأهل بلده ولكن الاوروبي فتح له باب العلم . فيارب أنت خالق الشرق وخالق الغرب وخالق كل شيء وأنت عالم بهم ومقدر هذا عليهم ، ولقد وضعت كلا في درجته التي لا يستحق سواها ولقد قضت حكمتك اليوم أن تفتح البصائر وتلهم بهذا التفسير الذي سيقروه قوم في أنحاء هذه الكرة الأرضية ويكون هو وأمثاله بذورا لرقى العقول في الأمم ويصبح الناس في مسرة وجور وحكمة ونور . هذا من جهة الدين . أما السياسة فان أهل الغرب وأهل الشرق لم يصالوا حتى كتابة هذه الأسطر الى سياسة تسعدهم وهذه أوروبا لها جمعيات كجمعية الأمم ، ويظهر لي أن أهل الشرق الآن يريدون أن يكونوا جمعية أخرى ويظهر أن الأمم ستلتاق في السياسة ولا أدري متى يكون ذلك . واذا قرأت كتابي ﴿أين الانسان﴾ عرفت ماهي سياسة الأمم الحالية والتي قبلها ، فسياسات الأمم تقليدية لاعقلية وديانتهم كذلك بالتقليد لا بالعقل . ومن درس هذا التفسير ودرس كتابي ﴿أين الانسان﴾ وقف على حقائق الديانات وحقائق السياسات ونفع الأمم الشرقية والغربية في أديانهم وسياساتهم ، فلتكن أيها الذكي منهم ولما وفقك الله لقراءة هذا الكتاب كان ذلك علامة على انك من المصلحين النافعين للأمم الشرقية والغربية والله عز وجل يحب المصلحين - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين - اه

﴿الجوهرة الثالثة في قوله تعالى - وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم - الخ﴾ قد مرّت عجائب كثيرة في هذا المعنى كالذي في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - وكالذي في (سورة آل عمران) عند قوله تعالى أيضا - وترزق من تشاء بغير حساب - وكالذي في (المائدة) و(الأنعام) و(الحجر) وغيرها من السور ، ولكن لا بد من ذكر عجائب هنا لم تقدم هناك ليمتدح بها



بها المفكرون ويفرح بها العلماء العاملون وهي جوهرة يتيمة في هذه الآية  
 إن عناية الله بكل حيوان وكل نبات قد تجلت في هذا التفسير وظهرت أيمًا ظهور في (سورة البقرة)  
 و (آل عمران) و (المائدة) و (الأنعام) و (هود) و (النحل) و (طه) و (النمل) و (صريم) وغيرها من سور  
 القرآن ، ولقد جاء في كل سورة مما ذكرهنا وغيره مافيه حكمة وعبرة ونور وهدى وجمال وبهاء ولكن الذي  
 أريد أن أبينه هنا تلك الغرائز العجيبة التي تفسر لنا قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى -  
 وتفسر قوله تعالى - والذي قدر فهمي - والحق يقال ان الانسان لا سعادة له إلا بأن يقف على جبال هذه  
 العوالم ويعرف أن هنا عناية فائقة وحكمة تامة شملت أدق الحيوانات الذرية وتكفلت بسعادة كل مخلوق ،  
 ولعمري متى أدرك الانسان أن هناك هذه العناية التامة والحكمة الشاملة فانه لا يشك انه مغمور بتلك الرحمة  
 مشمول بتلك النعمة ويصبح ويسمى وقد رأى رحمة الرحيم العليم الحكيم في كل يابسة وخضراء وجبل و بطحاء  
 وكان صانع هذه المجائب معه أينما حلّ أو ارتحل ، وليس يصده عن تذكره في غدوه ورواحه إلا ذلك الحجاب  
 الذي ألقى بين هذه العوالم الأرضية وبين مبدعها فإذا ارتقت النفس ونحن في هذا العالم فانها تصيح وقد أحست  
 بالسعادة الأبدية قبل أن ترور الرمس ، ومن ملكت هذه الآراء فؤاده في الدنيا سعدت السعادة التامة وليس  
 يزخره عنها إلا قواطع الفواجع ثم يرد إليها وهو في حبور ، فن ذا الذي لا يدهش إذ يسمع مجاء في بحلة مصريه  
 (١) أن الفأر الذي يسكن بيننا اذا أحس أن البيت الذي يسكن فيه يريد أن ينقض يفر منه حالا قبل  
 سقوطه بساعات ، واذا أحس بذلك في المركب هرب قبل وقوع الكارثة فيها \* روت سيدة انجليزية كانت  
 تعيش في زمن الحرب في منزل قديم في (نورفلك) في انجلترا أن الجرذان كانت تغلق راحتها كل ليلة بصريها  
 ففي إحدى الليالي شعرت بضجة خارقة من الجرذان وكان صوت الضجيج يتجه الى خارج المنزل فاستنحت  
 السيدة منه أن (الجرذان) تبرح المنزل ثم انقطعت الحركة وساد السكون وبعد ساعة واحدة سقطت قبلة من  
 منطاد ألماني وأصابت جناحا من المنزل فدمرته ، أما الجرذان فكانت قد نجت كلها

وقد شوهدت الجرذان تبرح إحدى القرى في زمن الصيف وتقيم على ضفاف النهر المجاورة لها وتحفر هناك  
 أو كارهها ، ولكن قبل سقوط الأمطار بمدة قريبة تعود الى أوكلها السابقة في القرية فعند ما يراها الأهالي راجعة  
 يتوقعون هطول الأمطار وفيضان النهر فهي لهم بمثابة ميزان للطقس يصدق كل الصدق في الدلالة عليه \*  
 ويروي عن إحدى المطاحن أن الجرذان برحتها فجأة وانجبت راكضة الى الغابة المجاورة وبعد وقت قريب  
 طغى النهر على المطحنة واضطر صاحبها الى الفرار بنفسه من دون أن يستطيع أن ينقذ شيئاً منها (انظر شكل ٢٢)



( شكل ٢٢ - فار المنزل يشعر بما يهدد المنزل الذي يسكنه من الخطر فيفر منه قبل وقوع الكارثة )

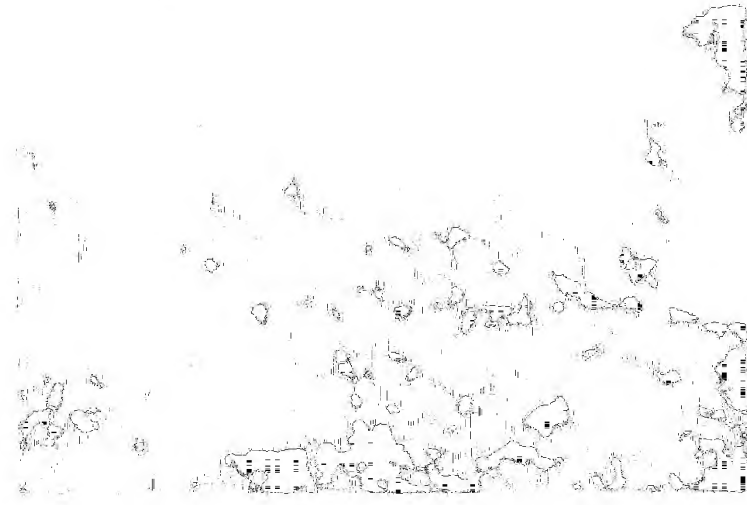
(٢) إن الجبل في الصحراء يبرغ رأسه في الأرض ويشخر شخيرا متواصلا قبل هبوب عواصف الرمال بوقت قصير فيكون شخيره منذرا باقتراب العاصفة من دون أن يظهر في الجو دليل ما على ذلك

(٣) ويعرف الذين ألفوا صيد السمك (بالصنارة) أن هناك نوعا من السمك يختفي من النهر في أحد الأيام فجأة فلا يعثر له أحد على أثر وبعد اختفائه بقليل يطغى ويحدث فيضان كبير، فاختفاؤه خير نذير للصيادين بأن النهر على وشك الفيضان . ثم إن هذا السمك يمتنع عن الأكل إلى أن تصل إليه مياه الفيضان فكأنه يتوقع أن تحمل إليه هذه المياه أغذية جديدة تستحق أن يصوم سلفا ويستعد لالتهامها

(٤) ويعزى السبب في مهاجرة كثير من أنواع الطيور إلى التنبؤ عن الطقس فبعضها يتبع الربيع أينما سار والبعض الآخر يتبع الشتاء . ومن المشهور عن الهنود الجر في أمريكا أنهم يتنبئون عن الطقس بدقة عظيمة ، ولكن ثبت بعد التحقيق أنهم يستندون في تنبئهم إلى تنقلات الطيور والحيوانات . ومن المشهور عن الحيوانات التي تسكن الجبال أن لها خبرة عظيمة في تقلبات الطقس ، فالوعول والأرانب البرية وبعض أنواع الدجاج البري تنزل من أعالي الجبال إلى منحدراتها قبل حلول عواصف الأمطار ويكون الجو عندئذ صافيا والسماء مشرقة ولكن لا يكاد ينقضي يوم أو بعض يوم حتى تتلبد السماء والجو بالغيوم وتسقط الأمطار . ومن المعروف عن الأرانب البرية التي تسكن الجبال أنها تهجرها في بعض الأحيان وتغيب عنها بضع سنوات فلا تجد فيها أثرا لأرنب ، ويحدث في خلال ذلك أن الأمطار تبقى غزيرة ويكون فصل الشتاء قاسيا ولكن تلك الأرانب لا تلبث أن تعود فتكون عودتها دليلا على توقع طقس حسن وشتاء محتمل . ولا شك أن أنواع الطيور والحيوان التي لها غريزة التنبؤ عن المستقبل كثيرة جدا فلا نرى بنا حاجة إلى الكلام عن كل نوع منها بمفرده . انتهى ملخصا من تلك المجلة المصرية (انظر شكل ٢٣) و(شكل ٢٤)



(شكل ٢٣ - صورة نوع من الأوز البري يرحل عن المنطقة التي يسكنها متوقعا اشتداد الشتاء وسوء الطقس فيه مع أنه لا يوجد أى دليل ظاهر على ذلك عند رجليه)



(شكل ٢٤ - صورة انحدار الوعول من الجبال الى السهول)

هذا هو الذي أردت تلخيصه ورسم صورته في تفسير قوله تعالى - وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم - أكتبته في تفسيرها وأنا أعلم أن كثيرا من الناس يطلعون على هذا وهم لا يفكرون ولكن بيانه وتفصيله في تفسير الآية هنا يجعل له رونقا وحكمة يعقلها أولوا الأبواب

﴿ خطاب المؤلف لصانع هذا العالم ﴾

(١) اللهم إني أجدك جدا كثيرا ، أجدك على العلم وعلى الفهم  
(٢) يارب هأنذا أتيت إلى الأرض وسكنت فيها وعشت في أمم ودول وممالك وهم يتقاتلون وأكثرهم لا يذكرون

(٣) بحثت عن الحقيقة أمد الحياة فعرفت أنك خبأتها في صور المخلوقات ودفنتها فلم يطلع عليها إلا الطالبون  
(٤) علمت من صنعك أن الغذاء والدواء والأوصاب والقتال والحروب والقضايا وأعمال الأمم ، كل ذلك دخان قد غشيت به عقول الأمم والأفراد فأكثرهم لا يعقلون

(٥) يتطاحنون ويتقاضون ويتقاطعون على زاد قليل وهم غافلون  
(٦) وفي أثناء ذلك تظهر لطائفة من تلك الأمم جبالك الباهر وعلمك البديع وحسن صنعك الجليل فيبهرهم جبالك ويسرحهم بهجة صنعك ، فهؤلاء لأجلهم خلقت الدنيا ولا سعادهم أنزلت الدين ، هؤلاء هم الذين يقومون باسعاد أممهم علما وعملا ابتغاء وجهك ويصرفون حياتهم في فهم سمواتك وأرضك ولا يرون بك بدلا  
(٧) يستخرون من الزخرف والجاه والمال والناس حولهم بها لهجون وهؤلاء لا يطلبون جزاء على عملهم إلا ما يحسون به في نفوسهم من الجلال والبهجة والنور ، قد استوى الماضي والحال والاستقبال عندهم وهم بذلك راضون ساكنون

(٨) يرون لطفك وعطفك ورحمتك ورأفتك بالجرذان إذ أنت أعلمتها أن قنبلة ستسقط عليها من مدافع الألمان ليلا فهاجت وماجت وخرجت ثم ساد السكون وبعد ذلك سقطت قنبلة الألمان ، فهذه الطائفة إذا سمعت هذا فرحت وانشرحت وعلمت أن لطفك يحيط بالعظيم والحقير والجليل والصغير والإنسان والفرسان ويرون لطفك بها وقد أعلمتها بأن النار ستشبه في مخازن الجوارك التي عاشت فيها فهاجرت وترك المكان  
(٩) وأي عجب أكثر من أن الوعول والأرانب البرية تنزل من أعالي الجبال فيسبل هطول الأمطار ولا

علامة في الجوّ وإنما هي حكمة الحكيم الرحيم أعلمتها بما سيكون

(١٠) الجهلاء من الناس لا يعبئون بهذه الرجات إلا على سبيل الروايات ، أما الفضلاء من الناس فانهم يرون هذه العوالم فصلت تفصيلا وقد شملها كلها من سموات وأرضين تدير محكم منظم لا يشغله العظيم عن الحقير ولا الكبير عن الصغير فهو مع الفأر في جحره ومع الطير في جوه ومع الكوكب في مداره فسكان هذه الدنيا جسم واحد له رأس وقلب وحواس وأحشاء وأعضاء والروح لا تغفل عن الصغير ولا عن الكبير

(١١) فهؤلاء الحكماء الذين ظهرت لهم هذه المعاني وحضرت في أكثر أوقاتهم هم المصطفون الأخيار ، هؤلاء يدركون في هذه الحياة أنهم في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للذين آمنوا ويعملون . وأى سعادة أكبر من الوقوف على الحقائق ، هذه هي السعادة التي تصغر في جانبها جميع السعادات ، هذه هي سعادة كلية من نالها فهو الآن في جنة العرفان ، يرى أن الرحمة والعلم والنعمة تحيط بالعالم الذي هو فيه وهو يحس بها وسواء من الناس بها لا يعلمون . إن في الأرض حجابا يحجب أكثر الناس عن هذا الجلال كما قال تعالى - وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال - فلحجاب مضروب على قلوب أهل هذه الكرة الأرضية ، ظهرت لهم الرحمة نقمة والسعادة شقاء ، وذلك لأنهم في عالم من العوالم المتأخرة هذا قوله تعالى - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - بعد أن كتبت هذا حضر عندي قاضي محكمة (دكرنس) من أعمال (الدقهلية) بالوجه البحري من القطر المصري ولما اطلع على عجائب هذه الحيوانات وعلمها بما سيحصل لها قال وأنا أحدثك حديثا شاهدته بعيني رأسي ، ذلك اني كنت قاضيا في (مديرية سوهاج) من مديريات الوجه القبلي ومن عاداتهم هناك أن المدير وأعيان المديرية يحضرون اجتماعا عاما لافتتاح التربة المسماة « التربة الصوهاجية » وهذه التربة لا تفتح إلا أيام تمام النيل ، قال وقد حضر المغنون والمطربون والزمارون وما حضرت أنا معهم ليلا فرّ المدير على منزلي صباحا فلم يجدني فتوجه لي بالمحكمة وقال تعال معي لنفتح التربة اليوم ، قال فذهبت معه فوجدت أنواع الحشرات والحيات والعقارب وما أشبهها تجرى جريا حيثما مسرعة لتدخل البلدة فسألت عن ذلك فقيل لي إن هذه الحشرات والزواحف كل سنة قبيل فتح التربة بساعات نراها أخذت تهاجر من مساكنها التي استقرت فيها بهذه التربة اليابسة ، فهذه الحال نراها كل سنة انتهى

هذه هي الحادثة التي حدثني بها القاضي وهو أدرك مغزاها ولكن العامة لم يدركوا مغزاها ولم يعقلوها ولم يفكروا فيها ، فهم رأوها كما يرون شروق الشمس وغروبها ويرون الولادة والموت . إما العبرة والجمال وإما الحكمة فلا ، لهذا نرى المسلم اليوم انما ينقل هذه العجائب عن الأمم الفرنجية لأن كثيرا من الناس هناك يعقلون ما يرون ، هذا ما اتفق لي عند كتابة هذا الموضوع ، وهنا يسأل سائل فيقول « كيف أهتم هذه الحيوانات أمرا غائبا كهذا فأما الانسان فلا » ونحن نحبب عليه فنقول

(١) إن الله قدر فهدى وأعطى النعم والحكم بقدر ، أعطى الانسان دولا وممالك وحكماء وعلماء فليس من المصلحة أن يشغله بأمور قامت بها دولته التي وزعت الأعمال عليها

(٢) إن علم المستقبل لهذه الحيوانات مقدر بقدر وهو الأمر العام لعمومهم ومستقبلهم بدليل اننا نقتل الحيات ونصطاد الطيور ولا علم لها بما سنفعله معها . فهذا العلم بالمستقبل مقدر بقدر وهو النظام العام لها لا لأفراد خاصة

(٣) إن الانسان يتنبأ عند التنويم المغناطيسي كما تراه فيما تقدم في (سورة البقرة) عند آية السحر هناك إذ ترى رجلا منوما (بفتح الواو) قد أخبر بسير مرضه ووصف الدواء لدائه ثم فاجأه عارض فمات فاستنجد العلماء أن نفوس الناس في حال ازالة الموانع الجسمية تعرف كل أحوالها المستقبلية ولكنها لا تعرف ما يصادفها من العقبات الخارجية

(٤) إن العلم بالمستقبل يصرف الانسان عن العمل له ويقعده في الكسل وذلك لا يرقه ومارق الناس

إلا بأن يحولوا مستقبل الأمور ويلهموا إلهامات جزئية كإلهام أم موسى ثم هم بعد ذلك يبنون على هذا الإلهام علما وعملا . فأما إذا كان كل شيء ممهدا فلاسيلا إلى رقيهم إذن الرقي بالعمل ولاعمل إلا لمن حجت عنه الأمور المستقبلية فسارع لاسعاد نفسه المجهول عنده . وما كان الله ليطلعكم على الغيب . لتجدوا في عملكم حتى تلقوني . انتهى صباح يوم الاثنين (٨) يوليو سنة ١٩٢٩ عند طبع هذه السورة ﴿ لطيفة في قوله تعالى . وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون - ﴾

هل لك أيها الذكي أن أحدثك عما خبرته بنفسى وعرفته من أحوال الناس في زماننا من حيث طول الأمل بسبب الوسواس الخناس فأحدثك حديث وزير عظيم ومدرس كبير ورجلين في بلاد الفلاحين بالشرقية ﴿ الوزير ﴾

كنت أعرف وزيرا من عظماء الأمة المصرية وكانت لى معه مجالس علمية فحدثني يوما قائلا « هل أنت موقن يا شيخ طنطاوى بأن كلام الديانات حق وأن هناك جنة ونارا وسعادة وشقاء بعد الموت ، فقلت نعم ، فتعجب غاية العجب وقال وكيف ذلك فأخذت أذكر الحجج المعروفة فقال هو إن العلم الآن ينفي ذلك وما هذه الدنيا إلا دار مغالبة ومكابرة ومصابرة وجهاد ، فالغالب فيها هو الذى ازداد بها استمتاعا كما هو مذهب النشوء والارتقاء كما جاء في كتاب (بخنرالأماني) شرحا على مذهب (داروين) وملخص المذهب أن العوالم التى نراها أخذت في الارتقاء وأقواها يغلب أضعفها وهناك يحصل الانتخاب الطبيعي ، فالطبيعة لا تبقى إلا ما هو أكمل وتفنى ما هو أقل كالأوجال . خذ لك مثلا . نحن الآن نركب العربات في الطرقات ولا نركب (الترام) كالعامة وإذا ركبنا في قطار السكة الحديدية تربنا في الدرجة الأولى بخلاف الناس جميعا وهانحن أولاء نسكن في مساكن جميلة ونتمتع بنعم عظيمة ويضرب العسكرنا سلاما بالسلاح . هذا هو الانتخاب الطبيعي وهذا هو مذهب (داروين) وأنا به أدين . فهذا الوزير لم يوصله العلم إلى أكثر من أنه يعيش في نعيم في الدنيا وليس هناك عالم آخر وهو يكذب جميع الأنبياء . وأنت تعلم أيها الذكي من هذا التفسير أن نفس النعيم الدنيوى عذاب على صاحبه فمن لم يروض نفسه ويتعلم القناعة في الماء كل والمشارب الخ أحاطت به الأمراض وذل في حياته ، ولكن هذا وأمثاله لا يعقلون أكثر مما أسمعتك في هذا المقام »

### ﴿ المدرس العظيم الممتاز ﴾

لقد كان بمدرسة دار العلوم مدرس كبير تخرج على يديه مئات من المدرسين فحدثني أحدهم مفيدة قال ناقلنا عن أستاذه ذاك المدرس العظيم ، قال لقد كنت في أول حياتي مجاورا بالجامع الأزهر ولم يكن لى مال وإذا جاء زمن البطالة توجهت إلى قريتنا بالصعيد فكنت إذا أردت أن أذكر الدروس أجلس تحت شجرات بالقرب من منزلنا ، فلما أن صرت موظفا ومن الله على بالثروة والغنى اشتريت نفس تلك الأرض التى فيها الشجرات التى كنت أجلس تحتها للذاكرة أيام الفقر ، فلما أن اشتريت هذه الأرض استأجرها مؤجرون من الفلاحين فزرعوها فطنا فتوجهت يوما لتلك الأرض وأخذت أجوب جنباتها وأجول في عرصاتها وقد أعجبنى القطن فتذكرت أيام الفاقة إذ كنت أجلس تحت الشجرات ولا أملكها فأخذت من شدة الفرح أغنى هذه النعمة التى نلتها . فهذا المدرس رأى أن غاية نعم الحياة أنه يملك هذه الأرض ولما أحسن بالنعمة أخذ يفنى ونسى أنه من الجامع الأزهر وأنه كبرت سنه وإن الله يقول . وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون . ونسى قوله تعالى . إن الله لا يحب الفرحين . وكان خيرا له حينما رأى هذه النعمة وتذكرها أن يكتر من الاستغفار كما قال تعالى أنبياه <sup>عليهم السلام</sup> . إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا .

فأما الرجلان ببلاد الفلاحين بالشرقية فإن أحدهما وكان له مقام واحترام بينهم قال . ما القصد من

الحياة ، القصد منها اني اذا كنت ألبس قفطانا لأنزله الى ملابس الفقراء ، وأما الثاني فاني سمعته يقول ما القصد من الحياة عندنا الجاموسة والبقرة وفيهما اللبن وعندنا النرة فنحن والحمد لله أغنياء  
وأما ذكرت هذا لك أيها الذكي لأذكرك بما تعرف من الناس حولك جميع أهل الأرض لا يخرجون  
عن أمثال ما ذكرته الآن ولكن العلم والحكمة والدين تخرج الانسان من فكرة العامة الى مقام العلماء وآداب  
الحكماء واذ ذاك يعرف الانسان قوله تعالى : وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون -  
فيأيت شعري ماهي الوزارة قصيرة الأجل وماهي الثروة والمال لاسيما لمن كبرت سنه فهي إن دامت له  
فرضا فان حياته وصحته لا يدومان . انتهى والحمد لله رب العالمين

### ﴿ خاتمة السورة ﴾

( خطاب العنكبوت للمفكرين في الاسلام في زماننا والذين سيقرون أمثال هذا الكتاب ومن بعدهم )  
تقول العنكبوت . أيها العلماء إنني آية لكم لا للجهال . ألم تروا انكم تبذرون بيوتكم بطين تحرقونه فيصير  
أجرا وبه تبذرون القصور والدور وتلبسون ملابسكم مما تستنبتونه في الأرض من السكتان والقطن وما تستخرجونه  
من الحرير الذي ينسجه الود وتستنصتون بالحديد والخشب على اكمال البناء وتشيد القصور وصنع السفن  
في البحار والطيران في الهواء . فأنتم تبذرون وتلبسون وتركبون باسالات مختلفات . أما أنا فلي مصنع واحد  
في جسمي منه أبني بيتي وأصنع طياري وأصطاد فريستي وأبني قنطري قام مقام الخشب والحديد والطين  
واحرقة القطن وغزله ونسجه وما يتبع ذلك من آلات تنسج وتغزل وأخرى لسقي الأرض ولتنقية الحشيش الخ  
فدنياكم كلها قد حيزت لي بأكلها وهذا المصنع الذي في جسمي انما هو من غذائي الذي تستقرونه . أنا  
التي أكلت الحشرات الفاتكات بزرعكم اللطفات لجوكم بتعاطي المواد العفنة فأنا ألتقها وأفترسها بعد أن  
أدت وظيفتها لكم ولم يبق إلا ضررها . فهذه تنقلب في جسمي في محل مخصوص ما يشبه الحرير أو القطن أو  
السكتان . هذا هو المصنع الذي أعطانيه ربي قام مقام أجركم وخشبكم وحديدكم وقطنكم وتيلكم ولم أحتج الى  
نجار لبناء سفيتي ولا بناء بيتي ولا مهندس لبحراني ولا آلة بخارية لسقي قطني . بل مخزني الذي اختصني به الله  
هو الذي كفاني كل ما أحتاج اليه وهذا أيها العقلاء في كتابكم . يقول الله - وان من شيء إلا عندنا خزائنه  
وما ننزله إلا بقدر معلوم - فهذه إحدى خزائنه خصني بها وحرم سواي وهوناظر الى راحتي بها . أفلم تروا  
أيها المفكرون في هذا العالم اني أكفيكم في معرفة منظم هذا الكون الذي أحسن كل شيء خلقه . أفلا ترون  
أن هذا هو الحسن والجمال فقد أحسن الله خلقي ولكن لا يعرفني إلا العلماء المفكرون . فان أردتم دليلا على  
ربي فأنا أكبر دليل بل نظامي وحده كنظام السموات والأرض وان نظرتم الى أمر المدينة والرقى فأنا مع ضعفي  
وان بيتي أضعف البيوت . بنيت على الشجر في أرضكم ييوتي واتخذت سفنا في بحاركم وأنتم تجهلون وظيفتي  
بينكم ولا تعلمون اني حارسة لخلقكم وطرت في الجو بطياري . أفلا تخجلون أيها المسلمون أن أطير بألتي المنسوجة  
من غزل جسمي وقد قلدي الفرنجة وأنتم لا تقلدون وفي آيات ربيكم لا تفكرون  
هذا هو بعض معنى قوله تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - انتهى تفسير  
هذه السورة ليلة الخميس الخامس من شهر مارس سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الرابع عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم  
وبليه الجزء الخامس عشر \* وأوله تفسير سورة الروم )

## ( الخطأ والصواب )

غلبنا التصحيح فماننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاهوذا

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣	١١	فهم كيفية	كيفية فهم	٨٠	١٤	وامضت	وأقضت
٥	١٤	مع	مع جواز	٨١	٢٣	الاستغفار	الاستغفار وسنزيده
٧	١١	لازمة	لازمه				يانا قريبا في الجوهره
٩	٨	طيبا ومهندسا	نبيا وملكا				الثانية
		واهلها	وحكميا	٨٤	٣٥	ميننا	ميننا كما تقدم
١٤	٣	لتنذر	لتنذر	١٠٠	١٤	ثلاث	ثلاثا
٢٠	٢١	مذبذبين	مذبذبين	١١٦	١٧	غارات	قارات
٢٢	٢	ان موسى	ان موسى لما هم	١٢٣	٢٥	ما هو ماتحت	ما هو ماتحت
٢٢	٤	لما هم		١٢٥	٦	الضيقة	الضيقة
٢٨	٣٢	المربعة	المكعبة	١٢٦	٤	١٢٦ ر٤	٢٢٦ ر٤
٢٩	٢٩	غربية	عربية	١٣٠	١٣	يرج	يرج
٣٢	١٣	بغير هذه المباحث		١٣١	٣	الطبيعة	الطبيعة
٣٢	٣٣	هـ	ها	١٣٩	٧	كرتين	كرتين
٣٤	٦	عن	من	١٣٩	٢٢	عنكبوتا	
٣٩	١٩	حاسة الذوق هي	حاسة الذوق	١٤١	١٨	التفسير	الكتاب
٣٩	١٩	ليتشاوروا معه	ليتشاوروا	١٤١	٢٠	النحل	النحل
٤٠	١٠	بصناعة يدها	بصناعة اليد	١٤٤	٧	النحل	النحل
٤٦	٢٢	البطين	الأذين	١٤٤	٧	النحل	النحل
٤٧	٩	الأعاليين	الأعاليين	١٤٩	١١	فهذه القوة المرسومة	فهذه الكرة
٥١	١١	هذه	هذا			أمامنا	المرسومة المتقدمة
٥١	١٨	تغذوها	تغذوها	١٦٤	٤	محيى	فمحيى
٦٦	١٥	بقوله	بتنوء	١٦٨	٢٦	الصواب	الى الصواب
٦٨	٦	في المراتين	في المراتين	١٦٨	٢٩	مختلفان	مختلفتان
٦٩	٢	ولجل	لجل	١٦٨	٣٠	ومن الغير متعصبين	ومن غير المتعصبين
٧٢	٢٨	ويحضونهم	ويحضونهم	١٦٩	١٤	ولو	
٧٣	٢٧	وهو ذلك	في قوله تعالى	١٧٤	٣٣	العرب	العرب
٧٤	٣٥	ولا تتجزأ	ولا تتجزأ الى	١٧٥	١٣	ياصول	ياصول
		عناصر أخرى		١٧٧	٧	المحاط	المحوط
٧٥	١١	فدمننا	فدمننا	١٧٧	٣٤	الأطفال	بالأطفال

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
وعظماهم	وعظماهم	٩	١٨٨	وهي التوراة والانجيل	وهي الزبور والتوراة	١٣	١٨٠
للكون	الكون	١٤	١٨٨	والقرآن ، والقرآن	والقرآن الخ (هذا		
بعد واحد	بعد	٣٤	١٨٨	بالنسبة للانجيل	منقول من أصل		
تذهب	تذهب	٦	١٩٠	كالانجيل بالنسبة	الترجمة)		
يهطل	يهضب	٨	١٩١	للتوراة			
قبض	قيض	١١	١٩١		عليه	٩	١٨١
شاعريه	شاعريه	١٥	١٩١	سوق	سواق	٢١	١٨٣
المتوحشة	المتوحشة	١٨	١٩١	مسيحيين حقا	قد نصر و امسيحيين	١٦	١٨٤
اتهم	اتهم	٣٠	١٩١	حق صراح	خقا صراحا	٥	١٨٥
أحد تلاميذه	أحدهم مفيده	٢٣	٢٠٧				

( تمت )



# فهرست

## الجواهر السبع عشر

(من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم)

صحيفة

- ٢ ذكر ثلاث مقدمات لتفسير سورة القصص ﴿المقدمة الأولى﴾ نموذج في كيفية فهم قصص القرآن التريية والآداب في قصص القرآن وبيان أن الأمم الإسلامية أهملت القصص وفهمه مع ان عليه مدار ارتقاء الأمم سواء أكانت حكاية خيالية أم حقيقية . وبيان مزايا قصص القرآن على خيالات المؤلفين وبيان مثال حال المسلمين مع قصص القرآن كمثل فلاح بويرى عنده الماس في حوائط منزله فظنه حصي ففطن له رجل انجليزى فاشترى منه ذلك المنزل بمال وفير . وهل أخفى الله عدد أهل الكهف إلا ليعين لنا أن المدار ليس على حقائق التاريخ بل على الموعظة منه ﴿المقدمة الثانية﴾ في محاورات بيني وبين فتى في الجزيرة في عشرة مواضع مثل علاقة العلم بالدين وكيف سمع سليمان النملة وهي تتكلم ومعنى - علمنا منطق الطير- وهكذا من مسألة العفريت والمحاريب والقصاع الكبيرة ودابة الأرض وتسخير الرج ومحاورات بلقيس والاجابة على ذلك بأن الاسلام عود متبعيه أن يعلمهم كل شئ وأن الكلام على ألسته الحيوانات مستحسن عند كل الأمم (انظر كتاب كليله ودمنة) وان من الحيوانات حكيمة كالنحل والنمل وعاملة كالجاموس والبقر والله جعل الحكيمة معاملة للانسان ، وبعدهذه المقدمة نقول إن الهدهد والنمل وأمثالها يسمعون الجاهل فيظن المعرفة ، والعالم يعرف المقصود بالمجاز والاستعارات والكنائيات ، وأقرب شئ لهذه القصص الكنائيات وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلي كما في قول الخنساء في دريد بن الصمه \* معاذ الله يرضعني حبركي \* الخ فالجاهل يظن الرضاع من هودا فيه والعالم يقول إن المقصد يرجع لزواجها بأبي الصبي لا ارضاعه
- ٦ بيان ما ترشد اليه قصة سليمان وهي عشرة مثل سرعة نقل الأخبار واستخدام المعادن والهندسة والاعتماد على النفس والعلم والاعتداء بالله الخ
- ٧ ثم بيان ما أخذ ذلك كله وأن سليمان لم يذكر الحيوانات العاملة بل الحكيمة كالهدهد والنمل ، ثم بيان أن الأمم المعاصرة تعلم هذه الحيوانات
- ٨ بيان أن مشاورة بلقيس تعلمنا المجالس النيابية وأن الاخبار بالغيب لا يعول عليه الخ
- ٩ المقدمة الثالثة ﴿أحوال الدول في قصص فرعون وموسى ، وبيان أن تاريخ المصريين يقول لنا إن ادريس المثلث أول من خط بالقلم وقد ورث المصريون عنه علومات تكشف الآن وكانوا موحدين ثم أشركوا بتبادى الزمان ودخل الفرس بلادهم فالليونانيون فالرومان فالعرب
- ١١ بيان سقوط الدول بما أن للغلبة وقتا معينا ثم تحل محلها الأمم الضعيفة ، ناهيك بما وقع للرومان من غلبة الأمم الوحشية عليها ، فأما في الأمم فله عشرون سببا استتجتها من هذه الآيات عشرة منها بكسب الانسان وعشرة من الله ومتى قام الناس بما عليهم منحهم الله ما عنده ، فالعشرة الأولى حسن السياسة مع الأمم الفاتحة والقوة العلمية والأنفة وسياسة اللين عند الحاجة والثبات على المبدأ واشغار النفوس بالشهامة وتربية الناشئة على مبادئ جديدة مناسبة للزمان والفرار بالأهل عند الحاجة اليه وازدواج اللين والشدة . فهذه العشرة

مستنتجة من آيات هذه السورة تراها مفصلة

١٣ فأما العشرة التي هي من الله فهي الإلهام ، إجابة الدعاء ، شد الازر ، النصر والنجاة من الضر ، الهداية حسن السمعة ، القربى من الله ، التمكّن من الخلافة في الأرض ، انقلاب الأعداء أصدقاء محبين ، فهذه من الله في مقابلة العشرة الأولى

١٤ تقسيم السورة وهي ﴿ أربعة أقسام \* القسم الأول ﴾ من أولها الى قوله - لعلمهم يتذكرون -

١٦ التفسير اللفظي لهذا القسم

١٧ ﴿ الفصل الأول ﴾ في قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - الخ وملخص هذا الفصل علوه في الأرض . استضعافه حزبا من أحزاب مصر . قتل الأبناء . استبقاء النساء . انه مفسد . فهذه خمسة قابلها بنظيرها وهي ( انه يمتن على المستضعفين . ويجعلهم أئمة ، ويجعلهم الوارثين ، ويمكن لهم في الأرض ويرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون )

١٧ رأى (سقراط) في السياسة وهي عنده ﴿ خمس درجات ﴾ درجة الفلاسفة فقواد الجيوش فالأغنياء فالحكم الديموقراطي أى حكم المجموع فالحكم الاستبدادى

١٨ البولشفية في مصر قبل (٤٠٠) سنة مصداقا لهذه الآية - ونريد أنت نعت على الذين استضعفوا في الأرض - وبيان أن فرنسا لم تقم ثورتها إلا بعد أن تهيأت لها الأذهان في القرن الثامن عشر وهكذا دولة الروس لم يقتلوا القيصر في زماننا إلا بعد شيوع الآراء البولشفية فيها هكذا حكم الأمة المصرية قديما فالأسرة التاسعة كان فيها مفكرون فوعزوا العقائد فلما جاءت الأسرة العاشرة هزم فرعون مصر أمام جيوش الخارجين عليه وأصبحت البلاد فوضى . وبيان ما قاله الكاتب (ابفور) للملك وهو غائب « ان الفقراء أخذوا مال الأغنياء وأصبح من كان يلبس الملابس الفاخرة لا يلبس إلا الأهدام البالية » فالأغنياء قديما في حزن والفقراء في فرح . وأبان أن المحاكم بعثت ورقها وخربت وأن الأمراء والأميرات جاعوا الخ هذه هي الحادثة الأولى . أما ﴿ الحادثة الثانية ﴾ التي جاءت مصداقا لهذه الآية فهي أن الأمة الانجليزية اليوم قد انتصر فيها العمال بلا ضرب والوزير اليوم عامل منهم كان فقيرا يسمى (ماكسدونالد) ومعه من الوزراء عاملة كانت فقيرة تسمى (مس بوند فيلد) . الكلام على اللطائف الإلهية لانقاذ بنى اسرائيل وهذه اللطائف (١٣) بتامها أنقذ بنو اسرائيل من الوحى الى أم موسى والتقاط آل فرعون له وخوف أم موسى وانه أوفى علما وحكمة وقتله القبطى وفروده ماء مدين وسقيه لابنتى شعيب وتزوجه باحدهما وارسال موسى عليه السلام وظهور المعجزات وكفر فرعون وجنوده وهلاكهم وأن موسى أوفى الكتاب فهذه (١٣) لطيفة

٢٦ بيان أن هذه الحوادث ابتدئت بفكرة خطرت لأم موسى فاتبعنها ولم تياس من رجة الله . وبيان أن هذا الخطر يخطر كثيرا لأمم الاسلام الحاضرة الآن ليخرجوا من الدل ولكن يعرضون عنها ولكن الله معونته عامة ولا ينالها إلا من تعرضوا لها

٢٧ ﴿ نظرة المسلمين في هذا الزمان ﴾ سينظر مسلمو هذا الزمان في القصص فيقولون « اذا نجا بنو اسرائيل بإلهام خطر لأم موسى ولم تتركه فرفع منار أمتها ؟ فكيف نترك نحن خواطرا الشريفة للخروج من الدل ؟ أليس هذا يأسا من رجة الله الذى ملأ العقول بالأفكار الجيلة ولا مشبط للمسلمين إلا بعض الشيوخ الجاهلين فهم كسحب حجب نور شمس الرجة وبعض أولئك الذين يضيعون أوقاتهم في تحقيق أصل هذه القصص

٢٨ هنا لطائف مثل ان الناس يتعجبون من أم موسى والوقائع التي بها نجا بنو اسرائيل . وما هذه المجائب بجانب السحر والحلالا ، في غرائب المخلوقات و بدائعها إلا كواحد بالنسبة لآلاف . ومثل ان الله في كل زمان أناسا لهم نزعات بها يرفع الضعفاء ويذل الأقوياء مثل ما فعل (ماركس الألماني) الذي قال للناس « إن نظام الحكومات فاسد » فهذه الفكرة سرت في بلاد الروس وقتلت القيصر وابتدلت هذا النظام استقلت أمة الفرس التي كانت نهبا مقسما بين انكاترا وروسيا القديمة القيصرية . فهذه فكرة ألمانية امتدت آثارها الى بلاد الفرس وغيرها فهي كامتداد إلهام أم موسى من نجاة ابنها الى نجاة أمتها

٢٩ ذكر البلاغة التي رآها الأصمعي في كلام الفتاة عند الكعبة وقولها له « أتعد هذا بلاغة بعد قول الله تعالى - وأوحينا الى أم موسى - الخ » ولكن ما كتبه في هذا التفسير هو المقصود لا البلاغة اللفظية التي عكف عليها الكثيرون

٣٠ بيان أن البلاغة المشهورة للبديين ووراءها خزائن العلم ومنهما ما جاء في هذا التفسير فلاقتصر على الإيجاز والاطناب والجناس نقص وكيف تستوى البلاغة اللفظية والمعاني الكامنة في مسألة العصا وعجل السامري وأن ذلك جاء لتعليمنا أن المدار على الحقائق لا على الظواهر . إن الاسلام رحمة للشرق والغرب فانظر الألفاظ العربية في لغات أوروبا مثل العود وأمير البحر والجبل والخزن ، وهكذا أخذت أوروبا الأرقام الهندية والجبر والهندسة وهكذا

٣١ جوهرية في قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - أنت يا الله رفعت آباءنا العرب فبنوا بدورنا العلم في الأمم ثم دالت دولتهم وهاهي ذه تريد الرقي وهذا كتابك أفسره وقد جاء في زمان اطلعت فيه على سياسات الأمم قديما وحديثا ففهمنا يارب معنى قولك - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - ومعنى - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ وذلك موافق لقولك هنا - إن فرعون علا في الأرض - . أول هذه السورة علو وفساد وآخرها بنى قارون على قومه وفرح به وفساده في الأرض فأولها كآخرها ، إن إفساد بعض المسلمين في الأرض جاء في قوله تعالى - فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا - الخ وقد جهل كثير من الأمم الاسلامية أمر الغنائم التي أحلت لرقى الانسان فلما اتخذوها للذات أزال الله ملكهم ، ويشير لذلك خوفه ﷺ علينا من فتوح البلدان وقال انه أخوف ما يخاف علينا وقد تم ذلك فعلا وقد فهم أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلى أمثال قصة قارون هنا وفهموا قوله تعالى - لولا كتاب من الله سبق لمسك فيما أخذتم عذاب عظيم - فلذلك تورعوا عن الأخذ من الغنائم ولم يتورع كثير من الملوك ومن قرأ (الكوكب الهندى) و (الغزابس) أدرك أن العلم والدين متحدان في هذه الآداب

٣٣ وهكذا ستقرأ أيها الذكى رسالتى (مرآة الفلسفة) عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - اجمال الفلسفة وأن (أفلاطون) و (سقراط) اتجها لترك زينة الدنيا وهكذا (كنت) الألماني وهذا عجيب

٣٤ القسم الثانى ﴿ من قوله - ولولا أن تصيبهم مصيبة - الى - فعسى أن يكون من المفليحين - ثم تفسيره اللفظى

٣٨ جوهرية في قوله تعالى - ولقد وصلناهم القول - وبيان أنواع التوصيل فان الحرارة والبرودة تصلان بحاسة اللمس والمذوقات بحاسة الذوق والمشومات توصل بحاسة الشم والألوان والأضواء والأشكال بحاسة البصر والأصوات والموسيقى بحاسة السمع ولكن التوصيل بالوحى أبعد مدى من توصيل الألوان بالبصر لأن نور الكواكب آت من مدى بعيد جدا يعمل لنا بطرق البصر ولكن الوحى أبعد مدى لأنه آتى الى الروح من الله تعالى لامن الكوكب فهذه هي الحكمة في ذكر التوصيل ، ولهذا المقال ﴿ نتيجتان \*

أولاهما ﴿ ان العلوم يجب أن تنوع طرقها كما تنوع الله لنا التوصل بطرق مختلفة ﴾ ثانيهما ﴿ ان جسمنا يستفيد من كل ما يحيط به وهذا هداية لنا أن نستفيد من كل حادث يحدث لنا

٤١ ﴿ القسم الثالث ﴾ من قوله - وربك يخلق ما يشاء ويختار - الى قوله تعالى - وفضل عنهم ما كانوا يفترون - ثم تفسيره اللفظي

٤٣ عجائب القرآن في هذه الآيات - وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون - وبيان أن حمد كل امرئ على مقتضى إحساسه بالنعمة كالفقير والمريض والدليل إذا أحس بالغنى والشفاء والعزّ وهذه صفة عبيد السوء ألا يعرفوا النعمة إلا بضدها ، أما المصطفون الأخيار فليس يتوقف حمدهم على أيدائهم فهم يدرسون الكواكب والعوالم كلها ويفهمون الحمد في الفاتحة ، ومتى حمد المسلم في الدنيا حمد يوم القيامة وأغلب حمد الناس اليوم لفظي وبيان معنى الحمد في الفاتحة فهو على رجة موجهة للأجسام وأخرى للعقول ، وفي هذه الآيات تقديس وتوحيد وحمد

٤٤ النعم والنعمة مذكرات موجبات للشكر وهذه الآية ذكر فيها أعظمها . نطأ آخر في تفسير هذه الآية ، بيان أن الشكر أعم من الحمد وأن الشكر يكون باللسان والقلب والعمل وأسس هذه الثلاثة العلم ومجامع النعم وأضدادها جمعت هنا ، النعمة موهبة والنقمة تسوق اليها ، وهذا كله جمع في الليل والنهار ، النهار نعمة والليل عذبة ، وهذا كله بالحركة ، فالحركة كان منها الليل والنهار وفيهما الخير والشر ، وتنتج من ذلك كله الأضداد جبل واد بحر برّ خصب جدد وهكذا ، وفي الناس ( أعمى . بصير . أصم . سميع ) وهكذا وهذا قوله - ومن كل شيء خلقنا زوجين - الخ ثم يبين أن الله يغضب على كل أمة نامت عن علوم الإنسان والحيوان والسماء الخ

٤٦ هنا ﴿ أربع جواهر \* الجوهرة الأولى ﴾ في قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار - وبما اختاره الله انه وضع القلب مقسماً أربع تجويفات والدم متى قابل الهواء الجوى دخل في الجهة اليسرى من أعلى ثم نزل الى أسفل ثم ينتشر في البدن ثم يرجع بالكربون فيدخل في أعلى الناحية اليمنى ثم في أسفلها ثم يتجه الى الرتين وهكذا ، ولكن هذه الدورة تكون في الجنين على غير هذا الأسلوب لأن الدم الذي يدخل اليه يكون شريانيا لا مادة غفمية فيه لأن رتة أمه تقوم مقام رتته ، انظر وتجب كيف تكون الدورة مختصرة فيه وعند الوضع يغير نظام الدورة حالا وتصير ثامة فان الحاجر الذي بين الأذين الأيمن والأذين الأيسر لا يكون له وجود في الجنين ولكن عند الولادة يقفل هذا الحاجر حالا لثم الدورة ولولا هذا الاقفال لاتصل الدم الوريدي بالدم الشرياني وعاش الناس مرضى أمد الحياة ضعاف الأبدان

٤٨ وبما اختاره الله انه خلق الفيل (المصوّر في صفحة ٤٨) وخلق أبا قردان ينقي الدود الذي يؤذيه فهنا اتحد ساكن الأرض وساكن الهواء على نظام الحياة ، فأما نوع الإنسان الذي اتحد في المسكن والخلق فقد عجز عن هذا الاتحاد ، ويؤخذ من هذا ﴿ درسان \* السرس الأول ﴾ دراسة أسماء الله الحسنى على هذه الصورة مثل ( القدوس السلام العزيز الخ ) فهو مقدّس عن أن يخلق داء إلا خلق له دواء وهو السلام الذي أعطى الأمان للفيل ولأبي قردان وهو الجبار حكيم على الفيل بما يؤذيه وأخضعه الخ

﴿ السرس الثاني ﴾ خفاني لأهل الشرق والغرب وتذكير الأمم كلها بأن أخلاقهم كأخلاق النمل فهو يأسر ويستخدم أعداءه ولم يقدرُوا أن يصنعوا ما صنعه أبو قردان والفيل في الاتحاد على المنافع

٥٠ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ - وهو الله لا إله إلا هو - الى قوله - واليه ترجعون - ومناسبة هذه الآية لمحاورة (طياوس الحكيم) مع (سقراط) واستعاذته بالله في شروعه في معرفة مبدأ العالم ثم أثبت أن العالم حادث

وأن المادة كانت مضطربة فثبتها الله بالعقول والنفوس والعالم كله صورة حيوان واحد فهو عقل جعل في نفس جعلت في مادة وهذا الحيوان من العناصر الأربعة في نظره ، قال وقبل هذا التكوين لم يكن ليل ولا نهار ، فهما محصلا إلا بعد تكوين الأفلاك ، والليل والنهار كانا بسبب الشمس وبهما كانت الشهور والسنون ، ثم إن الشمس والقمر والكواكب كلها فيها أرواح تديرها وهم الملائكة ، ثم أسكن الله تلك الكواكب أرواحا جزئية وخطبها قائلا « أتم من عنصر الملائكة وسأنزلكم إلى المادة واركب فيكم الشهوة فن اتبعها نزل إلى الحضيض بحسب الشهوة التي غلبت عليه ومن استقام أرجعته إلى كوكبه وقال للملائكة أتم دائمون فربوا هذه الأرواح الجزئية » وهنا بيان ما هو موافق للإسلام وما لا يوافق ، ثم أبان طيماوس فائدة البصر وأنه نار في العين يلاقى نارا من الشمس فيفيدنا معرفة السماء والعالم ، وبهذا نعرف الشهور والأعوام ويحدث فينا عشق الفلسفة ، وهنا دهش مؤلف هذا التفسير من هذا البيان العجيب في صنع الله تعالى الذي لا يفسر فيه كثير من المسلمين

٥٢ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في قوله تعالى - قل أرايتم - الخ ههنا حديث الحارث بن همام الذي رأى أنه مات وارتفعت روحه وجاءت في نور بهيج وكان الحق يخاطبه وأنه قال له « يا عبدي أنا أحبك » وبرهن له على ذلك بأنه شغله مدة حياته في البحث عنه والتفكير في أعماله وأنه لن يحب أحد الله إلا إذا كان الله أحبه من قبل ، وأفاده أيضا أنه خلق العالم كله لأجله فذهل من هذه الجلبة وضرب له المثل بالأب والأم وباقي الأسرة فإن كل واحد منهم يقول جميع الأسرة مخلوقون لي بدليل أن كل واحد من الأسرة جعل نافعا للجميع . فهكذا الأمم والدول والأرض وما عليها والشمس والقمر والكواكب كلها تخدم الإنسان الواحد وليس يعقل هذا إلا من درس أمثال هذا التفسير بل كل الإنسان في الأرض أشبه باليتيم لاحتياجه إلى كل العوالم فأواه الله بها ، ومن أحسن من الناس بهذا الحب حقيقة فإن روحه قد ارتقت وغيرها لا تزال ناقصة وبيان أن هذا الحب يظهر عند مناظر الابداع في الطير والنبات وغيرها وبيان أن الناس بالنسبة للجمال على ﴿ قسمين ﴾ قسم يهيم به وقسم بليد لا يهيم . ثم أبان أن الأرواح الأرضية لها صلة بأرواح عالية وهذه الأرواح الأرضية لا قدرة لها على استيعاب هذا الجمال فسلط عليها المرض والحسد والنيل الخ لئلا تهلك بسبب هذا الجمال

٥٥ ﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ - ومن رحته جعل لكم الليل والنهار - الخ وبيان أن قواطع الإنسان عن الكمال إيذاء الأعداء من الخارج ومطامع النفس من الداخل فلا بد من صبر على الأول وعن الثاني . ثم إن أمر الله بالتسبيح والتحميد لا تقوم به حقا إلا بالعلم . فالجهد على نعمة غير معروفة حد لفظي والعلم لا يتم إلا بعد زوال هذه القواطع . يقول المؤلف ليقف الإنسان قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ويتأمل هذا الجمال البديع والنفس لما كانت من عوالم عالية لم ترض من العلم إلا باستيعابه فهي أبدا محجدة فيه ومتى عرفت اطمأنت . وقراءة هذا التفسير كافية وبقراته هو وأمثاله يعرف سر كون رضوان خازن الجنة ففيه معنى الرضا . وهذا الذي اتصف بما ذكر يعرف أن الموت نعمة مقدمة لنعمة . إذن هو وكل شر مقدمة للنعم . هذه هي الرحمة العاسية . أما الرحمة العملية فإن الإنسان يرى كل طير وكل حشرة متمتع بنعم ربها في الهواء والشمس والإنسان هو الذي حكم عليه بالحجاب عنها في منزله وضل بالتكاثر بالمال والولد والزينة والزخرف واللذات البدنية والاكتراث من الملابس وغيرها ولذلك الإشارة بقصة آدم في سور كثيرة . ولقد عمهم الله بنور الشمس فخرموا منه بما تقدم وحظي به كل حيوان ولقد علم الناس ذلك اليوم في ألمانيا وفرنسا فأخذوا يعلمون التلاميذ في الخلاء

٥٨ الكلام على التعليم في الهواء الطلق بحيث يتعلم التلميذ في الخلاء فإذا جاء المطر توارى التلاميذ في الخيام . وهنا صورة التلاميذ في المدرسة التي أنشئت أخيراً في فرنسا (شكل ٢) و (شكل ٣) للتلاميذ على الموايد و (شكل ٤) للتلاميذ في خيامهم في الخلاء . وهنا ﴿ خمس فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في منافع الشمس وانها بها يكون البخار والفحم والرياح والكهرباء وفي المستقبل سيجمع ضوءها بزجاج بلورى ثم يوزع فلانحتاج الى تلك الوسائط (انظر شكل ٥ في صحيفة ٦١) ففيه صورة استخدام الأشعة في المستقبل والفحم والرياح والأنهار والشلالات والمحركات الكهربية

٦٢ ﴿ الفصل الثانى ﴾ في بيان علاقة الشمس والهواء ونحوهما بارتقاء الأمم وفيه (مقصدان \* المقصد الأول) مايقوله (ابن خلدون) « إن ارهاف الأطفال في التعليم مضر يورث الذل كاليهود ، وهذا له علاقة بضوء الشمس والهواء لأن التلميذ المحبوس عنهما ضعيف ذليل »

٦٣ ﴿ الفصل الثالث ﴾ في أن تباعد الناس عن الفطرة يضرب بصحتهم ويقصر أعمارهم ، وبيان أن نمو جسم الانسان يحتاج الى (٢٥) سنة والمدة المقدرة لكل حيوان بقدر مدة نموه ثمان مرات ، فلانسان إذن (٢٠٠) سنة ولكنه يموت قبل ذلك لشهواته في المأكول والمشرب والملبس والذوات

﴿ الفصل الرابع ﴾ في الكلام على الرحمة وبيان أن منافع الشمس لاحتصرها ﴿ الفصل الخامس ﴾ آرائى في التعليم عند المسلمين ، وبيان أن السكتاتيب التي ورثناها عن آبائنا قدرة غير مستضيئة بالشمس لايدخلها الهواء ، وقد كان النبي ﷺ يوحى اليه وهو على ناقته ، ومن عجب أن الحج وأعماله كالسعى ورمى الجرات وبسطة الملابس هناك . كل هذه تحض على الرياضة البدنية لتم الصحة والقوة فضلاً عن الثواب ، ولقد أخذ الناس يتعرضون للشمس ويزاولون الرياضة ، وكل هذا مشابه بعض المشابهة لأعمال ديننا

٦٤ ﴿ القسم الرابع ﴾ - إن قارون كان من قوم موسى - الى آخر السورة

٦٥ تلخيص معانى الآيات في أربعة مقاصد

٦٦ تفسير ألفاظ هذا القسم

٦٧ بيان أن خروجه على قومه في زينته كان مشوباً بالكبرياء والغرور والعظمة وهذا من الكبرياء وان كان ظاهر هذا الخروج من المباحات

٦٨ ونظير ما فعله قارون من اظهار الزينة كل ما يفعله بعض المسلمين من الولايم والماسم تفاخراً وتباهياً اذا أرادوا التعظيم والفخر والتكبر على الاخوان ، والكلام على الصبر وكيف يضبط المصلى فكره حتى لا يفكر إلا في الصلاة

٦٩ بيان طغيان قارون على موسى (١) عصي أمره في تعليق الخيوط التي تذكر السماء (٢) تدمره من جعل الجبورة هارون (٣) عصيانه أمر الله بالزكاة (٤) تسليطه البغي على الافتراء على موسى ، لذلك خسف الله به وبداره الأرض

٧٠ ضرب مثل لحال المسرفين في ما لهم بالمسرفين في ما كلهم إذ يتعاطى الانسان الأغذية القوية كاللحم والبيض وأمثالها فتمتلئ الأوعية فيموت من هو ضعيف القوة عن تحمل ذلك فجأة وتظهر البثور والقروح والأمراض في جسم من هو قادر على تحمل ذلك فلا يموت ، فالقوى ظاهراً هو الضعيف والضعيف ظاهراً هو القوى . هذا مثل من عنده مال ومن ليس عنده

٧٢ تفسير بقية الألفاظ من قوله - قل ربى أعلم من جاء بالهدى - الى آخر السورة

٧٣ وهنا لطائف في قوله - نخرج على قوميه في زينتته - وفي قوله - تلك الدار الآخرة نجعلها - الخ وفي الموازنة بين فهم الصحابة وبين فهمنا، وذكر حكاية الربيع بن زياد ويرفأ مولى عمر وترك عمر المال كل الفاخرة اتباعاً للقرآن

٧٤ الكشف الحديث في قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - الخ وبيان النظرية القديمة وهي « إن السموات قديمة لا تسحل ولا تنقش » ثم بطلت هذه النظرية وقال لافوازيه « المادة لا تنعدم ولا تتجدد » الرأي الحديث للعلامة (جوستاف لوبون) إذ قال « إن الراديوم يخرج ضوءه فتسحل به العناصر الأخرى وينقص وزنها » ومعنى هذا أن المادة تنعدم . إذن كل شيء هالك حتى المادة تنعدم . ظهور الوحدة في النبات والحيوان

٧٧ هل المادة موجودة وجوداً حقيقياً ؟ وهل العوالم صائرة إلى الزوال ؟ يقول قدماء الفلاسفة « إن المادة وجودها ضعيف » مستبدلين بأننا لم نعرف إلا الأوصاف كالثقل والخفة الخ ويقول علماء العصر الحاضر « إن كل ما نراه من المخلوقات الأرضية والسموية ماهو إلا حركات في الأثير ، وتنوع هذه الحركات يظهرها لنا شمساً وقمرًا وقمرًا وقطنا وذهبا وفضة

٧٨ بيان أن الأوضاع متقلوبة ، نرى الشمس جارية حول الأرض والحقيقة هو العكس ونرى المادة موجودة والحقيقة أن لا مادة ، آراء أفلاطون يقول « إن هذه المادة لانبثقت لها ولا تصح مناظرة للعالم » وأرجع العلم للمثل الأفلاطونية

٧٩ يسبح المؤلف ربه ويحمده إذ عرفه أن أهل الهند يقولون « إن أصل المادة عقل » وأن علماء اليونان يقولون « إن الكيفيات المحسوسة البالغة (٣٦) مفرقة على حواسنا فأين المادة ؟ » وهكذا أقوال علماء العصر الحاضر ونظرية (اينشتاين) الألماني . كل هؤلاء يقرّون - كل شيء هالك إلا وجهه - هل العوالم صائرة للزوال ؟ أم عند العلماء . فهي زائلة الآن فلا شيء إلا الحركات . وأما عند حواسنا جميعاً فإن هذه المظاهر التي تتأثر بها تلك الحواس ستذهب في مستقبل الزمان . إذن كل شيء هالك الآن باعتبار وفي المستقبل باعتبار آخر

٨٠ الرأي الحديث « لاشئ يزيد على المادة ولكن كل شيء صائر إلى الزوال » . ضرب مثل لفهم ما تقدم برجل أصيب بمرض عصبي فظهرت له الأشباح والناس لا يرونها فإذا شفي من مرضه أصبح كالناس لا يراها فنحن بهذه الحواس كذلك كذلك العصبى فإذا تركناها ظهرت لنا الحقائق . فالمادة بالتحقيق العلمي هالكة الآن وفي الظواهر ستهلك

٨١ ذكر سؤالي وردا على المؤلف إذ جعل النوع الانساني أشبه بالمرض وجوابه على ذلك أن روحه من عالم النور وسقوطه في الأرض كالمرض ولهذا رمز بقصة آدم وبهذا يفسر - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك - فلا ذنب هنا إلا السجدة الطينية . أما السؤال الثاني فهو « كيف كان الكون صائراً للزوال » والجواب عليه بإيضاح كلام (جوستاف لوبون) وبيان أن سرعة النور عند انحلال الراديوم (٢٠٠٠٠٠) كيلومتر في الثانية ولوانهم قدروا أن يحولوا جراماً من الحديد إلى نور حين يعدم لسان عندنا قوة (٦٠٠٠) مليون و (٨٠٠) مليون حصان بجرقطارا حديدياً حول الأرض أربع مرات

٨٣ خطاب المؤلف للأمة الإسلامية . يقول لها « هل أمكننا تفسير هذه الآية بالإقراءة علوم الأمم حولنا » وهذا سرّ قوله تعالى - قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - وهكذا ﴿ جوهرتان \* الجوهرة الأولى ﴾ في سرّ - طس - طس إشارة للطائفة والسين إشارة لذهبا

واستعبادها والسين في يستضعف ويستحي والمفسدين وهذه الطوائف الضعيفة لا بد من نصرها ولذلك ترى الميم في قوله - ونريد أن نمن - وفي - ونجعلهم أئمة - وفي - ونمكّن - إذن - طسم - ملخص السورة لأن ملخصها ﴿ غرضان ﴾ الغرض الأول ﴿ ان الطوائف الضعيفة لا بد من فوزها فالطاء للطائفة والسين لنهائها والميم لنصرها ﴾ الغرض الثاني ﴿ أن تحترس الأمم الاسلامية وغير الاسلامية من الغرور واستضعاف الأمم فاذا قويت أمة اسلامية فلتعلم أن الله لها بالمرصاد اذا ظلمت ، واذا أصبحت في ذل فالله يقتص من الظالم للظالم . كل ذلك في ( طسم )

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في الكلام على الصلة بين آخر القصص وأول العنكبوت ، لقد ختمت الأولى بأن قارون ابتلعه الأرض هو وأمواله وأن العوالم هالكة ، لذلك ابتدئت (سورة العنكبوت) بالتحريض على الجهاد لنخلص من المادة الطينية لنلقى الله

٨٤ نحن الآن ننتقل من سجن الى سجن فاذا خرجنا من سجن الجوع والشبق دخلنا في سجن آخرين كحوز المال والترف وكالذرية التي نسي لها ، فنعجن خلقنا في كبد . وقد ضرب له المثل بقصة آدم وقصة قارون . وما جيع الذنوب التي في الشرائع إلا آثار لما كن في هذه النفوس من الشهوة والغضب الخ

٨٥ بيان ما يشير الى هذا المعنى عند الأمم السابقة وأن دين المسيحيين ماهو إلا صدى صوت ديانات تقدمت كما نقله علماء الألمان من لوحة بالعراق سنة ١٩٠٣ وهكذا

﴿ تذييل ﴾ حكمة ألهاها الله على قلوب بعض الصوفية وأن الشيخ الشعراي سأل أستاذه الخواص عن الذي يقول اننى استغنى بالله عن الدنيا فقال هو جاهل لأن الاستغناء عن الوجود نعت خاص بالله

٨٧ ﴿ سورة العنكبوت ﴾ وهى ﴿ قسمان ﴾ القسم الأول ﴿ من أول السورة الى قوله تعالى - واسكن كانوا أنفسهم يظالمون -

٨٩ التفسير اللفظي وأن الجهاد يكون للشهوات ويكون للوالدين ببرهما ولا أصحاب اذا كفروا فلا يطيعهم . وبيان أن أسباب النزول في هذه الآية مرتبة

٩٠ تفسير - ولقد فتنا الذين من قبلهم - الخ

﴿ جوهرة ﴾ في قوله تعالى - ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه - وأن الجهاد ﴿ نوعان ﴾ جهاد داخلي وجهاد خارجي . ومن الخارجى الذى يذكرنا بسعادة نوع الانسان وفيه صحة البدن واجتماع الأمم وترك الخيط من الثياب وشرح حال هذا الجهاد بما جاء في « الرحلة الحجازية » من أن لباس الاحرام والتعرض للشمس راجع لأحوال الانسان الأولى كتمثال ( كوفرين ) من قدام المصريين وكذلك التماثيل الرومانية . فالأم القديمة كلها كانت ملابسها كالاحرام الآن وهذا هو الذى ينشده علماء أوروبا الآن إذ يعتمد القوم كل سنة الى الجبال والى شواطئ البحار فلا يسترون إلا عورتهم ويتلقون برودة الجو وسحابة الشمس لتذهب الأمراض جميعا . إذن الخج أنزل ليرجع الناس كلهم الى حال واحدة فيصيحوا أمة واحدة يتحدون في الالباس والمدارس والتعاليم والأخلاق والاسلام دين الفطرة

٩٥ ﴿ خطابي للساميين ﴾ بيان أن الجهاد في هذه الآية يشمل العبادات والأعمال المدنية والصناعات وبيان أن الله لم يدع المخلوقات بلا إلهام إذ ألهمهم أن ينقشوا ما يزاولون على الأشجار ليقراء الخلف . فالخشرات ملهات والسيات أوحى الله بها وديننا فيه كنوز تظهر الآن وهذا التفسير نعمة وفي الصلاة كنوز العلم . وبيان أن المؤلف قد عوتب في النوم على أنه لم يحضر قلبه في الصلاة فانهط بهذا واستفاد فوائد في نفس هذا التفسير



٩٦ بيان أن الجاهل لاحظ له في العبادة إلا حظاً ضئيلاً وأن حظ العابد كحظ شارب الماء وحظ العالم من العبادة كحظ عالم الكيمياء في تحليل الماء ومعرفة أسرارهِ وهذا سرٌّ - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء - الخ ومن الجهاد أيضاً الصوم ومعلوم أنه قربي ولكن أما آن للمسلمين أن يدرسوا فوائده الصحية كأوروبا أولم يروا كيف استفاد زعيم الهندوس الأكبر (مهاتما غاندي) من المعيشة الفطرية والصوم أي الجوع ونبت البذخ صحة وعافية ، وقد صام (٤٠) يوماً ، وقال الملابس ، وعرض أكثر جسمه للشمس فقال صحة يحسده عليها الناس أجمعون وهذا بعض أسرار الصيام والحج

٩٧ أولم يروا إلى أن المصابين بكثرة الزلال في الدم وبتصلب الشرايين يشفون بترك أكل اللحم والبيض الخ وهكذا ينصح الأطباء من جاوز الأربعين بترك اللحم والاكتفاء بالنبات وأنه يجب عليه أن يصوم يوماً كل أسبوع ، وبعضهم ينصح بترك الأكل (٤٠) يوماً ويشرب الماء في تلك المدة مع قطرات من ماء الليمون وهذا يجعل الإنسان يتحمل الصوم (٤٠) إلى (٦٠) يوماً ، وقد صام المستر (ارفينج الانجليزى) (٥٠) يوماً فتخلص من ضعف المعدة والأعصاب ، وقد شرب أول يوم ستة أكواب من عصير البرتقال وأخذ يقل شيئاً فشيئاً حتى اقتصر على الماء ، وبعد تمام الصيام شرب اللبن قليلاً قليلاً ، وفقد في صيامه (٤٦) رطلاً فاستعادها وزاد عليها

٩٩ ضرب مثل لحال العابدين بالافكر في العبادة بحال قراء القرآن بلا تعقل ، وبيان أن الجهاد إما بالفرية وأما بالعقل وأما بالوحى والأخير أفضلها . إن الإنسان لا يفرح إلا بمنوع عنه كاليقوت والزبرجد وأسرار الوجود ، فالجاهل يجاهد لملك الأسحار الخفية وهو يجهل جمال الوجود ، والحكيم يجاهد ليعرف سر الوجود كلاهما جاهد لمنوع عنه

١٠٠ ﴿ الفصل الأول الجهاد بالفرية ﴾ وأن من قرأ أكثر هذا الكتاب عرف أكثر غراز الحيوان وأن للنمل دولة أكبر من أكبر دولة في الأرض تعدادها (٥٠٠) مليون نملة

﴿ الفصل الثاني الجهاد بالعقل ﴾ ومثاله ما جاء في كتاب « كايلا ودمنة » ترجمه (برزويه) الطبيب الفارسي الذي ضرب مثلاً لأخوان الصفاء بالجماعة المطوقة مع اخواتها الجماعات ومثلاً آخر بالجرذ مع الغراب والسلحفاة والطبي . فالأول تعاون الجماعات المتجانسة . والثاني تعاون الجماعات المختلفة من الإنسان كما تعاون النمل وتعاون الفيل مع أبي قردان

١٠٢ ﴿ الفصل الثالث الجهاد بالوحى ﴾ كجهاد رسول الله ﷺ . كان إذا ألت به حاجة دعا الله واستغاث به كقوله ﷺ « إني أسمع كلامي . وترى مكاني . وتعلم سرّي وعلايتي » إلى أن قال « اللهم اسقنا الغيث الخ » وكقوله أيضاً « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن الخ » وهذه يقولها من أصابه غم أو دين الخ

١٠٣ وكقوله يعظ أصحابه في خطبة « أيها الناس قدّموا لأنفسكم الخ » فقد أبان فيها أن العبد يسأله ربه ليس بينهما ترجان عن ماله وعن أعماله « وكقوله « أحبوا الله من كل قلوبكم » وكنته أن كسوف الشمس وخسوف القمر لأجل موت أحد وحياته . فهاهوذا ﷺ جاهد بالوحى فدعا الله وأرشد الناس وحذر من الدنيا في خطبة ابتدأها بقوله « أما بعد فإن الدنيا خضرة حلاوة الخ » وأخذ يشرح مسألة

١٠٤ الغضب والرضا من أخلاق الناس ويذم الغدر ولم يقتصر على جهاد من هم عنده بل جاهد من هم في مكان سحيق . وأنه كان يريد أن يجعل الناس أمة واحدة فكتب إلى (هودة) صاحب اليمامة وقال له « إن ديني سيظهر على ملكك » وأمره بالاسلام وأرسل الخطاب مع سليل فأكرم وفادته . وكتب

الى ملك عمان فدعاه ودعا أخاه الى الاسلام وأرسل الكتاب مع عمرو بن العاص . وفي هذا المقام محاورة بينهما وبين عمرو بن العاص وانهى الأمر باسلامهما

١٠٦ وبث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى أمير البحرين فأسلم وأسلم أكثر أهل بلاده . وإلى ملك الحبشة النجاشي فأسلم

١٠٧ وإلى عظيم الفرس كسرى فدعاه الى الاسلام فزق الكتاب فزق الله ملكه في زمن عمر أجابة لدعائه

عليه السلام عليه والى المقوقس ملك مصر مع حاطب بن أبى بلتعة . وهنأتهم أيها الذكي من هؤلاء الصحابة الكرام وكيف يحاورون هؤلاء الملوك والأمراء ويقنعونهم في الخطاب ويحاجونهم وأكثرهم أميون

١٠٨ وإلى ملك الروم وقد أمره عليه السلام فأطاع على قومه فأشار عليهم بالاسلام فقبضوا ثم أرضاهم بأنه كان يختبرهم . وهنا يتجلب العقلاء في الاسلام من قول حاطب بن أبى بلتعة للمقوقس « لسنا نهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به »

بيان عام في أمر الجهاد وذكر أن المصلي يكرر الرجة والتربية في الصلاة وأن هذه الرجة بها تألفت الطيور والحمامات وتعلم الفلاسفة بها ضرب الأمثال للتألف العام وهكذا نبينا ﷺ إذ خاطب الملوك للاتحاد العام

١٠٩ زيادة ايضاح وبيان أن المهديين الى الصراط المستقيم المذكورين في الفاتحة يجب أن يكون لهم السلطان على المغضوب عليهم والضالين ولهذا قال - قل يا أهل الكتاب - الخ ثم إن هؤلاء الصحابة كانت لهم

لذة روحية بها تحموا هذه المشاق وبها حرّم سيدنا عمر أموال الفنائم عليه وعلى ابنته خلف من بعدهم خلف افتتنوا بالذات بعد الغزوات وجهلوا آية - فلا تقتحم العقبة \* وما أدراك ما العقبة \* فك رغبة - الخ

١١٠ وقد شرع العتق ليكون الغالب والمغلوب أمة واحدة فلما ظلم المسلمون خربت بيوتهم وانكسروا لأنهم أذهبوا طبيعتهم في الحياة الدنيا . فانظر ما يقوله (سديو) الفرنسي في سبب انحطاط أسلافنا العرب في

اسبانيا فانهم لما طردوا الموحدين تفرقوا هم شيعة وذاق بعضهم بأس بعض فأخذهم الفرنج مملكة مملكة . وقاتل (فرينند) مع محمد الجار أهل أشبيلية المسلمين فخضعت لفرينند

١١١ ذكر بعض عمالك شرق الأندلس إذ حاصرها جيش الأردمليش وقصر بن هود في حاميها وسد الماء الداخل لها فسلم القوم أنفسهم للفرنجة ومات كثير منهم بالعطش وكثير بالسيف

١١٢ ذكر بهجة ابنة أحد الموسرين إذ أسرها علاج من العلوج في منزل أبيها وعلى فراشه نفسه وهكذا فتاة أخرى كانت تغني له لأنها كانت مغنية لأبيها وهكذا يفعل المسيحيون في المسلمين ما فعله المسلمون بالمسيحيين - كل يوم هو في شأن -

١١٣ كيف أثمر الجهاد لتحرير أوروبا بعد خلود أمة الاسلام . وبيان أن أمثال (روسو) و(فلتير) انما أيقظوا أوروبا بما قرؤوه في كتب المسلمين المنهوبة من مصر والأندلس كما تقدم وأن القسيسين والرهبان كانوا ظالمين وحركة الاسلام هي التي أوقفتهم عند حدهم

١١٤ بيان أن أهل فرنسا يوم ٤ أغسطس سنة ١٧٨٦ م نالوا حقوق الانسان التي نادى بها (جان جاك روسو) ومحيت امتيازات الأشراف

١١٥ قصة نوح عليه السلام وتفسيرها ) وبيان أن الطوفان في القرآن جزئي لا كلي وأن قارّة (ليموريا) كانت تتصل بآسيا وقارّة (التلتس) كانت وراء جبل طارق وكانت قدرا فرقييا وآسيا معا ثم غطاها الاوقيانوس فغرقت . وهناك قارّة كانت في الاوقيانوس الباسفيكي قرب سواحل أمريكا الجنوبية وأغرقتها

- الماء . وهناك قصة للطوفان في ﴿ سجلات جلجميس ﴾ في بابل . وهناك قصة في الصين  
﴿ جغرافية العالم القديم ﴾ وبيان أن حيوانات مداغشقر مغيرة لحيوانات افريقيا مع قربها منها وحل  
هذه المشكلة أن هناك قارة اختفت وهي (ليموريا) وانتقل حيوانها أيام وجودها الى مداغشقر  
١١٦ وأما قارة اتلنتس وقارة الاوقيانوس الباسفيكي فان الأولى ذكرها أفلاطون والثانية عرفت بنقوش  
وجدت على صخور (جزيرة يستر) وبيان قصة التوراة وأولها « رأى الرب أن شرّ الانسان قد  
كثر في الأرض الخ »
- ١١٧ القصة البابلية والصينية والهندية ، فالبابلية فيها أن (جلجميس الجبار) زار أحد أسلافه ليسأله كيف نجا  
من الموت فقصّ عليه قصص الطوفان وبناء الفلك وهي القصة السومرية بعينها ، والقصتان الهندية  
والصينية تشيران الى طوفان محلى نشأ عن فيضان الأنهر كالبابلية عن فيضان دجلة والفرات وهناك  
في شمالي العراق بعثة انجليزية تبحث في بلاد (اور) عن قصة الطوفان
- ١١٨ الأدوار والأكوار في اخوان الصفاء إذ يقولون إن البحر يصير برا بالعكس في مدة (٣٦) ألف سنة  
وهذه المدة التي حددها لادليل عليها بل هي أطول جدا . قصة ابراهيم عليه السلام وتفسيرها  
١١٩ قصة لوط عليه السلام وقصة شعيب وعاد وثمود وموسى وتفسيرها اللفظي
- ١٢٠ الكلام على معنى - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده - الى قوله - قل سيروا في الأرض  
فانظروا - الخ وبيان أن السير ﴿ قسمان ﴾ جسمي وعقلي والثاني مرتب بعد الأول
- ١٢١ بيان اني كنت أشك في هذا الوجود وأنا شاب وأراه مبعثرا لانظام له وانى قلت اني اذا وقفت على  
الحقائق سمعت ، ولقد عرفت الحقائق بقدر طاقتي وألفت هذه الكتب كما عاهدت الله على ذلك .  
و بيان السلسلة المنظمة من الكواكب ثم المواليد فالعناصر وأن الانسان مختص بمعرفة ذلك وأن الصلاة  
في أدعتها هذه المعاني الخ
- ١٢٢ نظام السموات ووضع الكواكب فيها منظمة بأبعاد على مقتضى المتواليات الهندسية ونظام المواليد ونحوها  
هكذا (تراب . جص . ذهب . خضراء الدم . كشوثي) وهكذا ثم (القرد وأدنى الانسان وأعلاه  
فالملائكة والله فوق الجميع)
- ١٢٣ النظر في المعادن مثل الاسفيداج والاسرب والاسفندري والفيروزج ومثل ان الألماس اذا دق بالمطرقة  
على الحديد لم ينكسر والياقوت لا يعمل فيه إلا الماس والسنبادج ولكن الأسرب وهو جنس من  
الرصاص غير ناضج مسلط على الألماس . إذن الياقوت سيد المعادن ويعلو عليه الألماس ويحكم الألماس  
الاسرب . وبيان أن المعدن كلما كنا أكثر احتياجا اليه كان أكثر والعكس بالعكس كالنحاس  
والذهب ، بيان العناصر عند علماء العصر الحاضر وانهم وجدوا أن الله قدرتها بحسب وزنها الذرى  
بحيث يزيد العنصر عما قبله ذرتين اثنتين تقريبا في الصف الأفقى ويزيد ١٦ عمما تحته في الصف  
الرأسي وقد اشتركت الصفوف الأفقية كلها في الخواص الكمائية والصفوف الرأسية تشترك في الخواص  
الطبيعية كاللون والطعم والرائحة وهذا عجب أن ترتب ترتيبا أفقيا بحسب الذرات ويكون الاشتراك في  
الصفوف الأفقية غير الاشتراك في الصفوف الرأسية . وهنا موازنة بين هذه الصفوف وبين صفوف  
الأوراق المعروفة المنظمة عدا وأن هذه الصفوف المعدنية أدق وأعجب وبهذا نعرف بدائع الحكم الإلهية  
(انظر جدول وفق خمس في صفحة ١٢٥)
- ١٢٤ جدول العناصر

١٢٧ بيان أن (مندليف) الروسي الذي اخترع هذا الجدول سنة ١٨٦٩ أخبر بمعادن وعين محلها في الجدول قبل كشفها وقد تم ذلك كما أخبر، وبيان أن ترتيب العناصر كترتيب الأذلاك

١٢٨ الكلام على الروديوم وعلى الذهب ونظام النفوس الانسانية والملائكة وانه اذا كانت المعادن منظمة هذا النظام فن باب أولى يكون نظام الأرواح، وأن الناس يوما ما سيبحثون عن نظام أنفسهم ومتى عرفوه رتبوا لها جداول فارتقى الانسان ارتقاء لا يعلم به الناس اليوم إذ يوضع كل امرئ في مركزه في العالم كما وضع كل معدن في مرتبه في الصف

١٢٩ ذكر البارود والعناصر التي ركب منها عند الأمم وأن ذلك من كيفية بدء الخلق وكيف كان عند الفرنسيين والألمان والانجليز تلوين السوارج بالبياض والزرقة والخضرة والصفرة، وبيان الجبال في العالم والجبال في الوجوه والجبال في الموسيقى وأن ذلك كله بالنسب الهندسية وكما راجع للآية - قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - فأن الله بدأ الخلق بهذا الحساب والنظام الجميب

١٣١ تعريف ابن المتفيع للتربية وتعريف أفلاطون لها وملتون وجيمس وسبنسر وبعض علماء (بروسيا) كل هذه التعريفات ترجع للحركة الجسمية والعقلية في التربية وهما يرجعان لقوله تعالى - قل سيروا في الأرض فانظروا - أي بالحركة الجسمية والحركة العقلية فالآية شملت هذه التعريفات كلها

١٣٢ ﴿الطيفة السادسة﴾ مقاصد الصلاة في الاسلام، وتلخيص معاني أقوال المصلي في الركوع والسجود والجلوس بين السجدين والاعتدال مثل ان المحامد عند الرفع لدراسة العالم العاوي وهي عند الركوع والسجود للبحث على علم الطبيعة وبيان أن هذا تقدم في (سورة آل عمران)

١٣٣ بيان أن قول المصلي في آخر الصلاة «إنك حيد مجيد» لا يتم إلا بمعرفة هذه العلوم، وبيان أن نظام الدراسة في الأمم الآن جار على مقتضى ترتيب أدعية الصلاة، فالابتدائي والثانوي فظهر الثناء في الرفع والاعتدال الخ والمدارس العالية للتخصص كما ان الثناء في الركوع والسجود فيه تخصيص فهو كالمدراس العالية

﴿الطيفة السابعة﴾ بيان أن المصريين كانت لهم أوقاف للسكواكب السبعة يكتبون عليها أسماء الملائكة ويدعون لقضاء حاجاتهم

١٣٤ مثال ذلك الجدول المسبع المرقوم في هذه الصفحة، ولعمري لم يكتب قدماءهم تلك الأوقاف إلا ليشوقهم لجمال الله فانحطت أخلاقهم فجعلوها لطلب الرزق كما انحطت عقول بعض المسلمين فجعلوا القرآن لأجل قضاء الشهوات وهذا هو الانتكاس

١٣٥ ﴿القسم الثاني﴾ من قوله تعالى - مثل الذين اتخذا من دون الله أولياء - الى آخر السورة

١٣٧ التفسير اللفظي لهذا القسم

١٣٨ ﴿الطيفة الأولى﴾ في قوله تعالى - وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت -

١٣٩ العنكبوت البناء وعنكبوت البساتين، وكيف كانت أعمالها منظمة مهندسة، وكيف أمسكت الشبكة الذباب، وكيف أمكن النسيج أن يقاوم الرياح الهابة، وكيف كان أبرع المهندسين يخطئ والعنكبوت لا يخطئ، وبيان دقة خيط العنكبوت وأن غلف خيطها يساوي واحدا من ١٦ مليون مليون من شعرة الذقن ﴿وبعبارة أخرى﴾ ان شعرة من شعرات ذقن الانسان غلفها يساوي غلف ١٦ مليون مليون خيط من خيوط العنكبوت

١٤١ وبيان أن هذا تشير له آية - لو كانوا يعلمون - وبيان أن خيط العنكبوت عند خروجه لا يفهم منه

- العاقل شيئاً ولكن باجتماع الخيوط تظهر الحكمة هكذا عالم هذه الدنيا كلها أولها حيرة وآخرها يقين وبيان الحكمة في تسمية السور بأسماء النمل والنمل والعنكبوت وهكذا
- ١٤٢ العنكبوت تعيش على الذباب ، تصطاده على الأرض وفي الجو وذلك بنسيج تطير به كالطيارات المعروفة عند الناس وقد تسبح بالنسيج فوق الماء ، وبيان أن جسم العنكبوت قسبان وجسم الحشرات ثلاثة أقسام وأن للعنكبوت (٦) أزواج من العيون ولكن الذبابة لها نحو أربعة آلاف عين كل منها مستقلة وبيان أن كثرة الآلات لا تمنع الهلاك كما اتفق للذباب كثير العيون مع العنكبوت قليلها ، ومثل ذلك قيصر الروس الذي قتله جنوده بعد أن ذبحوا أبنائه ، ثم إن الذباب وإن كان ينظف جونا هو نفسه يحدث الأمراض بحمله العدوى فجعل الله العنكبوت لصيده ذكر تعداد الحشرات وانها مائتا ألف وستريد الى ألف ألف
- ١٤٤ هل يجوز رسم الحيوان في التفسير؟ وذكر الأحاديث الدالة على المنع والدالة على الجواز وأن ما رسمه هنا خارج عنهما لأنه رسم صور شمسية رسمها الله بشمسه وأن ذلك أوضح فيما تقدم في سورة يونس
- ١٤٥ صورة العنكبوت وانضحة (شكل ٦)
- صورة أصول الأرجل والفكين ومخرج النسيج (شكل ٧)
- ١٤٦ صورة جهاز الغزل (شكل ٨)
- صورة نسيج العنكبوت مع بيان حسن لها وأن ما يبلغ رطلا منه يطوق الأرض مرتين (شكل ٩)
- صورة ذكر النمل الحقيقي وصورته مكبرة (شكل ١٠)
- ١٤٧ صورة أنثى النمل الحقيقية وصورتها مكبرة (شكل ١١)
- صورة بقرة النمل المسمى أفيز (شكل ١٢)
- صورة مخالب العنكبوت (شكل ١٣)
- صورة اجتماع الخيط (شكل ١٤)
- ١٤٨ صورة عنكبوت الحديقة وبيتها (شكل ١٥)
- ١٤٩ صورة أكبر بيت للعنكبوت (شكل ١٦)
- ١٤٩ صورة عنكبوت صائدة (شكل ١٧)
- صورة عنكبوت المنازل (شكل ١٨)
- صورة العنكبوت المائي (شكل ١٩)
- ١٥٠ (لطيفة) في سؤال ورد على المؤلف « كيف كانت هذه الهندسة الجميلة في بيت هوأوهن البيوت » وجوابه كما يقول الشاعر \* له هم لا منتهى لكبارها الخ \* فإذا كان أدنى الخلوقات بديع جدا فمن باب أولى أعظمها ، ألا ترى أن جزءاً من تسعة من ماء يملأ ملعقة الشاي فيه كهر باء قوتها (١٣٣) ألف حصان ، فإذا كان هذا كله في جزء من تسعة من الماء في تلك الملعقة فليكن هكذا بيت العنكبوت فيه أعظم الحكم مع ضعفه
- ١٥١ رسم باب من حديد مصنوع بهيئة نسيج العنكبوت (شكل ٢٠)
- ١٥٢ صورة عقرب تأكل العث والسوس (شكل ٢١) ورسمت هنا لأنها ذات ثمانية أرجل كالعنكبوت وذكر سؤال ورد على المؤلف وأنه مغرم بهذه العلوم فلذلك أكثر منها كما أكثر الرازي من الفلسفة وأبو حيان غلب عليه النحو ، وكذا الواحدى والزجاج ، وكذا الثعلبي غلبت عليه الأخبار ، والفقير

يكاد يجعل القرآن كله فقها كالقراطي ، وجواب المؤلف بأن هؤلاء أساتذتنا ، ولكن هذا زمان ظهور حقائق القرآن

١٥٣ ضرب مثل بالعنكبوت عرفنا ﴿ أمرين ﴾ صنع الله بخلق العالم وصنع الخلق وهي الأصنام وبيان أن كل من وقفت عقولهم مقهورون ، بيان تسجيل المؤلف على المسلمين جهلهم بمصنوعات الله تعالى

١٥٤ بيان أن الأمم التي تقل فائدتها أشبه بالذباب والتي تنفع تكون كالعنكبوت ، وبيان ملجاء في الاقناع أن معجزة نبينا ﷺ بالقرآن لأن فيها معاني تظهر في كل زمان

١٥٥ الكلام في آية - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - وبيان أن أدعية الصلاة وأذكارها قسمان قسم يعطى فكرة التسليم لله وذلك كزمان الليل مثل ذكر الرفع والركوع والسجود وقسم يعطى مثال الحركة والعمل وذلك كالنهار مثل طلب الهداية في الفاتحة والغفران في الجاوس بين السجدين ، إذن بين الصلاة وبين الزمان موازنة وموافقة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انها أشبه بالعالم الذي نعيش فيه

١٥٦ بيان ما قاله طيهاوس الحكيم « ان أمراض البدن يتبعها مرض النفس وهذا ثلاثة أقسام ، ويقول إن الشر تابع لسوء المزاج » وبيان ما قاله بنتم ﴿ ان النظافة والعمل تقللان الجرائم والعكس بالعكس وهذه النظافة من خواص الاسلام ﴾ ويقول علماء الهند ﴿ إن الانسان يجب عليه أن يكون في خياله صور جميلة لا تثير شهوة ﴾ ومثل ذلك ما في كتاب الاشارات ( لابن سينا ) إذ يقول « عشق الشرائع لا الصوري يرقى النفوس وكذا العبادة مع الفكر ثم إن الصلاة مبدأ الأمرين رياضة البدن ورياضة النفس » وبالصلاة تقل الشرور لعدم القذارة والبطالة وتوجيه وجه المصلي للذي فطر السموات والأرض يجعله مفكرا في تلك العوالم الجميلة كما يقوله أهل الهند وابن سينا . إذن الصلاة مبدأ لصحة البدن وقوة الروح . الكلام على سبب اسلام عبد الله كويل الانجليزى وانه كان في الجزائر ورأى الوضوء والصلاة فدهش من أن ذلك نصف استعمال ودرس الاسلام ثم أسلم

١٥٨ ﴿ الصلاة اليوم في بلاد الاسلام ﴾ محادثة بيني وبين الطلبة بالمدرسة الخديوية وأنا مدرس لهم إذ قلت « اننا اليوم قد خلعنا ربة الروابط القديمة وأصبحنا نقتل أوروبا في كل شئ وتركنا الصلاة ولكننا أدلاء لكل الأمم ، أما أجدادنا المصابون الصائمون الذين يعتبرهم صغار العقول في زماننا غير جديرين بأعظم كل فقد احترمتهم جميع الأمم » وجواب تلخيص بأن التلاميذ هنا لم يتعمدوا الصلاة من الصغر فهم تاركوها الآن كما يتركها النساء ، وبيان ما كتبه كاتب انجليزى في إبان النهضة الوطنية إذ يقول ﴿ إن المتعلمين بمصر في هذا الزمان ليس عندهم مكارم أخلاق كالتي عند الفلاحين الذين ورثوا حب الله والفضائل والأهل والأقارب عن آبائهم ودينهم ، أما هؤلاء فقد تركوا ذلك ﴾

١٦٠ ذكر ما قاله والد معلم ولّى عهد الخديوى السابق (عباس باشا حلمى الثانى) وبيان ما قاله ناظر المدرسة الفرنسى له من تهكمه بالديانات وما أظهره له الفيلسوف البوذى يوم الأحد بالكنيسة وقوله ﴿ هاهوذا يصلى فما قاله يقصد به هو وغيره أن ترك دياناتنا ليأخذوا بلادنا ﴾ ثم ذكر ما قاله أستاذنا الشيخ حسن الطويل ﴿ انه لما كان جنديا عاقبه على انه كان يدعو الله لأن المتدينين ليسوا ينفعون في الجندية وذلك بغش أوروبا لهم وقد رفته وفرح

١٦١ بيان ما قاله محمد بك عراقى المشهور والده أن أهل سيلان يحافظون على الجماعة ومن أبى قتالوه ، وبيان ما قاله (هنرى) الفرنسى انه لما رأى المسلمين يصلون هاله الأمر وأدهشته الصلاة ، ومن يحافظون على الجماعة والصلاة الوهابية بنجد والحجاز وطالب الأزهر يقرأ ذلك ولكن عمل الناس على خلافه

١٦٢ ذكر ملجاء في (كتاب الإحياء) من فضائل المكتوبة من الأحاديث والآثار مثل إن الصلوات الخمس كنهر بباب أحدكم الخ ومثل من ترك الصلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد الخ

١٦٣ الكلام على فضيلة أتمام الأركان وعلى فضيلة الجماعة وانها أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وههنا أقوال عثمان بن عفان وسعيد بن المسيب وأبي عبيدة بن الجراح والحسن وحاتم الأصم وابن عباس وميمون بن مهران والكلام على فضيلة السجود وأن العبد يكون أقرب الى الله وهو ساجد الفاتحة وعلوم الحكمة وبيان أن علوم الحكمة كلها قد جمعت في عشر كلمات وهي المقولات المعروفة مثل الجوهر والسكن والكيف الخ وهذه الألفاظ شملت العلوم كلها فهكذا هذه الفاتحة شملت العلوم كلها كما تقدم في تفسيرها مثل (رب) ومثل (العالمين) التي شملت العالم العلوي والسفلي كما ان الجوهر في المقولات يشمل جميع الأفلاك والمواليد وهكذا ، والفاتحة لها منزلة وهي أن الجاهل يتعبد بها آمال المقولات فلا تصلح للعبادة وتكرارها لا يفيد معنى

١٦٥ (لطيفة) في قوله تعالى - ولا تجادلوا أهل الكتاب - الخ وبيان أن الواعظ يسيطر على عقل الجاهل والحكيم يسيطر على عقل الخواص والأمراء على أجسام الناس والأنبياء على الجميع

١٦٦ جوهره في قوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب - وفيها ﴿ثلاثة فصول﴾ الفصل الأول ﴿ فيما قاله اللورد هيدلى صديقنا ، يقول « إن أهل انكلترا يحبون العدل ولكن كان يجب عليهم أن يفهموا ماهو الاسلام » وبيان انه في صغره درس القرآن واستنتج منه ما وافقه عليه الخواجه (كمال الدين) وذم المتعصين من المسيحيين

١٦٨ بيان ميل الناس الى الاتحاد لما يرون من أن عقائد الدين المسيحي غير صالحة للتفكير ، وههنا أبان تناقض العقائد المسيحية . قال اللورد هيدلى « المسيح لم يكن مشترعا ولا واضع قوانين فكيف اتبعناه في أوروبا ، إن شريعته توجب ألا نأخذ بالثأر ولكن نحن ملزمون أن نعاقب الجاني زجرا للآخرين وهذا هو قانون الدين الاسلامي ، نحن في أوروبا عاجزون عن حفظ المرأة وحفظ النسل ونحن أعظم أمة في البحار وقوانيننا جيلة ولكنها لا تنفذ ونحن لا نريد التعذيب للمجرمين فلو اعتنقنا الاسلام لسهل حكم مملكة نصف رعاياها من المسلمين ، لو عرفت أمتي الانجليزية أن الدين الاسلامي دين برقي العقل لسعت الى اتباعه ، الاورويون ينظرون الى دين الاسلام كأنه وحشية وذلك بسبب المبشرين ، الاسلام أرفع من أن يكون له قوم مسيطرون غير الله بخلاف الدين المسيحي »

١٧٠ ثم قال أيضا ﴿ رؤساء الدين المسيحي يطلبون السلطة ولاعبادة لهم ولأتباعهم لإلزام أيام الآحاد المحترمة عندهم لأنها تظهر فيها الملابس الجيلة ولهؤلاء الرؤساء أجرة من الجالسين في المعبد على مقتضى الدرجات كدور التمثيل سواء بسواء ، إن ديانات أوروبا كلها خرافات القرون الوسطى فلا هي كدين المسيح ولا موسى الحقيقيين وانما البارونات والوردات في انكلترا كانوا يستعملون الشعجان للارهاب الجسمي والكتبه والاكبروس للارهاب الروحي ليحفظوا ما يملكون باحساد الهلع والفرع في القلوب . إن شريعة محمد أعظم من شريعتي عيسى وموسى وان عظمتا . مصداق آية - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم - حاصل في أوروبا حقا وصدقا

١٧١ وقال ﴿ ديانة المسيح غيرها (سانت بولس) ثم ترجت تلك التعاليم بتراجم مختلفة مغيرة ولكن الاسلام يكنى رغبات العالم ، فيه ان الله واحد قدوس ، أليس من المنجمل أن نرى العقول البشرية الراقية تخضع لإفك الكهنوتية وتحجب عن نظار السماء ومعرفة رب الجميع التهار الذي لا يفرق في رحته بين

الأولياء والقوم العاديين الجهلاء ، إن مفتاح السماء في كل مكان وأقل الخلوقات يدير هذا المفتاح ، ولعمري ما دعا رؤساء المسيحية الى التوسط بين الناس وربهم إلا حبّ الفائدة كالرواتب ومعاشات القسيسين ، الدين مسؤول عن فظائع كثيرة في العالم ، وهل في العالم دين يمكن العالم الانساني من أن يجمع أمره غير الاسلام ؟ لو أن الأمة الانجليزية كانت مسلمة لكانت ادارة الاحكام أسهل وحلت الجمعيات الكثيرة الكنيسية ولم يبق هناك شقاق حزبي ولا كانت هناك ضرائب ثقيلة لتوصل الناس الى ربهم ، دين المسيح وموسى كان أسهل الأديان ولكن الخلط عقده وجعله سببا في الحروب الصليبية التي مات فيها عشرات الألوف ، لم هذا ؟ لأجل ضريح ظنّ الناس أن المسيح وضع فيه مدة وجيزة ، إن المتعصبين وهم القسيسون يحكمون على من لم يتبعهم باهلاك الأبدى \* ويقول (غوردون) \* انه لم يجد بين المسيحيين إحسانا كالذي رآه عند المسلمين ، ليس في الدنيا سلاوى كالتي يجدها من يؤمن بالحقائق لا بمجرد الأقوال

١٧٢ وقال (الدين المسيحي شرقي وقديقي في أوروبا ألفي سنة ولا جرم أن الدين الاسلامي أرقى منه أفلايسوغ أن يحلّ الثاني محل الأول مع انه شرقي أيضا ، واذا أنارت المسيحية العالم ألفي سنة فلم لا يحلّ الأسهل منها وهو الاسلام محلها إذ ليس هناك مانع ؟ دين الاسلام يؤيد التوراة والانجيل ويوسع تعاليمهما ، أليس من الجور والظلم أن يحكم قومي على الاسلام وهم لم يدرسوه بل هم لم يفهموا معنى كلمة (اسلام) وكأنهم يرون أن إثارة عقولهم ازعاج لهم ، منذ سنين كنت أقول إن الاسلام يحترّم الوثنية والقرآن كلام الله وهكذا الانجيل فلم نترك أحدهما مع اننا قبلنا الآخر ؟ أنا مدة حياتي شاكر لله ولكن في السنين الأخيرة زدت انشراحا وأصبحت في طمأنينة عظيمة لاحد لها وأنا سعيد جد سعيد ، ولكم كنت أقول إن تعاليم الكهنوتية لا فائدة منها ولكن أثق بأن الله هو الفاعل المختار ولكن لما قرأت القرآن اطمأنت جدا ، القرآن يعطي السلاوى للمتبعين في الحياة وللجنة والخطائين أصحاب الأعمال الشيطانية فهؤلاء أيضا لهم أمل في الله رب الجميع ، القرآن يعطي رجاء لسكل تائب من هؤلاء ، تعصب الكنائس الأعمى وتنافسها دمرها ولكن الاسلام لم يفعل ذلك ، منذ سنين طلب بعض الحكام العظام في الشرق أن يبحث عن دين حق فبحثوا ثم قالوا لا نترك ديننا ولواننا شكلنا لجنة لتبحث عن أرقى الأديان لم تجد غير الاسلام ، إن من أعظم الذم أن نعتق ديننا خاليا من الكهنوتية موافقا للعقل وهو الاسلام ، في الشرق وفي الغرب رجال يعرفون أن الاسلام هو الحق ولا أدري في أي وقت سينشر الله هذه الفكرة للناس أجمعين ، ولعله يكون قريبا ، الكنائس المسيحية يناقض بعضها بعضا مناقضة عظيمة ومعلمو اللاهوت وضعوا التعاليم معقدة وجعلوها تدهش العقول ، الكنائس الثلاثة الرومية والكاثوليكية والبروتستانتية كلها طردتني منذ صغري ولا أدري ما الذي وضع في نفسي عدم الثقة بها في تلك الأيام ، كنت ولا أزال أحتقر ذلك الذي يقف على منصة الخطابة ويحكم على الملايين بالاعدام لأنهم لا يوافقونه طلبت من الله أر بعين سنة ليعرّفني الحقيقة فعلمت بعد ذلك أن هذا الدين من عمل الناس لا من عمل الله ، وأن زيارتي للشرق ملائتي احتراماً واعظاما للدين المحمدي الحنيف \* اه

١٧٤ (الفصل الثاني) فيما كتبه (الكونت هنري دي كاستري) قال \* كنت أجوب في جوف الصحارى في ولاية حوران وورائي ثلاثون فارسا وأمامهم واحد يغني ويمدح في كاتب هذه السطور وكنت أصغى الى مديحهم الذي يدل على الانحطاط النفسي بالأراجيز المحبوبة وسني ٢٥ سنة وكان اليوم جيلا وبينما أنا في تلك الحال الجيلة إذ سمعت المنشد يقول (سيدى الآن وقت العصر) فرأيتهم حالا نزلوا عن



الخيول واصطفوا لصلاة العصر وقالوا بلسان واحد ﴿الله أكبر﴾ فرأيت ماحولنا كأنه يقول الله أكبر ودأخلني إحساس وشعور جيل جدا وخشية ورأيتني محترقا عند هؤلاء الذين يرون أن الله خاص بهم أما أنا فكأنني هناك فكرت في الاسلام إذ رأيت جباله الفتان ﴿

١٧٥ ﴿أدهشني ظواهر الاسلام ولواني كتبته إذ ذاك لعدتي الناس غير محقق ولكنني أكتب الآن بتحقيق إن الكاتين عن الاسلام ﴿فريقان﴾ المستشرقون ومستعربوا الجزائر وكلهم من الافرنج والمستشرقون أغرر علما ، وأنا وان كنت من القسم الثاني أسأل المستشرقين عفوا ، فأنا لست بمن كتبوا من غير إمعان فكر مثل الميسو (لوازون) . أنا لست بهذا الكتاب متعصبا للاسلام ولكن الاسلام صار مسألة من المسائل الكبرى شغلت أذهان الباحثين حتى أسست لها مجلة علمية في باريس نجح بها المسلمون وساعدتهم المسيحيون بالمال على إقامة مسجد يعبدون الله فيه ، فأنا أريد بهذا الكتاب أن أبين كثيرا من الخطأ في الاعتقاد بالنبي العربي ودينه وهذا الخطأ أملاه التعصب الأعمى من بعض المسيحيين الذين يقولون عن المسلمين انهم يبغضون المسيحيين مع انهم هم يبغضون المسلمين ﴿صدق سيدنا محمد ﷺ ، محمد والأغاني المعروفة بأغاني الاشارات ، محمد والتاريخ ، أصل الاعتقاد ، الوحي بالقرآن ، ليس محمد مبتدعا ، هل كان على الدوام صديقا ، وفاته ﴿

كان لي صديق في تلمسان وكلما بحثنا في الدين قال الله يلد عند المسيحيين وحمد نبي المسلمين ساحر فلا دين إذن ، هل يعلم المسلمون أقاصيص الأغاني ضد الاسلام في القرون الوسطى وقد كانت سببا في الحروب الصليبية ؟ هل يعلم المسلمون أن تلك الأناشيد فيها دين الاسلام هو عبادة الأصنام وأن لهم ثلاثة آلهة وبعضهم زاد له إلهين والآلهة هم (ماهوم) و (البلين) و (ترفجان) و (بافوميد) و (ماهوميد) وهو محمد ، وهل يعلم المسلمون أن تلك الأناشيد تقول ان محمدا جعل نفسه إلهًا ، أفلا يدهشون أن محمدا عدو الأصنام يطلب منهم عبادة نفسه في صورة وثن ، هل يعلمون أن هؤلاء المتعصبين يقولون ﴿إن الإله (البلين) كان في مغارة ولما انكسر جيش الاسلام سبوه وداسوه بأقدامهم وهشموه . وأما (ماهوم) فقد رموه في حفرة وتركوا الكلاب والخنازير تمشه وتمينه . ثم تاب المسلمون واستغفروا واصطلحوا مع آلهتهم ولذلك كسرتلك الأصنام الأمباطور (كارلوس) في سرقسطة ﴿ . كل ذلك في تلك الأشعار . وقال (ريشار) في أناشيده قوموا ونكسوا صنم ماهوميد الخ وذكر أن صورة ماهوم صنعت من أنفاس الأحجار والمعادن وهناك وصف بديع جدا لتلك الأصنام يظن من سمعها أن الواصف شاهدها عيانا وماهوم هذا كان جوفه خاليا فيرى الضوء من خلاله مرصعا بنفائس الأحجار . ولما كانت الآلهة تنزل الوحي وقت الشدة وقد انهزم المسلمون بعث قائدهم فطلب الإله من مكة وحوله الطبل والزمر والغناء والرقص . وقد وضعوا في جوفه عفريتة فكلم الخليفة . وهذا الصنم جعلوه علامة الدين الاسلامي كما ان الصليب علامة الدين المسيحي

١٧٧ وفي تلك الأناشيد أن المسلمين لما انكسروا أخذوا ينادون تلك الأصنام وهم في هرج ومرج . إن هؤلاء المنشدين لا يعتقدون صحة تلك الأناشيد وانما هؤلاء هم شعراء القرون الوسطى . فأما المؤرخون بعدهم فقد حشوا كتبهم بالأقاصيص الخرافية وان سموا أنفسهم معتدلين . ومن عجب أن البروتستانت أيضا متعصبون على الاسلام يذمونه . انظر الى كتاب (ريلان) و (دون ماتينو) صاحب سراج الكنيسة إذ يقول إن كتاب محمد هزؤ والمسلمين حير وجر وحشية وكسالى وهكذا . ويقول (بروشار) المسلمون فاسقون مفرطون في نسائهم الخ

١٧٨ إن المسلمين لاهمة لهم إلا اللذائذ البهيمية والمعيشة الهمجية ولم يتغير أسلوب المسيحيين إلا سنة ١٧٣٣ م إذ ألف (بريدو) المسيحي سيرة حياة محمد ذى البدع وقال إن غرض الكتاب خدمة الدين المسيحي وكان سلاحه الوحيد الشتم والذم ، وجعل (داماسين) الاسلام بدعة مسيحية ، إن مسألة صدق النبي متفق عليها بين المستشرقين تقريرا ، وهنا ذكر اسماعيل وديانته وانها تلاشت وحل محلها عبادة الأصنام ثم دخلت اليهودية والنصرانية ، وبيان أن النبي ﷺ لم يكتب ولم يقرأ ، وهنا يهجو الباحث عن معرفة المصادر التي عرفت ما جاء في القرآن من الديانات المختلفة ، على أنه لو قرأ تلك الكتب لأقر بالتثليث مع أنه موحد

١٧٩ لما وجد ﷺ الأمم العربية عابدة للأصنام وهناك قوم يعتقدون التثليث وهكذا لزم الخلوة مفكروا في السكون ولما بلغ الأربعين جاءه صوت من الحق ﴿الله أحد﴾ أما الوحى بالقرآن فهو مشكلة لم يحلها أحد من الباحثين ، إن العقل يحار كيف تصدر آيات عن رجل أمي أصغى إليها عقبة بن ربيعة وأفنعت عمر بن الخطاب وأبكت النجاشي . إن فصاحة القرآن لا يعرفها الفرنجى بالترجمة

١٨٠ إن العقل ليدعش كيف تؤثر الفصاحة هذا التأثير وكيف كان يتحدثهم بسورة وبعشر سور مفرات . القرآن متمم للكتب قبله فلذلك يذكر بعض ما فيها فهذه وظيفته . القرآن للإنجيل كالإنجيل بالنسبة للتوراة . وهنا ذكر الآيات الدالة على أن دين الله واحد . إن النبي ﷺ في أول حياته معتقد بصحة نبوته ولا جرم أن نصره في آخر حياته يثبت هذه العقيدة . لما قهر العرب لم يظهر العظمة ولا اتخذ وزيراً إنما مهما اجتهدنا فنحن به جاهلون . وقول (ريشار) أنه كان في آخر حياته شاكاً خطأ محض . وكيف لا يكون كذلك وهو باجتماع المؤرخين الصادقين قد بقي بحاله إلى الموت فأضلّ المنشدين من النصارى الذين قالوا إن محمداً قدماء تنهشه الخنازير وهو نشوان وليس عنده نصير ولا معين وأن المسلمين حرموا لحم الخنزير لأجل ذلك

١٨٢ وكيف يقولون ذلك وهو ﷺ لما مرض خطب خطبة قرأ فيها آية - اليوم أكملت لكم دينكم - ثم رجع إلى بيت عائشة وأمرها بتفريق ما عنده من المال للعوزين ثم قال للناس من له على حق فليأخذه وقال - لخزى الدنيا أهون من خزى الآخرة - ومات بمعاودة سم الشاة المسمومة عند اليهودية زينب في خير وصار يقول (يارب أعنى على سكرات الموت)

١٨٣ الاسلام في زمن الفتح لم يكن له من الأنصار سنة ٦٢٤ هـ في واقعة بدر إلا ثلثمائة وأربعة عشر فامضى قرن حتى اجتاز الابل وتوسط البلاد الفرنسية وأسامت الشام والحجم ومصر وبلاد الغرب من مراکش والجزائر وتونس وطرابلس بعد اضطراب شديد وانتشار الدين كانتشار السوائل . وأكبر المعاندين للدين كانوا هم العرب لشدة تمسكهم بعوائدهم . والأب (بروغلى) يقول إن أبا بكر وعمر كانا أعقل من القياصرة والحكام فاربوهم وانتصروا عليهم ولما ذهبت دولة العرب بعد قليل بقي الدين معهم

١٨٤ ﴿الفصل الثالث﴾ فيما ذكره العلامة (توماس كارليل) يقول « إن من أكبر العار والسبة على المتدينين أن يقولوا إن محمداً خداع مزور كذاب . وأنا أنجب كيف يروج الكذب بين الناس إلى هذا الحد ومن عرف علوم الكائنات دهش من هذه الأكاذيب على نبي العرب . وهل يستطيع الرجل الذى يجهل فن البناء أن يبنى بيتاً ؟ كلا . فضلاً عن أنه يدوم (١٢) قرناً ومحمد بيته مضى له (١٢) قرناً يعيش فيه مائة مليون من الأنفس فلو لم يكن هو بناء لانهارت أركانه ! ما أكذب الذين يكذبونه وما أجهلهم وما كذبهم إلا من قبيل الأوراق المالية المزورة . هل يكون الرجل العظيم كاذباً ؟ كلا . إن الصدق أساسه أن المخلص

لا يتوقف إخلاصه على إرادته هو مبعوث من الأبدية لا يعتبر الاصطلاحات وإنما يسير إلى الحقيقة رأساً  
 ١٨٥ الرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا ، بلاد العرب وعرة فيها بعض الرياض فهكذا العربي  
 صامت كثيراً وإذا تكلم كان كلامه قليلاً وهو مملوء حكمة ، العربي متدين كاليهودي ولكن العربي  
 ذو محمد جنة

١٨٦ مات أبو النبي ﷺ عقب مولده وتوفيت أمه بعد (٦) أعوام وكفله جده ثم عمه فصحبه في التجارة  
 تارة وفي الحرب أخرى ولم يقابل (بحيرا) إلا وهو صغير فكيف يتعلم منه . صناعة الخط لم تكن في بلاد  
 العرب إذ ذاك إلا قليلاً ، إن محمداً ﷺ غنى عن المعلم وعن الخط . هو أمين صادق صامت بشوش الوجه  
 ١٨٧ وقد كذب من قال إن محمداً ﷺ يريد الشهرة والمفخرة له وهو الإخلاص كله . يحقر جديلات اليونان  
 وأصنام العرب وروايات اليهود المبهمة وأوثان العرب والعادات والاصطلاحات . ويحقر تيجان كسرى  
 وقيصر وجميع المظاهر

١٨٨ كان يخلو بنفسه في (غار حراء) لينظر في هذا الكون فلما ظهرت له الحقيقة أخبر بها السيدة خديجة وأن  
 الله واحد فتوكل عليه ونسلم الأمر إليه فلم يصادف إلا سخرية من القوم فلم يؤمن به في ثلاثة أعوام  
 إلا (١٣) رجلاً ولم ينصره من أسرته حين خطب فيهم إلا على وجيع القوم يضحكون ويسخرون من  
 رجلين يقومان لإصلاح العالم كله . وفي سنة (١٣) من رسالته تألبوا عليه جميعاً إذ اتفق أربعون رجلاً  
 من جميع القبائل على قتله فرحل إلى المدينة

١٨٩ وهناك لم يجد مناصاً من حربه . ومن زعم أن محمداً نشر دينه بالسيف فقد أخطأ وهل أوجد السيف  
 إلا ذلك الرأي الجديد ؟ ولقد فعل (شرلمان) بقبائل السكسون مثل ذلك . إن النصرانية أيام ظهور  
 الإسلام تصدع الرأس لأحياة فيها إلا قليلاً

١٩٠ هذا الدين حق . جاء محمد وشيع النصارى في جدال وتخطب بالحجج العقيمة فأثار الوجود وأزال الظلام .  
 القرآن مجزأ أعظم اعجاز ولكن الأوروبي لا يقدر أن يدرك ذلك الاعجاز لأن الترجمة ذهبت بروق القرآن  
 القرآن كتاب تشريع في كل زمان ومكان دام (١٢) قرناً . لقد كذب (براديه) وأمثاله إذ يقولون  
 إن القرآن أخاديع وتزويق . كانت حياته ﷺ كلها خطوباً في مدة (٢٣) سنة التي بلغ فيها الرسالة  
 ومحاربات ومحاورات ومخاضات داخلاً وخارجاً

١٩١ كان ﷺ يكتفي من المعجزات بالسكون فيذكر لهم السحاب المسخر يخرج بصيبه النبات والشجر .  
 ويذكر لهم السفن التي تجري في البحر والجبال الشامخات ويقول أنها ستفنى . والله أن العلوم التي يقرؤها  
 الناس في العصر الحاضر لتذهب بروق السكون أنها ميتة وهل يذوق لذة جلال هذه الدنيا إلا العابدين  
 ذلك هو الذي انفتحت بصيرته فعشق الوجود أما العلوم العصرية فهي وحدها ميتة في النفوس . لم يكن  
 محمد ﷺ أخاً شهوات وكيف يكون أخاً شهوات من كان عفيفاً قانعاً متقشفاً في كل أطواره . خشن  
 اللباس والطعام ساهر الليل عابده يحقر الملك والمال والصولجان مما يتطلع له أصاغر الرجال . عاشر  
 القوم نخلب ألبابهم بلطفه . بكى على زيد مولاه برقة وعطف . أنه كان شقيقاً رحيماً . أنى أحب محمداً لأنه  
 رجل لا يتصنع . كان ماضى العزم لم يكن عابثاً . أما الرجل الكاذب فهو ذلك الذي قد تضاعل شعاع  
 الله المنبعث في روحه فأصبح ظاهراً لينه ولطفه كامناً لؤمه وخبثه . إن نفس المؤمن ترجع بجميع  
 دول الأرض

١٩٣ صوت محمد ﷺ صوت الانسانية كلها وليست اللجنة كلها مادية بل ذكر أن فيها السلام والامن والامن

لاوجود له في الدنيا وهكذا الصفاء وعدم الغلّ وما أجله وفي القرآن عظمة العمل الانساني وأن له أثرا كبيرا بعد الموت وهو حق . كان قلبه ملتها يتوقد واخلاصه لانظيره . ما أشرف هذا الدين وأعظمه وقد مضى له (١٢٠٠) سنة وخمس العالم الانساني يتبعه ولم تعتصم أمم بدورها كاعتصام المسلمين بالاسلام محمد ﷺ أخرج أمة من العدم أحيائها بعد موتها ، فهل أحيائها بالكذب ؟ كلا . انه حوّل الخلود الى نشاط والتفرّق الى اجتماع ولم يمض على رسالته قرن حتى أصبح للعرب رجل في الهند ورجل في الأندلس ، كل ذلك منبعا للإيمان ، أفلا ترى ذلك شرارة من السماء تأججت واشتعلت بين غرناطة ودلهي انتهى . السلام على (توماس كارليل) مؤلف هذا الكتاب وانه من (اسكوتلانده) ولد سنة ١٧٩٥ وهنا ﴿ جوهرتان \* الأولى ﴾ في إيضاح مناسبة هذه الآراء الفرنجية للآيات ﴿ الثانية ﴾ في ثناء المؤلف على الله وتبيان قول (توماس) أن محمدا ﷺ لا يكتب ولا يقرأ وقوله انه لم يتعلم وقوله « إن محمدا ﷺ كان يقول هذا السكون هو المعجزة » وأن هذه الأقوال هي عين آيات القرآن . وبيان أن هؤلاء الغربيين لم تنقيد عقولهم بقشور الاسلام فأمكنهم الوصول الى الحقائق الأصلية بخلاف صغار العلماء من المسلمين الذين غشت على عقولهم العلوم الجزئية وجهلوا الكليات ثم السلام على شكوى اللورد هيدلي من أكاذيب القسيسين على نبينا ﷺ وأن هذا هو قوله تعالى - اتخذوا أحبارهم - الخ وهنا يحمّد مؤلف التفسير به أن هذا الزمن قد ظهرت فيه معاني القرآن واضحة عملا في أوروبا وانه قد نال ما كان يتلمسه صغيرا من معرفة نظام العالم ومعرفة وجود خالقه ومعرفة ماتقوله أوروبا في ذلك ومعرفة مابه يرتقى المسلمون

١٩٦ ويقول مؤلف هذا التفسير أيضا انه دهش جدا من أن أوروبا التي بهرت العالم بصناعاتها وعلومها تمشي وراء هؤلاء القسيسين بالاعقل ، وكيف يحرف الكلام عن مواضعه أو تلك القسيسون . وكيف عجزوا عن البراهين واكتفوا بدم سيدنا محمد ﷺ والمسلمين مثل قولهم « المحمديون جبر ونيبهم يجب النساء والمسلمون مربوطون بحبال الشيطان ونيبهم مرتكب الخطايا يحتاج الى من يخلصه لأنه كان دنيويا الخ ودين الاسلام يشجع على الزنا والجنة أصبحت كرخانة » وذلك بأقلام كتب هؤلاء القسيسين في أمريكا وأوروبا

١٩٩ ثم هنا ذكر (اللورد هيدلي) أن هؤلاء لم يتعلموا مبادئ الدين المسيحي الذي يحقر الكذب فقد كان ﷺ يحتمل الاضطهاد بصبر وثبات وهو في مكة (١٣) سنة لا يخشى أعداءه وهو عفو محسن شجاع كريم . ومن العجب انه عفا عن الذين أرادوا قتله . لقد عاب هؤلاء الكاذبون المسيحيون الاسلام لأجل السلب والنهب اللذين أتت بهما القبائل المتوحشة . إذن فلتعجب المسيحية على محاكم التفتيش التي برفضها الدين المسيحي . إن قوة أخلاق الرجل تظهر في المحن ومن لم تصادفه المحن فن أين تظهر أخلاقه ؟ هل يمكنك أن تعلم الصبر إلا اذا أوديت فصبرت . لا فضائل إلا أثناء المحن . إن محمدا كرامة أماننا تعكس علينا العقل الراقى . كان ﷺ شديد الغيرة على دين الله فكسر الأصنام وقاوم عبادتها مع شدة صلابه العرب وتمسكهم بعبادة آلهتهم

٢٠١ ما أشهر محمد السلاح إلا عند الحاجة القصوى - لا اكراه في الدين -

﴿ تذكرة ﴾ يقول المؤلف لابد من الصراحة وقول الحق وخطب المسلمين والفرنجة . أما المسلمون فانه يقول لهم « هاهم أولاء كتاب أوروبا نظروا الى الاسلام من حيث جوهره ولم تفقههم المسائل الجزئية والامذاهب المختلفة كالشيعة وأهل السنة ولذلك قالوا ان جوهره هي علوم الطبيعة والفلك وجميع الموجودات

إن هنرى وكارليل يقولان مايقوله الغزالي وابن رشد بخلاف أكثر المسلمين الذين تعادوا لأجل أمور جزئية كقتل الحسين رضى الله عنه الذى كان سببا فى كره جهالة الشيعة لأهل السنة والعكس وكان لذلك أثر فى السياسة العامة . إن المسلم أشبه بالمحبوس فى مكان فيه نور ضئيل بعد القرون الأولى وفلاسفة أوروبا نظروه فى ضوء الشمس وقد قابلهم قراء هذا التفسير . ولقد حبس الاوروبيون فى دين عتيق أكل الدهر عليه وشرب ودحضه عظماءهم . إذن أهل الشرق وأهل الغرب قتلهم التقاليد . هذا من جهة الدين . أما السياسة فهاهم الى الآن لم يقوموا بما يجب فيها وكتابى (أين الانسان) شاهد بذلك (الجوهرة الثالثة) فى قوله تعالى - وكأين من دابة لاتحمل رزقها - الخ

٢٠٣ بيان أن عجائب الحيوان ذكرت فى أمثال (آل عمران) وغيرها ولنيين هنا أن سعادة الانسان موقوفة على العلم . أوليس من المدهش أن يرى الانسان الجرذان قبل هطول الامطار بمدة قريبة تعود من أوكارها على ضفاف النهر الى أوكارها فى القرية فهى أشبه بميزان للطقس . وهكذا الفأرى البيت قبل أن ينقض عليه بزمن يسير يفرّ حالا (انظر شكل ٢٢) والجل فى الصحراء يبرغ رأسه قبيل هبوب العواصف حيث لا علامة تدل عليه . وبعض السمك قبل أن يطنى النهر لا يأكل لعله أن غذاءه سيحضر مع الفيضان القريب والطيور تعرف حال الطقس قبل تغيره كالوعول والأرانب إذ تكون السماء صافية فتسبح من الجبال وبعد يوم واحد يظهر السحاب والمطر . وفى (شكل ٢٣) صورة نوع الأوز الذى يرحل من المنطقة قبل اشتداد الشتاء

٢٠٥ (شكل ٢٤) صورة انحدار الوعول من أعلى الجبال . خطاب المؤلف لله يقول انه سكن الأرض وأهلها يتقاتلون ويبحث عن الحقيقة فوجد أن أكثر الناس فى شهواتهم مشغولون وهم متقاطعون وفى أثناء ذلك يظهر أناس يعرفون آثار جبالك ويسخرون من الزخرف ويحبون من لطفك بالجرذان وعطفك على الأرانب البرية والوعول وهذه المزايا لا يعرفها الجهلاء . أما المفكرون فى أمثال هذا فلا سعادة إلا لهم بل هم فى جنة العلم والعرفان فى هذه الحياة . ولقد رأى قاضى (صوهاج) الحيات والعقارب تفرّ مسرعة قبل فتح التربة الصوهاجية بساعات وأخبره أهل البلدة أن هذه دأبها كل سنة . ولاجرم أن هذه الحشرات والزواحف لاتعلم بالمستقبل إلا ما كان لعمومها أما ما يخص أحدها فلا بدليل قتلنا للحيات وصيدنا للطيور . وقد يعلم الانسان مستقبل نفسه فى التنويم المغناطيسى وانما حرم من هذا العلم عادة لأنه يغرى بالكسل لجهل المستقبل يحشا على العلم والعمل

٢٠٧ (لطيفة) فى قوله تعالى - وان الدار الآخرة لهى الحيوان - الخ وحكاية وزير مصرى قال للمؤلف « إن مذهب النشوء والارتقاء به تمتعنا بالقصور والعظمة والمال أما الآخرة والجنة ونحوها فلا . وحكاية مدرس عظيم اشترى أرضا كان فى فقره يجلس تحت شجرها فلما اشتراها فى كبره فرح بها وغنى وهو مخطئ فى فرحه وهكذا رجلان فلاحان كل منهما فرح بما عنده ملابس أو أنعام أو حبوب

٢٠٨ (خاتمة السورة) خطاب العنكبوت للمفكرين فى الاسلام تقول « إنكم تحرقون الطوب لتبنوا وترعوا لتأكلوا وتلبسوا أما أنفاسكم وما كفى بسبب هذه الخيوط فنها كفى فى البحر ومناطيدى فى الجو وشبكة صيدى فى الأشجار . فهذا مخزن من مخازن الله تعالى وقد طرت فى الجو فقلدنى أهل أوروبا أما أنتم فانكم فى آيات ربكم لاتفكرون »

# صحیح مسلم

جمع

إمام الأئمة الحفاظ . وعلم المحدثين الأفذاذ

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري  
الكتاب أشهر من أن يوصف . محتوي على نيف وسبعة آلاف حديث

صحيحة في غاية الثقة والاتقان

وهو الصحيح الوحيد الذي تلقته الحفظة المحدثون بالقبول وأذعن له

العلماء الفحول وعليه مدار الصحاح في المعقول والمنقول

لذلك تهافت العلماء على شرحه ودرسه لما فيه من الفوائد الجمة . كيف

لا وهو كلام سيد الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم  
وقد طبع عدة طبعات مختلفة . وبالنظر لتهافت المسلمين على اقتنائه

أصبحت نسخته أثرا بعد عين

وقد طبع أخيرا طبعة مصححة بمعرفة لجنة من علماء الأزهر الشريف

على ورق جيد وحرف جميل بأشهر المطابع المصرية مذكورا بها الأبواب  
في صلب الكتاب (لأول مرة) وعليه شرح وجيز حلّ المشكل من ألفاظه

انتخب من شرح الامام النووي والأبي والسنوسي وغيرهم من الشراح  
المشهورة بمعرفة لجنة من العلماء برآسة العلامة المرحوم الشيخ محمد ذهني

رحمه الله . وهو في مجلدين